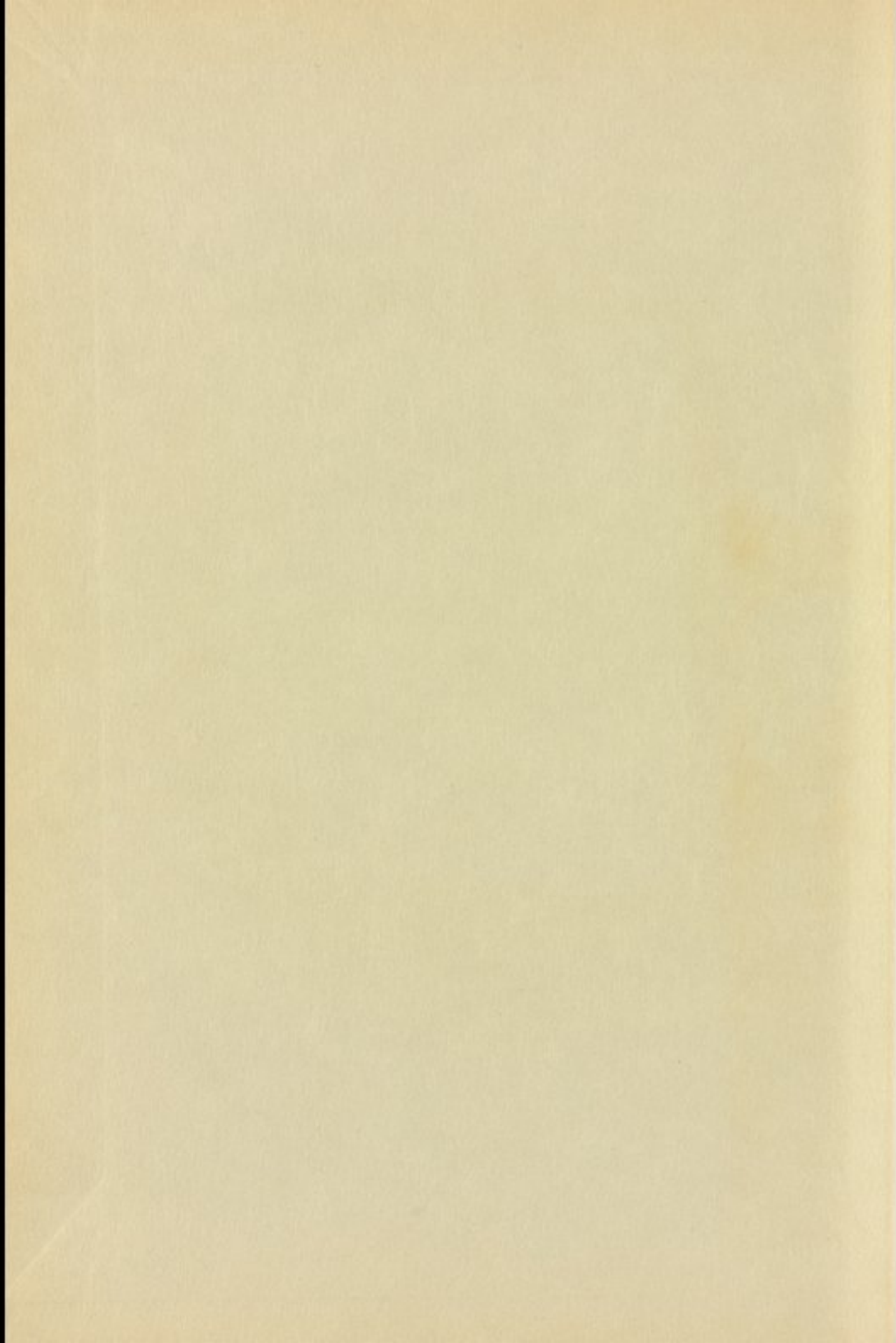


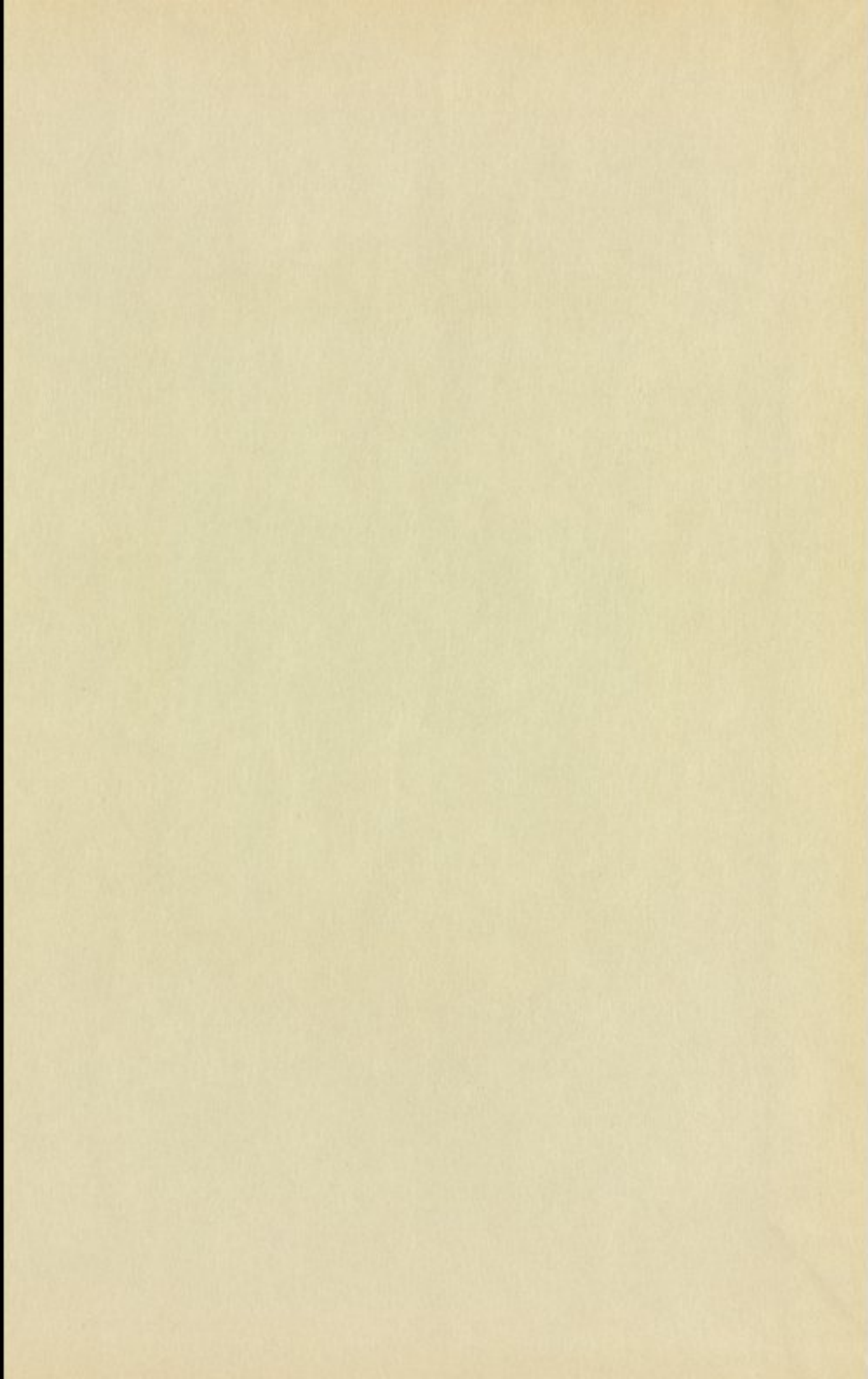


THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

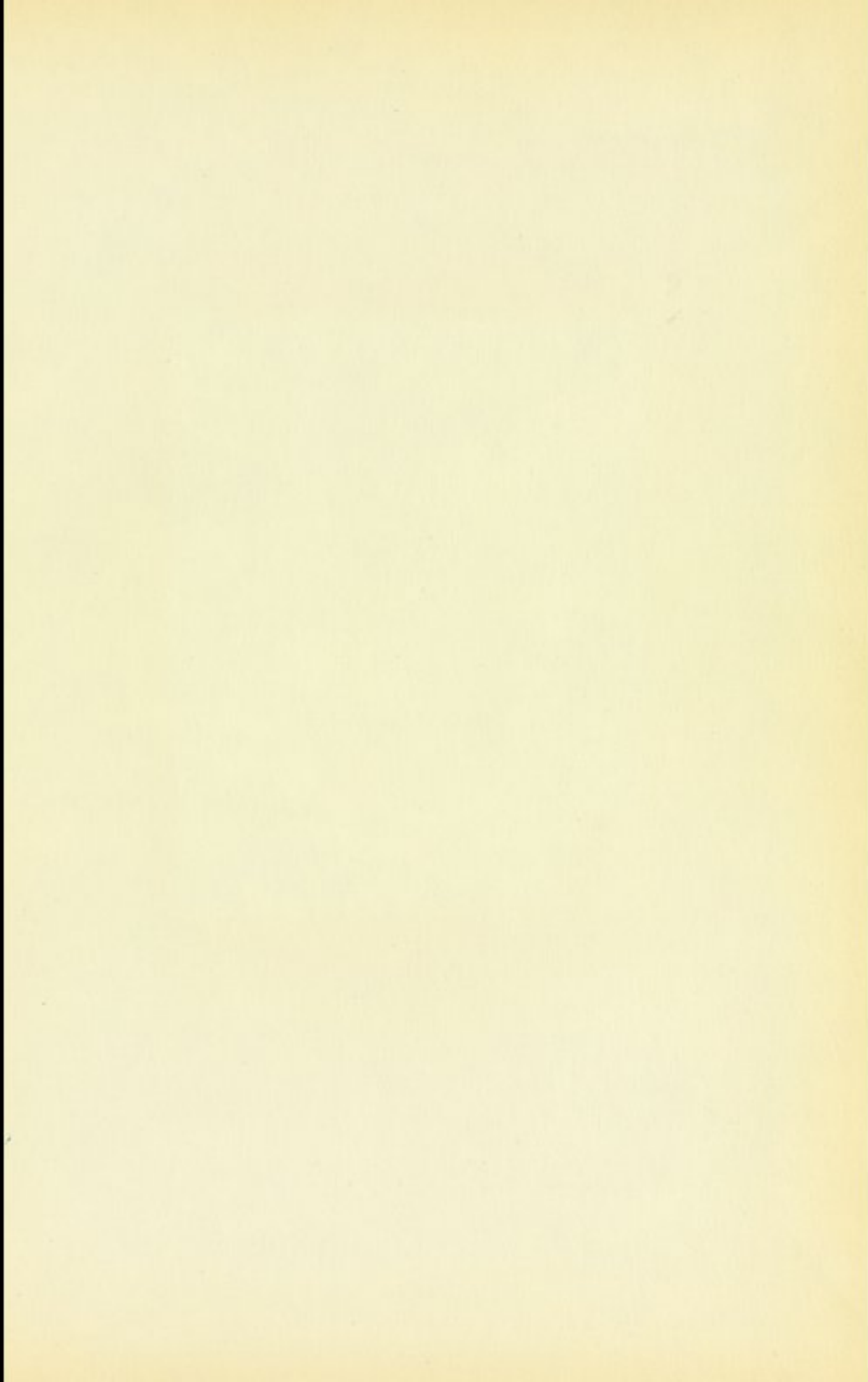


GENERAL LIBRARY



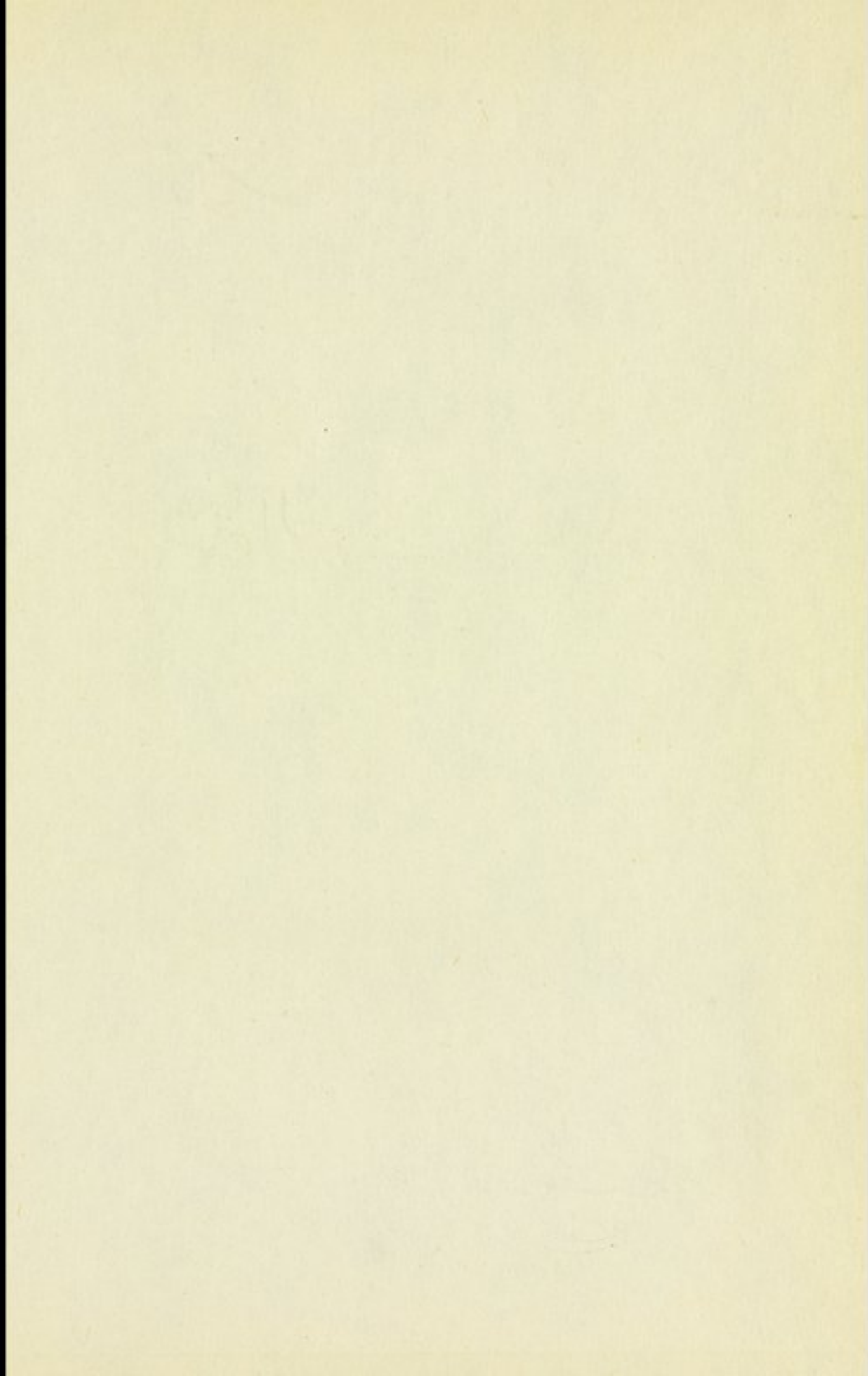






مكتبة
المكتبة المركزية
لجامعة بغداد

نشأة القصة وتطورها
في العراق



عبدالآله احمد

نشأة القصة وتطورها
في العراق

١٩٠٨ - ١٩٣٩

ساعات جامعة بغداد على نشره

مطبعة شفيق - بغداد

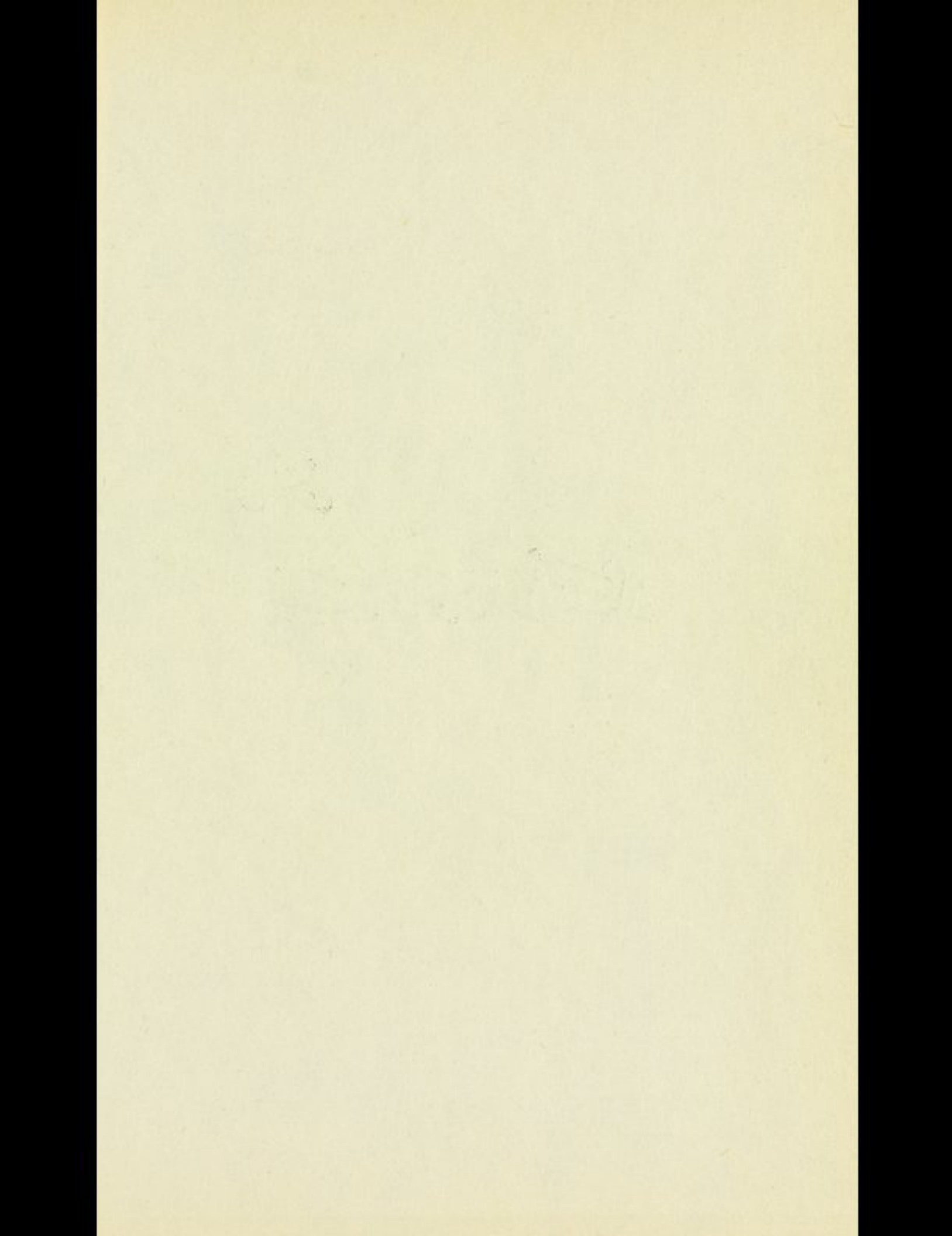
١٩٦٩

PJ
8042
.A1

الطبعة الأولى ٠٠٠ كانون الثاني ١٩٦٩

إلى أخي

تحيته ومودة وأمينان



المُقَدِّمَة

تعتبر القصة أهم الاشكال الأدبية الحديثة . وقد استأثرت من جهود الأدباء العرب في اقطارهم كافة ، بالحظ الاوفر . وانتشر هذا الشكل من الأدب في العراق ، مع اشراق فجر النهضة الحديثة فيه ، وترسخ كيانه بحيث استطاع أن يقاسم الشعر دولته ، وأن يأخذ من اهتمام الادباء العراقيين ، وعنايتهم ، ما هو جدير به . فكتب فيه من المحاولات العديدة ، ما يجعلنا نقول : ان الأدب العراقي الحديث انما هو في حقيقته ، شعر وقصة ، لا شعر ونثر . اذ أن الانواع الأدبية الأخرى ، والنثرية منها بصورة خاصة ، لا يلمس لها الباحث وجودا يسترعى الاهتمام ، بحيث تشاطر هذين اللونين من الأدب ، اهميتهما في الأدب العراقي الحديث . فالمقالة ، في معظمها ، صحفية ، سياسية أو اجتماعية . كُتبت في ظروف معينة ، ونتيجة لحوافز سياسية أو اجتماعية معينة ، بأسلوب صحفى سريع ، افقدتها القيمة الأدبية . والمسرحية لم تكتب فيها الا محاولات محدودة متفرقة ، لم ترق بعد الى مستوى النتاج المسرحي الأصيل ، بل انها لم ترق الى مستوى المسرحية العربية في بعض الأقطار العربية الأخرى . وكذلك شأن النقد ، اذا اعتبرناه نوعا من الانواع الادبية ، فهو ضامر هزيل ، لا يلفت نظر الباحث ، ولم ينجب العراق من ابناءه بعد ، من تجرد لهذا اللون من الأدب ، تجرد من يملك عدته ، ولوازمه ، واكلها ما يجب ان يتوفر في الناقد من ثقافة انسانية عامة شاملة ، تتعمق نواحي الثقافة الانسانية المتشعبة .

وإذا كان القول ان الأدب الحديث في العراق انما هو شعر وقصة ، صوابا ، ولا نظنه الا كذلك ، فان ابرز ما يلفت نظر الباحث في الأدب العراقي الحديث ، ان هذين الفنين لم ينالا قدرا واحدا من اهتمام الباحثين . فبينما

تجرد للشعر الحديث ، العديد من الباحثين ، يدرسونه في اتجاهاته وتياراته المختلفة ويدرسون شعراءه ، ظلت القصة العراقية مهملة . واذا استثنينا بعض المحاولات القليلة ، ويمكن احصاؤها على اطراف الاصابع^(١) ، التي حاولت ان تلقي الضوء على بعض جوانب هذا الشكل المعتمة ، فان الباحث لا يكاد يظفر بدراسة واحدة وافية هو حري بها ، تكون قد استقصت جوانب هذا الشكل ، واستوعبت اتجاهاته المختلفة ، ودرست المؤثرات التي أفضت الى نشوئه وتطوره في العراق . واذا كنا نستطيع ان نفسر ذلك ، بان الشعر فن له جذوره التاريخية العريقة في العراق ، وان مفهومه النقدي مستقر ، لا يجد الباحث عناء كبيرا في تمثله ، مما يمهد له الدرس ، فان هذا لا يعنى الباحثين من مسؤولية اهمال دراسة القصة في العراق ، والانصراف عنها انصرافا يكاد يكون تاما ، بحيث وقع في تصور معظم المثقفين العراقيين اليوم ، ان لا قصة عراقية تستحق عناء الدرس والبحث .

(١) الدراسات التي كتبت عن القصة العراقية هي ، حسب تاريخ نشرها :

- أ - في القصة العراقية الحديثة . مقال للدكتور سهيل ادريس . الآداب . الاعداد : ٢ ، ٣ ، ٤ - السنة ١ - ١٩٥٣ .
- ب - نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق للدكتور جميل سعيد . والقصة في الكتاب موضوع من المواضيع التي تناولها . ج - القصص في الادب العراقي الحديث . لعبد القادر حسن أمين . ١٩٥٦ .
- د - في القصة العراقية . لباسم عبدالحميد حمودي ١٩٦١ .
- هـ - القصة العراقية قديما وحديثا . لجعفر الخليلي ١٩٦٢ .
- و - وهناك دراسة ، قدمت الى جامعة عين شمس في القاهرة ، عن القصة العراقية القصيرة بعد الحرب العالمية الثانية . سمعنا بها ولم نطلع عليها ١٩٦٤ أو ١٩٦٥ .
- ز - في القصص العراقي المعاصر . للدكتور علي جواد الطاهر ١٩٦٧ .
- ح - وهناك مقالات متفرقة اخرى نشرت في الصحف والمجلات في اوقات متباعدة لم ترق الى مستوى الدراسة الجادة وقد ذكرنا قسماً منها في المراجع .

ان هذا الواقع يمثل احد الحوافز الهامة التي دفعتني الى التفكير فى
اختيار هذا الموضوع ميدانا لدراستي . ولقد كان الحافز الآخر ، هو اتجاهي
الأدبي الخاص الذى نشأت عليه . فقد شبيت على حب هذا الشكل الأدبي ،
والتعلق به ، بحيث لم تكن قراءاتي لتجاوز ، فى فترة من فترات حياتي الماضية ،
حدود النتاج القصصى ، سواء ما كان منه القصص العربى أو المترجم . وكان
لهذا اللون من الفن ، الفضل الأول ، فى اتصالى بالأدب والادباء ، وفى
ارتباطي المصيرى بهذه الدنيا العذبة ، التى ملأت حياتي خيالا ، وسعادة ، وشقاء
ابضا . واذا كان قد خيل الى يوما ، اننى سأكون فى مستقبل ايامي ، أحد
كتابه ، فان من حق هذا الفن على ، ان اخدeme جزاء ما اضاء لي من سبل فى
هذه الحياة ، وان انصرف الى دراسة جزء من نتاجه ، فأدرس القصة العراقية
دراسة ، تسهم فى اناة بعض نواحيها على قدر استطاعتي .

ولا انكر اننى كنت فى البداية ، أخشى هذا البحث واطرده فى اختياره .
لقد كنت قارئنا جيدا للقصص ، ملما ببعض نواحيه الفنية ، وما يحتاجه دارس
له ، من ثقافة شاملة ، تكاد تستوعب الانواع الثقافية والأدبية كافة . على أن
ترددى وخشيتى سرعان ما تبددا اذ أدركت ، ان الاصل فى الامر كله ان يبذل
الانسان جهده ، لا ان يصل الى الكمال ، وهو جهد اذا كان مخلصا ، مهما يكن
نصيبه من الصواب ، فهو لا بد ان يكون واضعا لبنة فى طريق نرجو أن يأتى
من بعدنا ، من يضيف اليه لبنات .

وكانت امامى بعد ذلك ، مهمة أخرى ، وهى تحديد مجال بحثي . واذا
كان مكان البحث معلوما ، وهو العراق ، فقد واجهتني منذ البداية ، صعوبة
تحديد الفترة الزمنية التى أدرسها من تاريخ هذا الفن فى العراق . وقد
افترضت مبدئيا ان التحديد الزمنى المسبق عمل تحكمى ، والأصل فى التحديد
ان ينبع من طبيعة البحث ، لا أن يكون امرا مفروضا عليه ، واذا كان هناك من
العوامل والاسباب ما يوجب الوقوف عند فترة زمنية معينة ، فلا بد من الوقوف

عندها • وهكذا بدأت العمل وأنا احاول أن أدرس القصة العراقية ، في كل
مراحلها • وراجعت كل النتاج القصصي المطبوع ، عندئذ شعرت ، بما توفر
لدى من مادة علمية ، وبما استجد لدى من اسباب ، تؤدي الى ان النتاج
القصصي في العراق قبل الحرب الثانية ، يكاد يكون غيره بعدها ، ان فترة
ما بين الحربين ، فترة محاولات رائدة ، لتحسس السبيل وتلمس الطريق ،
وتحاول ان تضع اسسا متينة للقصة العراقية ، وقد خضعت لمؤثرات خاصة ،
وكتبها كتاب معينون ، لم يمتد باكثرهم العمر الأدبي أو الفعلي ، لكي يواصلوا
النتاج القصصي بعد الحرب الثانية ، اللهم الا نفر محدود نتاجهم الذي كتبوه
بعدها ، لايسجل تطورا كبيرا عما كان عليه قبلها • وان النتاج القصصي
العراقي بعد الحرب الثانية ، يكاد يكون جديدا في خصائصه وصفاته العامة ،
متطورا في اتجاهاته واساليبه ، وقد كتبه جيل جديد ، وجد امامه من مميزات
التطور الفكري الذي شهده العراق بين الحربين ، ومن جهد المحاولات الرائدة ،
ما جعله يخط صفحة جديدة في تاريخ القصة العراقية ، ويكتب فيها
نتاجا ، يستحق وحده ، لاهميته وضخامته ، دراسة خاصة طويلة ، تستوفي
جوانبه وتحاول ان تحدد اتجاهاته وتياراته ، والعوامل المؤثرة التي اسهمت في
تطويره ، وتطوير اشكاله • وهكذا استقر الرأي بي على أن اقف بالبحث عند
عام ١٩٣٩ ، باعتباره نهاية لفترة من الفترات الأدبية ، ذات صفات وخصائص
متشابهة ، بحكم ما استجد من ظروف اجتماعية وسياسية نقلت الأدب العراقي
الحديث بعد هذا التاريخ ، الى مرحلة أخرى ، ذات صفات وخصائص جديدة •
ولقد كان يبدو لي ، للوهلة الاولى ، ان النتاج القصصي في العراق ، بين
الحربين وقبلها ، نتاج هزيل كما ونوعا • فان المنهج الذي وضعته لنفسي ،
لجمع مواد البحث ، أثبت عكس ذلك تماما ، مما دعاني الى تحديد موضوع
بحثي أيضا • فقد اتسعت المادة العلمية التي أدرسها اتساعا كبيرا ، مما جعلني
اقصر دراستي على القصة القصيرة ، باعتبارها تمثل طابع القصة العراقية في

الفترة المحددة تاريخياً للبحث ، دون أن أعفل ، في الوقت ذاته ، التساج الروائي ، والاشارة اليه بما يضعه في مكانه من تاريخ التطور ، تاركاً دراسة الرواية العراقية ، على نحو مفصل ، الى بحث آخر يستوفي جوانبها الفنية ، ويدرس المؤثرات التي اسهمت في تحديد اتجاهاتها •

ولم تكن دراستي للقصة العراقية خلوا من المشاق فقد واجهتني صعوبات جمة ، يمكن اجمالها فيما يلي :

اولاً : ان النتاج القصصي في العراق ، نتاج مشئت ضائع ، لم يحفظ بالرعاية الكافية ، لذلك لم تهتم بجمعه المكتبات العامة في العراق . وقد كان على أن أبذل الجهد كله ، لكي احصل على أشتاته المفرقة في المكتبات العامة والخاصة وفي اسواق بيع الكتب القديمة •

ثانياً : ان الفترة التي أدرسها من تاريخ القصة العراقية ، هي فترة نشوء هذا الشكل وتطوره الأول ، ولذلك كان في تصوري ، منذ اللحظة الأولى التي شرعت فيها في اعداد مادة البحث ، ان اية دراسة سليمة تحاول ان تصل الى نتائج سليمة أيضاً ، لا تستطيع ان تعتمد على ما طبع من نتاج قصصي في مجاميع قصصية مستقلة فقط ، وانما يجب ان تتابع هذا النتاج وترصده ، فيما نشر منه في الصحف والمجلات • وقد اقتضاني هذا ان أبذل من الجهد البالغ ، واصرف من الوقت ما يزيد على عام كامل ، امضيته في المكتبات العامة ، اتصفح فيه كل ما استطعت الحصول عليه من هذه الصحف والمجلات العراقية التي صدرت منذ عام ١٨٦٩ وهو تاريخ صدور أول صحيفة عراقية ، حتى عام ١٩٣٩ حيث يقف البحث •

ثالثاً : لقد توفرت لدى مادة قصصية كبيرة ، ولم يكن من السهولة بمكان ، أن اضع يدي على معالم منهج ، يستوفي جوانب القصة العراقية ، في اضطرابها وتشتتها ، اثناء محاولاتها الأولى ، ويتابع المؤثرات التي اثرت فيها ، ويرصد الملامح العامة لها ويتتبع التطورات التي حققتها ، في اتجاهاتها وتياراتها المختلفة خلال حقبة من الزمن ، شهدت تطورات فكرية واجتماعية وسياسية هامة ،

حددت طابع التطور الفكري والاجتماعي في العراق زمانا طويلا . ومن هنا
فقد سعت الى الاستعانة بالدراسات العربية التي كتبت في هذا الفن ، والدراسات
الاوربية الاخرى . مما جعلني اخيرا ، أستقر على تفاصيل المنهج الذي قامت
عليه هذه الدراسة ، فقسمت البحث الى ثلاثة أبواب ، درست في الباب الاول
المحاولات البدائية الاولى في القصة . وفي الباب الثاني درست تطور القصة ،
والمؤثرات التي حددت طابعها وصفاتها العامة ، ومضامينها واتجاهاتها المختلفة
بين الحربين . في حين حاولت في الباب الثالث ان ادرس نتاج ابرز كتّاب
القصة في العراق بين الحربين ، وأكثرهم تمثيلا لواقع القصة العراقية خلال
هذه الفترة .

ولما كان البحث لا يدرس نشأة القصة العراقية حسب ، وانما يحاول
أيضا أن يرسم تطورها ، لذلك حاولت ان اجمع بين المنهج التاريخي ، والمنهج
النقدي الذي يقيم هذا النتاج ويضعه في مكانه الملائم من سلم التطور .

رابعاً : على ان اكبر هذه الصعوبات ، واشقها على نفسي ، تتمثل فيما
حملتني اياها البحث من مهمة ثقيلة ، كان من المفروض ان ينجزها غيري من
الباحثين . فالعراق الحديث لم يدرس بعد الدراسة العلمية الجادة ، التي
تعتمد التحليل والتفسير لواقع التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية
والثقافية فيه . وما صدر من هذه الدراسة اما انه لم يستكمل ابعاد الدراسة
العلمية بعد ، واما انه لا يثير السبيل في هذا المضمار ، لانه اقتصر على ناحية أو
فرد ممن اسهموا في بناء العراق الفكري والثقافي الحديث . لذلك وجدت
نفسي احث في أرض بكر ، وأنا أحاول أن أرصد ملامح التطور الفكري
في العراق ، من خلال واقع تطوره الاجتماعي ، لكي اصل الى النتيجة الطبيعية
التي أريد ، وهي تبيان الأسباب التي أفضت الى تأخر القصة ، أو تطورها
في فترات معينة من تاريخ العراق . ومن هنا كان على أن أقوم بمهمة رسم
ملامح التطور الفكري ، الذي شهدته العراق بين الحربين ، مما حملني مسؤولية
كبيرة لا آمن معها الزلل . على ان هذا لا يمتنع من القول ، انني بذلت

الجهد كله ، ولم أدر من طاقتي شيئاً في سبيل ذلك ، وفي ظني انني قد وفقت في رسم ملامح هذا التطور الفكري الذي شهده العراق بين الحربين ، على نحو فيه بعض الصواب لا الصواب كله . وهو جهد يرصد الظاهرة ، ويتبعها ويحلها في مكانها الصحيح ، مما اعانني كثيراً على تفسير العديد من الظواهر والمشاكل ، التي اعترضتني خلال مجرى البحث .

وإذا كان لي كلمة أخيرة ، أود أن أضيفها الى هذه المقدمة ، فهي ما احسست به ، منذ اللحظة الاولى ، التي شرعت فيها في اعداد هذا البحث فقد كان لا بد لي من ان انطلق من تصور صحيح واضح للفن القصصي ، لكي يكون حكمي على القصص العراقية أقرب الى الدقة والصواب . ومن هنا فقد حرصت على ان ارجع الى الكثير من الدراسات العربية والمترجمة والاجنبية ، التي عنيت بدراسة الفن القصصي . على أنني لم استطع الا ان اقف موقف انحذر ، فقد كان من التحكم ان اطبق المقاييس النقدية المتطورة ، على نتاج قصصي ناشئ ، يحاول ان يتلمس أو يتحسس طريقه ، ولم ينطلق كتابه اساساً ، من تصور كامل للفن القصصي ، ولم يتمثلوا جوانبه على نحو فيه الثقافة الفنية أو الادراك الكامل لمقومات هذا الشكل . لذلك حاولت جهدي ، ان أنظر الى النتاج القصصي العراقي نظرة نسبية ، تحاول ان تستوعب واقع الفترة الزمنية التي كتب فيها ، ومستوى ثقافة كتابه . ومن هنا كانت احكامنا ، على هذه القصص ، مرهونة بازمانها . فنحن قد نشيد بنتاج قصصي ، كتب في فترة مبكرة ، مما نحرم منه نتاجاً قصصياً آخر قد يفوقه جودة من الناحية الفنية ، لانه كتب في فترة لاحقة ، ترقى فيها الفن القصصي وتطور .

وهذا المقياس النقدي المرن ، الذي يحاول ان ينظر الى الفن القصصي في العراق ، نظرة نسبية مرهونة بظروفها ، هو الذي معنا من ان نكتب مقدمة قصيرة خلال مجرى البحث ، نحدد فيها نظرتنا الى القصة ، ومنهونا عنها . فالامر فيها ، كما نتصور ، يخرج البحث عن دائرته التي رسمناها له . وذلك لسببين اساسيين :

أولهما : ان القصصين العراقيين في الفترة البدائية الاولى قبل الحرب الاولى ، وبعيدها ، لم ينطلقوا في كتابتهم في القصة ، من تمثيل صحيح لواقعها ، وتناجهم ان هو الا محاولات اجتهدت ان تقلد ما كان يقع تحت بصرها ، من الوان قصصية مألوفة في ذلك الوقت ، سواء ما كان عربيا ام مترجما .

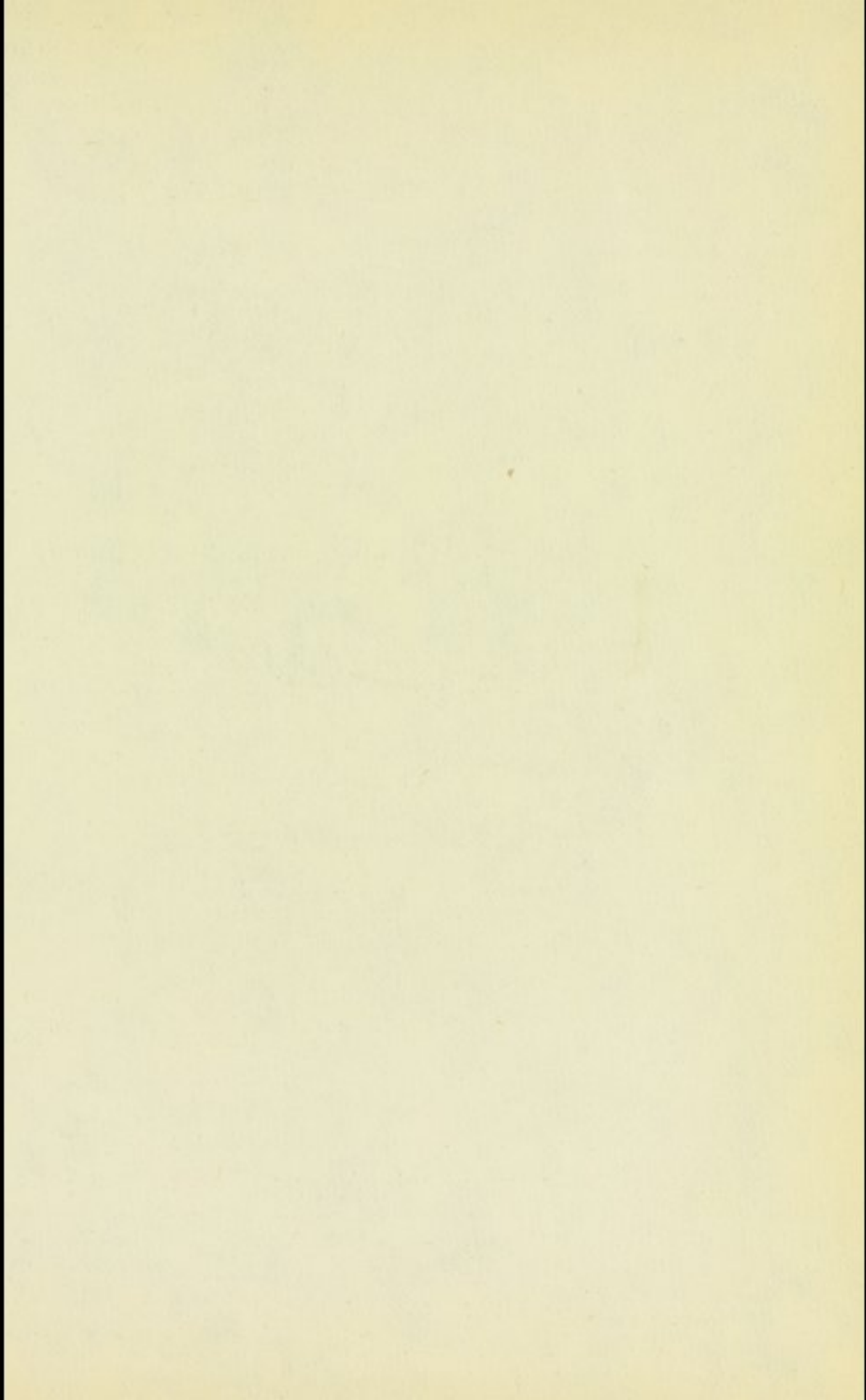
وثانيهما : ان هذه المقدمة مهما تكن ، لن تأتي بجديد ، يغني البحث اذ ستقتصر على محاولة جمع الاراء المختلفة التي قيلت في القصة . وهي آراء نرى انه من التحكم تطبيقها على القصص العراقي ، في الفترة التي ندرسها من تاريخه . لهذا عمدنا الى درس النماذج القصصية مباشرة ، ومحاولة تصنيفها وتقويمها من خلال واقع خصائصها هي ، وما تقود اليه هذه الخصائص خلال تطورها من نتائج في تاريخها وتطور مستواها الفني .

كانت هذه في ايجاز هي طريقتنا في البحث ، بعد ان ذللنا الى حد بعيد صعوباته ، نرجو ان نكون قد وفقنا فيها الى ما نريد من جلاء تاريخ هذا الشكل وتطوره في العراق . عسى ان تسهم هذه الدراسة في اثارة الاهتمام بالقصة القصيرة العراقية ، ويكثر فيها الانتاج المبدع ، ويكثر حولها الدرس ، والتذوق .

وبعد ، فالذي بين يدي القارىء نص بحث تقدمت به الى جامعة القاهرة في خريف عام ١٩٦٦ ، لنيل شهادة الماجستير ، اشرفت عليه الدكتورة سهير القلماوي واشترك في مناقشته الدكتور عبدالحميد يونس ، والدكتور شكري محمد عياد ، فاليهم جميعاً ازجي الشكر خالصاً . واذا كنت لم آخذ بالملاحظات القيمة التي قيلت اثناء المناقشة ، واخصها تلك التي نبهت الى اهمية رصد اثر الأدب الشعبي في القصة العراقية في مرحلة نشوئها وتطورها الاول ، فسببه حرصي على تقديم هذا الكتاب للقارىء ، بشكله الذي كتبت ابتداءً ، دون تغيير يذكر ، وفاء لفترة من حياتي في البحث اخلصت فيها الجهد ، وبذلت فيها وسعي . وهو جهد لايمكن ان يدعى صاحبه له الكمال .

الباب الاول

المحاولات البدئية



لا يستطيع الباحث الذي يريد أن يؤرخ للقصة العراقية ، ويحدد العوامل المؤثرة التي أدت الى نشوئها ، أن يغفل دراسة القرن التاسع عشر في العراق . فهذا القرن شهد بداية النهضة الحديثة ، كما بدت فيه أولى طلائع الإصلاح مع أولى بوادر اليقظة الفكرية^(١) . واذا كانت هذه النهضة مضطربة الخطى متعثرة ، بحيث لا يكاد الباحث يلمس تغييرا كبيرا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أواخر القرن التاسع عشر ، اذا قيست بما كانت عليه عند أول حلول القرن السادس عشر^(٢) ، عندما احتلت الدولة العثمانية العراق . فان ما شهدته هذا القرن من محاولات اصلاحية مخلصه^(٣) ، امتدت الى نواحي متعددة من الحياة ، هو الذي يبرر النشاط الفكري والثقافي الذي ظهر بعد اعلان الدستور عام ١٩٠٨ . فلم يكن هذا النشاط قد انطلق لمجرد اعلان الدستور ، لان هذا الاعلان وحده ، مهما عنف ، لم يكن قادرا على بعث هذا النشاط الفكري الكبير ، الذي سنلمس بعض ملامحه فيما سيأتى من البحث . اذ لابد من ممهّدات تاريخية اصلاحية تهيب الفكر لكي يمارس مثل هذا النشاط .

ونحن لا نؤرخ للعراق ، ولكن لابد لنا من الاشارة الى أن هذه المحاولات الاصلاحية أثرت في الأدب تأثيرا كبيرا . ولعل هذا التأثير يتضح،

-
- (١) الشعر العراقي في القرن التاسع عشر . يوسف عز الدين ص : ١٦
(٢) أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . لونكريك ص : ٣٢٩
الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر . ابراهيم الوائلي ص : ٧٠
الشعر والشعراء في العراق : احمد ابو سعد ص : ٥
(٣) بدأت هذه المحاولات المخلصه منذ ولاية سليمان باشا الذي تولى الحكم بين عامي ١٨٠٨ - ١٨١٦ ، ثم تابعه من الولاة داود باشا ، ثم مدحت باشا الذي كان له الفضل الاكبر في امتداد هذه الاعمال الاصلاحية الى جميع نواحي الحياة ، اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية .

بشكل يمكن للباحث ان يتلمسه بسهولة ، في تطور اساليب التعبير الأدبية .
فبعد أن كانت الاساليب الادبية في مستهل القرن التاسع عشر امتدادا لنمط
الأساليب التي سادت الأدب خلال الفترة المظلمة ، اتجهت الاساليب الأدبية
في نهاية هذا القرن الى محاولة التخفيف من غلواء التكلف الاسلوبى .
وأصبح من شأن النشر أن يكون أكثر قدرة على التعبير عن مختلف القضايا
الحياتية ، بعد أن نفض عنه اسار السجع وقيود البديع ، واتجه نحو الأسلوب
المرسل^(٤) . وبذلك سجل القرن التاسع عشر بداية لنهضة النشر فى العراق .
وهذه النهضة النثرية أمر جوهري لا بد منه ، لكى يستطيع الأدب ان يفتح
على الالوان الأدبية الجديدة ، التي حملتها لنا ريح الحضارة الغربية ، فى
القصة او المسرحية أو المقالة ، وأن يعبر باشكالها عن مشكلات العصر .

ولقد سارت الاتجاهات الثقافية فى القرن التاسع عشر ، تتوزعها ثلاثة
تيارات ، بعد أن كان هناك ، قبل هذا القرن ، تيار ثقافى واحد ، يملك
سبيل الثقافة العربية الموروثة ، وينهج نهجها . ودراسة هذه التيارات الثقافية
التي يلمسها الباحث فى القرن التاسع عشر ، أمر ضرورى لانه يضع أيدينا
على المحاولات الاولى فى القصة ويقودنا الى معرفة العوامل والمؤثرات التي
مهدت الطريق للمحاولات البدائية فيها . وهذه التيارات الثقافية هي :

أولا : تيار تقليدى ، هو امتداد لتيار الفكر العربى القديم ، وثقافته
عربية بعيدة عن أساليب التعليم الغربى ، لا أثر للغات الأجنبية فيه . انما هي
علوم الدين وعلوم العربية ، يتدارسها الدارسون فى المساجد والمدارس
المختلفة^(٥) . وأدباء هذا التيار هم الذين استمدوا ثقافتهم من موروثهم الحضارى
والفكرى فى شكله الأخير ، الذى استحال اليه فى عصور تدهور الحضارة
العربية ويمثل هذا التيار أكثر أدباء هذا العصر ، ولم يخرج عن اطاره أحد ،

(٤) تاريخ الادب العربى فى العراق . عباس العزاوى ج ٢ ص : ٢٢٤

(٥) مقالة عن شكري الفضلى . رفائيل بطى . مجلة لغة العرب ج ١ سنة ٤

تموز ١٩٢٦ ص : ٢٠

الاواخر هذا القرن • وطبيعة ثقافة هذا التيار المحافظ ، تجعله أبعد التيارات عن القصة الحديثة ، لما نعرفه عن القصة الحديثة انها انما قامت نتيجة تأثير موصول بالقصة الغربية في مختلف أشكالها^(٦) . ولذلك لم يكن متوقعا أن يتعرف أدباؤه على القصة الحديثة ، فيحاولوا أن ينسجوا على منوالها ، أو يقلدوها ، خصوصا في هذه الفترة المبكرة من تاريخ العراق الحديث •

على أننا لا نستطيع أن نترك الحديث عن هذا التيار دون الإشارة الى مقامات أبي التناء الألوسي ، أبرز أدباء هذا التيار في القرن التاسع عشر ، لما هو معروف من أن كثيرا من الباحثين الذين أرخوا للقصة العربية الحديثة ، أو تناولوها بالدراسة ، حاولوا أن يربطوا بين نشأتها ، وبين المقامة في شكلها العربي الموروث • وإذا كان هناك بعض الباحثين قد اعتبر القصة الحديثة في الأدب العربي نتاجا جديدا ، لا تربطه بأدبنا القديم وشائج أو صلات^(٧) . فإن هناك من وجد في المقامة شكلا بدائيا من أشكال القصة الحديثة ، وانها تطوير للمقامة • ولا نريد هنا ، أن نفصل في هذا الأمر ، في هذا البحث ، لأنه يحتاج الى بحث خاص • وجل ما نريد قوله ان الباحث في نشأة القصة العراقية لا بد أن يقف عند هذه المقامات ، لصفات وخصائص معينة أمتازت بها ، جعلت بعض الباحثين يعتبرها أول محاولة في كتابة القصة في الأدب العراقي الحديث • وأول من اعتبر مقامات أبي التناء الألوسي أول محاولة في كتابة القصة العراقية من الباحثين عباس العزاوي • فقد ذكر في مقدمة مجموعة « رجال وظلال » لمير بصري ان « أعظم حدث في القصة ما نهجه الاستاذ أبو التناء الألوسي ، سار في القصة سيرة أدبية مقبولة وراعى أمرا آخر ، وهو التوجيه الاجتماعي في معالجة بعض المشاكل اليومية ، فكان أول من استغل القصة الادبية للموضوع الاجتماعي كتب قصة أو كما قال

(٦) محاضرات عن القصة في لبنان • سهيل ادريس ص : ٩٥

(٧) المرجع السابق • نفس الصفحة •

« مقامة » سماها «سجع القمرية في ربع العمرية»^(٨) . وأضاف في مكان آخر من المقدمة « وأعتقد أن أبا الثناء الألوسي كان الأول في وضع أمثال هذه القصص في العراق فقصته أول قصة تلامس الحياة ولا تسرح في الخيال ، بل هي يومية تعالج بعض مشاكلنا آتئذ »^(٩) . وذكر في كتابه « ذكرى أبي الثناء » انها « تعد أول قصة حياتية من نوعها ، تهدف الى الاصلاح كما يهدف الغربيون اليوم . فكان باني القصة في العراق . وسار الآخرون على نهجه . . »^(١٠) ويذهب الى الرأي نفسه ، ولكن بحذر وتردد ، عبدالقادر حسن أمين اذ قال في كتابه « القصص في الأدب العراقي الحديث » ، « نجد في هذه المقامة نفحات من القصة ، وانطلاقا بسيطا من قيود المقامة »^(١١) وهو بعد أن يقوم بتلخيصها ، يعلق عليها بقوله « ومما يسترعى النظر في هذه القصة المسجوعة أن حوادثها بغدادية صرفة ذات لون محلي . . . » ثم يشير في هامش الصفحة ذاتها « للألوسي رسائل أخرى أقل أهمية من رسالة العشق وأبعد من أن تعتبر بواكير القصص العراقي مثل رسالة « نزهة الشمول في السفر الى اسلامبول . . . الخ »^(١٢) ، على ان هذا الحذر يتنقى حين يذكر في خاتمة كتابه « وقد ربطت أوليات هذا الفن بالمقامة الخامسة من مقامات أبي الثناء الألوسي ، في منتصف القرن التاسع عشر ، حيث وجدت فيها ادراكا ووعيا لانشاء قصة ذات لون محلي ، جانب مفهوم المقامات الضيق ، وانطلق بعض الانطلاق من قيود الهمداني والحريري »^(١٣) .

والواقع أن الألوسي خرج بمقاماته ، عن نهج المقامة المعروف ، فليس

(٨) رجال وظلال ص : ١١ من المقدمة

(٩) المرجع السابق ص : ١٢

(١٠) ذكرى أبي الثناء الألوسي ص : ٨٦

(١١) القصص في الادب العراقي الحديث ص : ٣٤

(١٢) المرجع السابق ص : ٣٦ وعنوان رسالة الألوسي « نشوة الشمول . . . »

(١٣) المرجع السابق ص : ٢٠٦

فيها بطل ولا راو ، وأما هي عبارة عن حديث أدبي بليغ يوجه بشكل مباشر ، وعلى نحو خطابي . وهي بذلك أقرب الى الرسائل الأدبية منها الى المقامة^(١٤) . فالمقامة الاولى عبارة عن مجموعة من الوصايا لابنائهم ، والثانية والثالثة والرابعة أرخ فيها حياته^(١٥) . أما الخامسة فهي محاولة طريفة ، خرج بها عن طابع

(١٤) الواقع أن أبا الثناء الألوسى لم يكن بدعا في ذلك . فالزمخشري ألف مقاماته وهي « تدور كلها على الوعظ ، وليس فيها راو ، ولا بطل ، بل يبدوها بخطاب نفسه » ، « ولم يكن في ذهنه أن يقلد مقامات الحريري ، وكل ما في المسألة أنه استعار منه الاسم ليطلقه على مجموعة من المواعظ » . والسيوطي صنف مقاماته في العصور الوسطى المتأخرة « وهي أشبه ما تكون بالرسائل فليس فيها بطل ولا راو ، إنما هي رسائل مسجوعة » .

المقامة - شوقي ضيف - ص : ٨ - ١٠

(١٥) طبعت مقامات أبي الثناء الألوسى ، طبعة حجرية في كربلاء عام ١٢٧٣ هـ ، ١٨٥٦ م . يذكر بهجة الاثرى عنها في كتابه « أعلام العراق » انها طبعة ناقصة ومغلوطة ص : ٣٢ . ولم يزد على ذلك شيئا . وكان الاجدر به أن يفصل في تبيان طبيعة هذا النقص والغلط . وقد سقط في الطبع اسم المقامة الاولى ، ولكن العزاوي يذكر في كتابه « ذكرى أبي الثناء الألوسى » ص : ٨٥ انه « انباء الابناء بأطيب الانباء » كما لم تشر هذه الطبعة الى المقامة الخامسة على أنها مقامة أو أي شيء آخر . وفي هذا اشكال يعطى البحث بعض الفروض ، وذلك لما تتميز به هذه المقامة من صفات تجعلها أقرب ما تكون الى القصص أو الحكايات . وقد ذكر العزاوي في كتابه السابق أن اسمها « سجع القمرية في ربع العمرية » ص : ٨٦ ولم يشر الى المصدر الذي أعتمد عليه في تثبيت هذا الاسم لها . في الوقت الذي يطلق عليها عبدالقادر حسن أمين في كتابه « القصص في الادب العراقي الحديث » ص : ٣٥ اسم « رسالة العشق » بأسلوب يوحى انه واثق من هذه التسمية وان لم يشر أيضا الى المصدر الذي استقى منه هذه التسمية . وقد ورد اسم المقامة الثانية في هذه الطبعة « الأحوال من الأخوال » ويرى العزاوي انه « الأحوال من الأخوال » . والثالثة « في قطف الزهر من روضة الصبر » ، والرابعة « في زجر المغرور وعن رجز الفرور » واحتمال الخطأ والتصحيح في هذه الطبعة وارد . لبدائية الطبع ، ولأنها طبعت بعد وفاة مؤلفها بسنتين .

مقاماته • وهى حكاية أو قصة كما يسميها^(١٦) ذات صبغة خيالية • ومصدر طرافة هذه الحكاية أو القصة ، أنها تتميز عن باقي المقامات المعروفة بامرین اولهما : أنه خرج عن اطار المقامة المعروف الى أسلوب قصصى جديد يقص فيه حادثة تامة لها بدايتها ونهايتها • وثانيهما : انه لم يستهدف من كتابتها غرضا من الاغراض التى كانت تكتب من أجله المقامات فى الأدب العربى • وانما استهدف غاية أوسع ، وأكثر صلة بالحياة من التعليم أو اظهار المهارة اللغوية^(١٧) • ولكن مقامة الألوسى تلك جاءت تعبيرا عن تجربة يتوفر لها عنصر الصدق والآنية ، مما أضفى عليها نفحة خاصة تشد القارىء اليها • وان كان بعض الباحثين يرى فى المقامات القديمة وخاصة مقامات الهمذاني ، أغراضا قصصية بحتة ، هى غرض نقد المجتمع الذى يعيش فيه ، والتعبير عن أزمته وأزمة العلماء فى عصر سادت فيه الجهالة وانحطت قيمة العلماء •

ولقد وفق أبو التناء الألوسى فى هذه المقامة ، فى عرض مضمون يستوفى بعض شروط القصة • ولو توفرت لهذا المضمون يد قاص متمرس فى هذا الفن ، لأخرج لنا قصة ناجحة • فأبو التناء تابع انحسار بطله من

(١٦) بدأها بقوله :

« خلى ان الحب ما تعرفانه

فلا تنكرا ان الحنين من الوجد »

اعلم أيها الحليل الحلى ذو الفضل الجليل انه قد اتفق لى فى أمر العشق اغرب قصة • ولعمري لقد حلت وان مرت وأبقت أعظم غصة • المقامات ص : ٥٤ •

ويلاحظ ان ترقيم صفحات هذه الطبعة من المقامات ، هو ترقيم وضعه أحد الباحثين ، على النسخة الموجودة فى مكتبة المتحف العراقى ، ولم يكن موجودا فى الاصل • وقد أشرنا الى صفحات هذه المقامة فى هذا الهامش ، اعتمادا على هذا الترقيم •

(١٧) يراجع فى غاية المقامات فى الأدب العربى كتاب « المقامة » • للدكتور : شوقى ضيف • ص : ٩ •

زهده وتقواه ، حتى انسياقه مع المجون ، الذي نجح الشيخ في اغرائه به .
وقد صور مشاعر بطله تصويرا صادقا ينبض بالحرارة . وكان رد الفعل
النفسي لموت الشيخ ثم الغلام ، الذي تعلق بحبه البطل ، طبيعيا منسجما
مع نفسية البطل التي صورها وبذلك استطاع أبو الثناء أن يخلق لنا نموذجا
انسانيا سويا يتنفس الحياة . ومن خلال عرضه لأحداث قصته ، استطاع
بفنية عالية ، أن يبين رأيه في كثير من الاوضاع الفاسدة في المجتمع العراقي .
على أننا ، مع ذلك ، لا يمكننا قبول فكرة أن هذه المحاولة هي أول محاولة
كُتبت في القصة العراقية الحديثة . فهذه المحاولة في بعض مظاهرها ، انما
هي تعبير عن طبيعة الأدب الذي كان سائدا في زمنها . وهو أدب يسوده
التكلف والزخرفة اللفظية المصطنعة ، ويسرف في استخدام البديع استخداما
لا جمال فيه ولا فنية^(١٨) . ولم يخرج أبو الثناء في ثره عن ذلك « سجع
ملتزم ، ومجانسات ومطابقات ملتزمة ، وتشابيه واستعارات ملتزمة كذلك »^(١٩) .
وهو بالاضافة الى ذلك ، يكثر من هذه الاستطرادات الأدبية ، ومن التعليق
على كل أمر بالشعر ، حتى ليحس المرء أن أبا الثناء الآلوسي يعني ، حين يريد
الافصاح عن معنى من المعاني ، بتقصي مختلف الشواهد الشعرية المنقولة عن
كتب الأدب المعروفة . كما أن كثرة التفاصيل المبعثرة فيها ، دون هدف فني
منظم ، تبعد هذه المقامة عن القصة .

وإذا كنا قد أشرنا ، الى أن القصة في الأدب العربي الحديث ، انما
قامت في أهم ما قامت عليه ، نتيجة للاتصال الحضاري بالغرب . وهي تقليد ،
الى حد ما ، لهذا اللون من الأدب الذي كان منتشرًا انتشارا كبيرا في أدب
الغرب . فاننا لم نقيم لدينا دليل على أن العراق في الفترة المبكرة التي كتب

(١٨) الشعر السياسي العراقي . ص : ١٠٧

(١٩) نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر . مهدي البصير . ص :

فيها أبو الثناء الألويسي مقاماته^(٢٠) ، قد وثق صلاته بالغرب ، وأنجب من أبنائه من تعرف على الحضارة الغربية بأدائها وفنونها . بل ان العراق « بقي طيلة القرن التاسع عشر بعيدا عن التيارات العربية الحديثة على الرغم من اتصال بعض أدبائه بأدباء سوريا ولبنان ولم يكن يعرف عن العالم الخارجي شيئا عدا ما كان يعرفه بعض السكان عن السياح الأجانب والمقيمين الممثلين للسدول الأجنبية في بغداد والبصرة والموصل لذلك كان تأثير العراق بالغرب أقل من تأثير البلدان العربية »^(٢١) الأخرى كمصر وسوريا .

ومن هنا نرى انه لما يجافى الواقع والحق ، ان نجد في محاولة أبي الثناء الألويسي « ادراكا ووعيا لانشاء قصة ذات لون محلي »^(٢٢) فالوعى يأتي من تلمس واضح للشئ المزمع انشاؤه ، وهو أمر لم يطف بذهن أبي الثناء الألويسي ، على الاطلاق ، لعدم معرفته لهذا اللون من الفن . فقد عاش الرجل في بيئة ضيقة منعزلة عن العالم . وهو بحكم ثقافته التي نشأ عليها ، كان أقرب الى هذه الألوان الأدبية العربية القديمة ، التي ظلت يتدارسها الأدباء بين جدران المساجد ، والمدارس المختلفة ، وكان لها الفضل على اللغة العربية في بقائها وسيلة من وسائل التأليف والنشر والشعر في العراق^(٢٣) . رغم ما اعتور العراق بعد سقوط بغداد من محن ونكبات . واذا كانت أية محاولة لاقامة فن من الفنون تقاس بتأثيراتها فيما جد من هذا

(٢٠) كتبها سنة ١٢٣٧ هـ أو ١٢٣٦ هـ - ١٨٢١ م العزاوي : مقدمة رجال وظلال ص : ١٢ . ذكرى ابي الثناء ص : ٨٥ . وما ذهب اليه عبدالقادر حسن أمين في كتابه « القصص في الأدب العراقي الحديث » ص : ٣٤ . انه كتب مقاماته سنة ١٢٧٣ خطأ واضح . اذ ان هذا التاريخ هو تاريخ طبعتها كما ذكر في نهاية طبعة المقامات الحجرية .

(٢١) الشعر السياسي العراقي ص : ٦٩ الزهاوي الشاعر . اسماعيل أحمد ادهم . ص : ١٦

(٢٢) القصص في الادب العراقي الحديث . ص : ٢٠٦

(٢٣) الشعر السياسي العراقي ص : ٩٩

الفن بعدها ، فان محاولة أبي الثناء الألوسى منقطعة الصلة بالنتاج القصصى العراقي . ولم نثر على أية محاولة واعية لانشاء قصة ذات لون محلى ، الا بعد اعلان الدستور العثمانى عام ١٩٠٨ ، مما سنفضله فيما بعد . كما أن محاولة أبى الثناء الألوسى هذه لم ينظر اليها من المؤرخين المعاصرين له ، أو ممن جاء بعده ، على أنها عمل أدبى غريب . وانما تقبلوها على انها لون مألوف من الأدب ، لم يتفرد بميزات خاصة تميزه عن الانواع الادبية التى عرفوها . وانما هو زعم جاء متأخرا ، عندما اصبح للفن القصصى مكانة فى الأدب العربى . وأصبح كتابه لهم شأنهم فى مضمار الأدب . وبعد أن اجتاز هذا الفن محن الزرابة ، والامتهان التى ووجه بها من قبل الادباء التقليديين ، فى بداية نشأته . ولعله رأى أملاء التسرع فى الحكم ، والجهل بطبيعة القصص الحديث ، الذى قام على أسس فنية ، ولأغراض لا تتصل كثيراً بما هو مألوف من قصص وحكايات فى الأدب العربى التقليدى . ولم لا نقول عن هذه «المقامة» انها حكاية ، جادت بها عبقرية فردية خصبة غير منقطعة الصلة بالأدب الموروث ، بل هى امتداد له ، أوحتها لمبدعها تجربة حية ، قد يكون عاشها ، واستهدف منها غرضاً معيناً هو التحذير من الانزلاق فى مهاوى الرذيلة ، والحث على التمسك بأهداف الدين بأسلوب طريف^(٢٤) .

وأما التيار الثانى ، من التيارات الثقافية فى القرن التاسع عشر ، فهو تيار يغلب عليه الطابع الرسمى ، جاءت به الدولة بعد انشائها المدارس الرشدية والاعدادية المختلفة ، فى البلاد ، عليه صبغة الأساليب الغربية .

(٢٤) وقريب من هذا الرأى ما يراه عباس العزاوى من ان ابا الثناء الألوسى اراد من كتابة هذه المقامة أن يصور مجتمعا تصوفيا للبيكتاشية ، اراد من هذا التصوير أن ينبه على الخطر وأن يحذر الناس من أن يقعوا فى ايديهم . وكان ذلك قبل القضاء على تكايا البيكتاشية وتدميرها سنة ١٢٤١ هـ ، ١٨٢٥ م . أيام السلطان محمود .
(مقدمة رجال وظلال . ص: ١١ - ١٢ ، ذكرى أبى الثناء ص: ٦٧)

وللغة التركية المقام الأول فيه ، لأنها لغة الدولة ، ترافقها مبادئ اللغة الفارسية التي يفرض الامام بها على كل من تعلم شيئاً من الادب التركي ، ويحوى من جهة أخرى شيئاً من مبادئ العلوم الحديثة ، مع علوم الدين ودروسا عربية ضئيلة وأضال منها اللغات الأجنبية^(٢٥) . ولم يكن منتظرا لهذا التيار الثقافي ، الذي نشرته هذه المدارس الأميرية العثمانية المختلفة^(٢٦) ، ان يحمل الى المجتمع تطورا في الأدب وهو يعتمد لغة أجنبية ، بعيدة عن جوهر العربية وآدابها . الا ان قيمته تنحصر فيما حمله الى المجتمع العراقي ، من روح جديدة في طرز التعليم ، لم يكن لها من وجود في الفترات السابقة من تاريخه . وقد أمدت بعض المثقفين بطاقة من الفكر تلمس الأمور البعيدة ، وتفتح بجهدا الفردي ، الأدب بظلال جديدة .

وثالث هذه التيارات ، هو الذي عملت على نشره البعثات التبشيرية^(٢٧) . وحظ الثقافة الاجنبية في هذا التيار أكبر ، لما كانت تبذله هذه البعثات من محاولات لنشر اللغات الأجنبية المختلفة من فرنسية وانكليزية والمانية . وكان نمط التربية في هذه المدارس هو نمط المدارس الحديثة في البلاد الغربية ، مع مراعاة مقتضيات الزمان والمكان^(٢٨) . وكان منتظرا لهذا التيار أن يحمل

(٢٥) شكري الفضلي . رفائيل بطي .

لغة العرب . ج ١ السنة ٤ - تموز ١٩٢٦ . ص : ٢١

(٢٦) مدارس انشأتها الدولة العثمانية في العراق ، ابتداء من ولاية مدحت باشا للعراق عام ١٨٦٩ .

يراجع « تاريخ التعليم في العراق » . عبدالرزاق الهلالي . ص : ١٣٧ وما بعدها .

(٢٧) جاءت البعثات التبشيرية الى العراق منذ القرن السابع عشر . يراجع في تاريخ هذه البعثات ونشاطها الثقافي . « تاريخ الموصل » لسليمان الصائغ . و « تاريخ نصارى العراق » لرفائيل بابو اسحاق و « تاريخ التعليم في العراق » لعبدالرزاق الهلالي .

(٢٨) شكري الفضلي . رفائيل بطي . لغة العرب ج ١ - السنة ٤ ص : ٢١

الى الأدب العراقي فن القصة في بدايته الاولى ، وأن يعم نشاطه نواحي متشعبة من المجتمع . الا أن هذا النشاط قد انحصر ، نتيجة لعمليات الاضطهاد التي جوبه بها من قبل السكان والدولة ، في النواحي الدينية المحضة ، دون أن يتعداه الا في النادر الاقل ، الى مجالات أخرى . ولكن هذا لم يمنع أن يصرف بعض رجال هذه البعثات ، أو بعض تلاميذهم جهودهم الى الناحية الأدبية التي يمكن أن تكون جذران مدارسها سورا عاصما لها يعصمها من العاديات . فرأينا في أواخر القرن التاسع عشر محاولة تبزغ الى الوجود ، في تمثيل مسرحية ، ترجمها عن الفرنسية من غير اشارة الى مؤلفها^(٢٩) ، نعوم فتح الله سحار (١٨٥٩ - ١٩٠٠) ونشرت في مطبعة الدومنيكان في الموصل عام ١٨٩١ بعنوان « رواية لطيف وخوشابا » وتقع في ثلاث وثمانين صفحة^(٣٠) . ويستشف من كلام لرفائيل بطي عن المؤلف ، ان محاولاته لم تقتصر على هذه المسرحية وحدها ، انما ألف أو ترجم عن الفرنسية مسرحيات أخرى في الأخلاق والاجتماع ومثلت على مسرح مدرسة الدومنيكان في الموصل ، فنالت اعجاب الأهلين وتقديرهم ، الا أنها أقل أهمية من رواية « لطيف وخوشابا » ولذلك لم تشر ضمن مطبوعات المطبعة المذكورة^(٣١) .

(٢٩) مسرحية لطيف وخوشابا : صالح جواد الطعمة . الاديب البيروتية . عدد (٥) السنة (٢٥) مايو ١٩٦٦ ص : ١٧

(٣٠) يراجع لذلك ، لمعرفة حياة المؤلف وبعض اخباره المقال السابق ، وتاريخ نصارى العراق . ص : ١٥٠ ، تاريخ الموصل ج ٢ ص : ٢٧٢ . مقال « تاريخ الطباعة العراقية » ، لرفائيل بطي ، لغة العرب ج ٥ سنة ٤ - ١٩٢٦ .

ومقال « المسرحية العربية في العراق في العهد العثماني » لعلي الزبيدي مجلة الاقلام ج ٩ السنة ١ مايس ١٩٦٥ ص : ٤٧ . ويذكر ان تاريخ طبعتها عام ١٨٩٣ .

(٣١) هامش مقالة تاريخ الطباعة العراقية ، رفائيل بطي ص : ٢٧٧

والمسرحية ذات فصل واحد ، مجزأ الى مناظر قصيرة بلغت (٢٤) منظرا ، وهي تبدأ بمقدمة مختصرة تحدد هدف المسرحية أو مضمونها . وتعنى بمشكلة التمييز الاجتماعي أو الطبقي غير العادل ، وتكشف عن تدمير الطبقة المستغلة وشروعها بالتمرد من أجل كرامتها . ويبدو ، أن ذلك ، هو الذى دفع المترجم الى اختيار هذه المسرحية لترجمتها ، اذ وجدها تعالج مشكلة اجتماعية مألوفة فى زمانه وبيئته ، وهى مشكلة العلاقة الاجتماعية بين الفلاحين وساداتهم . ولغة المسرحية تمثل محاولة للجمع بين الفصحى المبسطة والعامية المستحدثة فى منطقة الموصل ، بحيث يمكن القول ان نعوم فتح الله سحرار ، يعالج مشكلة الحوار ، فى ترجمته لهذه المسرحية ، بطريقة مماثلة لمعالجة رائد المسرح العربى مارون نقاش (٣٢) .

وهذه المحاولة ، رغم أنها لم تكن من العمل القصصى فى شىء ، وانها تسجل بداية تاريخية لفن حديث من نوع آخر ، الا انه لا يمكن اغفالها ، لما تسجله من سابقة فى فتح المجال ، لممارسة فن جديد ، غريب بالنسبة لما هو معروف من ألوان أدبية . ويحمل بذور فن آخر هو القصة . ومهما يكن من شىء ، فان محاولة نعوم سحرار المذكورة ، وما قيل عن محاولاته الاخرى ، إنما قامت - فى تصورنا - نتيجة تشجيع المشرفين على هذه المدارس التى انشأتها البعثات التبشيرية . ويبدو أن الفكرة عن المسرح كانت مخترمة فى الأذهان آنذاك ، فى هذه الاوساط ، ذلك لما عرف عن صلة الموصل بحلب والشام ، واتصال الرهبان ببعضهم البعض ومعرفتهم باللغات الأجنبية وعلاقتهم الثقافية بكل من روما وباريس مما عرفهم على الفن المسرحى فى أوروبا وزودهم بثقافة فنية مكنتهم من غرس بذورها فى العراق (٣٣) . ولذلك لن نستغرب

(٣٢) يراجع المقل القيم الذى كتبه صالح جواد الطعمية فى مجلة الاديب العدد السابق والذى استفدنا فى وصف المسرحية منه استفادة مباشرة ص : ١٧ - ١٨ .

(٣٣) المسرحية العربية فى العراق - على الزبيدى . مجلة الاقلام . العدد السابق ص : ٤٨ - ٤٩

إذا سجل البحث بعد ذلك تعاضم النشاط المسرحي لهذه البعثات التبشيرية بشكل ملحوظ في أوائل القرن العشرين وبعد إعلان الدستور عام ١٩٠٨ . وأن هذا النشاط شمل بغداد والبصرة ، بالإضافة الى الموصل ، حيث مثلت المحاولات الأولى فيها . وأن هذه المحاولات كانت تجتذب اليها الناس ، وتثير تعليقات الصحف المختلفة التي كثر صدورها بعد إعلان الدستور . وكانت المسرحيات التي تعرض أمام النظارة نوعين : المقتبس عن اللغات الأجنبية والمؤلف ، الذي كان يركن في أغلب الاحيان الى التاريخ الاسلامي ، يستمد منه الوحي والمادة المسرحية ، ويخرج بالحكمة والنصيحة وهو أمر يتصل اتصالا مباشرا بما كانت تسعى اليه هذه البعثات (٣٤) .

(٣٤) من مظاهر هذا النشاط الذي عكسته صحف ما بعد الدستور ما نشر في العدد ٩ من جريدة صدى بابل السنة ١ تعليق نقدي على تمثيل رواية الوطن « شخص تلاميذ المكتب الكلداني مساء الثلاثاء في ١٣ منه الرواية الشهيرة المذكورة لموشى بردها نامق كمال بك للشهير . فاتي فيها ممثلها (كذا) بأحسن ما يمكن التمثيل مما أعجب الناظرين وأطرب السامعين وحير الالباب وأخذ بجميع القلوب » .

وفي العدد ٣٦ من الصحيفة المذكورة السنة ١/١٣٢٨ نشر الاعلان التالي « الاعلان عن تمثيل رواية جان دارك يمثلها طلبة الآباء الكرمليين في بغداد ومعهم رفاقاؤهم الاقدمون وهي رواية تاريخية موضوعها مأخوذ من تاريخ فرنسا وهو ينطوي على عناية الله عز وجل بهذه الامة الجليلة على يد ابنة اسمها جان دارك عاشت من سنة ١٤٠٩ الى سنة ١٤٣١ بينما كانت فرنسة قد اوشكت على جرف الهلاك . الخ . » ويقوم الاعلان بتلخيص فصول المسرحية مما لا مجال له هنا . وفي العدد ١٢٨ السنة ٣ . نشر الاعلان التالي :

« رواية تاريخية سيخصها تلاميذ مدرستنا البطريركية الكلدانية في بغداد وهي مأساة نثرية تشخص حالة الرشيد مع البرامكة من قلم الاب رباط اليسوعي . (ثم يشرح الاعلان مضمون المسرحية) .

وفي العدد ١٩١ السنة ٤-١٣٣١/١٩١٣ نشر الاعلان التالي :
« تمثيل رواية مفجعة في كنيسة السريان سيمثل شبان الجمعية =

وإذا أردنا أن نؤرخ للقصة العراقية شكلا من أشكال الأدب الحديث ، فلا بد من الاعتراف أن القصة ظهرت في العراق متأخرة • ولن نستطيع أن نقول انها ولدت متأثرة تأثرا واضحا بالآثار القصصية ، التي انتجت في مصر أو سوريا أو لبنان • لضعف الروابط بين العراق وبين هذه الاقطار ، بالرغم من بعض الاشارات المتناثرة التي تشير الى وجود أمثال هذه الصلات • وإذا كان نجاح بعض الكتاب السوريين قد أثر تأثيرا ملحوظا في نمو القصة المصرية وتطورها^(٣٥) ، فان هذا التأثير يكاد يكون معدوما في القصص العراقي ، في البداية الأولى ولكن هذه المؤثرات العربية ظهرت بوضوح بعد الحرب الأولى ، مما سنلمس آثاره في الفصول التالية •

وإذا قلنا ان القصة في الأدب العراقي الحديث لم تنشأ نتيجة مباشرة لتأثير القصة العربية ، فلم ينعكس طابعها عليها في البداية الأولى ، فلا يعنى هذا أننا نحاول أن نفعل أى أثر لها على النتاج القصصى الأول • فالصلات الأدبية بين العراق وبقية الاقطار العربية رغم ضعفها ، قد ازدادت وثوقا في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين • ونستطيع أن نلمس شواهد عديدة على ذلك ، في دراسة حياة شعراء تلك الفترة ، بل ان من الشعراء من غادر بلاده ليلقى عصا الترحال في بلد عربي آخر ، ويدفن فيه كالكاظمي في مصر • ومنهم من سافر الى سوريا ولبنان ومصر ، في طريقهم الى الآستانة التي كانوا يكثرون التردد عليها كالزهاوي ، الذي سافر الى الآستانة عام ١٨٩٦ مدعوا اليها بارادة سلطانية ، فمر في طريقه بمصر ، حيث

= الحيرية السريانية في بغداد رواية تاريخية ادبية مفعمة عنوانها « الغدر » وهي تشتمل على تعاليم اخلاقية سامية في الشهامة وعزة النفس فضلا عما تحويه من الوقائع المؤثرة •• يتخللها تشخيص رواية هزلية باللغة الفرنسية ••

(٣٥) القصة المصرية • الاستاذ جيب - الرسالة - العدد ٦ السنة ١ - ١٩٣٣ ص : ١٥ •

قابل نخبة من اكابر العلماء وأساطين الأدب ، أمثال الدكتورين يعقوب صروف وفارس نمر صاحبي « المقتطف » و « المقطم » والدكتور شبلي شميل وجرجي زيدان والشيخ ابراهيم اليازجي ولقى منهم كل حفاوة^(٣٦) . وكان الرصافي ينظم القصائد الحماسية والاجتماعية ويكشف بها سوءات الحكم ، وسيف الاستبداد الحميدي وصلت فوق الرقاب ، وبعثها الى مصر وتطبع هناك وتعمل تأثيرها بانتشارها في الصحف والمجلات ، وخاصة في مجلة المقتبس وجريدة المؤيد^(٣٧) . وكان من شأن هذه الصلات ، أن ألقت تأثيرها في أدبهم . ولذلك كان ظهور الشعراء ، أمثال الرصافي والزهاوي والشبيبي بما حملوه من نفحة التجديد ، مبررا تاريخيا .

ولقد بدأ ديبب الأفكار الحرة ، يدخل أذهان المثقفين آنذاك ، تبعاً لنهضة بقية الأقطار العربية . ووجدنا في القلوب انجذابا ، لما كان يتردد خافتا حيناً ، وداوياً حيناً آخر في هذه الأقطار العربية . واذا أضفنا الى هذا بوادر الحركة الاصلاحية التي شملت الدولة العثمانية ، وارتباط الفكر العراقي في هذه الفترة على نحو عميق بما كان يجري في هذه الدولة . حق لنا القول ان العراق كان منتظرا للحدث الذي يحرك الوجدان فيه ، والهزة التي تنفض ما تراكم عليه من غبار زمان ناء بحمله . ولم يكن هذا الحدث وهذه الهزة ، غير اعلان الدستور . لقد هزت البلاد من الأعماق ، واندفع دم جديد في شرايينها ، فهب من وعى الحدث يحييه ، والفرحة الباسمة تنطق بها عيناه المملئة استبشارا وأملا بمستقبل أمة ، آن لها أن تتبو مكانها^(٣٨) .

ولأن الفكرة الاسلامية كانت نزعة هذا العصر ، ومن أراد الخروج عليها والدعوة لغيرها فهو خارج على الدين الاسلامي . لذلك اندفع الواعون

(٣٦) الادب العصري في العراق - رفائيل بطي . ج ١ ص : ٧

(٣٧) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(٣٨) الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث . انيس المقدسي . ط ٢ ص : ٤٢ وما بعدها .

في البداية الاولى الى تأييد حركات الاصلاح في اطار الدولة العثمانية ، دون أن تخطر على أذهانهم فكرة الانفصال عنها^(٣٩) . وبذلك يمكن اعتبار اعلان الدستور العثماني ، بداية عهد جديد ، في التفكير العربي عامة ، والعراقي خاصة . فقد أثر تأثيرا كبيرا في تغيير الاتجاه العقلي ، وفتح الازهان على مثل جديدة وألفاظ جديدة^(٤٠) . وقد فسح هذا الانقلاب السياسي الخطير المجال لانقلاب فكري لن يقل عنه خطورة ، يرمى الى حل عقال الفكر وتكسير قيوده وايجاد حياة جديدة تسير الى جانب الحياة السياسية الجديدة الحرة^(٤١) . وقد امتد تأثيره في العراق الى السياسة الدينية ، فاحتدم النقاش بين علماء الدين في نظم الحكم ونظرياته الفلسفية والاجتماعية ، ومنها الحكم الملكي الاستبدادي المطلق ، والحكم الملكي الديمقراطي الدستوري ، ومنها الحكم الجمهوري أيضا . ولقد تمخض الجدل عن أكثرية من المجتهدين أفتوا بالحرية وبوجوب الأخذ بنظرية الملكية المشروطة بالدستور والديمقراطية^(٤٢) . ولقد كان لهذه المناقشات ، وما صاحبها من نشاط أن أنتجت وعيا عاما في العراق ، ذلك للصلة الوثيقة بين رجال الدين وبسطاء الناس في مختلف الأماكن . ولعل في هذا الوعي العظيم الذي صاحب اعلان الدستور ، تفسيراً للانتفاضات والثورات المتتابعة ، التي شهدتها العراق بعد ذلك ، والتي كان يساندها المجتهدون ، رغم قصر عمر النهضة الفكرية فيه^(٤٣) .

(٣٩) الشعر العراقي الحديث * يوسف عز الدين ص: ٢٢-٢٣ . كما ينعكس هذا واضحا في مقال نشر في صدى بابل العدد ٢ السنة ١ - ١٩٠٩ بعنوان « العناصر والاديان » في المملكة العثمانية اذ يشبه كاتب المقال الدولة العثمانية مع عناصرها واديان أهلها بالصورة الجميلة ذات الالوان الزاهية المصنوعة من الفسفات .

(٤٠) الشعر العراقي الحديث ص : ٣٢

(٤١) النهضة الادبية والاستاذ الزهاوي - احمد مناصفي - الاستقلال العدد ٢٧٣ السنة ٤ - ت ٢ - ١٩٢٣

(٤٢) التطور الفكري في العراق : محمد علي كمال الدين ص : ٢٢

(٤٣) المرجع السابق * ص : ٢٧

على أن هذه الفرحة لم تطل . إذ سرعان ما تكشفت سياسة الحكام الجدد الذين جاؤا بالدستور ، عن عنصرية تحاول أن تصهر تحت جناحيها جميع القوميات التي تضمها الدولة العثمانية . واستشرس الحكم الى أشد وأقسى مما كان عليه أيام عبد الحميد . فشاع في النفوس التشاؤم بعد التفاؤل ، واتجه الواعون الى ماضيهم يبحثون في مجد أمتهم الزاهر عما يعرضهم عن حاضر كالح لا بصيص من نور فيه . وانعكس هذا التشاؤم على أدب هذه الفترة . وهو ما صورته المحاولات القصصية البدائية الأولى .

وإذا كان هناك من تأثير على درجة كبيرة من الوضوح لهذه الهزة الدستورية وما أعقبها من انقلاب فكري ، فهو في هذه النهضة الأدبية التي بدأت ترسم ملامح طريق الأدب ، وبدت تلامعها تلوح في الآفاق . وقد انعكس هذا في الاندفاع الهائل نحو إصدار الصحف والمجلات بعد إعلان الدستور . فبعد أن لم يكن في العراق من شماله الى جنوبه غير ثلاث صحف رسمية ، تصدر في الموصل وبغداد والبصرة ، يديرها موظف حكومية مسؤول ، تشغل معظم صفحاتها بمديح السلطان والدعاء له ، ونشر أخبار الولاية المختلفة^(٤٤) ، بلغ عدد ما صدر من صحف ومجلات في بغداد وحدها بعد إعلان الدستور ستا وستين^(٤٥) ، مما أحدث تأثيرا جارفا في السراى العام^(٤٦) . ولم تكن هذه الصحف والمجلات على مستوى واحد من الأهمية « فان ازديادها الفاحش مع نقص الخبرة واعواز الدربة عند محرريها جعلهم يشطون في كتاباتهم ، ولا سيما في الجدل السياسي والحزبي فظهرت في أنهرها مهارات شخصية يندى لها الجبين مما جعل الرجعيين يقعون على فريسة باردة فخرجوا من أوجارهم وطفقوا ينددون بحرية الصحافة التي خلعتها

(٤٤) الصحافة في العراق . رفائيل بطى . ص : ١٤ - ١٩

(٤٥) الصحافة في بغداد - العرب - العددان ٤٤ ، ٤٥ السنة ١ - ١٩١٧

(٤٦) الصحافة في العراق ص : ٢١

الدستور على الأقلام غير المدربة والصحافيين الجدد الهوج،^(٤٧) إلا الرقيب فانها صادفت من اقبال الناس عليها ما لم تصادفه جريدة في العراق^(٤٨) . ولقد كانت الرغبة الملحة في القيام باصلاحات وطنية مفيدة ، هي التي دفعت معظم أصحاب الصحف الى اصدار صحفهم . وهو ما يؤكد سليمان فيضى في أسباب اصدار صحيفته الايقاظ مثلا^(٤٩) .

ورغم ما شاب معظم هذه الصحف من ضعف في مضامينها ، ونزارة في مادتها ، وركاكة في أساليبها ، فان دورها كان كبيرا في تطوير الادب الحديث في العراق . فقد سارت بالاساليب الادبية الثرية على جادة التطور ، وفسحت صدرها للالوان الادبية الجديدة ، فكانت بمثابة المدرسة الاولى التي تدرّب فيها الكتاب الشبان ، وعرفت الناشئة ألوانا جديدة من الأدب ، لم يكن من السهولة معرفتها لولاها . وفي هذه الصحف والمجلات بدأت المحاولات الاولى في كتابة القصة تأخذ طريقها لكي تنجح مع الايام في ترسيخ نفسها كشكل يشارك الشعر دولته ، ويأخذ من افئدة الشباب مكانا لاثقا به . وان لعب المقال الاصلاحى دورا كبيرا في نشوء القصة القصيرة في بلد مثل مصر وسوريا ولبنان ، فانه في العراق يلعب هذا الدور على نحو مختلف سنفصله فيما بعد . ولعل ما كان يتسرب من الجرائد المصرية أو السورية كان له الاثر في كتاب القصة القصيرة الاول . ولكن دراسة هذا المؤثر وتحديدده في كل قطر عربى ، يحتاج الى بحث خاص . يكفينا ان نشير هنا ، الى خطره وفائدته وان ندل على كنهه في العراق فيما يلي من صفحات هذا البحث .

(٤٧) الصحافة في العراق . ص : ٢١

ويراجع ايضا مقال عن تاريخ الصحافة في العراق لرزوق عيسى -
مجلة الحرية الجزء ٨-٩- السنة ١- شباط ١٩٢٤ .

(٤٨) الصحافة في بغداد - العرب - العدد ٤٥

(٤٩) في غمرة النضال . سليمان فيضى . ص : ٧١

وتحديد تاريخ دخول القصة الى العراق كلون من الادب يقرأه المثقفون بدقة امر مستحيل . ولكن ليس من شك ان عددا من هؤلاء المثقفين كان يحصل على الصحف العربية من خارج العراق ، وفيها القصص المختلفة^(٥٠) . وقد وجدت فئة محدودة من القراء تذوق هذا الفن . ولذلك لن نستغرب حين نقرأ في افتتاحية العدد الاول من « صدى بابل » القول التالي الذي يرد فيه ذكر الرواية لأول مرة « فنشر لهم المقالات السياسية والخطب الادبية والمباحث العلمية والنقد الفنية والمآثر التاريخية والنكت الانتقادية ، مما هو جدير بالوقوف عليه في سبيل اقتناء المحاسن . والاعمال الخيالية والروايات الفكاهية ما يلذ سمعه وتلذذ مطالعته مما يتوقف عليه صلاح شؤون الجامعة الانسانية في الحالتين السياسية والمدنية^(٥١) » وتؤكد الصحيفة عزمها هذا ، حين تنشر في العدد نفسه تحت عنوان « رواية العدل اساس الملك » حكاية من نوع المغامرات التي تستهدف العبرة والموعظة ، وتعبّر عن الروح المنتشرة بين الناس بعد اعلان الدستور .

ومضمونها : ان ملكا ورعا في بلاد الانكليز فوض امر ملكه الى مر كيزه

(٥٠) العراق دراسة في تطوره السياسي . ايرلاند ص : ١٧٣ . ويذكر في الهامش « بالرغم من ان الصحافة العربية في مصر كانت ممنوعة من الدخول من قبل الاتراك ، فانها كانت توزع عن طريق دوائر البريد الاجنبية » ويلاحظ ايضا ما نشر في صدى بابل العدد ٦٥ السنة ١٩٠٩-٢ تحت عنوان ما يغيظني وما يضحكني : « يضحكني : من يسمع بقدوم البريد من دار السعادة أو مصر او سوريا هرع لمشتري الجرائد . واذا صادف صديقا له سأل : بالله عليك يا أخي أعندك من جرائد بريد اليوم فاني قد اشتريت منها الا ان بعض الاصدقاء طلبها قبل ان اقف على ما فيها فارجوك ان تعيرني اياها وسأعيدها لك في اول فرصة أفرغ من مطالعتها » .

(٥١) صدى بابل - العدد ١ - السنة ١ - ١٩٠٩

فحكّم بالعدل ، وبث النظام • وقد وثق هذا المراكز بخادم اولاه امر قصره •
فراود زوج المراكز عن نفسها ، فلما تمنعت عليه ، وشى بها لزوجها خيانة وغدرا •
فما كان من المراكز الا ان طردها • فذهبت الى نزل قريب سكنته لحين ولادتها •
ثم توفيت اثر ولادتها • فشب الطفل بين الاشرار حتى أصبح من اللصوص
الذين يقلقون البلاد وأمنها • وصار أمر القبض عليه ومعاقبته شاغل المراكز
والدولة • أما الخادم فانه حين اقرب من الموت ، اخبر المراكز بجنايته مما
ضاعف همه ، وأمر بالبحث عن زوجه وابنه • وفي اثناء ذلك افلحت الشرطة
فى القبض على اللص ، وتقرر تنفيذ الحكم عليه • وفى يوم التنفيذ وبينما
المراكز واقف لاعلان الحكم ، اذ جاءت رسالة تخبره ، بأن ولده الذى يبحث
عنه هو المجرم المائل بين يديه ينتظر الحكم • فامتقع ولكنه واصل القاء قرار
الحكم الذى ينص على اعدامه رميا بالرصاص • ولقد دهش القضاة ، فلم يكن
الحكم على اللص غير السجن والاشغال المؤبدة • أما المراكز فبعد ان اصدر
أمره برمي اللص اندفع ليلقى بنفسه على ولده ، فصرعه الرصاصات المنطلقة
مع ابنه • ولقد وجد الناس فى يده بعد مصرعه ورقة بخطه مكتوب عليها
• العدل اساس الملك •

وليس لهذه الرواية كما اطلق عليها من قيمة كبيرة • ولعل اساسها
الغريب واضح وان كانت تتلاقى مع روح الادب العربى الذى يروى فى شكل
حكايات قصصا أو أخبارا كهذه • ولكن اهميتها تأتي من متابعة نشرها فى
حلقات مسلسل استغرقت سبعة اعداد ، ومن استعمال كلمة الرواية تسمية
لها • وهذا الاصطلاح نواجهه للمرة الاولى فى الادب العراقى الحديث ،
ويعبر بصورة أكيدة ، عن أن مفهوم الرواية كان مألوفا على الأقل بين اوساط
المتقفين ، وهم فئة محدودة لعدم شمول التعليم آنذاك • على ان الصحيفة
لا تستمر فى اطلاق لفظ الرواية على هذه الحكاية • بل نرى فى العدد الرابع ،
انها تبديل بهذه اللفظة لفظه فكاهة مما يربط مفهوم اصحاب هذه الصحيفة للرواية

بالمفهوم الذى كان شائعا فى العالم العربى عن الروايات • حين كان يطلق فى أحيان كثيرة على سلاسل الروايات التى كانت تنشر حينذاك اسم الفكاهات • وهذا الجمع بين التسميتين يظهر بوضوح فى افتتاحية الصحيفة المذكورة سابقا حين ورد لفظ الروايات الفكاهية كتعبير عن هذا اللون من الادب الجديد الذى يراد نشره • وبعد ذلك ينشر صاحب صدى بابل ابتداء من العدد ١١ تحت عنوان «فكاهات» رواية «المحكمة السرية او القاضى الامين» سلسلة ، وهى ايضا من روايات المغامرات الا انه لا يتم نشرها • ولعله لم يلق تشجيعا كبيرا من القراء ، فصرف جهوده الى أبواب اخرى يملأ بها صحيفته •

وتابعت الرقيب صدى بابل فى هذا النهج حين نشرت حكاية مترجمة عن الفرنسية بقلم انستاس مارى الكرملى بعنوان «الاصبعى» وقد قدمتها بقولها « رواية افرنجية الوضع تهذيبة الموضوع»^(٥٢) وقد اوضح المترجم الدافع الذى دفعه الى ترجمة هذه الحكاية التى أطلق عليها اسم الرواية • فقال « من تصفح كتب الافرنج التى تبحث عن الشرق والشرقيين يجد هذا الامر وهو أنهم يعيرون ابناء هذه الديار بكونهم يحبون الاحاديث عن الجن والغول والسعلاة ويتبرؤن هم من كل ما كان من هذا القبيل • والحال لو انصفوا لما قالوا هذا القول وكتبهم مشحونة بمثل هذه الاحاديث يضعونها فى أيدي اولادهم منذ نعومة اظفارهم وترويها النساء لبعضهن لبعض بما يزيد على ما يروى فى بلادنا • نعم ان اغلب حكاياتهم هذه لا تخلو من فائدة ادبية ومغزى لطيف يعود بالنفع على الألفة (الهيئة الاجتماعية)^(٥٣) كما ذكروا فى اقاصيص أبناء وطننا ، فلماذا اذن ينسبون اليها كل سيئة وينسبون اليهم كل حسنة • فأمم الغرب وأمم الشرق تشابه من هذا القبيل ولا سيما اذا علمنا ان مصدر آدابهم وتمدينهم وحضارتهم هى هذه البلاد واممها (الغابرة) على ان اكثر

(٥٢) الرقيب - العدد ١٦٦-٢١ رمضان ١٣٢٨

(٥٣) كذا فى النص

الناس لا يصدقوننا • وإثباتا لهذه الحقيقة قد عزمنا ان نتحف قراء الرقيب ببعض هذه الروايات اطلاقا على آداب الافرنج واقوالهم في هذا الصدد وتسلية للقارىء وحثا لابناء المطالعة على تشرب حب الاداب والمنافى والمآثر من خلال تلك السطور المشيدة لما فى النفوس من نفائس القصور ، (٥٤) • وهذه الحكاية خرافية تحكى عن طفل ولد صغيرا ، لا يتعدى طوله اصبع ايد • فكرهه أبواه ، وأعزوا أخوته الآخرين • ولكنه كان السبب فى انقاذ الاخوة جميعهم من الموت • ومغزاها أنه قد يبدو انسان لا قيمة له فى مظهره ولكنه جليل الفعال • وجدير بالذكر ، أن هذه الحكاية الاجنبية هى فى الواقع من القصص الشعبى المعروف ، الذى يتداول فى البلاد العربية • ففصة « عقلة الصباغ » قصة شعبية قديمة منتشرة فى مصر • ولعلها ضمن ما ترجم من قصص شعبى كثير ، ابان ترجمة ألف ليلة وليلة فى القرن الثامن عشر فى فرنسا • وقد أتم نشر هذه الحكاية فى اعداد متتالية ، ابتداء من العدد ١٦٦ الى العدد ١٧١ • ثم نشرت الرقيب رواية أخرى من النمط ذاته بعنوان « ذات القناع الاحمر » فى العددين ١٧١ ، ١٧٢ • وهى رواية فى سوء عقبي مخالفة النصيحة • وابتداء من العدد ١٧٣ نشرت رواية اخرى بعنوان « المرمدة أو ذات الكوث (البابوج) الزجاجى » ، وهى رواية تشير الى أن حسن المرء بسيرته لا بصورته • والروايتان الاخيرتان انتحل مترجمهما اسما مستعارا هو (ساتسنا) ويبدو انه الاب أنستاس مارى الكرملى (٥٥) • ويظهر من هذه الروايات التى نشرت ، أن أذهان المثقفين ما زالت بعيدة عن القصص الحقيقية التى كانت منتشرة فى أدب الغرب • وهى فى روحها العام لا تبعد كثيرا عن نمط الحكايات التى نقلتها كتب

(٥٤) المرجع السابق •

(٥٥) يلاحظ أن « ساتسنا » مقلوب « أنستاس » •

الأدب والسمر العربية القديمة ، والقصص الشعبي المتداولة على الألسن
في بعض البيئات العربية •

وحدث لغة العرب حذو صدى بابل والرقيب ، فقد ذكرت في تقديم
عددتها الاول ، حول المواضيع التي ستعالجها المجلة « نكتب أيضا في كل عدد
من اعدادها رواية تاريخية او خيالية أو تأريخية خيالية معا يكون موضوعها
أحد أبناء العرب أو جرت واقعتها في بلاد العرب أو لها تعلق بهذه الديار
الكريمة أرضا ودماء • هواء وسماء • سكانا وعمرانا^(٥٦) » • ولهم تنفذ
وعدها هذا لاستفاد المواضيع اللغوية والعمرائية جهود محرريها • الا أنها
نشرت في العدد الاول حكاية أطلق عليها مترجمها الاب أنستاس الكرملى
صاحب المجلة لفظة الاحدوثه وأتمها في عدد لاحق ، مترجمة عن الفرنسية،
بعنوان « ينبوع الشفاء^(٥٧) » للكاتب الفرنسى كزافيه مرميه من أعضاء
المجمع اللغوى • سرديّة الاسلوب ذات نفحة شرقية واضحة ، وميدانها
شرقى أيضا ، كما انها تتوخى هدفا أخلاقيا واضحا • وهى تحكى قصة
رجل من دمشق لم تعطه ثروته السعادة • بل العكس • فقد كان عبوسا
مهموم القلب حتى ليتمنى الموت • ثم حدث أن جاءه خبر طيب في مصر
ذي قدرة فائقة ، على شفاء النفوس • فسافر اليه مع وصيفه ، فضلا الطريق •
وكاد يودى بهما العطش • وفي الصحراء ، وأمام الموت ، أدرك الرجل أن
علة تعاسته هو أنانيته وحب لذاته • لقد أحب نفسه فوق ما يتصوره كل عاقل •
وقتر على عياله تقيرا ذميما • فضج بالدعاء وخارت قواه ، وأخذ ينتحب ثم
لعت نظره دوي تحت الارض ، قاده الى نبع قريب • فارتوى هو وعبده ، وعاد
الاستبشار يملأ نفسه • وحين فكر بالامر أدرك أن الذى شفاه هو الله نفسه
لا ابن آدم « فاني لما تبطننت الصحراء وليس هناك ما يتعلق به قلبي جردني

(٥٦) لغة العرب - العدد ١ - السنة ١ - تموز ١٩١١ ص : ٣

(٥٧) المرجع السابق ص : ٧٣

الله من حب الدنيا فأثبت في التواضع ثم باحتمال تلك الداهية وعلمنى الرأفة
بالقريب ومحبه • وعليه فلا أريد أبدا أن أعيش كما عشت سابقا أى أن لا
أهتم الا بنفسى بل عقدت النية على محبة الغير والاهتمام بامرهم مصلحا ماكنت
أفسدته وراتقا ما كنت قد فتقته^(٥٨) ، وهذه الحكاية عربية الطابع اسلامية
السرد حسنة المغزى كما أدرك الاب أنستاس الكرملى فى تعليقه عليها •

ثم نشرت لغة العرب قصة أخرى معربة عن الفرنسية عن الرسائل
البائية بعنوان « مريم »^(٥٩) تذكرنا شمائل البنت ووصفها ، بالعدراء الطاهرة
التي تمتلك صفات القداسة ، مع أول يوم تطل فيه على الوجود • ولم يتم
نشر هذه القصة •

وفى عام ١٩١٣ بتبديء لغة العرب نشر نمط من القصص ، ذى أهمية
بالغة فى تاريخ تطور القصة فى الادب العراقى نرى ان نؤجل الحديث عنه ،
ألا وهو قصص الرؤيا •

وليس فى هذه الحكايات ما يشير الى اقتراب من مفهوم الرواية او
القصة بشكل صحيح • وانما هى محاولات تتلمس الطريق وقد حددت
نوعها الى حد كبير طبيعة ثقافة ناشريها • وهى ثقافة تمت بأوثق الاسباب الى
القديم الموروث ، وتحاول ان تستشرف الجديد ، دون ان تدرك طبيعته •
على أن أكبر محاولة شهدتها هذه الفترة هى المحاولة التى أقدمت عليها صدى
بابل حيث عزم صاحبها على اصدار سلسلة روايات مقلدة فى ذلك سلاسل
الروايات التى كانت منتشرة فى العالم العربى آنذاك • فقد نشر فى العدد
١٦٥ اعلانا تحت عنوان «سلسلة روايات» ورد فيه « قد عزمنا بحوله تعالى على
نشر روايات فكاهية وقد دعوناها بالغرائب لغرابة وقائعها ترمى الى حذافة
أمهر رئيس الشحنة والضبط والدرك فى أوروبا فى اكتشاف واظهار غامضات

(٥٨) لغة العرب - العدد ٢ - السنة ١ - آب ١٩١١ • ص : ٧٦

(٥٩) المرجع السابق - العدد ٧ - السنة ١ - ك ٢ - ١٩١٢ • ص : ٨٢٢

وقائع حدثت في أيام توظيفه في دائرة البوليس وما كان يتوصل به الى المطلوب من أثر خفى أو دلالة يعجز عن ادراكها أحذق أرباب الدرك والتفتيش وهي مع كونها ذات فوائد عظيمة يهيم الشرط والمأمورين من البوليس وغيرهم اجتناء فوائدها وهي لا تخلو من لذة المطالعة مما يطيب لها خاطر كل قارىء فضلا عما يرى ما يعجبه من مهارة وحذافة ذاك الرجل الحكيم في استطلاع تلك المغيبات . على أننا سنخلل تلك الروايات أيضاً روايات غرامية أدبية تاريخية فكاهية وكل رواية منها مستقلة بنفسها من الذم ما ورد في هذا الشأن . وقد جعلنا بدل الاشتراك فيها سنويا عن خمس (كذا) وعشرين عددا خمسة عشر غرشا في بغداد وريالا مجيديا في الخارج يدفع كل ذلك سلفا . وما عدا النمرة الاولى لا يرسل منها لاحد عددا (كذا) قبل استلام بدل الاشتراك وعليه فقد جعلنا ثمن الجزء ثلاثين بارة يوم انتشاره وغرشا صاغا من بعد ذلك اليوم وهي تباع في مطبعة الاداب فمن رام الاشتراك فيها فليراجع المطبعة المذكورة ومدير جريدة صدى بابل المعلم داود صليوا^(٦٠) .

وقد صدرت هذه السلسلة فعلا ، وبرز عددها الاول في ١٦ صفحة بقطع الثمن الصغير في شباط ١٩١٣ . وكان مجموع ما صدر منها ١٢ عددا^(٦١) . ولم تبق الايام من هذه السلسلة شيئا لكى نستطيع ان نحكم عليها حكما دقيقا الا أن الاعلان المنشور في صدى بابل يوضح طبيعتها . فهي من نمط الروايات البوليسية والروايات الغرامية التي كانت تفسر سوق

(٦٠) صدى بابل - العدد ١٦٥ - السنة ٤ - ١٩١٢ .

(٦١) تاريخ الصحافة العراقية - عبدالرزاق الحسنى - ج ١ ط ١ ص : ٢١ .
تاريخ الصحافة العربية فيليب دى طرازي ج ٤ ص : ١٤٢

الأدب^(٦٢) . وليس فيها كما يبدو الا تقليد او اقتباس ما كان شائعا في العالم العربي . وعلى أى حال فان ظهور هذه السلسلة لا يبدو غريبا بالنسبة للقارىء العراقي آنذاك، ولا تضيف جديدا . فالظاهر أن نمط هذه الروايات قد انتشر انتشارا واسعا نسبيا بين القراء . وما يؤكد هذه الحقيقة ، ما نراه فى مقال طريف نشر فى صدى بابل تحت عنوان نصائح أدبية للجنس اللطيف (شبه رسائل) بقلمى . ر . غ . قوله : « لا أشور (كذا) عليك أن تقرئ الروايات الخيالية ولا الأشعار الغرامية لانها غالبا تحرك القلب حراكا شديدا وتخرجه من طور المحبة المعتدل الى الاحساس الشديد لا بل الى الهيجان العصبى فتولد الاوهام ويؤسر القلب الحر برباطات خيالية لا تجدى نفعا ، بل طالعى كتب الادب وقصص مشاهير الرجال والنساء وتدير المنزل والتاريخ الطيىعى ، واذا أردت ان تفكهى فيمكنك ان تقرئ بعض الروايات الادبية وذلك بكل تحريز (كذا) وانتباه^(٦٣) ، أو ما نقرأ فى لغة العرب ، فى باب المشاركة والانتقاد ، فى معرض مدح رواية حل الفرس التى نقلها عن الفرنسية الى العربية مع تصرف محمد دياب بك قوله : « أولج الناس بمطالعة الروايات الخيالية . والغاية من وضع هذه الروايات تهذيب النفوس ودفعها الى أعلى مراقى العمران وأبعد مطارح الاداب الصادقة . الا أن بعضهم شغفوا ببعض ما يخالف هذه الغاية المحمودة فأخذوا يطالعون المصنفات التى تؤدى الى مهاوى الفساد والعار والشنار فتبا لمن غط قلمه فى مثل هذا الجبر الاسود فى جميع معانيه المادية والادبية والمجازية وأماننا

(٦٢) تلاحظ القائمة الطويلة التى نشرها الدكتور محمد يوسف نجم فى كتابه عن القصة فى الادب العربى الحديث عن سلاسل الروايات هذه التى تزايد عددها بشكل واضح ابتداء من عام ١٨٩٤ ، وحتى الحرب الاولى ص : ١٢ ط ٢

(٦٣) العدد ٥٩ - السنة ٢ .

هذه الرواية البديعة وصفها الحسنه سبكا ، الشريفة مغزى . . . الخ (٦٤) ،
 ونستطيع أن نتابع مطالعة أمثال هذه التعليقات فى الصحف والمجلات التى
 تؤكد الرأى نفسه ، نتيجة لتوثق العلاقات الثقافية مع الاقطار العربية مع
 مرور الايام ، ووصول كثير من مطبوعات هذه الاقطار الى ايدي المقننين
 حتى ليدو للباحث أن أمر الرواية أصبح مألوفاً للقارىء العراقى آنذاك
 لكثرة ما يقرأ منها (٦٥) .

٤

ومن ناحية اخرى ، نستطيع ان نلمس تأثير شيوع هذه الروايات
 وانتشارها ، فى أساليب كتابة المقالات التى كانت تنشرها الصحف آنذاك .
 وأبرز مظاهر هذا التأثير ، بالاضافة الى استخدام الاسلوب المرسل فى
 الكتابة ، شيوع بعض مظاهر القصة فى طريقة صياغة المقالات المختلفة . فقد
 وجد الواعون آنذاك ، على ضآلة محصولهم الثقافى ، أنفسهم أمام مهمة
 مواجهة الواقع المتردى ، والعمل على معالجة مظاهر التأخر الاجتماعى
 بإمكاناتهم المحدودة ، فكتبوا العدد العديد من المقالات السياسية والاجتماعية
 والاقتصادية والثقافية . وفى هذه المقالات كما قلنا وجدنا بعض مظاهر

(٦٤) لغة العرب - العدد ٧ - السنة ٢ - ك ٢ - ١٩١٣ : ص ٣١٤

(٦٥) تلاحظ تعليقات لغة العرب على مجلة البيان المصرية العدد (٥) السنة
 ١ ت ٢ - ١٩١١ : ص ١٩٤ وعلى كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى
 زيدان العدد ١٠ السنة ١ نيسان ١٩١٢ : ص ٣٩٣ وعلى رواية لطائف
 السمر فى سكان الزهرة والقمر أو الغاية فى البداية والنهاية لميخائيل
 انطون الصقال العدد ٩ السنة ٣ آذار ١٩١٤ : ص ٤٩٩ . وقد نقلت
 صدق بابل عن جريدة الرغائب ما يلى تحت عنوان : سبقونا فلنلحقهم:
 « ألفوا ابرع القصص والطف الحكايات والنوادر والفكاهات فكانت خير
 مثقف للاخلاق والعادات سيما التمثيل على المراسح فاستهجنوا القبيح
 وتشبهوا بالمليح - سبقونا فلنلحقهم » . العدد ٢٩ - السنة ١ - ١٩٠٩

القصة • ففى مقالة نشرت فى صدى بابل^(٦٦) تعالج بعض مظاهر التخلف الاجتماعى فى كربلاء نرى الكاتب يستخدم الحوار شكلا يعرض به الرأى الذى يريد الاقضاء به • ومع أن هذا الحوار ساذج ، يأخذ شكل سؤال وجوابه بين شخصيتين هما ، الباحث ابن الحقيقة والمخبر الصادق • الا أن استخدامه فى كتابة المقالة الاجتماعية ، فى هذا الوقت المبكر ، شىء طريف يلفت نظر الباحث • ولسنا هنا نستطيع أن نؤكد شيئا ثابتا ، فلعله جاء عفويا غير مقصود لذاته ولكننا لن نستطيع أن نغفل عن أن الحوار عنصر هام من عناصر القصة • وأن هذه المحاولة المبكرة سنجد تأكيدا لها فى عدد آخر من المقالات ، التى نشرت فى صدى بابل^(٦٧) • مما يشير الى ادراك مبكر لاهمية الحوار فى عرض الآراء الاجتماعية بشكل يتيح للقارىء لذة وفائدة فى وقت واحد • هذا ولا يغيب عن الذهن ما أدخله ابن النديم مثلا ، فى الصحافة المصرية ، فى مقالاته الاصلاحية ، من اعتماد على الخيال والمبالغة فى الحوار ، وخلق الشخصيات المضحكة للنقد والاصلاح المباشرين •

وفى مقالة أخرى عنوانها « ما بين فيافى بغداد^(٦٨) » نلمس طابع السرد القصصى واضحا ، حتى ليخيل للمرء انه يقرأ عملا قصصيا بدائيا • يقول فيها « يجرى الفرات طورا بارتفاع وأنا بانحدار منسابا بين الادغال والاشجار • بين الصخور والاحجار حيث أشعة الغزاة تنعكس على سطحه فتشكل منظرا تهتز له قلوب العشاق فرحا كأنه قطعة من لجين طرزتها أيدي الطبيعة بالطف وأرق المشاهد البديعة على ذلك الشاطىء والغبراء وبين تلك الفيافى والصحراء كنت أسير الهويناء متذكرا مجد الامة العربية تلك الامة التى دوخت الارض بفتوحاتها وبسطت راية السلام بسطوتها •• الخ » •

(٦٦) العدد ٨ - السنة ١ - ١٩٠٨

(٦٧) يلاحظ مثلا صدى بابل العددان ٧٨ ، ١٠٢

(٦٨) صدى بابل - العدد ٦٣ - السنة ٢ - ١٣٢٨ •

ثم بدأنا نلمس في بعض المقالات مزجا بين الحوار والسرد القصصي •
ونعل هذا التمازج يبلغ قمته ، في محاولة طريفة نشرتها صدى بابل تحت
عنوان « مسامرة » (بين عمى منصور وجارته خالة شمووني الطحانة) (٦٩) •
فهو يبدأها بداية قصصية فيقول : « ذهب في ليلة باردة ذات رياح عاصفة
وأطار غزيرة عمى منصور الخباز الى بيت جارته خالة شمووني الطحانة
(وكل منهما له من العمر ما يفتح الله) ليقضى سهرة عند جارته • على أن
الدهر قضى على مجاورتهما ما ينيف على عشرين سنة ولم يعرف أحدهما
صاحبه الا بالاسم كما لم يعرف من منزله الا الباب لانهما قطعاً تلك المسافة
الطويلة من العمر ولم يتزاورا » ثم ينتقل الى الحوار « فحين دخل قامت خاله
شمووني اليه بالترحاب قائلة : ش • اهلا • اهلا ! • • بك يا عمى منصور
المحبيب ويا جارنا العزيز عجباً من ذلك على الطريق (وهي كلمة يقولها
المزور لزيارته اذا غاب عنه مدة طويلة أو كانت تلك أول زيارة مثل زيارة
عمى منصور) حتى زرتنا هذه الليلة هل أكسر لك الجرة أم الحب أم
أذبح لك البغلة ؟ •

م • • لا أعزك الله يا خالة شمووني ! الله يديم لك البغلة ويمتلك بها
وكثر خيرك أنا ممنون من لطفك ، وهذا مما يدل على طيب ذاتك وحسن
محبتك « والقلوب سواقي » كثر الله من أمثالك • ولكن لو تعرفين يا خالة
شمووني انى منذ زمان طويل فى شوق الى زيارتك • غير انك لا بد من أن
تعذرينى لما تعلمين من كثرة أشغالى وتبلى بالى وانهماكى فى أمر المعيشة
وليس لى وقت ليلا ونهارا لا قضى فرصة ما بالسهرات والمسامرات لان من
عادتى أنى أنام كل ليلة بعد أن اتعشى واشرب سبيلي (وهو غليون صغير من
طين كانت تستعمله الناس قبل استعمال السيكاير) • لكى أقوم نصف الليل
وأعجن ما أعده للخبز وعند الفجر تأتى فرحة الحبازة • ولدى الصباح اشتغل

بتوزيع الخبز على بيوت المعامل وآخذ بوقت الظهر بنخل الطحين وأحضره الى الليل وهذا دأبي كل يوم . أما هذه الليلة فحيث كانت الامطار التي هطلت ليلة أمس غزيرة وأصاب التور ففش وانهدم ونصبت اليوم غيره جديدا ولما كان لم ييس حتى الان فاغتمت الفرصة هذه الليلة لازورك (لانه لا يمكنني أن أعجن أو أخبز) فنقضى الليلة بالمسامرة معك ان كنت تسمحين لي بذلك ثم تبدأ المسامرة ، فيتحدثان عن غلاء الاسعار ، وكيف ان الضيق أحاط بالناس فما عادوا يجدون طعاما ولا سمنا ، ويدعوان المسؤولين الى الاهتمام بهذه الناحية ، ثم يعرجان الى انتقاد صاحب جريدة الاخاء .

ولسنا ندري من أمر كتاب هذه المحاولات شيئا ، فقد كانت تنشر غفلا من التوقيع . وليس فيها ما يثير من عمق التفكير أو اشراق العبارة . بل العكس ، فهي محاولات ساذجة لا غناء فيها . ولكنها تكتسب أهميتها ، بما ترسم من دلائل في مسار بحثنا ، وحين تؤكد أن القصة بدأت تلقى ظلالها على كتابات الكتاب . وليس بعيد الزمن الذي يبدأ فيه الكاتب مواجهة العمل القصصي بشكل مباشر .

٥

ولنا أن نتوقع ، بعد الذي فصلناه ، من أن المثقفين في العراق على معرفة بالروايات التاريخية والخيالية التي كانت تغمر سوق الأدب في هذه الفترة ، وأن هذه المعرفة قد نمت وتطورت بحيث أصبح للرواية قراؤها قبيل الحرب الأولى ، ان يكون هناك اتجاه لتقليد هذا النمط من الروايات . فتأخذ البداية الاولى للقصة في الأدب العراقي الشكل الذي اتخذته الرواية العربية في نشأتها شكل رواية المغامرات والغرام ، التي تقوم العقدة في معظمها على علاقة حب بين حبيبين مثاليين تقوم بينهما العقبات وتنتهي علاقتهما في النهاية باجتماع الشمل وهي العقدة التقليدية لكثير من قصصنا الشعبي من ناحية ، وللغالية

العظمى من الروايات المترجمة من ناحية أخرى ، (٧٠) فوق أنها كانت تصور الواقع المحروم ، والأمل المنشود في الفرج آخراً الأمر ، حسب الاحوال الاجتماعية للمجتمع العربي آنذاك . ولكن هذا الشكل الذي كان طابع القصص العربية في الوقت الذي بدأ العراق فيه يتفتح على اتصال متزايد النمو بالأقطار العربية ، لم نجد له صدى فيما كتبه الكتاب في البدايات الأولى (٧١) .

وهذا تفسير ما ذكرناه ، من أن القصة في العراق لم تلد نتيجة مباشرة لتأثرها بالآثار الروائية ، التي كتبت في مصر أو سوريا أو لبنان ، في مرحلتها الأولى البدائية . بل رأيناها تتجه وجهة اجتماعية جادة ، مستهدفة بذلك أن تخلص لغرض من الأغراض التي تكتب من أجلها المقالات الاجتماعية الإصلاحية ، فهي بذلك تختلط بالمقالة الاجتماعية وتعتبر امتداداً لها . بل هي مقالات اجتماعية استعارت الشكل القصصي لما يملكه الشكل القصصي من قدرة على شد القارئ وإفادته . وإذا كان اصطلاح الرواية قد أطلق على هذه المحاولات البدائية الساذجة ، التي سنفصل في إيراد النماذج منها ، فسيب أن هذا الاصطلاح دخل في مفهوم الكتاب وهو يحمل الاضطراب . وكان من شأن هذا الاضطراب ، أن أطلق هذا الاصطلاح على الرواية بمفهومها الحديث ، وعلى المسرحية ، وعلى القصص والحكايات بأنواعها .

(٧٠) تطور الرواية العربية الحديثة ، عبدالمحسن طه بدر ص: ١٤٧

(٧١) اللهم الا ما يشير اليه رفائيل بطي في كتابه الادب العصري في العراق قسم المنظوم ج ٢ ص : ٢٥ . عن الشاعر عبدالحسين الازري حين يعدد مؤلفاته : « اشتغل الازري بتأليف بضعة مؤلفات لا تزال خطية منها : (١) قصر التاج (٢) بوران : روايتان من الروايات التاريخية الادبية الغرامية التي ألفها وبلغ بها الاثنتي عشرة رواية . (٣) بطل الحلة : رواية وصف فيها ما انزل الاتراك بالحلة من فجاج ، وهي كما يبدو احتذاءً وتقليداً لهذه الروايات وبعضها متأخر عن تاريخ هذا الباب كرواية « بطل الحلة » وعلى أي حال فهذه الروايات مخطوطة ولم أعثر عليها . .

وهذا الاضطراب في المصطلح النقدي لمفهوم الرواية ، لا نلمسه في هذه الفترة المبكرة التي يفترض فيها ان يسوده الاضطراب ، وانما يستمر بعد ذلك لفترة تصل الثلاثينات حيث شهد الادب العراقي الحديث محاولات في القصة فيها مسحة من نضوج ، وتشير الى فهم صحيح لطبيعة الفن القصصي .

وهذا الاضطراب انعكاس لاضطراب مفهوم الفن القصصي في العالم العربي آنذاك والذي عكسته المقالات النقدية المختلفة والتعريفات التي أوردتها المعاجم ودوائر المعارف المؤلفة^(٧٢) . ويبدو أن سبب ذلك يعود الى أن الاستعمال الحديث للرواية « جاء من الاستعمال الشعبي الشائع ، الذي أطلق تجاوزا على هذه السير ، والحكايات ، والقصص ، والأخبار .. والتي تنقلت بدون اسناد ، ورويت ، ووصلت جمهور المقاهي الشعبية ، ودارسى الأدب الشعبي ، على عهدة الراوي .. وقد كان الرواد الأوائل للقصة ، والرواية ، والمسرح عندنا ، يستعملون مصطلح - رواية - بمعنى واحد ، وذلك للدلالة على عمل فني ، أدبي قائم على السرد ، أو التشخيص أيضا في المسرح ، الغاية منه التسلية ، أو الاطراب اذا لحن ، وقدم على المسرح ، الى جانب غايته الأدبية والفكرية المحدودة آنذ .. »^(٧٣) .

وعلى أي حال فان هذا المصطلح أطلق في هذه الفترة المبكرة في العراق كما قلنا ، على الروايات الخيالية والتاريخية ، والمسرحيات ، والحكايات ذات الطابع السردية ، وعلى نمط من القصص القصيرة التي تتداخل بالمقالة الاجتماعية والتي أخذت شكلا فنيا محددًا وصبغت النتاج العراقي ، في هذه الفترة ، بصبغة خاصة ، وجعلته يتجه وجهة اجتماعية كما ذكرنا . وهذه

(٧٢) يراجع مقال طريف في تتبع تطور المفهوم النقدي للرواية في الادب العربي بعنوان « مصطلح الرواية وتطور مفهومه العربي » بقلم عدنان ابن ذريل . الآداب (البيروتية) العدد ٣ - السنة ١١ آذار ١٩٦٣ - ص : ٨١ .

(٧٣) المرجع السابق . نفس الصفحة .

القصص هي قصص الرؤيا . وهي نمط من القصص يحاول كاتبها فيها أن يكشف من خلال حلم يراه في نومه عن مستقبل العراق المظلم - وهو أمر يبدو أنه كان يبعض كاهل الواعين آنذاك ويقدم الحلول التي يراها كفيلة بانهاضه وتطويره الى ما يتمنى أن يكون عليه من رقي وتقدم ، بعد أن تحسس الواقع المؤسف الذي صار اليه العراق .

وقبل أن نفصل الحديث في هذه القصص ، التي نعتبرها المحاولات البدائية الأولى في القصة العراقية ، نرى ان نقف قليلا ، على الأسباب التي أدت بالقصاصين أو الكتاب الى أن يتجهوا وجهة جادة في كتاباتهم ، والى اتخاذ هذا الشكل الفني معبرا يفصحون فيه عن خواطرهم وخلقاتهم وافكارهم ، التي كانت تجيش بها نفوسهم . ومن هذه الأسباب أن المثقفين العراقيين ، بعد الدستور ، وبعد النقلة الفكرية الضخمة التي أحدثها اعلانه ، أداروا النظر في مجتمعهم فلم يجدوا أمامهم غير بلد مخرب ليس فيه غير شواهد حضارة عريقة ومجد تليد . وقد أرمضهم هذا الواقع فاندفعوا يبحثون في أسباب هذا التخلف والتأخر ، ويرسمون الطريق الذي على العراق أن يدرج عليه ، لكي يصل الى ما فيه رفعة وعزته . وقد كان هذا الانهماك في تفحص المشاكل وطرح الحلول لها مستنفدا للجهد الأكبر ، ان لم نقل للجهد كله^(٧٤) . فلم يجدوا وقتا يتيح لهم ممارسة كتابة الروايات الغرامية

(٧٤) يلاحظ ان عددا غير قليل من الكتاب قد كتبوا مقالات اجتماعية تعرض لمظاهر التأخر الاجتماعي وترسم الحلول لها . كما ان عددا اخر غير قليل قد عاد بالبحث الى ماضي العراق العريق ايام البابليين والكلدانيين يبحث فيه ويفصل لكي يعيد للاذهان مجد العراق الزاهر ، والذي لم يبق منه غير الاطلال . حتى ليتمكن اعتبار المقالات التي كتبت في تلك الفترة والتي نشرت اغلبها في لغة العرب مراجع ثمينة لا يمكن الاستغناء عنها لدارسي العراق من الوجة الاجتماعية خلال الفترة المذكورة . وفي رأينا ان بعض هذه المقالات فيه من حصافة الرأي ودقته ، ما افتقدته بعض مقالات الكتاب العراقيين اليوم .

والخيالية ، والتي أقل ما يمكن أن يقال فيها ، انها تكتب لاجل اللهو والتسلية والترفيه ، والوقت يستدعى تسمير الساعد ، والهمة المندفعة لبناء المهتم من كل شيء . ولذلك اتجهت القصة في العراق في بدايتها الاولى وجهة اصلاحية ، سادتها النبرة التعليمية التي تستهدف انهاض المجتمع من كبوته ، وكشف الطريق أمام الجيل الجديد للبدء في مسيرة طال انتظارها .

كما كان لمحدودية الثقافة آنذاك وقلة عدد المتعلمين ، وضعف مستواهم العلمي ، أن أصبح من العسير ايجاد مجموعة من القراء ، تجد في قراءة الروايات الخيالية لذتها ولهوها ، فالأمية كانت عامة ، ومن تعلم القراءة والكتابة كان يحمل في قلبه هما ثقيلًا من أعباء التأخر الاجتماعي . فلم يكن ، والأمر كذلك ، منتظرا أن يرتفع من بين القراء صوت يطالب الكتاب بالاهتمام بهذه الناحية من الأدب .

وكانت الصحافة أيضا سببا هاما ، بل من أبرز العوامل التي حددت اتجاه القصة في هذه الحقبة . فالصحافة نتيجة لكونها مشاريع فردية ، هزيلة الموارد لم تقدر على تنظيم أمورها ، بشكل يتيح لها امكانية التفرغ لما يحتاجه العمل الصحفي من متطلبات . ولم يستطع منشئوا هذه الصحف أن ينهضوا بها على أساس مشروعات اقتصادية . فما كانت الصحيفة تصدر الا لتموت ، ويندرس أثرها . وهذا هو السر في أننا لا نجد جريدة عراقية الآن قد علت بها السن ويرجع ميلادها الى مطلع تاريخ صحافتنا . بل اننا لانستطيع العثور على أعداد كثيرة من هذه الصحف ، التي لم يبق منها غير اسمها . كما أصيبت الصحافة من مطلع حياتها بالامراض الوبيلة من مخاتلة وكذب وزيف^(٧٥) ، ومهاترات استفرغت جهودها ، وجعلتها تدور في حلقة مفرغة لا تستطيع اختراقها . واذا علمنا أن النهوض بالمشاريع الادبية ، كفن القصة ، يحتاج الى الأقلام المتمرسه والى المترجمين المحترفين ، ونظرنا الى ظروف

(٧٥) الصحافة في العراق ص: ٢١-٢٢ .

الصحافة المادية من جهة ، والى مستوى حملة الأقلام فى ذلك العهد وندرتهم من جهة أخرى ، أدركنا الأسباب التى أدت بالصحافة لأن تعجز عن القيام بالدور الذى اضطلعت به صحف لبنان ومصر فى تشييط هذا اللون من الفن ونشره بين القراء .

ويمكننا أن نضيف الى هذه الأسباب ، أن الفترة الزمنية التى أعقبت إعلان الدستور كانت غير مستقرة ، لما شهدته من تطورات وأحداث متلاحقة كان قمتها إعلان الحرب الأولى ودخول الجيوش الانكليزية العراق كفاتح جديد يتوسل باسم الانقاذ لكى يفرض سيطرته على البلاد . وأن هذه الفترة لم تكن بالزمن الطويل الذى يتيح لجيل ينشأ على تشرب هذا الفن قدرة الكتابة به . مع ما يتطلبه هذا الفن من المرونة فى الكتابة والخيال والحسب ، فى وقت كان فيه معظم المثقفين الذين يملكون قدرة الكتابة ، قد نشأوا على ثقافة تقليدية محافظة لم تكن ترى فى هذا اللون من الأدب الا هزلا وسخفا لا يتفقان مع ما اعتادوا عليه من أدب جاد ، فانصرفوا الى ما هو أجدى فى نظرهم ، الى تدبيج المقالات الأدبية الجادة والى نظم القصائد الشعرية المعبرة عن طبيعة المشاعر التى كان يصطخب بها المجتمع العراقى آنذاك .

وإذا كان فى ذكر هذه الأسباب تفسير للعوامل التى أدت الى عدم ظهور الفن القصصى فى العراق فى هذه الفترة المبكرة ، بالشكل الذى كان عليه فى الأقطار العربية المجاورة ، فانه يبقى لدينا سؤال هام ، لا بد من الاجابة عليه وهو لماذا اتجهت المحاولات البدائية فى القصة العراقية نحو الرؤيا تستشرف منها أفق فن جديد ، دون أن تتعداه الا فى زمن متأخر نسبيا ، وبعد أن أصبح المجال مفتوحا أمام الأدب الجديد لكى يغمر السوق العراقية بعد الحرب الأولى ، وعلى وجه أدق بعد قيام ما اصطلح على تسميته بالحكم الوطنى عام ١٩٢١ ؟ .

والواقع أن الرؤيا بالذات كانت وسيلة يستعين بها الشعب غالبا ويؤمن

بها ، لكشف حجب المستقبل الغامضة • وما كان أشد حاجة العراقيين آنذاك الى من يعرفهم على مستقبل وطنهم المجهول وهو مصفد بأغلال التأخر والجهل والمرض والتسلط الأجنبي • وقد ازدادت هذه الحاجة ، نتيجة للسياسة التي انتهجها الأتراك بعد الدستور ، لتريك العرب وما تبع ذلك من اضطهاد لمعارضى هذا الاتجاه ، ورجوع العرب الى ماضيهم الماجد ، يستمدون منه العزيمة والقوة للصمود أمام هذا التيار الساحق ، ثم ما انتهت اليه تخطيطات السياسة التركية من زج الأتراك فى أتون الحرب الاولى فى وقت لم يكونوا فيه على استعداد لها ، وما أعقب ذلك من دخول الانكليز العراق وفرض سيطرتهم الكاملة على البلاد •

على أن هذا وحده لن يكفى للاجابة على السؤال ، وانما يقتضينا الامر دراسة المؤثرات التي قادت الكتاب الى التعرف على هذا الشكل الفنى البدائى • وهذه المؤثرات على ما نرى ، جاءت من مصدرين : أولا : مصدر عربى يتمثل فى هذا النتاج الأدبى الذى بدأ يدخل العراق بشكل مضطرب مع بداية القرن العشرين • وثانيهما : مصدر تركى ، نراه أكثر تأثيرا فى الفكر العراقى الحديث ، فى هذه الفترة ، نتيجة ارتباط العراق بتركيا على نحو عميق • فقد كان أكثر المثقفين يعرفون التركية ، بل ان التركية كانت لغة المدارس آنذاك ، ولغة الصحافة ايضا ، ودواوين الدولة • كما أن عددا كبيرا من العراقيين كانوا يدرسون آنذاك فى استانبول • واذا كانت دراستهم انجهدت نحو الدراسة العسكرية ، والدراسة العلمية وأقتصرت على أبناء الطبقة الموسرة التي تملك قدرة الانفاق على ابنائها فى دراسة طويلة (٧٦) • فان هذا لايعنى أنهم لم يتعرفوا على التيارات الأدبية الحديثة التي بدأت تصبغ الأدب التركى الحديث بصبغتها منذ القرن التاسع عشر ، وفى قمتها الرواية

(٧٦) تاريخ التعليم فى العراق • ص: ٢١٩ •

التي أخذت تشق طريقها في الأدب التركي. ويبرز من الكتاب فيها من يكتب بشكل جاد .

وبالرغم من أن الأدب العربي الحديث ، شهد محاولة ضخمة في العمل الروائي ، ذات أهمية كبيرة بالنسبة لتطور الرواية العربية الحديثة ، في هذه الفترة ، وهي « حديث عيسى بن هشام » للمويلحي ، تستخدم الرؤيا شكلا تدخل به الى المضمون الذي يراد عرضه . « فقد أوحى لنا المويلحي على لسان عيسى بن هشام في الاسطر الاولى من الرواية ، بأن الاحداث التي وردت فيها كانت حلما ظهر في نومه »^(٧٧) الا ان المؤلف نتيجة انصرافه الى موضوع كتابه ، قد أضاع على القارئ فرصة تذكر هذا الحلم وأهميته . « ويبدو أن المؤلف لم يلجأ الى ذكر الحلم الا لكي يقدم تبريرا لبعث الباشا من موته فمثل هذه الظاهرة لا يمكن أن تحدث في عالم الواقع ، ثم نسي بعد ذلك كل شيء عن الحلم والأحلام »^(٧٨) كما أنه ليس لدينا ما يشير الى معرفة القراء العراقيين لهذا الكتاب ، الا ما نعرفه من أن نتاج الكتاب المصريين كان يصل الى العراق بشكل مضطرب ، ولذلك نستبعد أن يكون لهذا الكتاب تأثير كبير في انصراف اتجاه الكتابة الروائية في العراق نحو الرؤيا . ونرى أن ذلك جاء نتيجة انتشار رواية أخرى ، هي رواية الرؤيا للأديب التركي نامق كمال^(٧٩) ، والتي نقلها الى اللغة العربية بعد اعلان الدستور العثماني عن

(٧٧) تطور الرواية العربية الحديثة . ص: ٧٠

(٧٨) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(٧٩) هذا مع اعترافنا بان الرؤى تلعب في القصص الشعبي دورا كبيرا لانها كانت تبيح للقاص من شطحات الخيال ما يشبع به تطلعات مستمعيه وتطلعاته هو . هذا الى انتشار وسيلة الرؤيا في نقد المجتمع عند كثيرين من كتاب الاصلاح في اوربا ، وحتى نامق كمال نفسه متأثر بأدب مونتسكيو الذي ألف رسائل فارسية فيها نقد اجتماعي للحكم وللكنيسة على لسان غريب زار فرنسا فوضع على لسانه من النقد ما شاء ، وقد ترجم نامق كمال لمونتسكيو . والنقد الاجتماعي =

التركية ، معروف الرصافي . وطبعت في بغداد عام ١٩٠٩ ، والتي تعتبر أول أثر نشرى له (٨٠) .

ويظهر أن هذه الرواية ، قد كتبت في غرض اجتماعي ينسجم مع اتجاه الفكر العراقي آنذاك ، فهو دعوة للنهوض والايقاظ من نوم الذل والهوان ومما جاء في نداء الحرية في هذه الرواية الذي نقله مصطفى علي في كتابه (٨١) القول الآتي :

« ما أقطع هذا الذل فيكم ! وما أشنع هذا الجبن منكم ؟ ما الذي منه تخافون ؟ أمن الموت ؟ فانظروا متى كان الخوف من دواعي الحياة وأسبابها أم من الشقاء والتعب ؟ فتأملوا من ذا الذي شقى في الدنيا ، بأن حمل اثقالا هي أكثر ثقلا وأعظم مشقة ، من قيود الاساءة التي أنتم بها مقيدون ، ولأنقالها حاملون . أفأنتم القوم الذين لازلت أسمع عنهم أنهم أعلى الأقسام همة ، وأكثرهم بالفضائل اتصافا ، وبالبسالة والشجاعة اشتهارا ، وبالحمية والمروءة اتساما ، وأعظمهم للمصائب احتقارا وللمشكلات حلا واكشافا ، وللصعاب استسهالا ، وعلى المهالك اقداما ، ما أكذب هذه الشهرة ، وما أخلى تلك انصافات عن المعنى ، .. »

ولم تكن قصص الرؤيا التي كتبت في العراق لتستهدف أمرا آخر . فقد كانت بمجملها دعوة للأمة للنهوض ومحاولة دؤوبا لتلمس النواقص الاجتماعية ورسم الحلول لها . ولا ينبغي أن يتبادر الى الذهن ، أننا نريد أن نحصر الأثر التركي في الأدب العراقي الحديث بهذه الرواية

= عادة في عصور القهر والاستبداد كان يتخذ أساليب مختلفة من التغليف لدرء السلطان منها نقل البيئة الى مكان قصي او جعل الناقد اجنبيا ، او جعل النقد كله يدور في عالم الرؤى .

(٨٠) الادب العصري ج ١ ص ٧٣ . معروف الرصافي . بدوى احمد طبانة ص: ٢١٧ . محاضرات عن معروف الرصافي مصطفى علي ص: ١٠ .

(٨١) محاضرات عن معروف الرصافي . ص : ١٠

وحدتها فالأدب أو الفكر التركي الحديث كان باعثاً للنهضة الأدبية العامة في العراق ، بما فتحه للمفكرين والأدباء العراقيين من آفاق الفكر العميق مما كان له الأثر الأكبر في تلوين الأدب العراقي الحديث بهذه النزعات والاتجاهات الحرة العنيفة ، والتي انعكس تأثيرها على تجديد الأساليب الأدبية عامة . وجل ما نريد قوله أن هذه الرواية التي ترجمها معروف الرصافي عن الشاعر نامق كمال ، كانت عاملاً مباشراً في اتخاذ الكتاب للرؤيا اطارا لقصصهم البدائية الأولى . أما تأثير الأدب التركي الحديث في القصة على نحو عميق ، فسيستجلى بشكل بارز بعد الحرب الأولى مما سندرسه في الباب التالي .

٦

ولا تقتصر الفترة ، التي استخدمت بها الرؤيا شكلاً فنياً لكتابة القصة على ما قبل الحرب الأولى ، بل إن تاريخها يمتد إلى فترة أبعد ، فإن أول رؤيا كتبت نشرتها مجلة تنوير الأفكار بعنوان « رؤيا العربية » في سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩٠٩^(٨٢) وآخرها ما نشر بقلم (عراقي أمين) في جريدة العراق عام ١٩٢١ ، « بعنوان وقفة على ديالى وحديث مع فنوس »^(٨٣) . ويرى صاحب جريدة العراق في هذه الرؤيا الأخيرة أنها قصة اجتماعية ذات مغزى ، فقد قدمها بقوله « رغبتنا أن نفكك القراء ببعض الاقاصيص الأدبية ذات المغزى الجميل ، مما تروح له قلوب المطالعين ، فطلبنا إلى أحد أدبائنا الأفاضل وهو الذي نشر عدة قصص قيمة من هذا الطراز ، أن يتحفنا بشيء من هذا القبيل . فتفضل علينا بالقصة التالية نشرها شاكرين »^(٨٤) ولنا نريد أن نستبق

(٨٢) مج ١ . ج ٢ . سنة ١ ص : ٦٨

(٨٣) جريدة العراق الاعداد ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، السنة ١ ايار ١٩٢١

(٨٤) المرجع السابق العدد : ٢٨٣ .

الأمر • ولكننا لا نرى بدا من الإشارة الى أن هذه الرؤى ، اقتربت من القصة مع مضي الزمن • فالمحاولة الأولى فيها خطابية ، ثقيلة الحركة مسجوعة الأسلوب تعالج القضايا الاجتماعية والسياسية بشكل مباشر ، ولا يميزها عن المقالة الاجتماعية أو السياسية غير هذا الشكل الخيالي الذي عرضت به • والمحاولات الاخيرة يتوفر لها بعض عناصر القصة الفنية ، وتنسحب الخطابية والجملة المسجوعة منها ، لتحل محلها العبارة القصصية والجملة السهلة المروية • وتتوخى جميعها هدفا واحدا ، لاتجيد عنه ، يتمثل في السعى لمعالجة المشاكل الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع وتقديم الحلول لها ، بشكل ربما لا يكون فيه للذكاء نصيب •

والرؤيا الأولى التي نشرتها مجلة تنوير الأفكار ، لا نعرف كاتبها ، فلم تشر المجلة اليه • وقد بدأها بقوله « في ليلة الحادى والعشرين من رمضان المبارك بعد ما صلينا التراويح وتوسدت الوسادة رأيت رؤيا تميل لبهجتها الجلاميد طربا وتهتز لشذاها عبير الرواسى عجبا كادت تذهب بجمالها لبي ويطير من أنوارها عقلي ، ولكن الحمد لله الذى ثبت بالقول الثابت قلبى فهى لعمر الله مما تكتب بالنور على جباه الحور ،^(٨٥) أما تفصيل رؤياه : فانه رأى نورا لطم وجه الأرض وكادت ان تندك له الشامخات فى الطول والعرض ، لقد كانت ليلة العشر الأواخر من رمضان فهى اذا ليلة القدر ، وهذه أبواب السماء تفتح • فرأى عرشا لا يحيط به البصر يحمله عدد من الملائكة ، ويخدمه غلمان مخلدون ، يحيط به فرسان يندهش العقل من مجيا طلعتهم و « مضروب فى وسطه خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها أميالا (كذا) ولها عدة أبواب من ذهب حولها سرداق دورة خمسون (كذا) فرسخا داخلها سرر مرصوفة وأرائك بطائنها من استبرق متكئة عليها شمس يضىء من وجتيها

(٨٥) تنوير الافكار ج ٢ ، مج ٣ ص : ٦٨

ما بين الخافقين جيئها هلال ، (٨٦) . فصار يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، وعزم أن يستجلى سرها ، ولو كان في ذلك حقه ، فتقدم الى أحد الخدم وحياءه بالسلام وقال : « أيها الأخ الكريم اني سائلك عن هذه الشمس المشرقة أهى مريم العذراء ، أم خديجة الكبرى أم فاطمة الزهراء أم الصديقة زوج المصطفى أم ذات النطاقين أم . أم ، (٨٧) فأجابه : « كل ما ذكرت من بناتها ويتقربن الى الله بخدمتها . هذه التي حبها ايمان وبغضها كفران عدوية ألقاها السحر انحلال واستعارات كباياتها كمطر لؤلؤ من نرجس الهلال اكنافها أوسع من (القاموس) ودرر فرائدها لا يحيط بها الف (جاسوس) تقرب الأقصى بلفظ موجز وتبسط البذل بوعد منجز ، المذاهب بأسرهم كالباقر والصادق والشافعي مع النعمان وابن حنبل ومالك والثوري ، والبصري ومن ضاهاهما (كذا) لها خدموا وأقبال الائمة كالخلفاء الاربعة مع جميع الامراء الاجناد لمحافظه حماها التزموا الزهاد بأسرهم تمسكوا بأذيالها توسلوا بها كي تخرطهم في سجل ديوانها ، ولدهاهم الذين أبادوا كسرى وقيصر وأذعنوا للانقياد لها الاسود والاحمر والاصفر (٨٨) ، فقال له : « أي أخ صرح لي واترك الكنى ففكرت في صدا من العنا (٨٩) ، فأجابه : « هذه (العربية) وقد أتت موبخة صادعة لبنيتها على توانيهم بتكثير سواد الحكومة الاسلامية العثمانية بعدم تسجيل نفوسهم وتكثير نوابهم وان لا يصغوا لاراجيف المرجفين ونعق الناعقين ، النابذين بين الوحدة العثمانية (عصى) التفرقة بوساوس هذا تركي وهذا عربي مينة لهم أن التنازع مقرون بالفشل (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، ... الخ (٩٠)) وهكذا يروح يبرهن له على أهمية الاتفاق .

(٨٦) المرجع السابق . ص : ٦٩

(٨٧) المرجع السابق . ص : ٧٠

(٨٨) المرجع السابق . ص : ٧١

(٨٩) المرجع السابق . نفس الصفحة

(٩٠) المرجع السابق . نفس الصفحة

ويضرب له مثل أهل الأندلس ، وما صار إليه أمرهم حين تفرقوا وصاروا ملوكا وطوائف • وبينما هم كذلك • إذ أقبل أهل سوريا ، فخرجت اليهم شاكرة سرعة استيقاظهم وتفهمهم لدعوتها ، وطلبت منهم أن يكونوا رسلها لايقاظ بقية بنينا • ثم تذكر لهم أن الشرق سيتقدم ويستعيد مجده ثم توجه دعوتها للصحف للسير في هذا الطريق ، كما توجه دعوتها لرجال العرب كالشيخ خزعل والمبارك • • الخ ، ثم تختم دعوتها بتأكيدها على الوحدة والتعاون ونبذ الخصام والتفرق والسير وراء المفسدين وذلك لان « قرآنهم ودينهم ونيهم وأصولهم وصلاتهم وصومهم وزكوتهم وحجهم وإيمانهم واحد » (٩١) • • •

وليس خافيا ، أن هذه الرؤيا تعبر عن الافكار التي كانت منتشرة بين المثقفين بعد اعلان الدستور ، والتي أشرنا اليها سابقا • وهي تضرب على ذات النغمة التي تنادى بالاخوة الاسلامية كرابط يشد المسلمين تركيا وعربا ، والتي كان الكثيرون يرون فيها الوسيلة ، التي يتحقق بها التقدم والازدهار ، وذلك قبل التطورات السياسية التي غيرت من اتجاه السياسة التركية ، مما جعل العرب يتجهون نحو التأكيد على القومية العربية ، كقوة تقف أمام العنصرية التركية الطاغية • ومنها يظهر ان كاتبها لم يكن يتوخى غرضا قصصيا ، بل انه اتخذ هذا الشكل الفني لكي يعبر عن افكاره السياسية •

وإذا كانت هذه الرؤيا واضحة في التعبير عن الغرض الذي تريد الإفصاح عنه ، وتشير الى التفاؤل الذي كان يعم المجتمع العراقي ، ووضوح الاتجاه السياسي لدى المثقفين والذي كان على العرب أن يسلكوه ، فان الرؤيا الثانية التي نشرت بعد هذه الرؤيا بأربع سنوات ، تعبر عن الخيبة التي غزت النفوس بعد تبدل السياسة التركية ، وما صاحب ذلك من ارهاب وتكليل • وقد نشرتها مجلة لغة العرب تحت عنوان « رؤية أدبية » بقلم السيد محمد

(٩١) المرجع السابق • ج ٣ ، ص : ١٢٠

فائق الكيلاني^(٩٢) . وهذه الرؤيا ، لا يمكن أن تسمى أقصوصة ، ولكنها تقترب من الاقصوصة الى حد كبير ، وهي بالمقارنة بالرؤيا الاولى ، تحقق تطورا كبيرا في التقنية . ويتمثل هذا التطور ، في هذا الاسلوب المرسل الذي تجنب فيه كاتبها كل تعقيد أسلوبى أو تكلف ينحو نحو غريبا غير مستساغ ، وفي هذا البناء المتناسك الذى جعل من حدثها وحدة واحدة غير مشتتة مما لمسناه في الرؤيا الاولى . على أن أهم ما يلفت نظرنا فيها بالإضافة الى ذلك ، هو هذا الاستخدام للرمز ، للدلالة على الواقع الاجتماعى المعاش . ورغم سذاجة الرمز هنا ، فان له أهميته ، فالكاتب انما التجأ اليه لانه وجد في الظروف المحيطة به ، ما يحول بينه وبين صراحة التعبير ، مما يدلنا على ناحية هامة في الادب القصصى العراقى ، سنرى تأكيدا لها في القصص العراقى الذى كتب في الفترات اللاحقة . اذ كثيرا ما التجأ القاص العراقى الى الرمز حين تدلهم الامور ، وتصبح الحرية في التعبير جرما ، ينال صاحبه من أجله أشد العقاب ، كما ان هذا الرمز الساذج أحد الخصائص الاصيلة في قصص الرؤيا المختلفة التى كتبت في هذه الفترة .

وفي الرؤيا الثالثة التى نشرتها لغة العرب بعنوان «سياحة فى النوم»^(٩٣) ، نرى فيها عودة للسجع ، يرهق الكاتب به نفسه ارهاقا ، وليس لهذه الرؤيا من قيمة كبيرة ، اللهم الا فى نزعتها الاخلاقية الواضحة . فهو يرى فى الكرى بستانا يذكرنا وصفه بالبساتين التى كثر وصفها فى ألف ليلة وليلة ، يطوف به ، ثم يلتقى بشاب بديع التكوين فيقع فى غرامه . ثم يعرف أنه العفاف . وحين يستيقظ من نومه يصمم على أن يدعو الناس الى حب هذا الخلق البديع .

على ان الرؤيا الرابعة التى نشرتها لغة العرب أيضا ، تعود الى معالجة

(٩٢) لغة العرب العدد ٤ السنة ٣ - ت ١ - ١٩١٣ ص : ١٩٨
(٩٣) لغة العرب العدد ٥ السنة ٣ - ت ٢ - ١٩١٣ ص : ٢٦٤ ولم تشر المجلة الى اسم المؤلف

القضايا الاجتماعية ، وبالأسلوب المرسل * وهى بعنوان « المال حاكم »^(٩٤) ،
يبدأها الكاتب بالبداية التقليدية التى رأيناها فى رؤى أخرى « وجدت ذات
ليلة فى مجلس كان فيه جماعة من الاحباب يسحر كلامهم الالباب فأخذنا
نتجاذب أطراف أحاديث الاسبوع ، حتى أدى بنا الموضوع الى ما أحدثته يد
الدهر من المصائب والاهوال التى يشيب لها الاطفال^(٩٥) » ثم يرجع الى
البيت بعد انتشار عقد الجمع ، وهو منزعج النفس مكدر المخاطر ، وحين ينام ،
يرى نفسه يحوم حول بلد لم ير مثله فى عالم اليقظة ، فيدخله ويطوف فى
ارجائه ، فيراه على غاية من الرقى والتمدن ، ثم يقع بصره على قصر شامخ
رفيع البناء ، يحرسه الجند ، يعرف من أحدهم انه لسيد البلد الاكبر ، ثم
يختفى فى موضع لا يراه منه أحد فشهد حضور السلطان العظيم ، يحيطه
الجند ، وتتابعه الانعام العجيبة ، فخرج من مكمنه ، وتابعه حتى رآه اتى
صاحبة المدينة ، وهناك جلس على كرسي فاخر وضع على أشرف مكان * ثم
شرع السلطان يتكلم بصوت جهورى ترتعد له فرائص الارض ، عن سلطانه
وسطوته ، وعن قيمة المال ، فى تقدم الحياة ، مستشهدا بأبيات من الشعر *
فهول اليه ، ومثل بين يديه ، ثم سأله : ما الذى يبعث فى البلاد الرقى
والعمران ويزيد فيها النماء والثروة ؟ فأجابه « هذه الامور هى : ١ - توفير
النفقات وتدبير أمر المعيشة ٢ - السعى وراء شق الانهار وتحسين أمور
الزراعة وتوسيع أبواب التجارة ٣ - بث العلوم بين أكابر الناس وأصاغرهم
لأنها أساس الصناعة التى هى مجلبة المال ٤ - مساعدة الاهالى المعوزين
بالمال وجمع الذرائع التى تمهد لهم سبل السعادة ٥ - نشر ألوية الاداب
الصحيحة والفضائل القويمة وقطع دابر الفساد^(٩٦) » وحين رآه السلطان

(٩٤) المرجع السابق العدد ٨ السنة ٣ شباط ١٩١٤ ص : ٤١٥ ولم تشر

المجلة أيضا الى اسم المؤلف .

(٩٥) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(٩٦) المرجع السابق العدد ٥ السنة ٣-٢ - ١٩١٣ ص : ٤١٨

متطلعا الى أقواله الدرية ، سأله : من أى قطر أنت ؟ فأجابه : انه من ديار
العراق من بلدة دار السلام ، دار الحضارة والعمران فى سالف الايام
فذكرها الملك وراح يشيد بعظمة حضارتها القديمة • ثم نهض من مكانه ،
فقام له الجند بتعظيم وتبجيل ، ورجع الى البلد ، وأراد الدخول معه ، ولكن
حال بينه وبين ذلك جماعات الناس ، وبينما كان يحاول الانسلال بينهم شعر
كأن واحدا دفعه فصحا من نشوة الكرى ، وقد انطبعت فى مخيلته الرؤيا ،
التي وجدها مطابقة لعالم المثال فأغرورقت عيناه بالدموع وقال : « رحماك
يا رب رحماك ! أسألك بأن تلتطف بعبادك وتقيم لهم رجلا ذوى حزم وعزم
ينظرون فى الامور على ما هى عليه ويتبصرون فى العواقب لكى يعود اليينا
طائر العمران ، فيخفق بجناحيه على جميع هؤلاء السكان ، فأنت الرحيم
وأنت الرحمان (٩٧) » •



واذا كان اعلان الحرب العالمية الاولى ، واحتلال الجيوش الانكليزية
العراق (٩٨) ، عاملا حاسما لعب دورا كبيرا ، فى تحديد مستقبل العراق
السياسى والاجتماعى • فان التطور الادبى والفنى لا يمكن ان يساوق
الاحداث الكبرى الا بمقدار ويحتاج هذا التطور الى مؤثرات وعوامل
لا يمكن ان تؤدى دورها ويبرز أثرها واضحا ، الا بعد فترة تطول أو تقصر ،

(٩٧) المرجع السابق • نفس الصفحة •

(٩٨) بدأ نزول القوات البريطانية الفاو ، فى السادس من تشرين الثانى
عام ١٩١٤ • ولم يتم احتلال العراق الا بعد فترة طويلة تكبدت خلالها
القوات البريطانية خسائر جسيمة فى الارواح والاموال بسبب
المقاومة الضارية التي قوبلت بها هذه القوات من الاتراك والعرب •
وقد فتحت بغداد عام ١٩١٧

حسب قوة هذه المؤثرات والعوامل . ويعتبر أدب بداية الفترة الجديدة ، امتدادا للفترة السابقة في خصائصه العامة ولذلك لن يثير استغرابنا أن نعر بعد استقرار الامور النسبي الذي أعقب الاضطرابات الدموية التي شهدتها اعراق خلال سنوات الحرب ، على رؤيا جديدة كتبها عطاء امين ونشرتها مجلة دار السلام بعنوان ، « كيف يرتقى العراق » رؤيا صادقة^(٩٩) ، وهذه الرؤيا تعتبر امتدادا لهذا النمط البدائي من القصص الذي شهدناه قبل الحرب ، وفي الوقت نفسه تطويرا له . وسنجد ايضا أن هذا التطوير يأخذ صورة متكاملة في عمل روائي طويل كتبه سليمان فيضى ونشره عام ١٩١٩ بعنوان « الرواية الايقاظية » التي سنفصل الحديث عنها .

ومظاهر هذا التطور ، في رؤيا عطاء امين ، يمكن ان نلمسها في قدرة الكاتب على صياغة العبارة القصصية ، فأسلوبها رغم ما اعتمده من ايراد بعض السجعات ، والعبارات الانشائية الخطابية ، أسلوب مرن ، قصصي ، كما أن الكاتب وفق في نقل أحاسيسه الخاصة الى القارىء . وجوها يعقب بهذا الشذا الخاص الذي يتلمسه القارىء في عمل أصيل ، ويحار في تحليل مآتاه . ولا يخفى الكاتب غرضه الاجتماعي من كتابة هذه الرؤيا ، فقد جعل عنوانها ، كما ذكرنا ، كيف يرتقى العراق ثم أردفه بقوله رؤيا صادقة . وهو عنوان لا يمكن أن يصلح لقصة . كما أن تعليقاته العديدة التي يقطع بها سرده ، دليل آخر ، على بعده عن القصة . وليس الكاتب ملوما في ذلك ، فلم يكن بالرجل القادر على أن يمنع هذه التعليقات التي تضعف من رؤياه . فقد كان يرمى الى غرض واضح ، ويريد أن يصل اليه من أقصر طريق . كما أن هذا العيب صفة لازمة للنتاج القصصي ، في هذه الفترة ولفترة طويلة بعد ذلك . فلم يكن الفكر العربي عامة قد أدرك بعد ، فن القصة ، وكان يريد لها وسيلة للتوجيه . فلم يكن امامه والامر كذلك ، الا أن يحشر قصصه بهذه

(٩٩) العددان ١٧/١٨ . آب ، ايلول ١٩١٩ .

التعليقات والخطب ، التي يراها أهم ما في قصصه ، بل هي تبرير لوجودها أمام المثقفين ، وأكثرهم ممن يتحكم فيه الميراث القديم الذي كان يعتبر القصص لهوا . وكان لزاما أن يمضى زمن طويل قبل ان يدرك الكتاب « أن القصة روح قبل أن تكون مظهرا ، وفكرة قبل أن تكون حادثة ، وأن روح القصة الحى وفكرتها الصحيحة يجب ان تكون قبسا من الانسانية التي اليها مرد الفن الرفيع فى شتى صوره من بيان وموسيقى ورسم وتمثيل (١٠٠) » .

ويظهر من محاولة عطاء أمين هذه ، ان الرجل يدرك انه يعالج فنا جديدا غير المقالة الاجتماعية هو فن القصة . ويظهر هذا الادراك واضحا حين يذكر فى الهامش تعليقا ، عندما يختم هذه الرؤيا قوله « كل ما فى هذه القصة من الاخبار والوصاف والصلوات حقيقية لا دخل فيها للخيال (١٠١) » . ولسنا نريد أن نحمل هذه اللفظة أكثر مما تحمله ، ولكن استعمال هذه اللفظة ، نراه هنا للمرة الاولى . وهو أول من يرى فى الرؤيا أنها عمل قصصى . وستأكد هذه النظرة حين نعرض للرؤيا الاخيرة التى نشرتها جريدة العراق عام ١٩٢١ .

وبداية هذه الرؤيا وصفية ، فيها نفحات شاعرية بديعة ، «ليلة صافية الاديم لامعة الكواكب ، ترسل الى الكون الغائم اشعة القمر الذائب ، صبح الربيع وشمسه الذهبية على الفرش الزمردية فى الحدائق والحقول ، الحان الطيور وروائح الزهور والنسيم العليل ، شعر معجز شاعره الخالق الجليل ! السماء ذات الابراج مزركشة بالنجوم والاقمار ، والارض ذات الفجاج مستورة بالحشائش والاشجار ، البحار المائجات والانهار الجارية والجبال الراسيات والبحيرات والغابات فيها من الحسن والبلاغة ما يأخذ بمجامع القلوب . كنت أرسم « قصيدة الكائنات » على دجلة فى نصف الليل فكانت

(١٠٠) فن القصص ط ٢ . محمود تيمور . ص : ٨١

(١٠١) دار السلام العدد ١٧ ص : ٣٩١

تشاركنى فى الترنيم • كنت أتغنى « بأبياتها » الجميلة فتجيبنى بخير مياهاها اللطيف ! كان الكون نائما والطبيعة فى سكون ، الا أن فكرى كان يجول فى ميادين الهموم ! فكرت كثيرا حتى شعرت بأن الفكر قد تعب والنعاس قد استولى علي وعلائم النوم قد بدت ••• اسندت رأسى الى يدي ناظرا الى النهر وما وراءه من الاشجار والنخيل حتى داهمنى النوم ! ••• (١٠٢) ، ورؤيا الكاتب تأخذ سيرها الرفيق بعد هذا ، فلقد رأى نفسه على ضفاف نهر يجرى الهوينا بين حدائق الورد وبساتين النخيل • ولقد كان السكون سائدا والماء عذبا والنسيم عليلا والجو صافيا والليله مقمرة • فنظر خلفه فرأى شارعا واسعا مستقيما ، يخترق الحدائق والبساتين ، فمشى فيه حتى دخل مدينة عامرة ، قرأ على سورها ما معناه « ملكة آسيا » (١٠٣) • وفى تجواله بالمدينة يلتقى برجل يشفق عليه لغربته ، ويستعذب منطلقه فيقوم بإرشاده الى جميع ما تهم رؤيته من أقسام هذه المدينة العامرة • ويلاحظ هنا الشبه الكبير بين هذا وبين القصص الشعبي فى ألف ليلة وليلة • عندما يدخل العريب بلدا ، فيجد من يدلّه عليه ، ويتخذ هذا وسيلة لسرد المعلومات عن هذا البلد • ولعل لمقامات بديع الزمان الهمداني أيضا أثرا فى هذا فأكثرها تدور حوادثه فى بلاد غريبة تحتاج الى وصفها • ورمز البلد الغريب كرمز الرؤى وسيلة لدفع الشبهات فى النقد ، فى كل ادب معروف • ولكن عطاء أمين يتناوله بأسلوب شخصى فلنتبعه فى ذلك • لقد وصل به دليله الى الحدائق المعلقة التى بناها ملك المدينة لزوجه الماذية ، وكانت قد حنت الى جبال بلادها والبساتين المزروعة على تلك الجبال • فأمر بصنع تلك العجيبة • وقد أيقن حين رأى ذلك ، أن النساء محترمات هنا أيضا ، ولم يستطع

(١٠٢) المرجع السابق ص : ٣٧١-٣٧٢

(١٠٣) يأخذ الكاتب هنا بوصف المدينة وصفاً دقيقاً ، معدداً اسوارها ، ذاكراً ارتفاعها ، ويبدو انه استقى هذه المعلومات من كتب التاريخ لان المدينة التى يصفها كما سيكشف هي (بابل) •

ايقاف دمتين سقطنا على وجنتيه ، عندما تذكر حالة نساء بلاده « وما هن عليه من الجهل والذل والرق والبلاء »^(١٠٤) ، ويسأل عن ملك المدينة ، فيعلم انه نبوكد نصر بن بنو بولاصر الجليل ، فيدرك انه في بابل ام العجائب . فيطير به الفرح ويزداد تلهفه لاكتشاف عجائب هذه المدينة . ثم يسأل صاحبه عن الكاهن بيروس ، فيخبره انه في معبد الاله بل ، فيطلب منه ان يقوده الى ذلك المعبد . وحين وقف ينظر الى ذلك البرج العظيم قبل أن يدخل فيه قال : « ليت بلادي في القرن العشرين بعد الميلاد كبابل في القرن الثالث قبله »^(١٠٥) ، وحين دخلا المعبد سأل عن الاستاذ فقيل لهما ، انه في الطبقة العليا يصلي ، وطلب منهما أن ينتظرا في الطبقة السادسة . وفي الطبقة السادسة دخلا غرفة الانتظار ، وأخذا بالنظر الى السماء وصفائها . وبينما هما في هذه الحالة ، اذ سمعا اجهاشا وشهيقا ، تبعهما الحشرات والزفرات فأصاخا بسمعهما والتفتا الى جهة الصوت ، فرأيا فوقهما على شرفة المعبد رجلا جاثيا على ركبته ، يذرف دموعا حارة على وجنتيه ، ويخاطب ربه بصوت رخيم وقلب كسير . وبعد انتهاء الكاهن من دعائه ، يطلبان الاذن بالدخول عليه ، وحين يراهما يقوم من مقعده ويجلسهما على مقعد الى جواره ثم يسأله عن صحته وبلاده فيقول له : « ياسيدي ! أنا شاب من أهل القرن العشرين بعد المسيح ساكن في بلدة قديمة لا يخفى اسمها عليك - وبيدك مفاتيح الغيب ! أتيتك سائلا وفي نصيحتك راغبا ، والى كهانتك تائقا . فهل تفضل عليّ باخباري عما تعرفه في كتبك القديمة وأخبارك الحديثة عن مصير بلدتي العزيزة ؟ هل يمكن بعثها بعد موتها ورقبها بعد انحطاطها »^(١٠٦) .

ففكر الكاهن قليلا ثم قام وقاده الى غرفة مظلمة ، وقال له : « انظر أمامك الى تلك النافذة فسيمر منها « التاريخ العراقي » كما تمر الصور

(١٠٤) المرجع السابق ص : ٣٧٣

(١٠٥) المرجع السابق ص : ٣٧٤

(١٠٦) المرجع السابق العدد ٨ ص : ٣٨٩

المتحركة أمامك ...» (١٠٧) وحين نظر الى النافذة ، رأى تاريخ بلاده يمر
سريعا أمامه تتوالى الادوار التاريخية المختلفة ، حتى يرى أناسا يخططون
مدينة على شاطئ نهر قريب فصرخ : « سيدى ، سيدى ، هذه هي مدينتى
وهذه هي مدينة المنصور ، قد عرفتها وأنا أعلم بماضيها فهل تخبرنى عن
تاريخها المستقبل ، لأنك أعرف بشؤونه من كل انسان » (١٠٨) ويلبى الكاهن
طلبه ، فيقوده الى غرفة أخرى فيها طابوق مكتوب • ثم يخرج قطعة من
الطابوق المرتب ويقرأ فيها مدة طويلة ويحسب حسابا دقيقا ، وهو ينظر
تارة الى الحجارة وطورا الى السماء وآونة الى آلة كانت بيده ، ثم أفضى
بسوءته وعلى شفثيه ابتسامة الألم : « مسكينة أنت يا بغداد ! كم قد ذقت آلاما
وتجرعت سموما وصبرت تحت المعاول والسيوف ! كم قد دار عليك الزمان ،
فأراك من مصائبه ومتاعبه ماجعلك تئين تحت أثقاله وتستغيثين تحت آلامه !
لقد تلاعب بك الدهر تلاعب السبع بفريسته ، ومزقتك الأيام تمزيق الجاهل
أعظم كتاب ، وحطمتك الزمان تحطيم المتعصب أجمل تمثال ، وكسرك سوء
الحظ كسر التوحش آلات العلم الحديث ! أرى نجمك فى السماء سعيدا
وحظك على الأرض حسنا ومستقبلك فى عالم الغيب زاهرا ، ستعود اليك
أيامك الزاهية وستتالين شدتك السالفة وستكونين كما تريدن • ستعود اليك
الثروة والشرف والسلطان ويزول الفقر والذل والحسران وينتشر العلم
والأدب والعرفان وتكون بغداد لندن الثانية ••• ثم سكت وصاح ، ••• نعم •••
بشرط أن تسمعوا ، يا أهل بغداد ، نصيحتى » (١٠٩) فقال له : وما هي
نصيحتك يا سيدى • وعندئذ قاده الى غرفة أخرى وأخرج له بعض الاشياء
وقال : « اسمع يا ولدى هذه علبة فيها « بذور » باركتها الآلهة • وهذه كأس

(١٠٧) المرجع السابق ص : ٣٨٩ - ٣٩٠

(١٠٨) المرجع السابق ص : ٣٩٠

(١٠٩) المرجع السابق ص : ٣٩١

فيها (ماء) من مياه المعابد وهذه قطعة ثوب فيها (تراب) من ردهات الهياكل وهذه آلة تأمر الرياح بتسيير السفائن والمراكب وهذا كتاب فيه علوم الأولين والآخرين خذها بيدك وأهدها لأهل بلدك وقل لهم هذا هو دواؤكم ، (١١٠) .

والرموز التي يذكرها الكاهن كوسائل لرقى العراق واضحة الدلائل .

فالبذور والماء والتراب تشير الى ضرورة الاهتمام بالزراعة وترقيتها . والآلة التي تأمر الرياح بتسيير السفائن والمراكب ترمز الى الصناعة . والكتب الذي فيه علوم الأولين والآخرين رمز للثقافة والمعرفة التي بها يزول الجهل ويسود العرفان . ورغم ما في هذه الحلول من تعميم وسذاجة سنرى تأكيدا لها في الرواية الايقاظية لسليمان فيضي ، الا أنها تؤكد أن الفكر العراقي ، قد تفتح على مظاهر الاشياء دون أن ينفذ أو يتعرف على واقعها . ولعل مقياس التقدم الذي يراه ، جاء من هذه النظرة التي ألقاها الى الغرب ، فبهره ما شاهد من تطور زراعي وصناعي وثقافي ، دون أن يعرف طبيعة التناقضات الهائلة التي يحملها هذا التطور في جسم المجتمع ، وأنه لم يكن وحده الوسيلة للنهوض الاجتماعي .

ولعل كاتب الرؤيا الأخيرة (١١١) ، التي نشرتها جريدة العراق بعنوان « وقفة على ديالى وحديث مع فنوس » على انها من القصص القيمة ذات المغزى والتي ترتاح لها قلوب المطالعين (١١٢) . هو عطاء أمين ، وان اتخذ له اسما مستعارا هو عراقي أمين ، لظروف خاصة محيطة به . فهي تطلعات قومية تسعى الى تذكير العراق بعرويته ، في وقت اقتضت فيه مصالح الاستعمار الانكليزي ، تثبيت التجزئة بين الأقطار العربية . وتؤكد هذه

(١١٠) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(١١١) هناك رؤيا أخرى تسبق هذه الرؤيا لم نجد ضرورة التعرض لها .

نشرتها مجلة اللسان بعنوان : « سياحة الفكر » في الجزء الخامس .

المجلد الأول سنة ١٣٢٨ ص : ١٣٩ .

(١١٢) العراق - العدد ٢٨٣ السنة ١ - ١٩٢١

الرؤيا ظاهرة استخدام الرمز في هذه القصص البدائية الأولى . وتبرز فيها مقدره الكاتب الاسلوبية ، وابتعاده عن ذكر هذه الحلول التي كانت تطرح بشكل ساذج في الرؤى السابقة . ومضمونها : أن شابا يسير على ضفة نهر ديبالى يناغى الطبيعة ويناجيها ويتأسف على البؤس والبؤساء . ثم يحس بالتعب فيقعد على صخرة ليريح جسده ، فيداهمه النعاس ، ويجد نفسه أمام لجة بحر زاخر يأخذ بمخاطبته عله يأتيه بفنوس ، وبينما هو كذلك اذا بنور ينشق عن البحر ويمتد واسعا ، وفي وسط هذا النور يرى فينوس ، فيفضي لها بأحزانه . ويحكى لها عن حبيته الأميرة الجميلة التي لم تكن تعرف الأحزان ، وكانت تعيش في بيت أبويها كأسعد مخلوق ، تناجى الشمس والزهور ، ولم تسقط من عينيها دمعاة ، ولذلك لم يكن بمقدورها أن تتصور أن فى الارض بؤساً أو بؤساء . ثم دار الزمن دورته ، واذا بفارسى يهاجمها ويقتل أباه وبقية عائلتها ، ويراودها عن نفسها ، فتمتتع عليه ، فيسجنها فى سجن ليس فيه غير كوة صغيرة تطل منها الى الشمس والنهر . ومنذ تلك اللحظة عرفت الشقاء ، وأخذت الدموع تنهمر من عينيها مدرارا . . .

وحين يتقدم الزمن يهاجم الفارسى مقدونى لايلبث غير زمن قصير حتى يموت غير مأسوف عليه ، فيعود الفارسى اليها . وبينما هى فى سجنها يوما حلدت بشاب عربى جميل ، وفى الصباح أطلت من كوتها عبر النهر ، فرأت الشاب ذاته ممتطيا سهوة جواده العربى فأحبتة منذ الساعة الاولى ، ونادته مستجيرة به فانقذها وتزوجها وعاشا أسعد زوجين . لقد عوضها عن كل شىء ، ووجدت فى كنفه سعادة لم تذوقها عند أبويها . واذا مرت القرون هرم هذا الشاب فلم يعد يقوى على دفاع . فهاجمه مغولى وأسر فتاته الجميلة وأرادها لنفسه . ولكنها أبت . ولما رأى الفارسى ضعف المغولى وعدم ميل الفتاة اليه زحف اليها خاطبا ودها ولكنها نفرت منه ، حتى هجم عليها رجل تركى ، حافظ عليها مدة من الزمن ولم يستفد شيئا منها . وهذه هى الآن

« نراها صامته تذكر أيام صباوتها وحياتها الاولى مع أبويها ، ثم أيام يؤسها
وتسقاتها مع أعدائها ، ثم أيام حبها وسعادتها مع « حبيبها الوحيد » ثم أيام
بؤسها وشقاتها الثانية مع غرمائها الآخرين ، فتصرخ من شدة الحزن وتحاول
أن ترمى بنفسها الى دجلة لعلها تخلص من آلام هذه الحياة ! الا أنها كانت تسمع
هاتفا في ظلمة الليل يهتف في أذنيها قائلا : « احفظي حياتك لحبيك فانه
ملافيك » (١١٣) وعلى الضفة الأخرى من النهر يقف حبيبها صامتا باكياً
جائياً لا يعرف الطريق اليها .

وتسأل فينوس الشاب عن قصده من سرد هذه الحكاية ، فيقول لها
أريد ان ترحمي تلك الفتاة ، وتردى اليها حبيبها . فتطمئنه أنها ستدعو
ولدها كيوييد ، لكي يأمر بوصول هذين الحبيين . ثم قبلته قبلة دامت عدة
نوان ، ثم طارت بين الغيوم . و « هنالك رجع الشاب الى نفسه ونظر الى
ما حوله فرأى المنظر القديم بعينه الا هلال شعبان ، فقال « ياليت قومي
يعلمون » (١١٤) .

ويبدو أن هذه الرؤيا قد تركت أثرها . فاننا نجد ، المحامي آكوب
كبرئيل ينشر بعد سبع سنوات قصة طويلة أو رواية بعنوان « عجائب الزمان
في صرح عروس البلدان » تأخذ رموز هذه الرؤيا وتستعير أحداثها حتى
ليلوح أن كاتب الرواية الأخيرة مقتبس أكثر منه مبدعاً . وعلى أي حال فإن
الفصص في الأدب العراقي الحديث يتخذ شكلاً آخر بعد هذه الرؤيا أكثر
اقتراباً من الفصص المعروف في الأدب العربي آنذاك ، ويضرب صفحاً عن
هذا الشكل البدائي ويخطط طريق تطوره بشكل تدريجي سنحاول أن نفضله
في الباب التالي .

(١١٣) المرجع السابق - العدد : ٢٩٠

(١١٤) المرجع السابق - العدد : ٢٩١ .

ويعتبر سليمان فيضي الموصلى أول من حاول الكتابة في القصة الطويلة (الرواية) في الأدب العراقي الحديث . فقد نشر عام ١٩١٩ ، روايته « الرواية الايقاظية » وطبعها بمطبعة الحكومة في البصرة ، وصنمها بقوله « وهي رواية أدبية انتقادية أخلاقية فكاهية ذات ٢٠ فصلا » . ولم يكن من هدف الكاتب أن يكتب رواية ، بالمعنى المعروف للرواية ، بالقدر الذي كان يستهدف منه نشر آرائه الاصلاحية التي آمن بها وسعى لبثها منذ اعلان الدستور عام ١٩٠٨ ، بواسطة جريدته الايقاظ التي كان يصدرها في انبصرة . وهذا واضح من عنوانها . ولذلك خلت من كثير من مقومات القصة ، واختلطت الى حد كبير بالمسرحية الثرية ، حتى اعتبرها بعض الباحثين من العمل المسرحي . فقد ادرجها جميل سعيد في فصل المسرحية الثرية . واعتبرها مسرحية ، وتناولها بالبحث على أنها كذلك . كما أنه يذكر من عيوبها كمسرحية أنها « كتبت لتقرأ ، ولم تكتب لتمثل ، لأن المؤلف قسمها الى عشرين فصلا ، وليس من السهولة تهيئة المسرح ، وانتظار النظارة على هذا النحو » (١١٥) واختلط الأمر على عبدالقادر حسن أمين فخذه التعبير الدقيق فذكر : « وتعتبر مسرحيته المسماة الرواية الايقاظية من أقدم القصص في العراق » (١١٦) واضطراب التعبير هنا أتى ، في رأينا ، من هذا الشكل الخاص الذي صاغ به سليمان فيضي روايته . كما أن جعفر الحليلي قدمها بقوله « وعلى أن سليمان فيضي لم يكتب غير قصة مسرحية واحدة هي « الرواية الايقاظية » التي طبعها بمطبعة الحكومة في البصرة سنة ١٩١٩ والتي كانت على نمط المسرحيات التي كانت توضع في ذلك العصر باللغة التركية ،

(١١٥) نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق . ص : ٥٤

(١١٦) القصص في الادب العراقي الحديث . ص : ٣٧

والفارسية للمدارس العثمانية والایرانية (١١٧) •

والواقع ان المؤلف كان في تفكيره أن يضع هذه الرواية لتكون صالحة للتمثيل والقراءة معا • وقد أفصح عن غرضه هذا بشكل واضح في المقدمة المسجوعة التي كتبها لهذه الرواية • فقد ذكر في مقدمته « في فجر الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول سنة ١٣٣٦ هجرية المصادفة لولادة فخر الكائنات وأشرف المخلوقات من اختصه الخلاق لاكمال مكارم الاخلاق ، إذ رأيت في منامي كأنني في محفل عظيم مزدحم بخيرة الرجال أشبه بالانتظام (بسينما عال العال) له ستة أبواب وفيه غرف ومحراب فجرى تشخيص هذه الرواية من قبل نبلاء الرجال وصرت أصيبو الى ما قيل أكثر من التفاني الى من قال والتقط المعاني والألفاظ كأنني في سوق عكاظ وكانت الموسيقى تعزف أثناء العرض بما تضمنته الرواية من الألحان فتارة بالمسرات وطورا في الأحزان هذا وان القوم صامتون متأملون فأحيانا يضحكون ، وأنا يكون وعند النهاية أي بعد ختام الرواية قام من بينهم رجل جهوري الصوت طلق اللسان حسن القامة ثابت الجنان وخطب في موضوع الرواية وأوضح ما فيها من غاية فأعجب بفصاحته الحضار وطرب ببلاغته الزوار وكثر عندها تصفيق الاستحسان وعلت أصوات القوم بآيات الشكر والامتنان ثم أوعز اليّ بأن أكون خطيبا فامتثلت أمره لكنني تلغمت حيث كان الموقف رهيبا وبينما أنا كذلك إذ أيقظني هاتف يسمى (الايقاظ) وقال لي قم فانك في مرقد بني تميم لا في (سوق عكاظ) وسارع الى تسطير ما رأيت في المنام وانشره على مسامع القوم الكرام لعلهم من غفلتهم ينتبهون أو يتأملون ويفقهون فقامت مرعوبا والفؤاد مندهش وتناولت القلم والأنامل ترتعش وأدنت المداد والقرطاس وهو اجسى تضرب أخماسا بأسداس ثم شرعت في التسطير وعلى القراء التفسير راجيا أن تكون خيرا رؤيا رؤيت والطف رواية رويت وأن

(١١٧) القصة العراقية قديما وحديثا • ص : ١٦٨

يُشْفَعُ بِهَا بِنُو الْوَطْنِ وَاللَّهِ هُوَ الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ فِيمَا ظَهَرَ وَبَطُنَ وَالسَّلَامُ عَلَى الْقَارِئِينَ وَالتَّحِيَّاتُ لِلْمَشْخُصِينَ وَالاحْتِرَامُ لِلصَّاعِغِينَ وَالْفَخْرُ الْمَتَّبِعِينَ وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْآبَاءِ الْمُحْسِنِينَ « (١١٨) .

وأهمية هذه المقدمة - التي نقلناها - لا تأتي من كونها تقرر أن المؤلف قد صاغ روايته هذه لكي تقرأ وتمثل أيضا ، فقد رآها تشخص أمامه ، ولم يكن غير مسجل لما رأى ، كما أنه يخص بالسلام القارئ والتحيات للمشخصين ، ولكنها أيضا تفصح عن هدفه ، فلم تكن الأحداث فيها هامة في نظره بقدر المعاني ، التي وردت فيها ، وصرت أصبو إلى ما قيل أكثر من التفاني إلى من قال ، (١١٩) . كما أن المؤلف في هذه المقدمة يربط روايته بقصص الرؤيا بشكل مباشر ، فقد رأى أحداث الرواية كحلم وقد أوعز له هاتف بأن يسجل ما رآه في المنام وينشره على مسامع القوم « لعلهم من غفلتهم يتبهون أو يتأملون ويفقهون » (١٢٠) . وإذا كان المؤلف لا يذكر شيئا عن الحلم في فصول الرواية المتعددة ، فذلك لانه اتخذ الرؤيا كواسطة ينفذ من خلالها إلى ما يريد تبيانه ، بحكم شيوع هذا اللون من القصص في زمنه . ولم يعد إلى ذكر الحلم والأحلام ، خلال فصول الرواية ، لعدم حاجته إلى ذلك ، ولاستقطاب موضوع الرواية بعد البداية لكل اهتمامه .

وهذه الرواية من نمط الروايات التعليمية ، ولذلك فهي تتميز بما تتميز به الروايات التعليمية من عدم الاهتمام بالعناصر الروائية حرصا على هدفها التعليمي (١٢١) ، واختفاء العنصر الغرامي والتشويق . واختفاء العنصر الغرامي والتشويق « ظواهر تتميز بها الرواية التعليمية بصورة خاصة » (١٢٢)

(١١٨) الرواية الايقاظية . المقدمة ص : ٢-٣ .

(١١٩) ص : ٢ . من المقدمة

(١٢٠) ص : ٣ . من المقدمة

(١٢١) تطور الرواية العربية الحديثة ص : ٥٤

(١٢٢) المرجع السابق . ص : ٦٦

وأنها كانت نتيجة مباشرة لاحتياجات البيئة وظروفها ، وانها لم تتأثر الا بالنوع
المماثل لها من الروايات الاجنبية أو الرسائل والمقالات الادبية التي كانت
تعتمد على الخيال درءاً لجبروت السلطات . ذلك أنها لم تقصد الى تقديم رواية
بالمعنى الكامل ، وانما قصدت التعليم والنقد الاجتماعي .

والواقع ان حياة المؤلف الصاخبة خلال هذه الفترة ، وطبيعة ثقافة
عصره تجعله أبعد الناس عن تمثيل العمل الروائي وتفهمه . وهذا يفسر
لنا عدم اهتمام المؤلف بها واعتبارها عملاً عارضاً في حياته . ففي مذكراته التي
نشرت عام ١٩٥٢ بعد وفاته بعام ، لا يرد اسم الرواية الايقاظية الا في موضع
واحد وبشكل عابر (١٢٣) .

على أننا مع ذلك نلاحظ ان بناءها الفني يأخذ شكلين متميزين ، شكل
يختلط الى حد كبير بالمسرحية الثرية ، وهو الذي يروي فيه المؤلف قصة ولد
صغير أطلق عليه اسم باقل ، كان ابناً لأحد أغنياء التجار الجهلاء ، الذين
يرون في التعلم مجلبة للمرض والأذى ، فصرف ابنه عنه . ثم سعى الى
انقاذه من مهاوي الجهل صديق له اسمه خضر . ولكنه لا يلاقى منه في
البداية غير الاعراض والسخرية وبعد أن ينجح في اقناعه ، يستعين بشخص
أطلق عليه المؤلف اسم الموقظ ، لاقتناع الأب الجاهل بأهمية المدرسة والتعليم
فيوفق هذا في مسعاه بالرغم من محاولات أصدقاء الأب من الجهلاء ، لثنى
الأب عن قراره . ويتعلق باقل بالمدرسة ، فيصبح اسمه سعيداً ، ويكمل
دراسته ويصبح طبيباً . بينما صديقه وناصحه القديم خضر يحصل على شهادة
التخصص في الفنون الصناعية والكيمائية . ويوفق سعيد في حياته توفيقاً
كبيراً ، ويكون سبباً لانقاذ والده الذي ينكب بتجارته ، ويخسر أمواله . وفي
هذا القسم من الرواية يصور المؤلف ما آل اليه أبناء اصدقاء الأب من التجار
الجهلاء الذين وقفوا يوماً ناصحين لكي يصرف ابنه عن التعليم . فتركوا

(١٢٣) في غمرة النضال . ص : ٢٣٧

أبناءهم بلا تعليم فانساقوا وراء الفجور والدعارة فحطمتهم الأيام وأجهزوا على نراتهم فلم يبق لديهم غير المرض والفقر .

وهذا القسم من الرواية هو الذى يختلط - كما قلنا - بالمرحلية الثرية ، يأخذ فيه الحوار المسرحى بين شخص الرواية الطابع العام لسنجها . ومن عيوبه أن فصوله قصيرة وعديدة ، بحيث يتعذر معه تهيشة المسرح ، وانتظار النظارة . كما ان عنصر الحركة مفقود تماما ، لما يستهدفه المؤلف من محاولة لتشخيص العيوب الاجتماعية والدعوة لاصلاحها بشكل مباشر وكل ذلك معتمد على الحوار المباشر ، وأفكار المؤلف التى يطرحها فى هذا القسم من الرواية بسيطة ساذجة ، وهى فى مجملها دعوة للتعليم وتبيان أهمية العلم ، ونصائح تدعو لتجنب بعض العادات التى يرى المؤلف أنه من الضرورى أن يجتنبها المجتمع القويم ، كلعب القمار ، والدعارة والبصاق على الأرض وغيرها . وليس لنا أن نناقش المؤلف فى أفكاره هذه وأهميتها ، فهى مرهونة بمستوى ثقافته ، وثقافة عصره ، ولعل المجتمع العراقى كان فى فى أمس الحاجة لمثل هذه التوجيهات الاجتماعية ، بعد هذه السنوات الطويلة من الجهل والتأخر المميت . وهذا يفسر سبب تلقف المدارس الحكومية فى عهد الاحتلال البريطانى وما بعده لهذه الرواية ، التى ظلوا يمثلون بعض فصولها لزمان طويل بعد نشرها . كما أن عددا كبيرا من مؤلفى المسرحيات المدرسية من المعلمين ظلوا يحتذونها فى تأليفهم^(١٢٤) . ومن هنا يمكن القول ان الرواية الايقاظية أكثر تأثيرا فى المسرحية فى الادب العراقى الحديث منها فى القصة أو الرواية . ذلك لان المؤثرات التى حددت سير الادب العراقى الحديث ، بعد الحرب الاولى ، والقصة بصورة خاصة ، تعددت وتنوعت حتى اصبحت الرواية الايقاظية بالقياس لما يقع بين يدي

(١٢٤) القصة العراقية قديما وحديثا . ص : ١٧٠

المثقفين من قصص ، عملا باردا غثا لا غناء فيه ، ولم يكن لهم أن يحتذوه بعد أن تعرفوا على غناء العمل القصصي من روافد أكثر ثراء .

على أن هذا لا يعنى أن هذا القسم من الرواية الذى يصطبغ بالصبغة المسرحية قد توفرت له الصياغة المسرحية بدقة ، فان طابع السرد القصصي يغلب على أسلوب المؤلف فى بداية الفصول بصورة خاصة ويفيض المؤلف فى مداخل هذه الفصول فى الشروح والتعليقات التى يريد أن يوصلها للقارىء . ولا يمكن لهذه الفصول ان تصلح للتمثيل الا بعد اجراء تغييرات ضرورية عليها تفسح المجال أمام فنون المسرح ان تأخذ دورها فى تكوين المسرحية الفنى من أداء الى اخراج الى حركة . . الخ . .

ولا تتناول جوهرها . وهو امر لا بد أن مخرجى هذه الرواية قد اقدموا عليه قبل أن يعرضوها للنظارة . كما ينبغى الاشارة الى أن الرواية الايقاظية فى هذا القسم ككل لا تصلح للتمثيل ، وفى رأينا أن ما مثل منها هو بعض فصولها التى تركز على أهمية التعليم والعلم . لما فيه من طرافة أسلوبية ، ومفارقات وتعليقات عديدة يعتمدها المؤلف ، تثير السامع وتسره . وليس ذلك يضير الرواية . فان تغييرات بسيطة ، يمكن ان تجعل من الفصل الواحد مشهدا تمثيليا متكاملا .

أما الشكل الثانى ، وهو الذى يكون قسم الرواية الثانى ، فيحكى المغامرة التى خاضها سعيد لانقاذ صديقه خضر . ويبدو أن الذى ساق المؤلف الى كتابة هذا القسم ، الذى يختلف بنسجه اختلافا كليا عن قسم الرواية الاول ، هو ما أحسه من ضرورة أن يفى سعيد بعض ما لصديقه الصدوق خضر من فضل عليه . لذلك رتب مغامرة مضحكة وساذجة لخضر يتورط من جرائها بمشكلة كادت تودى بحياته . فخضر يذهب الى الجبشة لاكتشاف معدن ثمين . ولكن حكومة الجبشة تشك فى امره ، وتلقى القبض عليه ، نتيجة وشاية خادم له ، ثم تحكم عليه بالموت . فيسافر سعيد الى الجبشة ويستطيع أن ينقذ صديقه من الموت ، لانه وفق فى انقاذ وزير الجبشة الاكبر

من مرض وبيل عجز أطباء بلاده عن معرفته . وطابع المغامرة التي يسردها المؤلف في هذا القسم واتساع الرقعة المكانية التي تجرى فيها أحداثها ، جعل هذا القسم أدخل في الرواية ، وان كان يشوبه التفكك ، لما يتصف به من افتعال ، أفقده عنصر الصدق الفني . ويغلب على أسلوب المؤلف هنا طابع السرد والتقارير ، الا أنه خال من اي جمال أسلوبى ، اذ أنه أسلوب مباشر يحاول المؤلف أن ينفذ به الى غايته دون تزويق أو جهد ويشف عن احتذاء واضح لاساليب القصص العربية الشعبية مما سنوضحه .

ولقد أشرنا ، فيما سبق ، الى أن المؤلف قد وطأ لروايته بمقدمة أوضح فيها أن أحداثها ، انما هي حلم رآه في نومه ، وهو مسجل لما رأى . ولذلك لا نستطيع أن نغفل تأثير قصص الرؤيا على المؤلف ، في اختيار اطار روايته ، مهما تكن درجة هذا التأثير ، وحق لنا أن نعتبر الرواية الايقاظية امتدادا لهذا اللون من القصص وتطويرا له في وقت واحد . واذا كان المؤلف لم يخرج في روايته عن الاغراض الاجتماعية التي عاجلتها قصص الرؤيا ، الا أن روايته قد عملت على نقل قصص الرؤيا من اطار القصص القصيرة ، الى نطاق الرواية ، كما أنها الصق بالبيئة وحياة الناس من قصص الرؤيا التي كانت تستر ، في أكثر الاحيان ، بالرموز البعيدة فتحتاج الى مستوى ثقافى معين لفهمها وبذلك كانت الرواية الايقاظية اكثر توفيقا في أن توصل للناس ما يتبعيه وتؤدي غرضها بالتالى ، الذى كتبت من أجله ، وتكون عاملا من العوامل التي كان لها تأثير غير قليل في تحبيب القصة للقراء^(١٢٥) . ومن هنا يكتسب عمل المؤلف اذا قورن بظروفه أهمية خاصة .

وليس من شك أن شيوع التأليف المسرحية ، وانتشارها في العراق منذ زمن مبكر ، يكفى لتفسير الشكل المسرحى ، الذى صبغ روايته . ورغم أن المؤلف قد سافر الى استانبول وتخرج فى كليتها ، الا أن المؤثرات التي

(١٢٥) القصة العراقية قديماً وحديثاً ص : ١٧١

حددت صياغته للعبارة القصصية تتصل اتصالا مباشرا ، بأساليب القصص الشعبي ، وخصوصا ألف ليلة وليلة ، وليس هناك ما يشير الى تعرف المؤلف على القصص الاوربية^(١٢٦) ، والرواية تكثر فيها الادلة على هذا الزعم . فبالإضافة الى حشد المؤلف روايته بالشعر الذي يعلق به على ما يريد قوله ، نرى أن بعض خصائص ألف ليلة وليلة الاسلوبية تكشف عن نفسها للقارىء بيسر . ومن ذلك ان الموقف وهو أحد شخوص الرواية الرئيسة يقول لابي ناقل - أبو سعيد فيما بعد - وهو يوضح له نتائج تربية أم جاهلة لابنها : « اذا أودعت تربية الولد لارادتها يكون كحالة عزيز مادر .. فيسأله أبو ناقل : وما هي قصة عزيز مادر^(١٢٧) ؟ .. فيأخذ الموقف بقص قصته . ولا يخفى أن هذه احدى الوسائل البارزة التي تفرع بها القصص فى ألف ليلة وليلة ، وهو من تأثيرات القصص الهندى فيها . ومن ذلك أيضا « هذا ما كان من أمر باقل وأما ما كان من أمر والده فانه رق قلبه واغرورقت عيناه بالدموع .. الخ^(١٢٨) » ، وأيضا « هذا ما كان من أمر المجلس وأما خضر ويقظان فأنهما قدما فى أول الليل لزيارة صديقهما^(١٢٩) » . وفى مشهد اطلاق سراح خضر يصور المؤلف الموقف بقوله « بأمر المدير فتح السجنان الباب فدخلا الغرفة وهى مظلمة فأمر المدير باحضار سراج . هذا ما كان من أمرهما وأما ما كان من أمر خضر فانه حينما أحس بافتتاح الباب اعترته

(١٢٦) واذا كان صحيحا ما يذكره جعفر الخليلى فى كتابه القصة العراقية . ص : ١٦٨ أنها « كانت على نمط المسرحيات التى كانت توضع فى ذلك العصر باللغة التركية والفارسية للمدارس العثمانية والایرانية » فانه لاينفى ما ذهبنا اليه من ان المؤلف لم يكن مطلعاً على القصص الأوربي مباشرة .

(١٢٧) الرواية الايقاظية ص : ٥٤

(١٢٨) المرجع السابق ص : ٦٢

(١٢٩) المرجع السابق ص : ٦٦

الدهشة... (١٣٠) ، وحين يأتي خبر التهام الحريق لممتلكات الاب ، وغرق السفن التي تحمل بضائعه ، يصور المؤلف تأثير الخبر على الاب ، بعبارات تكاد تكون منقولة عن ألف ليلة وليلة « قبل ان يتم سعيد عبارة البرقية الثانية أغمى على أبيه من شدة الحزن فقام سعيد ورش على وجهه الماء فأفاق وأخذ بالبكاء والضرب على رأسه وتنف لحيته التي ابتلت بالدموع (١٣١) ، كما يلاحظ أن تصور المؤلف للطائرة التي استقلها سعيد الى الحبشة، يدل على جهله بها واختلاط صورتها في ذهنه بصورة الفرس الطائر وغيره مما يملك قدرة الطيران في الف ليلة وليلة (١٣٢) . ولعل فيما قدمنا الدليل الواضح على أثر ألف ليلة وليلة في أسلوب المؤلف .

ولقد قلنا سابقا ان الرواية الايقاظية من الروايات التعليمية ، لذلك افتقدت عنصر الغرام والتشويق . واذا كان المؤلف قد ألحق بالرواية فصولا يغلب عليها طابع المغامرة ، فما ذلك الا لكي يدل على أمر أخلاقي يعزز به من الغاية التي كتب الرواية من أجلها ، وهو جزاء الاحسان بالاحسان . لقد دفع خضر سعيدا في طريق العلم والعرفان ، فأثقفه من مهاوى الجهل واحله في مركز اجتهدي يحسد عليه ، ولا بد لهذا الدين الثقيل في عنق سعيد ، من وفاء . لذلك اصبحت شخص الرواية عبارة عن نماذج مسطحة يلقى بواسطتها المؤلف ما يريد قوله ، وليس لاحد منها ما يميزه عن غيره ، الا المواقف الخاصة التي وضعهم المؤلف فيها ، وهي مواقف كانت مرسومة في ذهن المؤلف مسبقا . وقد اختار لكل شخص من شخص الرواية اسما ، ينطبق مع موقفه الخاص في الرواية . فباقل الجاهل يصبح اسمه سعيدا في اللحظة التي يسلك فيها طريق العلم . وكلا التسميتين

(١٣٠) المرجع السابق ص : ١٣٠

(١٣١) المرجع السابق ص : ٨٩

(١٣٢) تلاحظ ص : ١٢٠ من الرواية .

لها دلالتها ، فباقل في الامثل رمز للعي والفهاة ، وهو سعيد بعد ذلك ، لانه وفق ، في اختيار طريق حياته في الوقت المناسب . ويقظان شخصية نالسة ليس لها من دور الا التعليق على موقف باقل أثناء محاجته لخضر أو موقف أبيه ، تعليق يقظ يمثل الوعي من الموقف الذي يريد رسمه المؤلف ، وتسحب من الرواية حالما ينجح خضر في اقناع باقل وأبيه بصحة موقفه . أما الموقظ فهو شخصية الوعي الكبير الذي نذر نفسه لاقناع الجهلاء من القوم بالطريق الذي عليهم أن يسلكوه . وغير بعيد عن الصحة القول ، انه اختار اسما مضحكة لشخصيات الجهلاء من أصدقاء الاب فهم «أبوعنجورة» و «ابو زرور» و «أبو ذبابة» و «أبو جريدة» ، ولم يكن واقمهم الحياتي الخاص بمختلف كبير اختلاف عن اسمائهم . لقد اصطنع المؤلف اذن شخصو روايته لكي تصور الافكار التعليمية التي يريد بثها ، لذلك وقع فيما يجب أن يقع فيه ، وهو ايراد الاقوال المتناقضة على لسان الشخص الواحد . وخير دليل على ذلك هو موقف الاب في نهاية الرواية ، فالاب يشكل شخصية الرجل الجاهل المعتز بشروته . ولقد وقف في البداية معارضا لتعليم ابنه وقد وافق على تعليمه بعد جهود بذلها الموقظ لاقناعه ، ولكنه سرعان ما يرجع الى موقفه الجاهل الاول ، لمجرد أن رأى أصدقاءه من الجهلاء لا يقرون موقفه هذا . هذا الاب نفسه ، في ساعة احتضاره ، يجري المؤلف على لسانه وصايا العشر التي يختم بها روايته . وهي وصايا لم تكن لتجول في ذهن أحد غير المؤلف وتفصح عن نظرة اصلاحية واسعة تناول جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية واللغوية والقومية للمجتمع .

وقبل أن نختم القول في الرواية الايقاظية نرى أن نشير الى ناحية هامة فيها ، فقد راعى المؤلف ناحية دقيقة في روايته لا تزال موضع جدل ونقاش الى اليوم ، ولم يستقر الامر فيها على حال ، ألا وهي مشكلة اللغة في الحوار . فانه في سبيل أن يجعل روايته صورة صادقة للحياة ، وأقرب

الى نفوس قرائه ، وبذلك يقترب من هدفه التعليمي الخاص الذي كتب روايته من أجله ، أجرى الحوار بما يناسب شخصه . فقد اتخذ العامية لغة لشخصياته الجاهلة غير المتعلمة . بينما أجرى الفصح على لسان من هو مثقف منهم . ولعل الطرافة في الامر تأتي من أن سليمان فيضى ، وقف في روايته هذه موقفا خاصا ، لن نلمس له أثرا في مجموع النتاج القصصي في العراق بين الحربين . فلم نعر على عمل قصصي واحد استخدم العامية لغة لحواره . اللهم الا بضع محاولات معدودة ، لا تحدد اتجاهها . وجل ما وجدناه في هذه القصص التي كتبت بين الحربين بعض الالفاظ أو التعابير العامية التي يوردها المؤلف على لسان أبطاله لأنها أنسب للتعبير عما يريد ، مما سنفصله في الباب التالي . وهذه العامية في الحوار لم يستخدمها القصاصون في العراق استخدما واسعا الا بعد الحرب العالمية الثانية حين تهاها لجيل الشباب من الكتاب أن يطلع على المدارس الادبية الحديثة في القصة بشكل مباشر . فبرزت العامية لغة للحوار في عدد كبير من القصص التي تنحو نحو واقعا .

٩

ولم تقتصر المحاولات البدائية الاولى في القصة العراقية ، على قصص الرؤيا وحدها . فان التطور الذي شفت عنه المحاولات الاخيرة في قصص الرؤيا قد قاد أحد كتابها ، الى أن يكتب قصتين خرج بهما عن اطار قصص الرؤيا . واتجه نحو الحياة فعرض صوراً منها بشكل مباشر . وهاتان القصتان تعبران عن محاولة فردية خاصة ، رائدة ، وتميز عن جميع المحاولات التي كتبت في زمنها ، ولفترة طويلة نسبيا بعدها ، في أنها تحاول أن تختط طريقا خاصا بها ، وكان « القصد من عرضها على مسامع القراء مع ما فيها من الآلام والاحزان - هو الاطلاع على ما في زوايا القلوب من الصور

المختلفة والحوادث المضحكة أو المبكية والعبر التي يتقبلها الناس ، في بطون الكتب فلا يجدونها الا في الاختلاط بجميع طبقات الناس ودرس أحوالهم وافكارهم^(١٣٣) ، وهذا الاتجاه نحو الحياة والادراك المبكر لاهمية ان تستمد القصة مادتها القصصية من الحياة المعاشة ، فتدملط الاضواء على الانسان المررد الذي يعيش الحاضر تؤكد الكلمات التالية : « واني ليخزنني أن أرى الناس جميعا يهتمون بتواريخ العظماء والخروب - مما لا يهم الكثير منهم - ولا يهتمون بما في القلوب من الحوادث والاحبار ، مما يهمهم جميعا^(١٣٤) . » واتجاه الكاتب هذا ، يشتف عن نضج فردي ، امتلك نظرة خاصة جنيته التأثير بروايات الغرام والمغامرات التي أغرقت سوق الادب بعد الحرب الاولى ، وحددت بالتالي اتجاه القصة العراقية على نحو جديد . ومما يؤسف له أن هذه الصرخة المبكرة قد بددتها الايام ، فلم تؤثر في اتجاه القصة العراقية في زمنها . بل انني لم أجد أحدا يعرف كاتبها أو يشير اليه ممن أرخ للقصة العراقية في كتاب أو مقالة .

وكاتب هاتين القصتين هو عطاء أمين ، الذي تعرفنا عليه باعتباره أحد كتاب قصص الرؤيا الذي دفع بهذا اللون من القصص الى قمة تطوره ، وأعطاه بعض الملامح الحية ، والتعابير القصصية . ولا نعرف عن هذا الكاتب شيئا سوى أنه كان أحد طلاب مدرسة الحقوق في بغداد وأنه كان في الصف الثاني في السنة الدراسية ١٩٢٠-١٩٢١^(١٣٥) وأنه « كاتب يعد من الطبقة العالية من كتاب العراق . وله مقالات نفيسة نشرت على صفحات الجرائد والمجلات ، وأشدّها تأثيرا في النفوس هي (الرؤيا) المنشورة في وضعية

(١٣٣) مجلة دار السلام - العدد ١ - المجلد ٣ - السنة ٣-٢ - ١٩٢٠
ص : ٣

(١٣٤) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(١٣٥) في غمرة النضال ص : ٢٤٢

دار السلام ، وهو حسن الحُصَال ، حميد الصفات طيب السيرة^(١٣٦) ، وأنه اتجه بعد تخرجه في مدرسة الحقوق الى الوظائف المدنية واشتغل في سلك الخدمة الخارجية^(١٣٧) ، حتى أنه أصبح وزيرا مفوضا في عام ١٩٥٠ أو ١٩٥١ كما يذكر سليمان فيضي^(١٣٨) .

والقصة الاولى نشرها في مجلة دار السلام بعنوان « لوحة من ألواح الدهر أو فصل من رواية الحياة^(١٣٩) » . والثانية نشرها في المجلة ذاتها بعنوان « عاقبة الحياة^(١٤٠) » . وتشترك القصتان في الشكل المسرحي الذي اتخذهُ المؤلف اطارا يعرض من خلاله مضمون قصتيه . واذا كان هذا الشكل يتضح في القصة الثانية على نحو أوضح ، اذ قسمها الى أربعة مناظر . وجعل مكان الحدث قطاعا صغيرا ، هو غرفة في ثلاثة من هذه المناظر ، وساحة حرب في منظر واحد ، فان هذا الشكل المسرحي يتجلى أيضا في مدخل القصة الاولى . « غرفة واسعة في قصر شاهق ، مبلطة بالرخام الابيض اللامع ومصبوغة بالاصباغ الحديثة الزاهرة . . ثلة من المرضى على أسرتهِم مستلقون ، وهم يئنون أو يتأوهون منهم من يصرخ ويستغيث ، ومنهم من يتقلب على جمر المرض وما له من ولي ولا نصير^(١٤١) » . ويبدو ان التجاه الكاتب الى هذا الشكل المسرحي مدخلا او اطارا يعرض به مضمون قصتيه ، انما كان بسبب كونه يكتب في شكل جديد . ولم يكن لديه من النماذج القصصية القصيرة ما يصلح أن يكون نموذجا ، ينهج نهجه . وجل ما كان أمامه من النماذج

(١٣٦) حملة الاقلام في بغداد - مجلة الزنبقة - العدد ٣ - السنة ١ - ص: ٧٧

(١٣٧) الدليل العراقي الرسمي لسنة ٣٦ ص : ٩١٥

(١٣٨) في غمرة النضال هامش ص : ٢٤١

(١٣٩) دار السلام عدد ١ - مجلد ٣ - سنة ٣ - ك ٢ - ١٩٢٠ ص : ٣ وما بعدها

(١٤٠) المرجع السابق - عدد ٨ مجلد ٣ نيسان ١٩٢٠ ص : ١١٣ واتمها

في العدد (٩)

(١٤١) المرجع السابق - عدد ١ - مجلد ٣ سنة ٣ ص : ٤

القصصية هي هذه الروايات التي تقوم عقدها على الحوادث الكثيرة
والمغامرات المتعددة . وشكل هذه الروايات لا يمكن ان يصلح بحال من
الاحوال موضوعا لقصة قصيرة تتركز على ناحية واحدة من نواحي الموقف
أو الحركة . ومن هنا قامت أمام الكاتب الصعوبات لاختيار الشكل الملائم
الذي يستطيع به أن يصور الحياة ، في اطار قصصي . ولعل الذي سهل عليه
اتخاذ الشكل المسرحي ، هو ما ذكرناه سابقا من أن المسرحية كانت معروفة
في فترة مبكرة في العراق نتيجة لنشاط المدارس المسيحية والبعثات
النشيرية .

وينزع الكاتب في قصته نزعة تشاؤمية ، يؤكد عليها في كل عبارة .
وجماع فلسفته التي يمكن استخلاصها منها ، أن الحياة قصيرة زائلة ،
لذلك يجب أن نسارع فنثبت لنا اسما في العمل الصالح والانتاج الثمر ،
والا تنساق مع أوهامنا التي لا تنسجم مع واقع الحياة . وفي سبيل ان يوضح
أفكاره هذه ، اختار بطل قصته الاولى ، من الشباب الذين خلقت الكتب
الجديدة ، التي قرأوها أوها ما عديدة في نفوسهم ، صيرتهم غرباء عن وطنهم
وواقعهم . وكان بطله لكثرة ما قرأ من كتب تبحث في سير العظماء ونوادير
المشهورين ، قد تولدت في قلبه رغبة عظيمة ، لان يكون له اسما يعيش بعده
ذويلا ، فيدخل عالم الخلود^(١٤٢) ، وكانت مثاليته ، التي تولدت نتيجة لهذه
القراءة ، قد جعلته ينظر الى الحياة نظرة خاصة ، فالناس في كدهم وسعيهم
للحصول على المال ، انما يسعون وراء لا شيء ، لان المال لا ينفع في شيء
« أيخلص المرء من الموت ام يخلد له ذكرا حسنا؟ كلا ثم كلا^(١٤٣) » ، وحين
كان يخرج للنزهة على ضفة دجلة ويرى القوارب تسخر عباب النهر ،
تحمل أناسا يسكرون فيطربون ويغنون فيتمايلون كان يقول « وا اسفاه عليكم

(١٤٢) المرجع السابق ص : ٦

(١٤٣) المرجع السابق . نفس الصفحة .

أيها الغافلون ! أتذهبون بهذه الحفلة لاستقبال ملك الموت ؟ أم للبحث عن باب الفناء • ماذا ينفعكم أنسكم وطربكم وغايتكم هي الزوال هل أنتم إلا كالهوام التي تصوت في الصيف وتموت في الشتاء^(١٤٤) ، « وحين كن يرى الفقراء والضعفاء يقول : « ولماذا هؤلاء يعيشون ؟ انهم يهلكون تعباً ولا يكسبون إلا القليل فلماذا يجردون ويتعبون الكمي يتخلصوا من الحياة سريعاً ؟ لو ماتوا من الآن لانتهدت هذه الآلام^(١٤٥) » ، وحين كان يعود الى نفسه ويسألها : « وأنت لماذا تعيشين ؟ يرى الجواب مهياً » انى أعيش لا كتب آثاراً أخذ بها ذكرى ، وأعمل أعمالاً أنفع بها أمتى فهذه هي الحياة^(١٤٦) .

لقد كانت رغبة جيل جديد من الشباب المثقف يصورها الكاتب ، ملائمتهم الافكار الجديدة فأحسوها فى قلوبهم ، تدفعهم نحو مثل خاصة ، لا تسبج مع واقع ولا تخلو من مراهقة واضحة^(١٤٧) . ولقد قادته أوهامه الى أن يتصور فى نفسه القدرات الخارقة ، فانه ما كان يقرأ كتاباً ويعجب به الا تمنى أن يكون مؤلفه أو كاتبه ••• وحين تصل شهرة أحد الكتاب اليه كان يقول « وما المانع عن وصولي الى درجته ؟ أترى وصل اليه العلم بالوحى والالهام أم تعلمه بالسعى والاقدام^(١٤٨) » . ولكن بيتته كانت العقبة « لولا انى فى بغداد حيث لا خزائن كتب ولا مطابع ولا مجلات^(١٤٩) ، ففكر بالرحيل الى بلاد يمكن ان تغذى نبوغه وعظمته • وهكذا يسافر الى

(١٤٤) المرجع السابق • نفس الصفحة

(١٤٥) المرجع السابق • نفس الصفحة • ويلاحظ تاجر المؤلف بأفكار نيتشه الفيلسوف الالماني الشهير

(١٤٦) المرجع السابق • نفس الصفحة

(١٤٧) يمكن ان يجد الباحث توكيدا لهذا القول فى استشفاف روح محمود أحمد السيد وآرائه فى طوره الاول ، التى عكسها فى كتاب السهام المتقابلة مما يدل على وحدة المنازع والاتجاهات •

(١٤٨) المرجع السابق • ص : ٧

(١٤٩) المرجع السابق • نفس الصفحة •

بلاد الغرب • ولكن ظنه يخيب فإنه ما استقبل المدينة الغربية الا واستقبل
المرض معها • وها هو ذا أخيرا في فراش مرضه يبكي موته في ديزر الغربية
بعيدا عن الاهل والاصدقاء • وفيما هو في فراشه يستقبل الموت يدرك أنه
كان حريصا على الشهرة والعظمة • وأظننى كنت مبتلى بداء النبوغ وعلّة
التفوق^(١٥٠) ،

وفي القصة الثانية ، يتابع المؤلف الافكار ذاتها ولكن من زاوية ثانية
وتشائمية أكبر • فبطل قصته الثانية فتاة في الثامنة عشرة من عمرها ، تحاور
أختها في الثلاثين في شرفة أمام دجلة وقت الغروب • فهى تسأل : أفسى
العالم سعيد^(١٥١) ؟ وحين تنظر الى زهرة تحملها لا ترى أن الزهرة أسعد
منها • فاذا كان حال الزهرة التى يقبلها النحل ويعانقها الفراش ويقتطفها
المرء فيهدئها الى أعز أصحابه أو يحملها بيده أو يعلقها على صدره متحليا بها
وملتذا بأريجها^(١٥٢) ، مصيرها الذبول « فلا ريب أنها ليست أسعد
منى » ثم تقول بأسف « ولكن ماذا نعمل وهذا هو ناموس الوجود وسنة
الحياة : نضارة فذبول وحياة فنعماء • لله ما أظلم هذا الكون وما أقساه^(١٥٣) ،
وتروح الاخت الكبرى تواسيها • ثم تأخذ بتبيان أهمية المرأة ، وكيف أنها
مهد الحياة وأنها العضو الاهم فى بدن الامة ، وتدعوها لان تعد نفسها للمواجب
الكبير ألا وهو الامومة • • وتؤمن الصغيرة على قولها • لكنها تلاحظ أنهم
يعيشون فى أمة لا تعرف قدر نوابغها ، فتصبرها الكبرى بقولها : « ولكن
اصبرى يا أختى على هذه الاحوال وتجلدى فانها نتيجة الجهل وثمره
الاستبداد الطويل والفوضى التى كانت سائدة علينا منذ بضعة قرون ولعلها

(١٥٠) المرجع السابق • نفس الصفحة •

(١٥١) المرجع السابق • عدد ٨ - مجلد ٣ سنة ٣ نيسان ١٩٢٠ ص : ١١٤

(١٥٢) المرجع السابق • ص : ١١٥

(١٥٣) المرجع السابق • نفس الصفحة •

بهنتك وهمة أمثالك تزول^(١٥٤) ، ولكن مع ذلك فإن الدهر لا يؤتمن
• آه ، ما أخوفنى منه ومن تقلبات الزمن^(١٥٥) ، ولكى يبرهن المؤلف
على مصداق ذلك • يقود أخوا للفتاين الى ساحة الحرب ، فيقتل • وهكذا
تغرقان فى أحزانهما وفجيعتهما •

ولسنا نرى فى تعليل تشاؤم المؤلف الا أنه تعبير عن رد الفعل النفسى
للاحداث التى كان يصطخب بها العراق آنذاك • فهذه المعارك الهائلة التى
راح ضحيتها الالوف من الناس نتيجة للاحتلال البريطانى ، ونتيجة للاعمال
الانتقامية التى قام بها الاتراك فى انسحابهم من الجبهة العراقية ، وضعف
العراق وتأخره الذى تعرفت عليه النظرة النافذة الجديدة ، التى صقلتها الثقافة
الحديثة التى أخذت تنتشر فى العراق ، لن تكون نتيجتها الطبيعية الا اغراقا
فى التشاؤم ، واحساساً عميقاً متاهياً بعقم الحياة وعشها لدى النفوس
الحساسة المرهفة التى لم تستطع أن تخلق انسجاماً بين مثلها الخاصة ،
وواقع الحياة الكالح • ومن هنا تكتسب هاتان القصتان قيمتهما وأهميتهما •
لانهما تعبير صادق عن تجربة معاشة ، وتصوير ، بشكل ما ، لنفسية جيل
جديد بدأ يشق طريق حياته الجديدة • وهذا ما يعطيها نفحة محلية
خاصة ، وان كان ذلك من خلال تصوير الافكار أكثر من تصوير الحياة •
ولعلنا نجد شبيها لهذه الحال عند المنفلوطى فى مصر فقد عكس من خلال
تشاؤمه الغرامى المقابل لتشاؤم عطاء أمين المرثى ما عكس به آلام عصره وخيبة
أملهم فى ثورة فشلت •

واهتمام المؤلف بالافكار أكثر من اهتمامه بالحدث هو الذى أفقدهاتين
القصتين عنصر الحركة ، وجعل عنصرى الزمان والمكان فيهما شاحبا • فانت
لا تستطيع أن تتميز زمانا معيناً أو مكانا معيناً واضحى المعالم فى القصتين •

(١٥٤) المرجع السابق • ص : ١١٨

(١٥٥) المرجع السابق • ص : ١١٩

وجعل بعض المقاطع فيهما أقرب الى أن تكون مقطعا من مقالة اجتماعية تعالج مشكلة محددة من أن تكون مقطعا من قصة . ولكن رغم ذلك فإن المؤلف يبرهن فيهما على قدرة كبيرة سبق أن لمسناها في رؤاه ، على شد القارئ ، واثارة مختلف المشاعر الانسانية من تعاطف وألم في قلبه . وتبرز في هاتين القصتين بالإضافة الى مقدرة المؤلف الاسلوبية الواضحة وطواعية اللغة له ، مهارته في الحبكة وادارة الحوار الذي اجراه في لغة فصیحة .

ولم يستطع المؤلف ان يمنع رغبته من حشر نفسه في سياق الحديث ومن التعليق على القصة بما يريد للقارئ ان يخرج به . فهو يختم قصته الاولى بهذا التعليق « ان كان القراء قد تأسفوا على نتيجة حياة هذا الشاب فقد بكيناه قبلهم . وتأكد لدينا اعتساف الدهر وجور الزمان ، فعلى العاقل البصير أن لا يضيع وقته سدى بل يعمل في أداء واجبه وقضاء حاجته واتمام عمله خوفا من سطوة الموت وهجوم الاقدار^(١٥٦) ، دون أن يترك للقارئ فرصة التفكير في مأساة هذا الشاب ، الذي تفتح ذهنه على أكثر من طاقته ، فكان موته ضربة لعالم من الاوهام نسجتها مخيلته ، وكان وحده ضحيتها . كما أنه يغتم فرصة حديث الاختين ، في القصة الثانية ، لكي يقود الصغرى الى القاء خطبة تدعو فيها الامة لنفض رداء الحمول وتعود الى تقدير عظمتها محتذية حذو الامم الراقية . . الخ . وقد استغل حوارهما استغلالا كاملا ، فقال كل ما يريد قوله من أفكار اجتماعية ، أراد الكاتب لها أن تصل الناس ، فتعمل على بعث العزيمة في القلوب ، واثارة الهمة في النفوس .

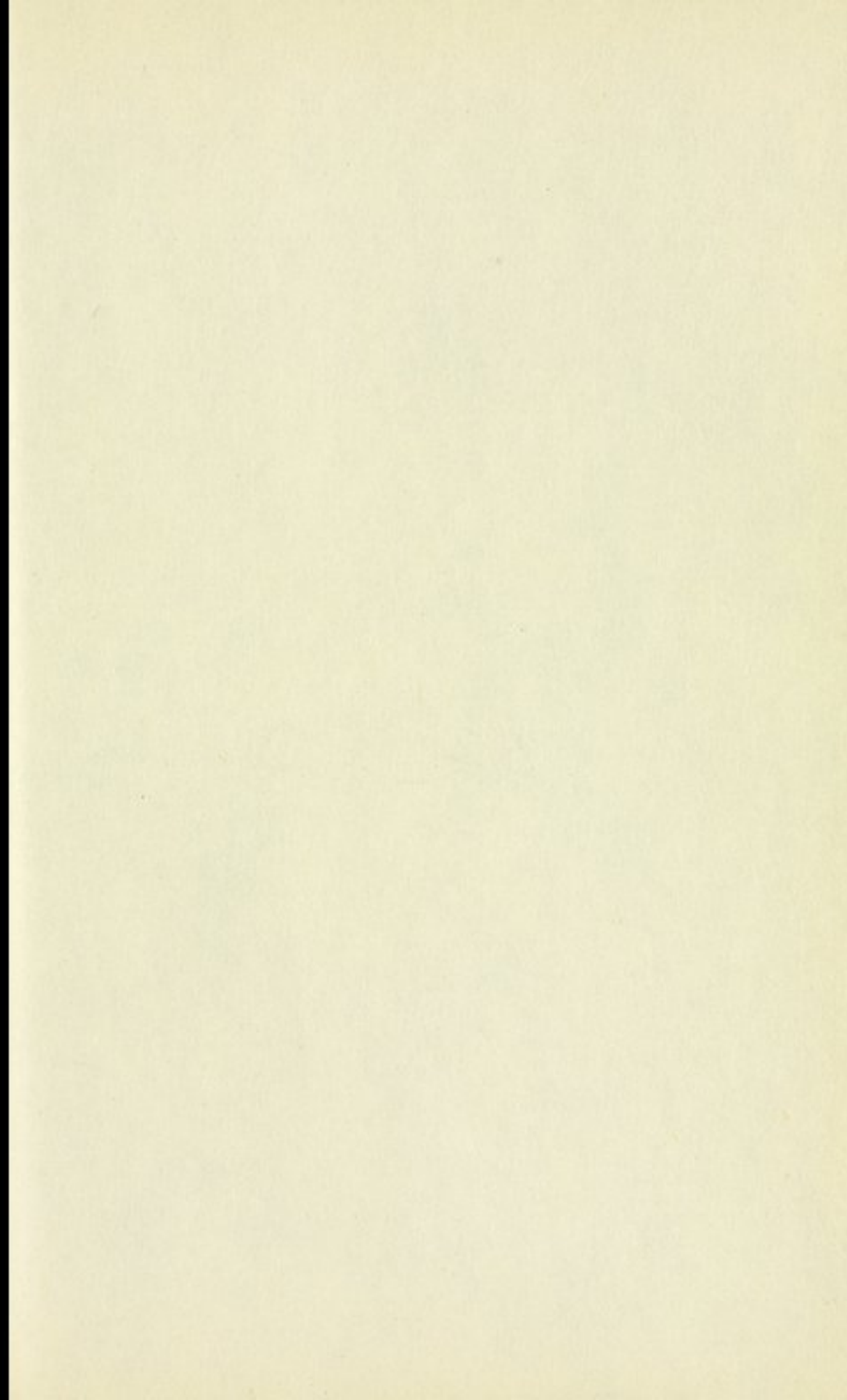
ومهما يكن من شيء ، فإننا نعتبر هاتين القصتين أول محاولة جادة في القصة العراقية ، وان كاتبهما هو الرائد لهذا الشكل في الادب العراقي الحديث ، بما قدم من قصص الرؤيا ، وفي خروجه عن اطار قصص الرؤيا في هاتين القصتين ، وكان مؤملا له أن يرفد القصة بنتاج ذي قيمة كبيرة لو

(١٥٦) المرجع السابق . العدد ١ ص : ٨

كان استمر في الكتابة ، ولم يهدر موهبته القصصية التي تجلت فيما كتب .
الا أنه قدر لما قدمه الضياع وعدم التأثير أمام سيل الروايات الغرامية وروايات
المغامرات ، التي تضاعف غزوها للاسواق العراقية بعد الحرب الاولى ،
وكسبها لقلوب القراء ، وتحديدها بالتالي مفهوم القصاصين عن الرواية
والقصة لفترة طويلة من العشرينات فمارست بذلك تأثيرها الأكبر مما بينواضح
في الباب الثاني .

الباب الثاني

الْقِصَّةُ بَيْنَ الْحَبْرَيْنِ



تَطَوُّرُ الْقِصَّةِ بَيْنَ الْحَرْبَيْنِ

- ١ -

يظهر للباحث وهو يؤرخ للقصّة في العراق بين الحربين ، أن القصّة العراقية في هذه الفترة خضعت في تطورها لمؤثرات جديدة ، استجدت بعد الحرب الأولى ، حددت طابعها ، ورسمت مسارها ، بشكل يميزها عن طورها البدائي الأول ، الذي نهجت فيه نهجا خاصا ، ينحو نحو اجتماعيا جادا ، وينزع الى أن يقول كلمته في مشكلة معينة ، من المشاكل التي كانت تشير اهتمام الناس آنذاك . ومن هنا جاء ارتباط هذه المحاولات البدائية في القصّة ، بالمقال الاجتماعي الاصلاحى ، وعدم تأثرها بأشكال الرواية العربية أو المترجمة التي كانت منتشرة متداولة في العالم العربي ، مما فصلناه في الباب الاول . ويبدو أن كتاب المحاولات البدائية لم يأخذوا الكتابة في القصّة مأخذ الجد ، ولم يتمثلوا ما كتبوه تمثلا صحيحا واضحا . وكان ما حفزهم الى كتابتها ، عوامل فردية خاصة ، متأثرين بالمؤثرات التي فصلنا الحديث عنها . وأكثرهم طوتهم الحياة ، فما عدنا نسمع لهم ذكرا ، أو نشاهد لهم انتاجا ، حتى عطاء أمين الذي كان أفضلهم ، وأكثرهم موهبة ، وقدرة على التعبير الادبى ، وأقربهم من فن القصّة فيما كتبه ، التهمته مشاغل الحياة اليومية فكسر قلمه ، ولم نعد نقرأ له شيئا ، في أى مجال من مجالات الادب ، ناهيك عن القصّة .

ومن هنا جاء الخطأ الذى وقع فيه أكثر الباحثين ، الذين أرخوا للقصّة العراقية ، حين أغفلوا الاشارة الى هذه المحاولات البدائية الاولى ، وانطلقوا جميعا من نقطة واحدة ، هي أن القصّة العراقية بدأت بعد الحرب العالمية

الاولى ، ولم يكن لها من وجود قبلها ، فهي تبدأ من محاولات محمود أحمد السيد فيها . ولعلنا نستطيع أن نعذرهم ، فقد ضاعت المحاولات البدائية الاولى ، ولم يتحسسها أحد . ولم تؤثر في النتاج القصصي اللاحق ، لقلتها ، ولانها تعبر عن مشاكل مضي عهدها ، فلم تعد تثير انتباه قارئها . أو لان نوع الرواية العربية أو المترجمة الذي انتشر بكثرة بعد الحرب الاولى ، كان أقرب الى نفوس القراء فساد مفهومه ، وبذلك بدأت القصة العراقية بداية جديدة ، منذ أوائل العشرينات ، ودخلت مرحلة جديدة وطورا لا يمت الى طورها الاول بصلة ، ولا يمكن اعتباره امتدادا له بحال من الاحوال .

ولقد كان أقوى المؤثرات ، التي اسهمت في تغيير الاتجاه الادبي العام ، واتجاه القصة بالتالي ، الاحتلال البريطاني العسكري للعراق . فهذا الاحتلال كان ايدانا بتغيير كبير في الحياة الاجتماعية ، ترك أثره في كل جانب من جوانبها ، وانعكس على سلوك الاهلين^(١) ، وعمل على تغيير مجرى الحياة العراقية الاجتماعية والسياسية . وبدأ تاريخ العراق صفحة جديدة ، لا نريد أن نؤرخ لها . فلذلك مكانه في غير هذا البحث . ولكن لا بد لنا من أن نبين تأثير هذا الاحتلال ، وما أعقبه من تطورات في الفكر والادب العراقي ، مما ينحصر في دائرة بحثنا .

فقد كان تأثير العراق بالحضارة الغربية قبل الاحتلال البريطاني تأثيرا غير مباشر جاء في الاغلب الاعم عن طريق تركيا ، نتيجة لارتباط العراق الوثيق بالدولة العثمانية . اذ لم يكن بمقدور أدباء العراق ومفكريه أن ينصلوا بأوربا اتصالا مباشرا ، لظروف العراق الخاصة ، وموقعه الجغرافي النائي عن مراكز الحضارة الاوربية^(٢) . أو جاء عن طريق الاقطار العربية ،

(١) تلاحظ الصفحات الاولى من قصة الامل المحطم لمحمود أحمد السيد التي نشرها في مجموعته « الطلائع » والتي صورت ببراعة تأثير الاحتلال على الاهلين ، وما أحدثه من تغيير في الحياة الاجتماعية العراقية ص: ٩-١٠ .
(٢) الزهاوي الشاعر ص: ١٩ .

وخصوصا مصر وسوريا ولبنان ، بعد أن نمت صلاته الثقافية والفكرية بها ،
أما بعد الاحتلال ، فقد أصبح العراق على صلة مباشرة بأوروبا ، بما حملته
انجيوش الانكليزية الغازية من مظاهر الحضارة الغربية .

وكانت النتيجة المباشرة لهذا الاحتكاك بالحضارة الغربية ، أن اندفع
العراقيون يقلدون الاوربيين في ملبسهم ومأكلهم وعاداتهم ومبازلهم . فطغى
سيل « التفرنج » على الجيل الجديد ، مما أثار قلق المخلصين ودفهم الى
التنبه الى مخاطر هذا الاندفاع الاعمى ، وراء تقليد المظاهر الزائفة البراقة
للحضارة الغربية ، والانصراف عن الجاد منها . وقد عالجت القصة هذا
الموضوع ، الذي نراه من الموضوعات الاصيلة في الادب ، وناقشتها مناقشة
صريحة في عمل روائي كامل ألفه المحامي آكوب كبرئيل بعنوان « عجائب
الزمان في صرح عروس البلدان » ونشره عام ١٩٢٨ (٣) .

كما كان نتيجة لهذا الاحتلال ، أن ازداد احساس العراقيين بتخلفهم ،
وسوء واقعهم ، وضرورة تغيير هذا الواقع . وقد تمثل هذا الاحساس في
تعاظم المشاعر الوطنية التي أخذت تتجه الى الدعوة الى الاستقلال ، والتي
وجدت تعبيرا لها في ثورة العشرين ، وفي هذا الاندفاع الكبير ، الى القراءة
والتأليف . فشهد العراق حركة علمية وأدبية ، ساعد على تقويتها ازدياد

(٣) هذه الرواية ، من الروايات التعليمية . وهي بحث اجتماعي
حاول فيها المؤلف أن يشرح النظم الاجتماعية الغربية ، لكي يستفيد منها أبناء
وطنه ، وينبذوا الزائف الذي تعلقوا به ، وقلدوه واعتبروه مظهرا أصيلا من
مظاهر الحضارة الغربية . وما عدا صفحاتها الاولى ، فانها بحث اجتماعي
اتخذ له الكاتب الشكل الروائي ، الذي لا يتعدى الحوار بين شخصين ، يجري
بينهما نقاشا يشرح فيه كل ما يريد قوله . ومدخل الرواية التي يتحدث
المؤلف فيه عن « عروس الشرق » التي رمز بها للعراق ، أو للشرق عامة ،
اقتبسها الكاتب من احدي قصص الرؤيا . نشرتها جريدة « العراق » بعنوان
« وقفة على ديالى أو حديث مع فنوس » وكتبها عربي أمين ، وأشرنا اليها في
الباب الاول . ولم يأت الكاتب بجديد في هذا المدخل ، الا ضعف الاسلوب
وتعقيد العبارة اللغوية .

عدد المطابع ودور الكتب ورخص الطباعة والورق^(٤) . مما دفع احد المتفائلين ، وهو يشاهد بوادر هذه الحركة الى أن يقول : « انى لارى للعراق مستقبلا أدبيا باهرا ولسوف يفوق به شقيقته مصر وسورية فى القريب العاجل اذ نحن نرى اليوم كثيرا من الكتب الادبية والعلمية تطبع وتشر فى أيام قلائل^(٥) » .

على انه لم يكن مقدرًا لهذه الحركة العلمية والادبية ، الا الفشل . فقد كانت لا تستند الى أساس متين من الثقافة . فانحصر التناول ، بين المثقفين ، ليحل محله شعور باليأس ، قادهم الى التديد بهذه الفوضى الادبية الضاربة أطنابها فى العالم الادبي^(٦) . وكان من أسباب فشل هذه الحركة ، افتقار المشتغلين بها الى وسائل النجاح ، وعدم استعداد المجتمع آنذاك لانماء النهضة

- (٤) يراجع لدراسة مظاهر هذه الحركة الادبية والعلمية . جريدة «العراق» العدد ٧٦٩ السنة ٣ - ٢٧ ت - ١٩٢٢ . والعدد ٩٧١ السنة ٤ - ٢٥ تموز - ١٩٢٣ مقال الثورة الادبية بقلم س . د . كما يلاحظ أيضا مقال « حياتنا العلمية والادبية » جريدة الامل العدد ٣٠ السنة ١ - ٥ ت - ١٩٢٣ و « المصباح » العدد ٤ السنة ١ مايس ١٩٢٤ ص: ٣ .
- (٥) تطور الادب ، حسين الظريفى - الامل العدد ٤ السنة ١ - ٢١ ت - ١٩٢٣ . ولقد لفتت هذه الحركة نظر الاب لويس شيخو فتحدث عن مظاهرها فى كتابه « الآداب العربية فى الربع الاول من القرن العشرين » ص: ١٣٦ قال : « لكن دولة العراق الجديدة فى بغداد ساعية فى سد هذا الخلل فتري فيها حاضرا نهضة أدبية جديدة يتناصر فى تعزيزها أرباب الدولة مع أدباء المسلمين والنصارى . وقد تحسنت المدارس وتعددت المطابع وترقت الصحافة ونشرت الكتب فى الفنون المختلفة ما يدل على أن العراق أفاق من سنته » .
- (٦) يلاحظ مقال « الحركة الفكرية فى البلاد العربية قبس على ضفاف الرافدين » مجلة الحرية ج ٥ - السنة ١ - سنة ١٩٢٤ ص: ٢١١ . و « ثلاث صور لشعر العراق المعاصر » أ . خالد . الاستقلال العدد ٨٤١ - السنة ٧ - ١٣ ايلول ١٩٢٦ . والعدد ٨٥٤ السنة ٧ - ١٩ ايلول ١٩٢٦ .

الفكرية ، وانصراف الافكار العامة الى الشؤون السياسية^(٧) . يضاف الى ذلك طابع الفكر والادب الجديد الذي جاء العراق بشكل منظم بعد الحرب الاولى ، وكان في أغلبه يأتي من مصر^(٨) . ولم يكن مما لا يطعن فيه . فقد كان غالبا قليل الجدوى . بينه قسم كبير للروايات الخيالية المعربة عن اللغات الاجنبية ، أو المؤلفة على نسقها . وقسم آخر اخلاقي أو اجتماعي سياسي منقول عن كتب الغرب بينه الغث والسمين^(٩) .

وكان من شأن انتشار هذا الفكر والادب الجديد في العراق في الفترة الاولى من العشرينات^(١٠) ، أن دان العراق في هذه الفترة بتبعية فكرية لمصر . لا نريد أن نعممها ، لتشمل كل مجالات الادب وفنونه ، فان الامر انحصر في دائرة النشر ، ولم يتعد الى الشعر ، لرسوخ جذوره في العراق . وأصبحت نماذج الادب المصرية هذه ، وبينها الروايات ، هي النماذج المثلى التي يجب تقليدها ، والسير في سبيلها . مما حدد مفهوم الادباء عن الرواية خلال هذه الفترة ، على الاقل ، وقبل أن يتفتح العراق على روافد فكرية أخرى ، تعمق من نظرتة ، وتوسع من آفاقه^(١١) .

(٧) نهضة أدبية كاذبة . انور شاول - الحاصد - العدد ١٣ - السنة ٣
١ - ١٩٣١ . ويحدد نهاية هذه النهضة أو الحركة بعام ١٩٢٦ .

(٨) القصة العراقية قديما وحديثا ص : ١٤٠

(٩) الآداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين ص : ١٣٤-١٣٥ .

(١٠) استعملنا هذا التعبير للدلالة على الفترة الواقعة بين عامي ١٩٢١ ،
١٩٢٧ .

(١١) لعل من الطريف هنا أن نذكر كلمات لمحمود أحمد السيد يصف فيها مصر ويحدد نظرة الجيل الجديد في أوائل العشرينات يقول « ومصر أم العلوم والمعارف أم الكتب والتأليفات . أم الطبع والنشر » . السهام المتقابلة ص : ٩ .

ولقد كان طابع الرواية الذي حدد مفهوم الادباء العراقيين عنها، في الفترة الاولى من العشرينات، والتي تدفقت فعمرت السوق العراقية بعد الحرب الاولى ينحدر في اتجاهين • اتجاه الروايات التي قامت عقدها على علاقة حب بين حبيبين مثاليين تقوم بينهما العقبات، وتنتهي علاقتهما باجتماع الشمل، وتكثر فيها المغامرات وتتراكم الحوادث حتى ليعجز القارئ عن متابعتها^(١٢) • أو تنتهي بنهايات تعسة فاجعة على نسق رواية «غادة الكاميليا» لاسكندر دوماس الابن و «آلام فرتر» للشاعر الالمانى جوته • وهما الروايتان التي كان لانتشارهما مترجمتين في العالم العربى أقوى تأثير على تراجع النهاية السعيدة التقليدية في الرواية العربية، وحلول النهاية التعسة محلها بعد الحرب العظمى الاولى^(١٣) • يضاف الى ذلك روايات جرجى زيدان التاريخية وغيرها من الروايات التاريخية والبوليسية التي يسود فيها طابع المغامرة، والافتعال • واتجاه ثان يمثله أدب المنفلوطى، وجبران خليل جبران في رواياتهما بأسلوبهما الخطابى وعاطفيتهما المسرفة، التي تتجه لدى المنفلوطى، الى تصوير الحب العذرى الطاهر، الذى يسرف في طهارته بما قد يفوق صور الحب العذرى التقليدية عند العرب^(١٤) • أو بهذا الاسلوب الشعرى الوجدانى المشبع « بروح التقديس للحب وكل ما يبعثه في النفس من سماوية وآلام لا تطاق^(١٥) » لدى جبران خليل جبران •

ولقد ساعد على انتشار هذه الروايات، في اتجاهيها، بين القراء

(١٢) تطور الرواية العربية ص: ١٤٧-١٤٩ •

(١٣) المرجع السابق ص: ١٧٠

(١٤) المرجع السابق ص: ١٨١

(١٥) مقدمة المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران لميخائيل نعيمة

ص: ٢٦، نقلا عن القصة في الادب العربى الحديث ط ٢ ص: ١٣١

العراقيين ، أن الجمهور القارىء كان من أنصاف المثقفين ، وجلهم لا يتمتع بقدر كاف من التعليم ، يؤهله لهضم المؤلفات العميقة . نتيجة للسياسة التي سلكها الاستعمار البريطانى فى مضمار التعليم ، والتي تركزت على التعليم فى مراحلہ الاولى ، وحاربت فكرة التعليم العالى والجامعى^(١٦) . كما أن الشعور باليأس الذى ساد العراق عقب فشل ثورة العشرين^(١٧) ، والهزات الاجتماعية الضخمة التي كانت تجتاح العراق فى حضارة متبدلة ، وعجز معظم المثقفين عن ممارسة علاقة حب حقيقية ، تنتهى الى نتيجة طبيعية فى هذه الفترة نتيجة لظروف بيئتهم ، وللتقاليد الصارمة التي كانت ترى فى المرأه كل شىء الا حقيقتها الانسانية ، كل هذا جعل الجمهور من الجيل الجديد ، يجد فى أمثال هذه الروايات متنفسا طبيعيا ، ووسيلة سهلة تسيهم همومهم وآلامهم وواقفهم المر القاسى .

ولقد أدى المفهوم الخاطيء للرواية ، الذى عكسته هذه الروايات ، وانتشارها الواسع بين القراء ، الى هجوم الادباء المحافظين عليها ، ونفورهم منها^(١٨) . مما أدى الى ضعف القصة العراقية واعاقه تطورها ، وظل مفهوم الرواية الخاطيء هذا سائدا لفترة طويلة من العشرينات فى اضطراب وتعميم ،

(١٦) أوضح ايرلاند فى كتابه «العراق دراسة فى تطوره السياسى» سياسة الاستعمار البريطانى التعليمية فى العراق ص: ٨٨ وما بعدها ومن ذلك قوله فى توضيح أسباب اندفاع المستعمرين لتأسيس المدارس ص: ٨٩ « أصبحت الحاجة الى تشجيع المعارف على اعداد الشبان لخدمة الحكومة ، منذ البداية ، العامل المرشد فى فتح المدارس ، بينما كان الميل الطبيعى للسلطات البريطانية يتجه نحو الحد من شأن المعارف أو اعتبار اهميتها شيئا ثانويا عند العمل على احياء البلاد » .

(١٧) قامت هذه الثورة فى العراق فى ٣٠ حزيران ١٩٢٠

(١٨) يتضح هذا فى موقف جريدة «الامل» التي كان يشرف على تحريرها الشاعر معروف الرصافى . اذ اعتبرت هذه الروايات من الاسباب التي تؤدى الى وقوف دولاب النهضة وخنق روحها . يراجع مقال «حياتنا العلمية والادبية» فى العدد ٣٠ السنة ١-٥٥ ٢-١٩٢٣ .

بحيث أطلق اصطلاح الرواية فى هذه الفترة على كل عمل فنى أو غير فنى
فيه قصة وحديث •

٣

وإذا رحنا نتبع تأثير هذه الروايات ، فى القصة العراقية وتطورها ،
فإننا نجد أول صدى لها ، فى انصراف الكتاب الناشئين منذ البداية الأولى ،
الى تقليدها ، والكتابة على نسقها • وكانت المحاولة الأولى فى هذا المجال ،
محاولة محمود أحمد السيد فى روايته الأولى « فى سبيل الزواج » التى
نشرها عام ١٩٢١ ، وهى رواية غرامية اجتماعية ، كما يصفها • ثم أعقبها
بروايته الثانية « مصير الضعفاء » ووصفها بالعبارة ذاتها • كما أن مجلة الزنبقة
التي صدر عددها الأول فى تشرين الأول عام ١٩٢٢ بدأت بنشر رواية
مسلسلة من النوع ذاته بعنوان « فتاة بغداد » ووصفتها بقولها « رواية اجتماعية
اصلاحية تظهر فيها الفتاة العصرية بمظهرها الحقيقى وما يقتضى لها من
التهديب والتربية^(١٩) » • ثم حاول سامى خونده أن يكتب رواية غرامية
أخرى ، على النسق ذاته بعنوان « سلمى ونديم » ووصفها بالعبارة المألوفة
« رواية أدبية اجتماعية غرامية » ونشرها مسلسلة فى جريدة الاستقلال^(٢٠)
وهذه الروايات تعبر عن الاستجابة الأولى لتيار قصص الغرام والمغامرات ،

(١٩) العدد ١ السنة ١ - ت ١ - ١٩٢٢ • ولم يتم نشر هذه الرواية لان
المجلة انقطعت عن الصدور بعد عامها الأول • كما اننا لا نعرف مؤلفها •
ولعله صاحب المجلة عبدالاحد حبوشى • اذ انه نشر رواية اخرى فى
مجلة ليلى بعنوان : « ضحايا الوالدين والمتزعمين فى القرن العشرين »
فى العدد ٧ السنة ٢ ايار ١٩٢٥

(٢٠) ابتداء من العدد ١٧٣١ مايس ١٩٢٣ • ولم يكملها ، دون سبب يبدو
مفهوما • ولعله عجز الكاتب •

الذى كاد يكون نوع الرواية العربية الوحيد ، فى هذه الفترة المبكرة من العشرينات وتتصف بذات صفاته ، وتملك ذات عيوبه الفنية^(٢١) .

ومما هو حرى بالذكر ، ونحن نؤرخ للقصة العراقية بين الحربين ، أن نسجل أن المحاولات الاولى فى القصة العراقية بين الحربين ، بدأت بكتابة الروايات ولم تبدأ بكتابة القصة القصيرة . على أن ذلك لا يستمر طويلا ، اذ سرعان ما ستركز عمل القصاصين على كتابة القصص القصيرة ، الا أعمالا فردية محدودة ، متناثرة ، متباعدة ، كتبها أصحابها نتيجة لحوافز فردية خاصة^(٢٢) .

وأول محاولة عثرنا عليها فى القصة القصيرة - بين الحربين - نشرها مراد ميخائيل عام ١٩٢٢ فى جريدة المفيد بعنوان « شهيد الوطن وشهيدة الحب »^(٢٣) ، ثم نشرت جريدة الناشئة الجديدة قصة أخرى بعنوان « الشاب المخدوع » ولم يشر الى اسم كاتبها^(٢٤) . ثم نشر محمود أحمد السيد عام ١٩٢٣ مجموعة من القصص القصيرة أطلق عليها اسم « النكبات »^(٢٥) . وتوالى بعد ذلك نشر القصص المختلفة فى الصحف والمجلات . ولكن على نطاق ضيق .

وقد ظلت القصة القصيرة ، خلال الفترة الاولى من العشرينات ، تعثر

-
- ٢١ « تحدث عن صفات وعيوب هذا التيار الفنية الدكتور عبدالمحسن طه بدر فى كتابه « تطور الرواية العربية فى مصر » ص: ١١٦ وما بعدها .
- (٢٢) من هذه الروايات « رواية عجائب الزمان فى صرح عروس البلدان » التى أشرنا اليها ورواية « غادة بابل » ليوסף رزق الله غنيمية التى نشرها مسلسل فى لغة العرب ابتداء من ج ٥ - السنة ٥ - ١٩٢٧ ص : ٢٨٤ . ورواية « دلال » لخليل عزمى عام ١٩٢٨ .
- (٢٣) العدد ١٥ السنة ١ نيسان ١٩٢٢ واتم نشرها فى العدد ١٦ ، ٢٢ .
- (٢٤) العدد ١ السنة ١ - ١٩٢٧ سنة ١٩٢٢ .
- (٢٥) سنندرس « النكبات » فى الباب الثالث ، حين نعرض لمحمود احمد السيد ، فى فصل خاص .

في طريقها • ونم نعر على كاتب وفق في كتابة قصة قصيرة لها بعض مقومات النجاح ، لا النجاح كله • وسبب ذلك ، فيما نرى ، يعود الى طبيعة النماذج القصصية التي كانت تقع في أيدي القاصين وكانوا يقلدونها • وليس بين هذه النماذج قصة قصيرة ، مستوفية لمقومات الفن يمكن ان تكون انموذجا صالحا يحتذى • وكانت قصص هذه الفترة ، كلها من القصص غير الفني الذي حدده محمود تيمور بقوله « فأما القصص غير الفني فهو الذي يتجافى عن الصدق والواقع • والقاص غير الفني هو الذي يتخذ في طريقه أهون الوسائل ، غير عابى ، بشىء في سبيل الوصول الى مبتغاه • فلا يماشى حركة الحياة الطبيعية للاشخاص ، بل يرغمهم على الاطوار التي يريدونها ، ويسلمهم الى النتائج التي يضعها ، ويفتعل من أجل ذلك مؤثرات مصنوعة ، وتأثيرات كاذبة ، مستعينا بمهارة رخيصة ، وطلاء سريع الشحوب ، فيتهافت من الوجهة الفنية أسوأ التهافت ، ولا يصبح من فن القصة في قليل او كثير (٢٦) » • وقد حاولت ، جميعها ، أن تقلد اما روايات الغرام والمغامرات أو روايات وقصص المنفلوطى وجبران • وبذلك يمكن القول ان القصة الفنية ، قد تأخر ظهورها في العراق ، الى الثلاثينات • حين استجدت عوامل نقلت القصة الى آفاق من الفنية ، والنظرة اليها كفن له أصول ومقومات • وكان حصاد العشرينات ، في القصة ، حصادا هزيبا نوعا وكما ، ولا يشير الى كثرة ممارسى هذا الفن (٢٧) •

(٢٦) فن القصص ط ٢ ص: ٣٩ •

(٢٧) من قصص هذه الفترة ، غير ما ذكرنا ، قصة « بين أنياب البحر » لفتى اسرائيل المصباح العدد ١ السنة ١ - ١٠ ابريل ١٩٢٤ ، وقصة « العاشق الغادر » لابن السمؤل المصباح العدد ٢٩ السنة ٢ نوفمبر ١٩٢٤ • و « غادة تحتضر » لفاضل الانبارى مجلة « ليلي » العدد ٨ السنة ١ - ١٥ مايس ١٩٢٤ ، وقصة « فى وحدتها » لفاضل الانبارى مجلة « ليلي » العدد ٩ السنة ١ - ١٥ حزيران ١٩٢٤ • وقصة « بين الزمهيرير والسعير » لعلى جميل العراق العدد ١٢٣٦ ، السنة ٥ - ٢ حزيران ١٩٢٤ و « جنابة والدة أو الام الجاهلة » لسليم يوسف العمارى

وهذا الواقع للقصة العراقية ، الذي انتهينا الى تحديده ، في الفترة الاولى من العشرينات ، هو الذي عمق من احساس الأدباء - أول الثلاثينات - بأن القصة العراقية لم تخلق بعد ، واحتاجوا الى تبريره . وقد حاول ذلك أنور شأؤل في مقدمة مجموعته الأولى « الحصاد الأول » التي أصدرها عام ١٩٣٠ اذ ذكر ، وهو يتحدث عن الصعوبات التي لاقاها وهو يمارس هذا الضرب من الفن ، قوله : « وبديهي أن ألقى بعض الصعوبة في انتقاء الحوادث لقصصي ، اذ ليس مجهولا لدينا أن مجتمعنا ما زال ضمن حدود ضيقة ، وأن الحرية الفكرية ما زالت في أفق اعتم وأن الجمهور لم يتعود استماع قارص اللوم ومر الانتقاد يفرغه الكتاب القصصيون في صلب قصصهم » (٢٨) . وليس فيما ذكره ، ما يشير الى واقع المشكلة ، ويوضح الأسباب التي أدت الى تأخر ظهور القصة الفنية في العراق ، وضعفها خلال الفترة الأولى من العشرينات . ويمكن أن نجد ذلك في النفور التقليدي من القصة ، الذي أشرنا اليه سابقا ، لدى كبار الأدباء ، والذين كان لثقافتهم المحافظة الأثر الأكبر في زيادة حدته ، وفي عزفهم عن الكتابة في هذا الفن . فوقت مسؤولية الكتابة في القصة على عاتق الجيل الجديد الناشئ . ولم يكن زاد هذا الجيل من الثقافة بأكثر من زاد تلامذة المدارس . فجاءت قصصهم وهي أقرب الى كراريس تلاميذ المدارس ، التي يكتبونها في دروس الأثناء ، ركة تعبير ، وضعف عبارة ، ونضوب موهبة . وقد زاد الطين بلة طبيعة النماذج القصصية التي كانوا يقلدونها ، والتي كانت جميعها من القصص غير الفني الذي يستهدف التسلية واللهو وارضاء ميول العامة من الناس .

ومما ساعد على ذلك أيضا ، ان القصة المصرية التي تدين القصة العراقية في هذه الحقبة بالتبعية لها ، لم تكن قد استوفت فنيته بعد ، ولم تكن

(٢٨) الحصاد الاول ص : ٥ من المقدمة

أقدام كتاب المدرسة الحديثة قد ثبتت واستقرت لتخلق القصة المصرية المحلية
الحلقة • حتى بعض المحاولات الجادة التي كتبت كان نصيبها الضياع وعدم
التأثير أمام سيل روايات الغرام والمغامرات التي طمست أمام القصصين
العراقيين أي انفتاح على آفاق أرحب في القصة •

ورغم ما نعرف عن الصلات الوثيقة بين العراق وتركيا ، فإننا لم نشهد
أى أثر للقصة التركية في القصة العراقية ، خلال الفترة الأولى من
العشرينات ، ولا الى ما يشير الى معرفة الكتاب بها • وخير دليل نسوقه في
هذا المضمار ، هو موقف الكاتب محمود أحمد السيد ، كما يظهر في المقالات
التي كان ينشرها في الصحف والمجلات المختلفة آنذاك^(٢٩) • اذ من
المعروف عن هذا الكاتب الذي كان يجيد اللغة التركية ، والذي يمكن
اعتباره من أخلص كتاب القصة في العراق لهذا الفن ، انه تنكر لفن القصة
في فترة من فترات حياته الأدبية ، وانقطع عن الكتابة فيها ، بعد أن دفعته
غثاثة القصص التي كان يقرأها الى رد فعل عنيف ضد القصة • ولم يتعرف
على القصة التركية الحديثة الا أواخر العشرينات فسعى الى ترجمتها • وقوم
ذلك من نظرائه ، فجعله يعود الى القصة يكتب فيها ، وينشر •

ويمكن اعتبار الصحافة عاملا آخر من العوامل التي ساعدت على ضعف
القصة وتأخرها ، أو بعبارة أدق أنها ساعدت على بقاء المفهوم الخاطيء عن
القصة سائدا ، خلال الفترة الأولى من العشرينات ، رغم تطورها • فقد
جرفت السياسة وتوزعتها الأهواء • واذا كان الباحث يلمس بعض الاهتمام
منها بالقصة ، فإنها كانت تضع القصص في الاعتبار الثاني بعد المواضيع
السياسية • وبحكم ثقافة محرريها المحدودة ، وانصرافهم الى القضايا
السياسية ، لم يكن في وسعها العمل على تطوير القصة العراقية ، بأن تسعى

(٢٩) يراجع مقال « هياكل الماضي » العراق العدد ١٠٠٨ السنة ٤-١٨

ايلول ١٩٢٣ و « رسالة اجتماعية » - المصباح العدد ٢٢ - السنة ١ - ٢٧

نوفمبر ١٩٢٤

الى تعريف القراء العراقيين على ألوان أخرى من القصص ، غير ما كان مالوفاً أو منتشرًا آنذاك ، فتسهم في تعميق النظرة الى القصة ، أو رسم اتجاه مغاير لما كان سائدًا من اتجاه فيها . وقد ابدت هذه الحقيقة نوع القصص التي ترجمتها هذه الصحف في هذه الفترة . فهي رغم كثرتها ، سادها الاضطراب والتشتت ، بسبب ضعف المترجمين وعدم التوجيه ، وبذلك فقدت تأثيرها . بل ان هذه التراجم على الضد من ذلك اسهمت الى حد بعيد ، في تعميق اضطراب المفهوم القصصي . اذ نالت في المقام الاول تحاول ارضاء اذواق القراء وميولهم ، فترجمت لهم الحكايات الغرامية والاحبار الطريفة على انها قصص . ولقد سارت حركة الترجمة خلال هذه الفترة في اتجاهين ، اتجاه يترجم للرواية الطويلة ، نشر معظمه مسلسلًا في الصحف والمجلات^(٣٠) . واتجاه آخر انصرف للقصة القصيرة يترجم لها ، وهذا الاتجاه أكثر كماً ولكنه أقل نوعاً ويفصح بشكل واضح عن اضطراب المفهوم القصصي الذي أشرنا اليه^(٣١) .

على أن أهم هذه الأسباب كلها ، التي أدت الى تأخر ظهور القصة الفنية في العراق ، هو واقع التطور الاجتماعي فيه ، الذي رسم طريقه

(٣٠) من هذه الروايات ، رواية « القيصة في مقصورتها » لوليم ليكو - العراق العدد ٤٥١ وما بعدها . السنة ٢ - ١٥ ت ٢ - ١٩٢٢ ورواية « رحمة الله » لهيلير بيلوك - جريدة العاصمة العدد ٤٥ وما بعده السنة ١ - ٢٦ ك ١ - ١٩٢٢ و « يوم زلزلت الارض زلزالها » العراق العدد ٥٦٠ وما بعده السنة ٢-٢٣ آذار سنة ١٩٢٢ . الخ وفي كتاب مستقل نشر السيد عبدالقادر افندي رشيد الكيلاني ترجمة رواية « دو كينخوتى أو دون كيشوت » عام ١٩٢٣ .

(٣١) للتدليل على ذلك ننقل هنا بعض العناوين لقصص قصيرة مترجمة في هذه الصحف « سيربوس قصة تاريخية واقعة » ، « الزهرة القاتلة » ، « امرأة تقتل شقيا وتحفظ عرضها » ، « حكاية مجنون » ، « ذئب ونعجة » ، « حكاية هوى وغرام سمو الاميرة الملكية » ، « مصرع الارشيدوق رودلف » . الخ . . .

الاستعمار البريطاني . فعندما دخل الاستعمار العراق خلال الحرب العظمى الأولى ، أراد انشاء الوضع الذي يلائمه وتقويته ، والقضاء على كل حركة تؤدي الى خلاف ذلك . بهذا سعى الى تمكين الاقطاع بايجاد كيان خاص للعشائر ، يحميه نظام مستند الى عرف القبائل وعاداتها^(٣٢) . وقام الافتراض على ان العراق قطر زراعي ، فانصرفت الجهود الى تطوير الزراعة من خلال نظام شبه اقطاعي ، عاد بالبلاد الى ما كانت عليه أوروبا في قرونها الوسطى^(٣٣) ، وكان نتيجة لاغفال الحكومات المتعاقبة للصناعة وعدم تنميتها ، والاعتماد على موارد وهمية غير مستقرة ، ان ظلت الغالبية العظمى من الشعب العراقي ، ترسفت في واقع من الفقر المدقع ، والتأخر الاجتماعي . اقطاع في الريف جمد وضع الفلاح العراقي ، فيما يشبه العبودية والرق الاجتماعي ، فسد عليه كل منافذ التطور والحضارة ، مما أدى الى عكس التطور المعلوم في مضمار المدنية^(٣٤) . أما في المدن ، فرغم أن معالم التطور الاجتماعي ، والحضاري ، قد اتضحت فيها بشكل بيسن ، ولم تبق على حالها من الجمود ، فانه مع ذلك لم يكن فيها غير فئات واسعة من الحرفيين الصغار ، والتجار ، والموظفين الذين ارتبطت مصائرهم ، بنزوات جهاز اداري عرف عنه الفساد والمحسوبية ، وظلت مطاردة ، خائفة على خبزها . ان طبقة جديدة ، كان يمكن أن تشق طريقها في الحياة ، طبقة لها مطامحها ، فتمارس بذلك دورها التقدمي ، ظل المجتمع العراقي يفتقر اليها . وكان ضمور الصناعات الوطنية العامل الأهم لعدم ظهور الطبقة الوسطى بشكل نام ، طبقة تتجه الى الثورة

(٣٢) راجع فصلاهما عن السياسة العشائرية الانكليزية التي أدت الى تمكين الاقطاع في العراق في كتاب « العراق دراسة في تطوره السياسي » ، لايرلاند ص : ٥٩ وما بعدها كما يراجع كتاب « مقدمة في دراسة العراق المعاصر » للدكتور زكي صالح ص : ١٤ وما بعدها .

(٣٣) تراجع مقدمة « تاريخ العراق السياسي الحديث » لعبدالرزاق الحسني والتي كتبها الملك فيصل الاول ج ١ ص : ١٢-١٣ .

(٣٤) مقدمة في دراسة العراق المعاصر ص : ١٦ .

بطبيعتها ، وتمارس التغيير الثوري الذي كان العراق بأمس الحاجة إليه .
ومن هنا اقتضت الفاعلية الثورية ، ومحاولة التغيير الاجتماعي على فئة
محدودة من الناس . فئة المثقفين الجدد الذين نما عددهم وتزايد ، نتيجة
التوسع المطرد في التعليم . وقد كان موقف هؤلاء صعبا . وكان بالتالي موقف
الفكر والأدب العراقي صعبا . اذ لم تكن هذه الفئة من المثقفين تستند الى
طبقة واضحة المعالم في المجتمع ، تلقي منها التأييد والسند . ولذلك لم
تفصح هذه الفئة في أكثر الأحيان ، الا عن أفكار مثالية خاصة لا تصلح ان
تكون حلولا جذرية تنقذ المجتمع العراقي مما يعانیه من مشاكل . وهذه الفئة
بحكم كونها من المثقفين تميل الى الاهتزاز دائما ، وعدم الاستمرار في طريق
العمل الثوري لذلك كان اندفاعها وعملها مرهونا لفترة ، تطول أو تقصر ،
الا أنها فترة محدودة تمتد الى أن تتحقق مطامحها الذاتية ، ومتى ما حصلت
على ما تطمح إليه ، كانت المهادنة أولا ، والمساومة ثانيا ، والاستسلام أخيرا .
ورغم ما ذكرناه ، من أن الدور في تطوير العراق الاجتماعي والفكري ،
كان محصورا في هذه الفئة من المثقفين التي بدأت تبرز على مسرح الأحداث ،
بشكل محسوس بعد تطور التعليم ، والتي توزعتها اتجاهات متباينة متعارضة
متصادمة ، لحد الدم في أغلب الأحيان ، وهي الفئة التي كانت مهياة أكثر من
غيرها لحمل راية القصة العراقية ، واعلاء شأنها ، فان هذه الفئة لم تكن قد
نضجت في الفترة الأولى من العشرينات ، وتطورت الى الحد الذي يؤهلها
للقيام بهذا الدور الخطير ، واداء مهمتها على أحسن وجه . فقد كانت تعيش
في مراقبتها بل طفولتها . وكانت العشرينات هي فترة التجربة التي كان لا بد
منها ، لكي تتمثل واقعها جيدا ، وتستفيد من تجاربها أكثر ، حتى تتحقق
ما هي مؤهلة لتحقيقه . وبذلك لم تستطع ان تقوم بالدور الذي كان يجب
أن تقوم به بحكم وضعها الفكري ودرجة تطورها ، وكان ذلك من أهم
أسباب ضعف القصة في الفترة الأولى من العشرينات ، وعدم نضوجها . الا

أن نهاية العشرينات شهدت تطورا محسوسا في واقع هذه الفئة المثقفة من حيث نضجها ، وكثرتها العددية . فبدأت القصة العراقية نتيجة لذلك تشق طريق تطورها الذي قادها في نهاية المطاف الى النضوج .



ويمكننا ان نقرر منذ الآن ، أن فجر القصة قد بزغ في العراق ابتداء من أواخر العشرينات . وهو كأي بزوغ لفجر جديد ، شاحب النور خافته . كما أنه ظل طوال الثلاثينات فجرا . فقد شهدت الفترة الثانية من تاريخ القصة العراقية بين الحربين - والتي يمكن أن نحددها تاريخيا ابتداء من أواخر العشرينات حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ - محاولات مخلصّة واعية تستشعر مسؤولياتها، في كتابة القصة . ومحاولات جادة مخلصّة ايضا ، للتعرف على أصول هذا الفن ومقوماته في مظانه . وقد آتت هذه المحاولات أكلها . وما كتبنا عن تأخر القصة ليس الا تمهيدا ضروريا لا بد منه . فبعض هذه العوامل المؤخّرة ، كان من طرف آخر شاملا مساعدا ، هيا عن طريق غير مباشر الأسباب لكي تنتقل القصة العراقية الى مرحلة جديدة ، كما أن بعض هذه العوامل ظل ، بشكل أو بآخر ، يعمل في سبيل ابقاء المرحلة الثانية من تاريخ القصة بين الحربين ، مرحلة تعاني التخبط والاضطراب . مما جعلها سببا هاما في بقاء القصة العراقية تدور في نطاق المحاولات ، التي تسعى للعثور على طريقها وملاحمها ولونها العراقي الخاص ، طوال الثلاثينات .

وكان أقوى العوامل التي أدت الى بزوغ فجر القصة في العراق ، هو اتساع نطاق الفئة المثقفة من الناس ، والتي قامت المهمة الكبرى في انهاض العراق ، وقيادة الفكر فيه على عاتقها ، واتجاهها الى تعميق ثقافتها . لقد

توزع الفئة المثقفة في العراق ، في أوائل العشرينات ، اتجاهاً ثقافياً منعازاً لا يلتقيان :

اتجاه يستمد ثقافته من التراث العربي القديم ، وينحو نحو محافظاً ، ويعتبر أمثداً للتيار الثقافي العربي القديم . وأدباء هذه الفئة لم يكن يروق في أعينهم إلا الأدب القديم ، فلا يزالون يتأثرون ويحتذونه ، ويحاولون أن يلبسوا شخصيتهم صاحبه ، حتى لتكاد تشم روائح الموت فيما يأتونه من مجهود^(٣٥) ، ولن تجد في أدبهم ما يمس واقعاً ، أو ينبض بما كان ينبض به المجتمع العراقي من عواطف ، وأحاسيس . واستمر هذا التيار الثقافي بحدوده ومنطقه ونمط ثقافته ، طوال الثلاثينات . بل انه لا يزال يجد في بعض أدباء العراق اليوم ، من يسير في ركابه .

واتجاه جديد ، سلكه الجيل الناشئ ، انفتح على الثقافة الحديثة ، التي أتته في الأغلب من مصر أوائل العشرينات ، واندفع في تيارها . بحيث أصبحت هذه الكتب والمؤلفات المصرية ، وما تحمله من ألوان ثقافية وفكرية جديدة ، هي مثل هذا الجيل الأعلى . يتدارسها ، ولا يجد في غيرها من اللذة والمتاع ما يعدل ما كان يجده فيها . وكان من تأثير هذه الكتب ، أن خلقت من هذا الجيل الجديد ، في أوائل العشرينات ، فئة من المثقفين تحمل الآراء والمبادئ غير الناضجة ، بسبب ضعف ثقافة هذا الجيل ، إذ كان في بداية عهده بالثقافة ، وعدم قدرته على استيعاب المؤلفات العميقة منها .

ولقد كانت هذه الفئة من المثقفين في البداية محدودة العدد ، ضحلة التفكير ، ثم تزايد عددها ، تدريجياً ، وعمقت ثقافتها ، مع مضي الزمن ، نتيجة اتساع حركة التعليم ، وكثرة البعثات التي أرسلت إلى الخارج ، وزيادة الصلات الفكرية بين العراق والدول الأوروبية من جهة ، وبين الأقطار العربية ، وخصوصاً مصر ، من جهة أخرى ، وتزايد عدد الذين يعرفون

(٣٥) عناصر الحلود في الآداب وحظ العراق منها . عز الدين آل يس . مجلة الاعتدال ، العدد ٨ السنة ٢ شباط ١٩٣٥ . ص : ٤١٠

اللغات الأجنبية ، وبصورة أخص اللغة الانكليزية ، التي كانت إحدى المواد الرئيسية التي يدرسها الطلاب في مدارسهم ، مما ساعد على اجراء تلقیح مشر بين ثقافتهم الخاصة والثقافة الغربية والفكر الغربي ، يتحرر بعض التحرر من التبعية المطلقة لمصر .

ولقد قامت النهضة الفكرية - التي لمسنا آثارها في الثلاثينات في هذه المؤلفات العلمية المترجمة والكتب الدراسية المنقولة من ثقافة الغرب ، وفي هذه الآثار التي تناول مختلف نواحي الثقافة من عسكرية وتاريخية وسياسية واجتماعية وأدبية وعلمية - (٣٦) على عاتق فئة محدودة من المثقفين استطاعوا أن يرتفعوا بمستواهم الثقافي ، نتيجة جهود فردية خاصة ، ويحركوا سير الثقافة الى وجهتها التي يجب أن يصار اليها . فمارسوا بذلك فعاليتهم وتأثيرهم في تطوير المجتمع ، وخلق القصة العراقية بالتالي .

والواقع ان الاحساس بالحياة ، الذي خامر نفوس العراقيين ، بعد هذه النهضة الأدبية الكاذبة أوائل العشرينات ، بالاضافة الى العوامل الأخرى التي أشرنا اليها ، كانت الحافز الذي دفع هذا « البعض » الى أن يراجع موقفه ، ويصححه . لقد أحسوا افلاس آرائهم وأفكارهم الأولى ، وأحسوا عقم الانكباب على هذا الفكر التافه الذي حملته الروايات الخيالية ، والكتب المترجمة على نمطها ، وأحسوا عبث الجهد الذي يصرفونه في قراءة أدب كتاب أمثال المنفلوطي وجبران ، بعاطفيته ، وهم يواجهون واقعهم الاجتماعي المرير ، وآثار التخلف ماثلة في كل مكان . فتعرفوا على الاتجاه الجاد من الفكر انصري الحديث ، الذي عمل على بثه رواد المدرسة الحديثة ، على اختلاف في اتجاهاتهم ونزعاتهم ، فقرأوا قاسم أمين ، وشبلي شميل ، وسلامة موسى ،

(٣٦) الحركة الثقافية في العراق . يوسف الحاج الياس - مجلة « المجلة » ، العدد ١٩ السنة ١ - ١ تموز ١٩٣٩ ص : ١٤ / ٨٨٦

وطه حسين ، والمازني ، والعقاد (٣٧) .

وقد كان تعرفهم على هذا الفكر ، واسطة هامة ، قادتهم الى التعرف على ألوان أخرى ، من الفكر ، بوسائلهم الخاصة . فتعرفوا على الفكر التركي الحديث ونزعاته الحرة ، والفكر الغربي باتجاهاته المتعددة ، مما أغنى الفكر العراقي الحديث بصورة عامة ، وثبت أسس النهضة الفكرية في العراق على دعائم متينة . وقد كان نشاط هذه الفئة من المثقفين ، ونمو ثقافتها السريع ، السبب الأول في تعرف الكتاب على اتجاه للمقصة غير ما عرفوه من اتجاه لها ، في اول نهضتهم ، مما دعاهم بالتالي الى أن يصححوا من نظرتهم اليها ، والى ان يكتبوا القصة على نحو جديد قادها الى فجرها . وبسبب منه أيضا ، تعالت الشكوى في الصحف والمجلات ، تشكو ضعف الأدب والفكر في العراق وتخلفهما ، وتعددت البحوث التي تسعى لمعرفة أسباب هذا الضعف والتخلف ، وتزايدت المطالبة بضرورة السعي لايجاد الفكر والأدب العراقي الأصيل ، الذي ينبع من الذات العراقية ويصور مطامحها وآمالها على نحو جديد أصيل (٣٨) .

على أن هذا لايعنى أن هذا اللون الجديد من الثقافة الحديثة ، قد انحدر الى جميع القراء ، فقد ظل لهذه الثقافة الهزيلة ، التي تعرفنا على جانب منها

(٣٧) استفدت كثيرا ، في كتابة هذه الصفحات عن التطور الفكري عند المثقفين من كتابات محمود أحمد السيد القصصية ، خصوصا قصة « جلال خالد » ومجموعة « الطلائع » التي عكست نفسية أبناء جيله .

(٣٨) تراجع في تتبع هذه الشكوى المقالات التالية .

« الركود الأدبي في العراق عوامل وأسباب » العراق العدد ٣٢٤٩ السنة ١١ - ك ١ - ١٩٣٠ « جمود الحركة الأدبية في العراق » العراق العدد ٣٧٥٥ السنة ١٣ آب ١٩٣٢ « متى يزدهر التأليف العراقي » الحاصد العدد ٨ السنة ٦ حزيران ١٩٣٦ . « عناصر الخلود في الآداب وحظ العراق منها » عز الدين آل يس . الاعتدال - العدد ٣ السنة ٢ - ك ٢ - ١٩٣٥ .

فيما سبق ، قراؤها ، وهم الغالبية العظمى ، وظل التشتت والاضطراب من سمات الفكر العراقي في هذه الفترة .

نجحت هذه الفئة المثقفة الجديدة ، اذا ، في ان تقود الأدب العراقي الحديث الى التعرف على القصة الفنية بأنواعها المختلفة . الا ان دورها ظل محدودا ، بحكم وضعها الطبقي الذي ألمحنا اليه سابقا . كما ان هذه الفئة المثقفة كانت تنتمي الى فئات اجتماعية فقيرة ، نهضت اجتماعيا بعد انتشار المدارس الحديثة في العراق ، التي أتاحت لهم ، بعد تخرجهم في مراحل الدراسة المختلفة ، ان يحتلوا مراكز في الدولة . وبذلك ارتبطت ظروف معيشتها بما كانت تكسبه من شغلها لوظائف الدولة ، والحكومة . وكانت مشاكل الحياة الصعبة ، وعدم استطاعتها الاعتماد على الأدب وحده ، كواسطة يمكن أن تعاش منها ، أن جعل نشاطها الثقافي والأدبي مضطربا ، لا يتصف بالاستمرار والدوام . ولقد كان كتاب هذه الفئة جميعهم من الهواة ، ولم يتفخوا أو يأملوا من وراء ما يكتبون ، مكسبا ماديا . وكان اندفاعهم الى الكتابة نتيجة احساس داخلي عميق بضرورة تحقيق بعض ما يطمحون اليه من آمال ، وأن يروا مجتمعهم يتبوء المكانة اللائقة به . بل ان الكثير من هؤلاء الأدباء كان يخسر شيئا من ماله ، عند نشره لكتاباته ، فوق أتعابه وجهوده^(٣٩) .

وقد زاد من الصعوبات التي واجهتهم ، أن القارئ العراقي لم يكن يثق بقدرة هذه الفئة على الكتابة ، ولم يكن يجد فيما يكتبونه قيمة فنية او أدبية ، تدفعه الى رعايتها أو تشجيعها ، فارتفع نتيجة لذلك ، صوتها بالشكوى من القراء وعدم اهتمامهم بتشجيع الفكر والأدب ، وقادها هذا الى التديد بالتبعية الفكرية لمصر ، وبالنتيجة الأدبي المصري الذي كان مسيطرا

(٣٩) الحركة الثقافية في العراق - المجلة العدد ١٩ السنة ١ - ١ تموز ١٩٣٩ ص : ٨٨٦/١٤

على سوق الأدب والقراء^(٤٠) . على أننا لا نغسط القارئ العراقي حقه ، فقد محض من كان يستحق من هؤلاء الكتاب ثقته ، واندفع يقرأ كتابات من وجد في كتاباتهم ما يعبر عن مطامحه وآماله ، او فيه نصيب من جهد وجد . وأقوى دليل يمكن أن نسوقه لتوكيد زعمنا هذا ، الرواج الذي صادفته مؤلفات « ذو النون أيوب » القصصية .

أما المؤثرات الأخرى التي ساعدت على تطوير القصة العراقية وبزوغ فجرها ، في الفترة الثانية من الثلاثينات التي نؤرخ لها ، فلعل أبرزها ثلاثة :
أولها : الاتصال بالقصة التركية الحديثة ، بما تحمله من نزعة حرة ، واتجاه نحو الإصلاح الاجتماعي ، والسخرية من كثير من القيم والعادات والتقاليد التي تكبل المجتمع التركي ، وتعوق تطوره . وقد كان الفضل الأول في هذا لمحمود أحمد السيد . ويلوح أن اتصاله بالأدب التركي الحديث ، قد تم حوالي عام ١٩٢٦^(٤١) . فقد بدأت بوادره تظهر في الصحف منذ ذلك الوقت ، خصوصا في « الصحيفة » التي كان يصدرها صديقه حسين الرحال . ثم انصرف السيد ابتداء من عام ١٩٢٧ الى ترجمة القصة التركية . وقد أعجب من الكتاب الأتراك ، برشاد نوري بصورة خاصة . وكان السبب في اتجاهه هذا هو ميله « الى اطلاع الناس ، على نماذج من الأدب التركي ليس غير والى اذا ماشئت بث الدعوة للحرية ، وهدم كل بناء فاسد نظامه »^(٤٢) . ويبدو أن صعوبات جمة قد واجهت

(٤٠) هناك مقالات عديدة متفرقة نشرتها الصحف والمجلات في هذا الموضوع . ولعل مقدمة يعقوب بلبول لمجموعته « الجمرة الاولى » فيها غناء وتوضيح .

(٤١) ويظهر ان السيد قد اتصل بالقصة الفنية قبل هذا التاريخ بقليل اذ نشر تلخيصا موجزا لقصة البعث لتولستوى في الصحيفة العدد ٣ السنة ١ شباط ١٩٢٥ ص : ١٥

(٤٢) نزعة من نزعات الادب القصصى التركى ، هدم للتقاليد . محمود أحمد ، الاستقلال العدد ١٠٩٥ السنة ٧-٥ تموز ١٩٢٧ .

الكاتب في مهمته هذه ، وليس غريبا ذلك فالأدب الجديد ، واتجاه القصة التركية الحديث ، كان لا يزال غير معروف لدى القراء آنذاك ، بل عند معظم المثقفين . وقد أفصح عن هذه الصعوبات التي واجهته قائلاً : « ولقد كنا نرغب في نقل قصص الكاتب كلها^(٤٣) ، ولكن الذي يحول بيننا وبين ذلك عدم تهيو جمهور القراء لقرائتها فضلا عن احجام الصحف وترددتها في نشرها . واعلم أن « الصحيفة » الجريئة التي غالى بعضهم في اساءة الظن بها وآرائها ونظرياتها أبت أن تنشر أقصوصة صغيرة من أقصوصاته لأنها تظهر المشائخ أصحاب الطرق الصوفية في الاناضول بمظهر غير جميل ،^(٤٤) . ولم يكن محمود السيد في أكثر ترجماته أمينا ، اذ كان يتبع طريقة « التلخيص المحكم » ، والتحدث عنها الى القارئ ، وتحليلها وأشخاصها وميولهم واتجاهات أفكارهم ونفسياتهم ،^(٤٥) . وعن طريق هذا الادب تعرف محمود السيد على القصة الروسية ، وعلى كبار كتابها ، كتورجنيف ودوستوفسكى وتولستوي واتجاههم الواقعي . فبديل مفهومه عن القصة ، وشعر بأهميتها ، بعد ضياع فكرى قاده الى تطرف شديد ، مما كان له أكبر الأثر في تطوره الفنى ، وتطور القصة العراقية الحديثة على يديه . ومن هنا كانت دعوتـه التي يرى فيها « أن من واجب الادباء عندنا تمهيدا لادخال القصة والأقصوصة فى أدبنا - أن يعرضوا علينا بواسطة النقل أو التلخيص والتحليل نماذج مما شاع وانتشر منها فى الآداب أخصها الآداب الشرقية من روسية ويابانية وصينية وتركية . فانها تتفق وأذواقنا ولا تكون بعيدة عن نفسياتنا كالقصص والاقاصيص الافرنجية التي أسرف فى نقلها الى أدبنا كتاب لا يفقهون ،^(٤٦) .

(٤٣) يقصد رشاد نورى .

(٤٤) المرجع السابق .

(٤٥) المرجع السابق .

(٤٦) المرجع السابق .

وقد تابع محمود السيد فى الاهتمام بالأدب التركى الحديث، والانصراف الى ترجمة قصصه ، خلف شوقى الداودى ، فترجم عددا كبيرا من القصص التركية ونشرها متفرقة فى المجالات والجرائد منذ أوائل الثلاثينات ، ثم عاد وجمعها فى كتاب « قصص مختارة من الأدب التركى الحديث » . ومختارات الداودى تميل الى لون خاص من القصة التركية ، تركز فى الدعابة والفكاهة والنقد اللاذع ، وهو لون ينسجم مع شخصية الداودى التى عرف بها . وانصرفت الى هذه الترجمة ، جهود أدباء آخرين ، كأنتور شاول ، ونعيم طويق ، ويوسف مكمل ، وميلدة يوسف . وينبغى الإشارة هنا ، الى أن عددا كبيرا آخر من القصص التركية المترجمة ، كانت تنشرها الصحف والمجلات المختلفة ، ولم يكن يشار الى أسماء مترجميها .

أما ثانياً هذه المؤتمرات ، فهو القصة المصرية الحديثة ، التى تطورت تطورا ملموسا ، خلال هذه الحقبة ، وخطت خطوات كبيرة نحو القصة الفنية . وبدأ كتاب المدرسة الحديثة بنشر انتاجهم^(٤٧) . وأبرز الكتاب المصريين أثرا فى القصة العراقية هو محمود تيمور ، الذى احتل مكانة هامة فى قلوب العراقيين ، وأصبح بالنسبة الى بعض القصاصين انموذجا عالياً ينبغى السير على هداه . وقد تأثر به من الكتاب محمود أحمد السيد خاصة ، وهو الذى كتب عدة أقاصيص نشرها فى أوائل الثلاثينات ، وأهداها اليه . كما كان لكتاب آخرين أمثال : توفيق الحكيم ، والمازنى ، وطه حسين ، والعقاد ، ومحمود طاهر لاشين مكانتهم فى النفوس ، وأثرهم فى التأليف القصصى .

وثالث هذه المؤتمرات ، هو الانصراف الى الترجمة ، الذى عرف

(٤٧) يراجع فى تطور القصة المصرية الحديثة . فجر القصة المصرية ليحيى حتى ص : ٥٦ وما بعدها . وكتاب « تطور الرواية العربية فى مصر » ص : ١٨٧ وما بعدها .

الأدباء ألوانا متعددة متنوعة من القصة الفنية • ومما ساعد على اتساع حركة الترجمة ، ازدياد الشعور بأهمية القصة لدى الأدباء ، وازدياد الدعوات التي كانت تدعو الى الانصراف الى ترجمة القصص ، كواسطة هامة لتعريف الأدباء على القصة الحقيقية في أدب الغرب ، لكي ينهجوا نهجها وينسجوا على منوالها^(٤٨) . وازدادت حركة الترجمة نشاطا ، بشكل يلفت النظر منذ عام ١٩٢٧ ، وهذا التاريخ في الواقع ، يمثل انعطافا في تاريخ القصة العراقية^(٤٩) . ورغم أن هذه الحركة ظلت في البداية محتفظة بسماتها الأولى ، من التشتت والاضطراب ، وعدم الامانة في النقل والارتجال في الاختيار ، فان هذه التراجم اتجهت منذ الثلاثينات ، الى القصص الفنية الأصيلة في الادب الغربي • فترجمت لموبسان ، وأنا تول فرانس ، وألفونس دوديه ، وبالزك ، وأندريه موروا ، وفيكتور هيجو من الأدب الفرنسي •

(٤٨) يراجع على سبيل المثال مقال « مقام الرواية في الادب » لعبدالغنى شوقي الذي نشره في جريدة « الفضيلة » العدد ١٥/٧٥ السنة ٣ - ٩ حزيران ١٩٢٧ ص : ٤ والذي ورد فيه قوله : « أما في الوقت الراهن ونحن في بدء نهوضنا وتنبهنا فحري بنا أن نضرب صفحا عن تلك القصص الخرافية القديمة • وأن ندخل الفن الروائي الغربي الى أدبنا العربي •• وترجم الى لغتنا العزيزة من روايات كبار أدباء الغرب ما يغذى عقولنا ويرقى مداركنا ويوسع أفكارنا فان أدبنا في أمس الحاجة اليها • ولسنا نقصد بالترجمة ادخال الفن الروائي الى أدبنا فحسب • بل لكي ينهج أدباؤنا على طرق أدباء الغرب وينسجون على منوالهم فيعضوننا عن ذلك النقص الذي اعتور آدابنا قديما كما أننا في أشد الافتقار اليه وعدم الاستغناء عنه » •

(٤٩) ومن أسباب ذلك ، فيما نرى ، أن الفترة الزمنية الفاصلة بين أوائل العشرينات ، وهذا التاريخ ، قد شهدت من التطور الفكري ما جعل الأدباء يشعرون بأهمية الفن القصصي وضرورة ادخاله في الأدب العراقي الحديث ، فأخذوا بترجمته أو الكتابة فيه • ولعل الذي عضد هذا وساعد على ابراز هذا النشاط بشكل يلفت النظر ابتداء من هذا التاريخ ، هو كثرة الصحف التي صدرت في هذا العام أو العام الذي تلاه •

ولجورج اليوت ، وويلز ، وتوماس هاردي ، وأوسكار وايلد من الأدب الانكليزي . ولتشكوف ومكسيم جوركي ، ودوستوفيسكي ، وبوشكين ، وأردس شيريكوف ، وأوسيب دميروف ، وميخائيل ارتزباشيف من الأدب الروسي . ولجبرائيل دانونزيو ، وبيراندلو من الأدب الايطالي . كما ترجمت قصصا من الأدب الأمريكي (أوجين أونيل) والهنغاري (افسون هونغس) والدانيماركي (هانس كريستان اندرس) والألماني (ايريك ماريا ريمارك) وغيرهم (٥٠) .

وأبرز مترجمي هذه القصص أنور شاول ، وسليم بطي ، وعبدالوهاب الأمين ، وشاول حداد ، ونعيم طويق ، ومحمود أحمد السيد ، وخلف شوقي الداودي (٥١) . وكانت أكثرها عن الانكليزية أو التركية ، وفي الأقل عن اللغة الفرنسية ، التي كان يترجم عنها أنور شاول ، فقد كان يجيدها بحكم دراسته الخاصة في المدارس اليهودية آنذاك .

ولقد بدأ الاهتمام في البداية ينصب على قصص موبسان ، فترجم العديد منها ثم اتجه تيار الترجمة الى الأدب الروسي ، فكثرت التراجم لتشيكوف ، ومكسيم جوركي ، وتورجنيف ، ودوستوفيسكي ، مما ترك

(٥٠) حاولنا في البداية احصاء هذه التراجم العديدة للقصص ، التي نشرت في الصحف والمجلات المختلفة خصوصا في « العراق » و « البلاد » و « الحاصد » فتجمع لدينا منها عدد كبير ، مما لا يسعه بحث كبحثنا . فآثرنا أن نرصد اتجاه هذه التراجم لتبيين أثرها في تطوير القصة العراقية . ومهما يكن من شيء ، فإن بحثنا في حركة الترجمة ، يقدم دليلا قويا على أن حركة الترجمة في العراق لم تكن ضعيفة بالقدر الذي حاول بعض الباحثين أن يعكسوه ، نتيجة الارتجال في البحث والاعتماد على ما نشر من هذه التراجم في مجموعات وهي قليلة يلاحظ على سبيل المثال كتاب « القصص في الأدب العراقي الحديث » ص : ٢٩ وما بعدها .

(٥١) هناك عدد كبير آخر من المترجمين ، معظمهم من الهواة ، لم نر ضرورة لذكر اسمائهم .

أنرا كبيرا في اتجاه الكتاب العراقيين نحو الواقعية ، في هذه الفترة التي نؤرخ لها ، وفي الفترة اللاحقة بعد الحرب العالمية الثانية ، وفي بروز النزعة التحليلية في القصص العراقي . ويبدو أن الكتاب العراقيين اكتشفوا في الأدب الروسي ، ما سبق أن اكتشفه أدباء المدرسة الحديثة في مصر . فهذا الأدب « أدب يتحدث بحرارة وانفعال شديد عن الاعتراف والنزعة الى التطهير والقداء ، والبكاء على مآسى الحياة ، والايمان بالقدر والثورة عليه في وقت واحد ، يحدثهم عن الصلاة والتراويل ، وعن الحمر والبغاء ، والجريمة والعقاب ، والقديسين والشياطين (الشيطان نفسه بطل يظهر فتراه العين في قصة اخوان كرامازوف ، والفلاح الساذج بطل تورجنيف ، والتلميذ الفقير الجائع بطل دستوفسكى ، بل دهشوا حين رأوا هذا الأدب - الى جانب حفاوته بدراسة النفس البشرية والمشاكل الاجتماعية ، ليس بأقل حفاوة في وصف الطبيعة ومشاهدها والتغنى بجمالها ، كل هذه أجواء توافق مزاج الشباب الشرقي الملهب العاطفة ، المحروم من الحب^(٥٢) ، وما يلفت النظر أن هذه التراجم اهتمت بالقصة القصيرة بصورة خاصة ، ولم تهتم بالرواية الا قليلا^(٥٣) .

(٥٢) فجر القصة المصرية ص : ٨١-٨٢ .

(٥٣) من الروايات التي ترجمت في هذه الفترة « الجبهة الغربية هادئة » لايريك ماريا ريمارك التي نشرتها « نداء الشعب » (بدل الاستقلال) مسلسلة ابتداء من العدد ٥٤/٤٨٤ السنة ٢ - ٨ ت ٢ - ١٩٢٩ و « طريق العودة » لنفس المؤلف ونشرت في الاستقلال مسلسلة ابتداء من العدد ١٦٥١ السنة ١٢ - ٢٩ ت - ١٩٣١ ولم يشر في كلتا الروايتين الى اسم مترجمهما .

وترجمت نزهة غنام ابنة صاحب جريدة العراق قصة « المرأة المجهولة » عن الفرنسية دون أن تشير الى اسم مؤلفها ونشرتها أولا مسلسلة في « العراق » ابتداء من العدد ٣٨١٧ السنة ١٣ - ١٧ شباط ١٩٣٤ ثم عادت ونشرتها في كتاب مستقل . ونشرت جريدة المبدأ ترجمة « للأبناء والأبناء » لايفان تورجنيف =

ونتيجة لهذه المؤثرات بدأ مفهوم جديد للقصة ينتشر في الأوساط الأدبية ، وينعكس صدها على القراء . وهو مفهوم يماشى المفهوم الاول لها ، ويختلط به ثم يستقل بنفسه ، ويسود بحيث أصبح المفهوم الاساسى لها . وقد بدأت بوادر هذا المفهوم الجديد للقصة تظهر عند محمود أحمد السيد ، وأنور شاؤل ، وعبدالوهاب الأمين ، وشالوم درويش ، وذو النون أيوب ، وغيرهم من الكتاب الذين خطوا الخطوات الأولى في طريق القصة العراقية الحديثة ، وأسهموا في بزوغ فجرها . وهذا المفهوم الجديد للقصة ، يسير في خط مناقض لمفهومها الاول . ويرى في القصة وسيلة هامة للتعبير عن النوازع والمشاعر والعواطف الانسانية ، وطريقاً جيداً لشرح الأفكار الاجتماعية الاصلاحية ، وتصوير العيوب والنواقص الاجتماعية ، وبالتالي التأثير في هذا المجتمع ، ودفع عجلة تطوره الى أمام . لقد كان هذا المفهوم الجديد للقصة ، يظهر في ملامحه الاولى ، كرد فعل للمفهوم الاول الذى يضرب في الأوهام ، ويجعل من الفن القصصى وسيلة للهو والتسلية ، ووسيلة للهروب الى أجواء لا تمس الواقع ، ولا تعمل على تغييره ، ان لم نقل تعمل

= الا أنها لم تنشر منها الا قسمين فى العددين ١٤ ، ١٥ السنة ١ شباط ١٩٣٥ ، كما ترجم محمود أحمد السيد الذى رمز لاسمه بالحسروف (م . أ . س) رواية « اذ تغرب الشمس » عن التركية لارجمند أكرم ونشرتها جريدة الاهالى مسلسللة ابتداء من العدد ٤٢٦ السنة ١-٥ ت ٢ - ١٩٣٦ .

كما نشرت نفس الجريدة رواية « طلاب المكتب » لجوز ماريان اركوداوس مسلسللة ابتداء من العدد ٤٨٩ السنة ٥ - ك ٢ - ١٩٣٧ وهناك ترجمة لرواية « الام » نشرت فى جزئين مستقلين كبيرين ، واشترك فى ترجمتها ذو النون أيوب (القصص فى الادب العراقى ص : ٣١) الذى سبق ان ترجم عام ١٩٣٤ قصة « المكفول » للكاتب الروسى جيركوف .

على اعاقه سيره وتطوره (٥٤) .

ولم تكن المهمة التي أخذها هؤلاء الكتاب على عاتقهم ، لنشر هذا المفهوم الجديد للقصة ، باليسيرة ، فقد كان عليهم أن يكافحوا في اتجاه مضاد لرغبات القراء ، وللعديد من الكتاب المستجدين الذين أخذوا يكتبون القصة في ظل من المفهوم الاول وتأثرا به . وكان عليهم أن يقدموا نماذج من القصص ، تبلور آراهم وتوضح اتجاههم ، وأكثرهم كان حتى زمن قريب ، خاضعا للمفهوم الاول متأثرا به . ومن هنا جاء هذا التناقض الذي وقع فيه بعض الكتاب العراقيين ، حين كانوا يدعون للقصة الاجتماعية ، ويتحمسون لها ، وينهجون في كتاباتهم خطأ مناقضا لما يبشرون ويتحمسون له ، كما يتمثل ذلك في كتابات أنور شاول ، ويعقوب بلبول . اذ جاءت خليطا غير متجانس من العاطفية وغرابة الاحداث ، وشذوذها ، والواقعية الاجتماعية التي لاتحتم فهم الواقع ، ولاتحسن تصويره بالتالي . كما أن التشديد على الأفكار الاجتماعية ، التي ينبغي على القصة أن تعبر عنها أدى بالبعض الى أن يكتب المقالة الاجتماعية وهو يحسب ما يقدمه قصصا ، ونرى صورة بارزة من هذا ، في أكثر قصص « ذو النون أيوب » .

والواقع أن المفهوم الأول لم ينحصر تماما ، ولم يفقد تأثيره ، بل ظل ماثلا في كتابات عدد غير قليل من الكتاب المستجدين ، الذين وجدوا في القصة وسيلة سهلة للتعبير عن أفكارهم الساذجة ، ومراحتهم المكبوتة ، بالرغم مما بذله كتاب الاتجاه الجديد من جهد ، أدى بالتالي الى أن يسود

(٥٤) يراجع للتعرف على جوانب مفهوم هذا الاتجاه الجديد في القصة ، مقالة « فجر القصة في العراق » لمحمود أحمد السيد . البلاد العدد : ١٧٠ السنة ١ - ٢ حزيران ١٩٣٠ ومقالة « أدب القصة وأثره » لجرجس يوسف . الحاصد العدد ١٧ السنة ٤ - ٢ - ١٩٣٢ . ومقدمة أنور شاول لحصاده الأول ومقدمة يعقوب بلبول لمجموعته « الجمرة الأولى » ومقدمة مجموعة « رسل الثقافة » لـ « ذو النون أيوب » .

ويعطى للقصة العراقية طابعها الذي عرفت به ، الطابع الاجتماعي السني
لاتعداه الى غيره .

ان القصة العراقية ، نتيجة لتعدد المؤثرات وتنوعها ، توزعتها مضامين
عدة في الثلاثينات . أبرزها المضمون العاطفي والمضمون الاجتماعي الذي
اتجه الى الواقعية في طوره الاخير في هذه الحقبة . وهي في محاولاتها
المتعددة ومضامينها واتجاهاتها المختلفة ، استطاعت أن تقدم صورة جلية
وواضحة للمجتمع العراقي في فترة من تاريخه ، بحيث يمكننا القول ، ان
تاريخ تطورها هو تاريخ تطور الفكر في العراق ، ونضوجها هو نضوج لهذا
الفكر في العراق . وقد استطاعت ، على اختلاف في قيمتها الفنية ، أن تصور
النزعات والأفكار والآمال والمطامح التي يصطبغ بها المجتمع العراقي ، وكان
بعضها وثيقة بالغة الأهمية لمجريات الاحداث السياسية والاجتماعية ، مما
يمكن أن يفيد باحثاً يدرس المجتمع العراقي .

ورغم ذلك ، فان هذه الفترة من تاريخ القصة العراقية ، لم تنجح في
أن تصل بالتناج القصصي الى قمة تطوره ، ولم ينجح كتابها دائماً في أن
يقدموا نتاجاً جيداً بصورة مستمرة . وانما هذا التناج كان يتفاوت قيمة
وجودة بالنسبة لقصة وأخرى ، لدى كاتب واحد ، ولكن هذه الفترة مرحلة
كان لا بد منها لكي ينتقل الفن القصصي في العراق الى طور ثالث ، يكون
أوغل في الفنية ، مضموناً وشكلاً . وكانت عوامل ضعف هذه الفترة تعتبر
امتداداً لعوامل ضعفها في الفترة الاولى من العشرينات التي أخرجت ظهور
القصة الفنية فيها . وتتصل هذه العوامل بالاساس ، بطبيعة الفئة المثقفة
العراقية ، التي لم تكن قادرة على أن تحقق ما تصبو اليه في فترة قصيرة ،
بحكم عدم تماسكها الطبقي ، وتشتت أفكارها ، وعدم استمرارها في الكتابة ،
وبحكم أن معظم الحوافز التي كانت تدفع كتابها الى الكتابة كانت حوافز
فردية خاصة ، حين تنتهي أو حين يتقدم العمر بأصحابها تصبح الشعلة التي

أججت روح الفن فيهم ، ضربا من النوازع الصبائية التي لا يليق بهم أن يحتفظوا بها . ان الذين مارسوا كتابة القصة في العراق كانوا من الشباب دائما ، شباب لم تكن مسؤولياتهم وارتباطاتهم الاجتماعية المتعلقة بشؤون المعيشة بصورة خاصة ، قد وصلت الى حد استشعار الاخطار التي تسببها ممارسة هذا الفن . ولانملك القصة العراقية الحديثة كتابا واحدا أخلص لها العمر كله ، الا محمود السيد الذي اختطفه الموت مبكرا ، ولا نعلم ماذا كان سيصير اليه لو امتد به العمر ، وذو النون أيوب الذي يبدو أنه ترك الكتابة أخيرا . وما تركوا ليس الا محاولات مما يكتبها الكاتب في شبابه ثم يرمى قلمه بعيدا ، لكي يخوض لجة الحياة ، فتبتلعه مشاغلها التافهة ، وتعود كتاباته في القصة ، مجرد ذكريات يعود لها بين حين وآخر بحنان يشوبه خجل يتفاوت عمقا . وكان واقع الكتاب العراقيين هذا من أهم العوامل التي عاقت تطور القصة العراقية حتى اليوم .

ومما قوى هذا العامل وسانده ، ضعف المستوى الثقافي للكتاب عموما ، وعدم أخذهم لأنفسهم بمنهج تثقيفي رصين . يقوم من أداتهم اللغوية ، ويزيد من عمق نظرتهم للحياة ، ويرقى باشكال العمل القصصي الفنية . ويتصل بهذا عدم نشوء حركة نقدية ، تسير النهضة القصصية ، تقيم الاعمال القصصية التي كانت تكتب ، وتحكم بما يرفع هذا الفن ويطوره . واذا أضفنا الى ذلك ، أنشغال أكثر الأدباء العراقيين بالسياسة - ناهيك الصحف - وانصرافهم اليها انصرافا يكاد يكون تاما ، تصبح الأسباب والعوامل التي أدت بالقصة العراقية الى أن تقف عند حد معين في تطورها ، خلال هذه الفترة التي نؤرخ لها ، واضحة جلية .



وقبل أن نختم هذا الفصل ، نرى أنه تجب الإشارة الى بعض الامور التي نرى في ذكرها ضرورة ، لكي تكون الفكرة التي نريد رسمها عن

القصة العراقية خلال الفترة التي نؤرخها من تاريخ العراق ، واضحة بينة .
فقد كان جل همنا في هذا الفصل ، تسجيل ظاهرة أن القصة الحديثة في
العراق قد تطورت ونمت ، وصنعت فجرها ، خلال فترة قصيرة نسبيا من
تاريخها . اذ ما كادت الثلاثينات توشك على نهايتها ، حتى توفر للمقصصة
العراقية نفر من القصاصين استطاعوا أن يكتبوا قصصا فيها الكثير من المقومات
الفنية ، دون أن تبلغ الا في الاقل النادر ، درجة كبيرة من التطور الفني .
على أننا يجب أن نلاحظ أن هذا الحظ الذي رسمناه لتطور القصة ، ودراسة
المؤثرات والعوامل التي أدت الى ضعفها من جهة والى تطورها من جهة أخرى ،
كان بصورة عامة منطبقا على القصة القصيرة وهي قصص قصيرة اذا قيست بعدد
صفحاتها ، لا باستيفائها شروط القصة القصيرة الفنية - التي اندفع الى كتابتها
عدد كبير من القصاصين دون الرواية .

ومن هنا فان الباحث في الأدب العراقي الحديث يلتمس ظاهرة ، تلفت
نظره للوهلة الاولى ، ولا يستطيع الا أن يقف عندها طويلا ليبحث في
أسبابها ويجد في معرفة عللها وبواعثها . وتمثل هذه الظاهرة في قلة عدد
الروايات التي كتبت في العراق في هذه الفترة ، وندرته من جهة ، وعدم
نجاح القصاصين في خلق رواية فنية متكاملة ، أو قريبة من التكامل الفني من
جهة أخرى . الا محاولة فريدة كتبها عبدالحق فاضل سنعرض لها بالدراسة
عندما ندرس هذا الكتاب ، الذي يمثل قمة ما وصلت اليه القصة العراقية ،
من تطور فني بالنسبة لهذه الفترة .

وتفسير هذه الظاهرة ، يمكن أن نجده في كثير من العوامل والأسباب
التي أدت الى ضعف القصة بصورة عامة ، وقلة المحاولات الناجحة الموفقة
فيها . فبالإضافة الى واقع الفئة المثقفة غير المستقر ، الذي أشرنا اليه ، يبرز
سبب يتصل بهذا الواقع ، وهو أن كتاب هذه الفئة الذين كتبوا القصة
مسوقين بحوافز فردية خاصة لم يجدوا في أنفسهم القدرة أو الصبر على

ممارسة عمل قصصي طويل يقتضى الجهد والاناة • كما ان بعض هذه الأسباب يتصل بواقع النشر • فالقارىء العراقى لم يمحص ثقته لكتابه ، ومن هنا كان الفشل نصيب أية محاولة يقدم عليها كاتب من الكتب لنشر نتاجه فى كتاب مستقل • ومما زاد هذه الصعوبات ، عدم وجود الناشرين فى العراق ، الذين يأخذون على عاتقهم أعباء النشر ويوفرون للكتاب الجهد والمشاق ، التى يتكبدونها فى سبيل نشر نتاجهم • لذلك كان من الطبيعى أن يركز الكتاب جهودهم فى ميدان القصة القصيرة ، فهى لا تستعصى على النشر فى الصحف والمجلات ، التى فتحت أبوابها لهذا الشكل تنشر منه ما تستطيع لدوافع عدة • وعلى ذلك ، فاننا نقتصر فى بحثنا على القصة القصيرة ، دون أن نغفل الاشارة العارضة الى الاعمال الروائية ، كلا فى مجاله • تاركين دراسة الرواية العراقية لبحث آخر يفحص حقا ، ويضعها موضعها الصحيح من سلم التطور • وسندرس القصة العراقية بين الحربين على أساس رصد مضامينها واتجاهاتها المختلفة ، دون أن نغفل فى الوقت ذاته دراسة أبرز القصاصين الذين كتبوا القصة فى هذه الفترة فى فصول مستقلة من الباب الثالث •

الفصل الثاني

المضمون العاطفي

يستغرق المضمون العاطفي معظم النتاج القصصي العراقي بين الحربين وهو بهذا يتفوق على مضامين القصة الاخرى ، ومنها المضمون الاجتماعي . ولكنه تفوق يقوم على الكم لا النوع . وليس لاكثر قصص هذا المضمون قيمة أدبية أو فنية . فهو في معظمه نتاج غث ، بارد ، يدور في نطاق محدود الأفق ، يثير السأم والملل . وكتابه ناشئون ، مستجدون ، متطفلون على فن القصة ، لا يملكون في الأغلب من بضاعة الأدب شيئاً . وبذلك كان حرياً بأكثر هذا النتاج القصصي ان يغفل ، اذا نظر اليه خالصاً . وليس ذلك شأننا هنا . فنحن اذ نؤرخ للقصة العراقية في تطورها ، لا يمكن الا ان ننظر الى مجموع النتاج القصصي العراقي نظرة نسبية ، تنطلق من تمثل صحيح لواقع التطور التاريخي لهذا الشكل . ومن هنا ترتبط دراستنا بواقع هذا الفن ودرجة تطوره ، لا في مرحلة معينة بل في كل مراحلها ، حتى تكون الصورة التاريخية التي نريد رسمها لواقع القصة ، مستوفية الجوانب كاملة الأطر ، خصوصاً ونحن نبحث في فترة مبكرة نسبياً . واكثر قصص هذا المضمون لم يشر اليه ، فلم توضح نواحيه ، ولم تعرض بالتالي جهود بذلت ، لا تخلو من اخلاص في بعض جوانبها ، ولم تفقد تأثيرها في تطوير هذا الفن في جانب آخر . كما ان هذا المضمون لم يعدم وجود بعض قصص ذات نفحات صادقة ، وأخرى لا تقل جودة عما قدمه المضمون الاجتماعي ، ان لم نقل أن بعضها قد فاق غيرها جودة .

ويعزى سبب اندفاع الكتاب الى الكتابة في المضمون العاطفي ، الى انتشار روايات المغامرات والغرام ، وأدب المنفلوطي وجبران وغيرهما من

كتاب المدرسة الرومانسية في الادب العربي الحديث ، منذ أوائل العشرينات . وقد ظلت هذه الروايات وهذا الأدب يمارس تأثيره في الأدب العراقي الحديث ، حتى نهاية الفترة التي نؤرخ لها ، بل لفترة طويلة أخرى بعد الحرب الثانية . والقارىء لهذا اللون من الأدب بقى ذاته لم يتطور . وهو قارىء لم تتح له ثقافته الخاصة ما يعينه على هضم او استيعاب ألوان من الفكر والأدب تتصف بالعمق والنضوج .

ونعني بالمضمون العاطفى ما يرتكز على الحب ، دون أن يتعداه الى ناحية أخرى من المضامين . وهو بذلك ليس مرادفا للرومانسية بمفهومها العلمى الصحيح ، وان كان الحب من أهم النواحي التي تقوم عليها الرومانسية ، التي تتجاوز هذه الناحية الى بعض النواحي الاجتماعية ، التي من معالمها العطف على ضحايا المجتمع . وبيان طيبة طوية الأئمين الذين اندفعوا الى الشر بقسوة ما يحيط بهم من عوامل هي نتيجة النظم الفاسدة^(١) . التي تعتبر من النزعات الرومانسية الأصيلة .

وكان هذا المضمون سائدا خلال الفترة الأولى من العشرينات . فرواية « فى سبيل الزواج » لمحمود أحمد السيد و « فتاة بغداد » التي نشرتها مجلة الزنبقة ، ورواية « سلمى ونديم » لسامى خوندة ، من قصص هذا المضمون . كما ان قصة « شهيدة الحب والوطن » التي نشرها مراد ميخائيل عام ١٩٢٢ ، و « العاشق المخدوع » التي نشرتها الناشئة الجديدة فى العام ذاته هي من قصص هذا المضمون ايضا . ولم يكن فى تصور الكثيرين ممن كتبوا القصة فى البداية الاولى ، ان قصة يمكن ان تقوم عقدها على غير الحب . كما ظل هذا المضمون يمثل معظم التاج القصصى العراقي ، الذى صدر فى الفترة الثانية من الثلاثينات ، وخصوصا فى اوائلها ، اذ أخذ هذا

(١) « المؤثرات الغربية فى الرواية العربية » محمد غنيمى هلال . الآداب البيروتية ، العدد ٣ السنة ١١ آذار (مارس) ١٩٦٣ ص : ٢١ .

المضمون بالضمور واحتلال الدرجة الثانية من حيث الأهمية ، مع نهاية الثلاثينات ، نتيجة الانعطاف الذي شهده مفهوم القصة نحو الاجتماعية والواقعية وسيادة هذا المفهوم أخيرا ، حتى أصبحت القصة العراقية في نظر البعض انما هي مضمون اجتماعي في أغلبه ، ولم تنصرف الى غيره من المضامين الا في النادر الاقل (٢) .

لقد دفعت نهضة القصة ، والشعور بأهميتها ، وضرورة ادخالها الى الأدب العراقي الحديث ، ابتداء من أواخر العشرينات ، عددا كبيرا من المستجدين والمتطفلين على الفن القصصي الى كتابة القصة . وكان نقص ثقافتهم التي استمدوها من الكتب ، وهي كتب تدور في أغلبها حول الحب ، والحب الفاجع ، عاملا حاسما في انعطافهم نحو هذا اللون من القصص يكتبون فيه ويسودون الصفحات الطويلة ، بما لا يعني . كما ان عدم شيوع مفهوم محدد للقصة ، يتمثل هذا الفن من نواحيه المختلفة ، شكلا ومضمونا ، وضمور الحركة النقدية التي كان يمكن أن تحد من هذا الاندفاع نحو الكتابة السهلة التي لا تتم عن جهد أو موهبة ، كل هذا كان عوامل هامة في تصور هؤلاء الكتاب الخاص عن القصة الذي يمكن تحسسه من نتاجهم ، ان القصة فن سهل يمكن ان يمارسه من كان ، وهو بذلك لا يحتاج لما يحتاجه فن آخر ، من مقومات ، او يتطلب اعدادا طويلا وعرقا وموهبة .

وبحكم كونهم من صغار السن ، كانت المشكلة الأكثر إلحاحا بالنسبة اليهم ، هي مشكلة الحب . ولقد كان لروايات الغرام ، وحوادث الحب الفاجع التي صورتها روايات المنفلوطي المترجمة و « آلام فرتز » لجوته ، و « غادة الكاميليا » لدوماس الابن ، و « رفائيل » و « جرازيليا » للامرتين

(٢) القصص في الادب العراقي الحديث ص : ٢٢-٢٣ . نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق ص : ٨ . ونص عبارة جميل سعيد في هذا المجال و « القصة العراقية لم تتعدد مناحيها بعد ، ويكاد كل ما هو موجود منها لا يتعدى القصة الاجتماعية » .

وغيرها ، والتي وجد القراء فيها متنفسا طبيعيا لمراهقتهم وكتبهم ، الأثر الأكبر
فى تفجير العواطف المكبوتة فى نفوسهم ، والهباب خيالهم . فخففوا مما كانوا
ينوءون بحمله ، من عواطف وأفكار ، بهذه الصفحات الطويلة التى أطلقوا
عنها اسم قصة ، والتي تعبر عن مراهقة وتقليد ، أكثر مما تعبر عن تجربة
حقيقية تنبض بالصدق أو حرارة التجربة ، أو تعبر عن موهبة . لقد خلقوا
المرأة فى خيالهم . ولم تكن كائنا حيا ، يعيش الحياة بحال . لقد كانت
مثالا بعيد المنال ، من الطهر والعذوبة والجمال . ولقد كانت ، فى تصورهم ،
كيانا معذبا تسوقها قيم جامدة وتقاليد أخنى عليها الدهر الى ما فيه تعاستها ،
بكوها وبكوا أنفسهم من خلالها .

ولقد كان لظروف المجتمع العراقى الخاصة ، وتعذر ممارسة علاقة حب
حقيقية بالتالى ، أثر كبير فى تصورهم الخاص هذا عن المرأة . فالمجتمع
يفصل فصلا قاهرا بين الرجل والمرأة . ولم يكن ينظر الى المرأة على أنها
كيان انسانى لها ما للرجل من حقوق وواجبات . فقد كان يحظر عليها
الخروج ، واذا خرجت فتقيد بالحجاب الشديد ، الذى يحجب المرأة حجبا
تاماً ، بحيث لا يبين منها شئ . ولقد ظل مؤثرا فى تفكير الناس وسلوكهم ،
الفكرة السائدة فى المجتمع العثمانى التى ورثها العراق نتيجة للقهر الأجنبى ،
الذى رضخ له قرونا طويلة من تاريخه الأخير ، من « أن للمرأة حقا فى
الخروج من دارها مرتين طول عمرها ، المرة الاولى عندما تزف الى زوجها
فتذهب من دار أهلها الى داره . والمرة الثانية عندما تموت فتخرج جنازتها
من البيت الى القبر » (٣) .

ورغم أن معالم الحضارة الحديثة قد أخذت تنتشر فى العراق ، بعد

(٣) تاريخ التعليم فى العراق فى العهد العثمانى ص : ٥٩ كما يمكن ملاحظة
كتاب « طبيعة المجتمع العراقى » لعلى الوردى ص ٢٨١ . للتعرف على
واقع المرأة الاجتماعى هذا .

الحرب الاولى ، وأخذت المرأة تشق طريقها في الحياة ، على نحو جديد ،
فدخلت المدارس ، وتخففت من غلواء الحجاب ، ثم أسفرت ، وخف التزمت
الذي كان يصاحب نظرة الناس اليها الى حد كبير . فان هذه المظاهر ، رغم
أهميتها ، لم تجعل من المجتمع العراقي مجتمعاً قادراً على التخلص من هذا
الانفصام بين الرجل والمرأة ، بالقدر الذي يتيح للرجل فيه أن يعرف المرأة على
حقيقتها ، خصوصاً في هذه الفترة المبكرة من تاريخ العراق الحديث . بل
ان هذا الانفصام ظل ، حتى اليوم ، ماثلاً . وهو من اهم المشاكل التي
يعانيها الشباب في العراق في الوقت الحاضر .

وظروف المجتمع زادت من تشويه الفكرة التي حملها الجيل الجديد
عن المرأة ، فقد كان المنفذ الوحيد الذي أتاحه هذا المجتمع للرجل لكي
يعرف به على المرأة هو البغاء ، وكان هذا النمط من النساء نمطاً كالحا مشوها
للمرأة ، نفى عنها انسانيته ، وافقدها جوهرها الاصيل . ولم تكن الصلات
التي تقوم بين الرجل والمرأة عن هذا الطريق صلات انسانية ، وانما هي على
أساس من الخداع والتقرز والتجارة ، أساس يقود الرجل الى بهيمية
لا يحصد منها غير الألم وشعور أعمق بفراغ لا يملأ ، شعور يستحيل مع
مرور الأيام الى حزن دفين ، يحدد بالتالي نظرتة الى الحياة . ويحدد أيضاً
علاقاته بالآخرين . ان هذا الواقع قد أشاع في قصص هذا المضمون رنة
حزن وأسى لا تمحي ، مهما قل حظ هذه القصص من الفنية والاصالة .
فلا تنتهي قصة نهاية تحقق للبطل آماله وأحلامه ، الا نادراً . ان القلب
الحائى يغلفه الوهم ، وفتاة المنى لا يمكن ان تنال حتى بالأحلام . والحلم
نفسه يبدو وهماً غير مصدق ، في أحيان كثيرة ، اذ يفرض الواقع وجوده
عليه ، وهو ما نلمسه في قصص هذا المضمون . ان هذه العاطفة المتأججة

التي ترتطم بالواقع القاسي دائما ، هو الذي يفسر لنا سر البكاء والنواح الذي يميز الأغنية العراقية الى اليوم^(٤) .

وقد أدى هذا كله الى عدم فهم المرأة فهما صحيحا ، يقترب من واقعها أو يستجلى حقيقتها . ولذلك لم تبرز لها صورة حقيقية تنبض بالحياة ، وتحلها في مكانها الطبيعي الذي تحتله في الحياة ، في كل النتاج القصصي العراقي . ان المرأة في القصة العراقية الحديثة ، كانت اما مثالا حيا بعيد المنال ، يقترب من المرأة في كل شيء الا من حقيقتها كأنسان سوى يتنفس ويعيش الحياة ، واما بغيا مهما وفق القاص في تصويرها ، وفي اضاء المشاعر الانسانية عليها ، فقد ظلت تمثل جانبا لواقع قاس ، لا يقترب من المرأة الحقيقية في شيء . ان شكل المرأة هذا ، الذي طرحته القصة العراقية بين الحربين ما يزال أحد الملامح البارزة للقصة العراقية . وان لم يبق هذا الشكل للمرأة هو الوحيد بعد تطور القصة العراقية بعد الحرب الثانية ، لكنه يظل أبرزها . ومن هنا فقدت القصة العراقية عنصرا حيويا كان مهيا له أن يخصبها ، ويزيد من حيويتها .

وفي تطور الأساليب التي عرضت بها هذه القصص ، وتعدد أشكالها الفنية نرى أثرا آخر من المؤثرات التي أثرت في تطور القصة في هذه الفترة . ورغم ان هذه القصص تفاوتت رداءة وجودة تبعاً لحظوظ الكتاب من الثقافة ، ومدى اصابتهم لجوانبها المتعددة ، فقد وفق كتاب معينون في أن يقدموا مضامين قصصهم - التي كانت واحدة في الاكثر - بأسلوب رصين ينجح في شد القارئ الى ما يقرأ ، ولكنه لا يترك في نفسه ما يمكن أن يتركه أثر رفيع من الفن . كما مثل بعض القصص العاطفة المتدفقة والانفعال ، ولكنه مع ذلك لا ينجح في أكثر الأحيان ، الا في تقديم صورة قصصية لا تبلغ أن تكون قصة تامة .

(٤) والنواح والبكاء هو أيضا أحد ملامح الشعر الشعبي العراقي البارزة .

ولا يمكن أن ندرس قصص هذا المضمون بمجموعها ، لاختلاف أشكالها وخصائصها الفنية • ولكي نكون أقرب الى الدقة والصواب في دراستنا لها ، نرى أن نصنفها الى مجموعات ذات صفات وخصائص مشتركة من حيث الشكل والمضمون •

فالمجموعة الأولى ، تمثل أغلب قصص هذا المضمون ، وتعكس الملامح الرئيسية له • وكتاب هذه المجموعة صغار السن - كما يبدو - مراهقون ، يفتقرون الى الموهبة القصصية ، وتسود كتاباتهم صفات غير فنية • ولقد كتب محمود أحمد السيد نقدا للقصص التي كانت تنشرها جريدة البلاد أول الثلاثينات ، فذكر جوانب من صفات قصص كتاب هذه المجموعة ، قال : « ان كافة الشباب الذين كتبوا بعض الاقاصيص لجريدة البلاد كانوا خياليين بعيدين عن معرفة أسرار النفس البشرية وخبائها •• الخ • وسبب ذلك يرجع الى تربيتهم الشرقية الروحية الاولى والى القصص والحكايات التي قرأها كل واحد منا في صدر شبابه فضلا عن التي سمعها من أفواه العجائز والشيوخ والى البيئة التي ملئت حرصا على العفاف والفضيلة في حين يفشو الفسق والفجور ويكثر الاستهتار بالدين • وهذا الحرص على العفاف والفضيلة جميل ، ولكنه لشدته يجعل الفتى جانحا في سر^(٥) وحوادث الحب العادية الى الخيال والى الرموز لكي يجعل الموقف بين الحبيب والحبيبة موقفا شريفا ناسيا تلك القرينة الجنسية القوية التي تضطرم في احوائه وأحشاء الشباب من الذكور والاناث جاهلا أو متجاهلا حكمها • فتجىء القصة في أساسها أشبه شيء بقصة « ملك محمد » وما اليها مما حكاه لنا العجائز في طفولتنا وقصة ليلي ومجنون وحكايات الحب العذرى وتزيد عليها سخافة وبعدا عن الطبيعة البشرية • ولا يتردد الكاتب من أخواننا هؤلاء عن أن ينطق رجال قصته ونسائها بالشعر الغرامي • ومنهم من يجعلهم ذوى حياء وخجل

(٥) كذا في النص •

قلما نجده لدى الفتى والفتاة - اليوم - اللذين يتجرآن على كسر القيود والحجب فيجتمعان خلسة يدفعهما الى ذلك الحب الشديد . ومنهم من يكون ذا طبيعة غريبة بحيث لا يرى حبيته الا وينسى عليه بعد أن يهنى بكلمات مثل « آه انى أكاد أجن . انى أموت . انى لا أطيق صبرا . الخ » (٦) وهذه الملاحظات القيمة فى الواقع تحدد جانبا من صفات هذه المجموعة من قصص المضمون العاطفى ، لا كل جوانبها ، كما أنها تفسر بعض بواعثها لاكلها . ولكى تكتمل ملامح هذه المجموعة سنحاول أن نعرض جانبا من مضامينها وصفاتها وخصائصها العامة ، وعبوبها الفنية .

ومضامين هذه المجموعة من قصص المضمون العاطفى تدور فى نطاق واحد ، وليس من فروق تميز بعض هذه القصص عن غيرها ، الا مدى تمكن الكاتب من اللغة ، ومدى قدرته على التعبير عن افكاره الخاصة (٧) . بالإضافة الى درجة ثقافته وهى مهما جلت فهى ضئيلة . وتقوم العقدة فى هذه القصص على الحب الساذج الذى تقوم التقاليد الاجتماعية حائلا أمام سيره الطبيعى . وتعبر عن تجارب مراهقة لشباب لم يبلغوا سن الحلم بعد . وبسبب تعذر إقامة علاقة حب حقيقية ، فى ظروف اجتماعية معروفة ، أصبحت سمات الحدث التكلف والافتعال الذى لا يمكن قبوله من وجهة منطقية أو واقعية (٨) . يعمق منها نقص ثقافة المؤلفين الفنية التى لا تحسن صياغة الحدث ، والتى كان يمكن ان تخفف من الافتعال والتكلف .

(٦) فجر القصة فى العراق - البلاد - العدد ١٧٠ - السنة ١-٢ حزيران ١٩٣٠ .

(٧) أبرز كتاب هذه المجموعة من القصص قدرة على التعبير الادبى سليم بطى ، وسعيد عبدالاله الشهابى . ومع ذلك فإن هذين الكاتبين لا يوفقان دائما فى تقديم قصص على مستوى واحد من الجودة .

(٨) تلاحظ مثلا قصة « مأساة حب طائش » لعبدالكريم مجيد . الحاصد - العدد ١٩ السنة ٢ ت ٢ - ١٩٣٠ ص : ١٩ . اذ يصور القاص تأثير اكتشاف بطله خيانة حبيبته عليه بالعبارات التالية : « لقد كان صدمة =

وأما الشخصيات فهي شاحبة ، لا لون لها ولا سمة مميزة ، محلية أو غير محلية . فهما كائنان ضعيفان وقعا تحت تأثير عوامل قاهرة ، لا يقويان على دفعها . ومن هنا فقدت شخصيات هذه القصص ملامحها الانسانية ، وانعدم التعاطف معها . ان الفتاة جميلة دائما ، تصور بألفاظ محفوظة منقولة . والشاب عاطفي ، ليس في دنياه غير حبه لحبيته . ولذلك كان مصيره معلقا بهذه العلاقة فاذا انتهت ، وهي كثيرا ما تنتهي ، نتيجة تدخل أهل الفتاة وتزويجها بمن لا ترغب ، أو لاستحالة زواجه منها لانهما من دينين مختلفين^(٩) ، يكون مصير البطل الموت ، أو الجنون^(١٠) . كما لو كان موت البطل أو جنونه ، أمرا طبيعيا مفروغا منه في نظر الكتاب . وهو موت يتسم بصورة رومانسية مفتعلة . موت فجائي ، هكذا دون تمهيد ، لمجرد فراقه لحبيته . أو موت يحدث حين يشاهد البطل قبر حبيته ، بعد ان فرق بينهما الزمان ، لكي يدفن الى جانبها ، ويصبحا شهيدى الحب والغرام . أو موت على طريقة روميو وجوليت ، وصراع تحت الشمس . يزحف أحدهما نحو

= لم يحتملها المسكين هجم عليها وبحالة جنونية أخذ يقبلها قبلات متتالية ثم قبض على عنقها بيديه القويتين وضغط عليه وهو لا يعي يضحك ضحكته العصبية وأخذ ينهش وجهها ويقبله في آن واحد فقطع حنجرتها وشرب من دماء معبودته
وكان المؤذن ساعتئذ يطلق في الفضاء - الله أكبر - الله أكبر ، لا اله الا الله .

(٩) انظر مثلا قصة « عاشق في محكمة » لعاصم فليح - العراق - العدد ٢٨١١ السنة ١٠ - ١٠ تموز ١٩٢٩ ، وقصة « وأخيرا عرفت » البلاد العدد ٢٠ السنة ٢-١ ك ١٩٢٩-١ وقصة « حب » لسعيد عبدالاله الحاصد العدد ١٤ السنة ٢-٢ ت ١ - ١٩٣٠ ص: ١٧ .

(١٠) انظر قصة « جميل التائه » ليوسف مرقس الحاصد العدد ١٢ السنة ٣ - ١ ت - ١٩٣١ ص: ٢٠ ، وقصة « ضحية الحب » مجلة المصباح العدد ٢ السنة ١ - ١٠ ت ٢ - ١٩٣٤ ص: ١١٤ وقصة « مضرع الحب الطاهر » الحاصد العدد ٢٨ السنة ٣ شباط ١٩٣٢ ص: ٢٠

الآخر فيلتصقان ببعضهما... الخ مما لا وجود له في واقع^(١١) .
 أما اطار الحدث الزماني ، فهو غائم ليس له حدود . وأما المكان فنلا
 نستطيع ان نتلمسه أو أن نتعرف عليه . على أننا نلاحظ أن بعض القصاصين
 اتخذوا من الطبيعة مسرحا يجرون فيها أحداث قصصهم بعيدا عن سرور
 الانسان ، ونظمه الجائرة تأثرا بالرومانسية . وهي مع ذلك طبيعة شاحبة ،
 ليس لها غير اسمها . ولا نحس لها طعما أو لونا خاصا يميزها عن غيرها من
 الجواء^(١٢) . وإذا اختار القاص المدينة مسرحا يجرى فيه أحداث قصته ،
 فهي أى مدينة في العالم ، اذ ليس فيها من المعالم والحدود ، ما يعطيها ملامحها
 الخاصة المميزة . ان كتاب هذه المجموعة من القصص لا يعنون برسم أبعاد
 المكان اذ أن شاغلهم هو تتبع الحدث وسرده ، بحيث يصرفهم ذلك عن
 الاهتمام بأى شىء آخر .

ولا نريد أن نعرض هنا لمضامين أخرى من القصص ، سارت الى
 جانب هذه المضامين ، ليس فيها الا غرابة الحدث وطرافته المتقلبة ، مما
 لا يسيغه ذوق . ويبدو ان الحادثة الطريفة هي التي ساقتهم الى كتابة هذا
 النوع من القصص ، كما لو أن القصة تقوم في تصورهم على الحادثة الطريفة
 غير المبررة . وقد أولع بهذا النوع بصورة خاصة سليم بطي... .

(١١) تلاحظ مثلا قصة « حب » لسعيد عبدالاله التي يتحدث فيها المؤلف عن
 حبيبين قامت بينهما العقبات لانهما من دينين مختلفين ، فتمرض
 الحبيبة أما الحبيب فانه يدخل بيت حبيبته ، وسط دهشة الجميع ،
 ويطلق الرصاص على نفسه ، ويصور المؤلف الموقف الاخير بالعبارات
 الآتية « أما الفتاة فالقت بنفسها عليه بينما كان يجر نفسه ليصل الى
 سريرها واحتضنته وأطبقت على شفثيه بشفتيها وتحدثنا الحديث الاخير
 بالفاظ متقطعة ، ص : ١٨ من الحاصد العدد ١٤ السنة ٢ - ت ١ -
 . ١٩٣٠

(١٢) انظر قصة « الريفية الحسنة » لمهدى مصطفى القزاز . العراق العدد
 ٣١٩٩ السنة ١١ - ١٠ ت ١ - ١٩٣٠ وقصة « سهام كيوييد » لعزت
 طاهر ، الزمان (بدل البلاد) العدد ٢٨١ السنة ١ - ١٤ ت ١ - ١٩٣٠

وأسلوب هذه القصص سردى تقريرى تغلب عليه النزعة الانشائية ،
وتشجبه فيه الصورة الموحية والدلالة العميقة ، وتنعدم • ومن نماذج هذا
الأسلوب ، هذا المقطع الذى اقتبسناه من قصة « فى ليلة مقمرة » ليوסף
حنانى اسحق « فى يوم من أيام الربيع الزاهرة بورودها بعد أن غابت الشمس عن
الأنظار وتوارت وراء الشفق الأزرق البعيد وطلع القمر من وراء الغيوم
ناظرا الى المسكونة نظرة الكآبة خرجت الى الطبيعة حيث ترفع الزهور
تيجانها لتقبل قطرات الندى استنشاق من هوائها العليل الذى يهب على العشب
الأخضر فقد هجست فى صدرى هواجس ذات بال بلبلت أفكارى خرجت
لأناجيها بما يخالج فؤادى عليها تفرج غمى وتزيل كربى فاتكأت على نلة
صغيرة فرشتها الطبيعة بساط سندسى كأنها أعدتها لراحة المتعبين - أمثالى -
من ضوضاء العالم ••• (١٣) الخ • وبالإضافة الى الركة التى يتسم بها
أسلوب هذه القصص ، تكثر فيها الأغلاط النحوية والاملائية • ولكى نوضح
قولنا هذا ، نورد فيما يلى بعض المقاطع المقتبسة من مجموعة « ضحايا الآمال »
يقول القاص : « وبعد أن قبلها أسلم نفسه بين ذراعيها وضل (كذا) نظره
شاخصا نحو سقف الكوخ » (١٤) • وفى مقطع آخر يقول « وارتمت على
فراش حقير - عليه شخص يحتظر (كذا) - وأخذت تذرف الدموع
السخينة » (١٥) • وفى مقطع ثالث يصف القاص لحظة دخوله مقبرة المدينة
فيقول : « دخلت مقبرة المدينة فرأيت حفار القبور وهو مسندا (كذا) رأسه
الى فاسه وينظر الى القبر » (١٦) • وفى قصة أخرى نشرها ابراهيم علي فى

(١٣) ضحايا الآمال • يوسف حنانى اسحق ، وجورى عيسى قلاب ص : ٢٢

(١٤) المرجع السابق • قصة « تحت شجرة السرو » ص : ٦

(١٥) المرجع السابق • قصة « منيتان » ص : ١٢

(١٦) المرجع السابق • قصة « شقاء المرأة » ص : ٢١

العراق بعنوان « صديقي العاشق » (١٧) يختمها بقوله : « هذا فيض من غيض (كذا) من مذكرات كتبها عن صديقي العاشق منذ سنة تقريبا . . » (١٨) . وتكثر في هذه القصص أيضا التعليقات ، والمواعظ ، والاستطرادات التي تعوق سير الحدث مما لا يسيغه فن . ويمكن ايراد أمثلة عديدة تؤكد زعمنا هذا ، اذ لا تكاد تخلو قصة من قصص هذه المجموعة من هذه الصفات . ويكفينا هنا بعضها . ففي قصة « بائعة الشوك » لعلى الحسيني ، يصف القاص الحبيبة بأنها جميلة ، ويعلق على ذلك بقوله « وما هو الجمال ؟ وهل هو الا الحبيب تخلد اليه النفس محبة سعيدة وتقر به العين راضية مطمئة » (١٩) . وفي قصة أخرى لمنشى زعرور بعنوان « ضحية الحب » (٢٠) يختم الكاتب قصته بالتعليق التالي : « ليست فاجعة الحب هذه رواية موضوعة صورها الخيال كما شاء الفكر السارح في مجاهل الحياة بل انها حادثة حقيقية حدثت في زمن الحرب وذهبت ضحيتها فتاة يانعة مؤمنة في حبها صادقة في ولائها مخلصه لحبيبها الذي لم يكن أقل منها اخلاصا في حبه لها . وكم كانا يصبحان سعيدين هنيئين في الحياة لو أنهما اتحدا في الزواج الذي كان يرغب فيه كل منهما . لكن النظم الاجتماعية القاسية هي التي وقفت حاجزا بينهما وحرمتها نعيم الحياة وأوردت الفتاة كأس حتفها وهي في شرح شبابها لشدة ما أصابها من ألم الجوى ولوعة الهوى . ولماذا هذه الفاجعة وهذا الشقاء ؟ لان الحبيين لم يكونا ينتميان الى دين واحد » . هذا بالاضافة الى كثرة أحداث هذه القصص وتراكمها بحيث لا يصلح بعضها ولا كلها لقصة أو لرواية مختصرة .

(١٧) الاعداد ٣٩٦٥ - ٣٩٦٦ - ٣٩٦٧ - ٣٩٦٨ - ٣٩٦٩ السنة ١٤ آب . ١٩٣٥

(١٨) العدد ٣٩٦٩

(١٩) الحاصد - العدد ٢٢ السنة ٣ - ك١ - ١٩٣١

(٢٠) العراق العدد ٢٩٥١ السنة ١٠ - ك١٠ - ١٩٢٩ .

وهذا النمط من القصص ، لا يستحق من الباحث الاهتمام ، وهو ما منعنا هنا من ايراد النماذج له . وجل ما يهمننا من دراسته ، أن تخرج الصورة متكاملة الجوانب للقصة العراقية ، في نشأتها وتطورها . والواقع أن كثرة هذه القصص التي صادفتنا أثناء بحثنا ، مسؤولة عنها الصحف بالاساس . فان هذه الصحف في اندفاعها لنشر القصص ، وبسبب ضالة حظ المشرفين على تحريرها من الثقافة ، قد أتاحت لهذا العدد الكبير من صغار الكتاب مجال الظهور والبروز ، وقصصهم في أغلبها لا تصلح للنشر . وقد أثارنا كثرة هذا اللون من القصص الكثير من المثقفين ، ودعيتهم الى أن يقولوا كلمتهم فيها ، كما رأينا في مقالة محمود احمد السيد^(٢١) .

ولم تقتصر قصص هذه المجموعة على القصص القصيرة بل تعدته الى محاولات في كتابة القصص المطولة أو الرواية اذا شئت^(٢٢) . ومن ذلك

(٢١) ومن ذلك هذا التعليق الساخر الجميل الذي كتبه شالوم درويش في الحاصد العدد ١٠ السنة ٥ تموز ١٩٣٥ قال : « أصبحت كتابة القصة موضحة آخر زمان ففلان وعلان وفلتانا كلهم يسودون الصحف بالقصص . وعندما يجلسون الى أوراقهم ليكتبوا القصة يملأونها بالكلام الفارغ . وقصتهم تكون دائما لفتاة بوجه مشرق وضياء كالشمس في رابعة النهار وعينين ينطلق منهما المترليوز يحبها فتى يجب أن يكون جميلا كطلعة البدر في « الاربع عشر » من الشهر وهي تموع وتذوب في حبه ولكن أباهما - ولعنة الله على أجداده ، يكون دائما طماعا من أرزل خلق الله - لا يريد ويزوجها ، رغم أنفها الصغير من شيخ غني ولكنه متهدم ولا يصلح للغزل وهذه القصة قرأناها ألف مرة ومرة وأغاظتنا ألف مرة ومرة . فيا فلان وعلان وفلتانا ! يا أيها المتطفلون على موائد الادب . . اكرمونا سكوتكم من فضلكم .

(٢٢) من الصعوبة بمكان ان نخضع النتاج القصصي العراقي في هذه الفترة الى مقاييس نقدية ثابتة . لان القصاصين كانوا ينطلقون في كتابتهم من حيث لا فن ولا قياس ، لذلك كان أبرز الفروق التي نراها للتفريق بين القصة القصيرة والرواية هو عدد الصفحات ، وهو مقياس التجاننا اليه مضطرين . .

قصة « رنة الكأس » لعلى الشيبسى ، التى نشرها فى كتاب مستقل عام ١٩٣٥ وقد تأثر الكاتب فى كتابتها بكاتبين يتضح تأثيرهما على حداثتها القصصية ، وعلى نسجها ، وروحها العام التى صبغتها صبغة عاطفية صيغت بأسلوب ذى نزعة انشائية ، يحاول أن يخلق فى أجواء شعرية فلا يفلح . وهذان الكاتبان هما : جبران خليل جبران وجوته . ويشير كاتب مقدمة هذه القصة الى جبران خليل جبران بشكل صريح اذ يقول « تتلمس روحية جبران خليل جبران لولا أن الاهداف الاجتماعية فى مقالات ذاك أكثر والقوة العاطفية عند هذا تغلب وكلاهما يطلبان المثل العليا . وقد يطير بك خيال على أو يهبط حتى لتحسب أن قوة خيال جبرانية سحرتك وهزتك (٢٣) » كما يتمثل تأثير جوته فى طريقة صياغته للقصة وبنائها . اذ قسمها الى قسمين قسم يسرد فيه البطل قصته على لسانه . والقسم الثانى يتمه صديق البطل بعد موته الفاجع ، وفيه بعض الرسائل ، التى كان البطل كتبها اثناء حياته . كما أن هناك اشارات منفرقة فى ثنايا القصة الى رواية « رفائيل » (٢٤) للامرتين ، مما قد يشير الى تأثر المؤلف بها . وليس فى القصة شئ غير هذا الحب الذى تفتحت عليه نفس البطل ، وهو حب مثالى نشأ بين حبيين مثاليين أيضا ، فى بيئة ضيقة تكبلها التقاليد الموروثة ، فقامت العقبات أمام هذا الحب حتى أجهزت عليه . ولا يفصح القاص عن طبيعة هذه العقبات ، وجل ما هنالك اشارات عارضة الى من أسماهم بالعدول والوشاة والاهل والاصحاب الذين يأخذون بنصحه لان يترك حبه دون سبب يبدو مفهوما . والقصة بعد ذلك ، ينقصها الوضوح ، والصفاء فى الاسلوب . والكاتب مبتدى ، نفثات قلمه نفثات لاهته ، مراهقة ، مضطربة ، يشوبها الغموض الذى ينم عن عجز فى التعبير أكثر مما ينم عن قدرة وتمكن . ونهاية هذه القصة مألوفة ،

(٢٣) رنة الكأس . على الشيبسى . ص: ٤ من المقدمة .

(٢٤) تلاحظ على سبيل المثال . ص: ٤٦ من الرواية .

مفتعلة ليس فيها ابتكار ، فالبطل يتزوج من ابنة عمه ، بعد نجاح أهله في
اقناعه بضرورة ترك حبيبته ، وفي ليلة عرسه تكاشفه هذه بأنها تحب آخره .
فيتركها ويذهب الى حبيبته نادما ، ولكن هذه الحبيبة تموت تلك الليلة فيقف
أمام جثتها خطيبا في الجمع الذي احتشد ، يهاجم التقاليد الجائرة والنفاق
المستشري في المجتمع ممجدا حبه ، ثم ينحني ويحتضن حبيبته ، ويموت ،
هكذا وبساطة (٢٥) .

والمجموعة الثانية من قصص هذا المضمون ، تحقق تطورا كبيرا ، في
التقنية والمضمون . وكتابها من مستوى اعلى من حيث ثقافتهم العامة والفنية .
ففي قصصهم نفحات من القصة الفنية ، وأسلوبهم متدقق طلي ، يخلو من
الضعف والركة . وتنحسر عن قصصهم التعليقات والاستطرادات التي
تشتت الحدث وتمزقه ، وتضيع وحدة الاثر ، ورغم ذلك فان قصص هذه
المجموعة لا تنجح في تقديم قصة قصيرة فنية تامة ، وجل ما هناك صور
قصصية سريعة . وهي صور لانسان يعاني من حب فاشل ، أورثه ألما ، وظل
يعيش على ذكراه ، ولم يستطع واقعه ان يعوضه بحب جديد ، لينسيه حبه
الاول . فأحس ، نتيجة لذلك ، عقم حياته وبلادتها وتجسم في مشاعره
الاحساس بالفراغ الذي لا يملأ ، فدفعه الى التفكير في الانتحار ، ولكنه لا
يفعل ويغمر نفسه بالخمير . وتبرز الخمر في قصص هذه المجموعة كشيء
ضروري ، لا يمكن الاستغناء عنه ، يتيح للبطل فرصة الهروب الى أجواء
أخرى تنسيه ذكرياته وهمومه . ولا تعدى قصص هذه المجموعة هذا
المضمون ، ولكن ذلك لا يفقدها قيمتها واهميتها فقد نجحت في تقديم لون

(٢٥) مثل قصة علي الشيبيني في المستوى ، رواية « في الحياة والحب »
لزكي أبو انيس حسن التي نشرها عام ١٩٣٨ وقد تكون مثلها رواية
« دلال » لخليل عزمي التي لم نعثر عليها وانما أشار اليها سعدون
الريس في كتابه « الادباء العراقيون المعاصرون وانتاجهم » ص: ٣٦ وقد
نشرها الكاتب عام ١٩٢٨ .

جديد من القصص العاطفي • وفيها بعض حرارة التجربة الصادقة • ويوفق كتابها في الاكثر في تصوير هذه الآلام التي تجيش في نفس البطل ، أي القاص ، وهو يعاني تجربة حبه الفاشل • وان كان بعضهم يبالغ في هذه الصورة بحيث لا يبقى البطل أخيرا غير « جثة متحركة لا ينقصها غير الكفن » (٢٦) •

وقصص هذه المجموعة لا تتغير كثيرا فهي من حيث المكان في مرقص أو بار ، او في مكان آخر لا نعرفه ، ولا يحدده القاص • ومن حيث الشخصيات هناك الراوى وصديق له يقص عليه تجربة حبه الفاشلة (٢٧) • أو قد تأخذ القصة مجرى آخر • فالراوى في مرقص يشرب الخمر ويأتيه صديق كانت الايام قد فرقت بينهما ويطلب منه صورتها ، حبيته التي لا يزال يعيش على ذكرها • وحين يعطيه اياها ، يندفع خارجا بصمت • ثم يسمع عنه بعد حين انه قد جن (٢٨) • واجمل اقصيص هذه المجموعة قصة عبدالمجيد لطفى « ليلة كووس وذكريات » (٢٩) • • ويبدأ القصة بحوار :

(٢٦) قصة زهرة الشباب - لطفى • • نداء الشعب العدد ٣٦١ السنة ٢-٢
ك٢ - ١٩٣١

(٢٧) من هذه القصص على سبيل المثال : قصة « الحب الخائب » لعبد الوهاب الامين - الاخاء الوطنى - العدد ١٧ السنة ١-٢٠ آب - ١٩٣١ وقصة « جنون الحب » للطفى بكر صدقى - الاخاء الوطنى - العدد ١٨ السنة ١-٢١ آب - ١٩٣١ • وقصة « ليلة ماطرة » للطفى بكر صدقى أيضا - الاخاء الوطنى - العدد ١١٢ السنة ١ - ١٣ ك١ - ١٩٣١ •

(٢٨) « مذكرات » عبدالوهاب الامين - البلاد - العدد ٤١٣ السنة ٢ - ٢٧
آذار سنة ١٩٣١ •

(٢٩) الحاصد العدد ٣٨ السنة ٦-٦-١٩٣٧ ص : ١٨ ويجب الاشارة هنا الى أن عبدالمجيد لطفى كتب عددا كبيرا من القصص التي تتناول هذا الموضوع ونشرها في الصحف غير مجموعته « أصداء الزمن » •

• - لن استطيع

- جرب

- جربت كثيرا (٣٠) •

ذلك أن صديق البطل ينصحه أن يترك الخمر ، التي كاد يدمن عليها • وكانت الليلة ليلة شتاء باردة • ثم يعود يحكى ذكرياته • كان شابا لا يعرف أحدا ، تفتح قلبه على حب فتاة لعوب هادئة المظهر • ولكن سرعان ما تتزوج ويفرق الزمن بينهما • وبعد فترة تأتيه رسالة منها ، فيلتقى بها من جديد ويراها مريضة متغيرة ، ولكنها لم تبرح جميلة كما كانت • وكانت قد قاست ألما طويلا من زوجها • ثم تسلم الروح بين يديه • وهذه الحادثة هي سره الذي جعل من الخمر ضرورة لا بد منها في حياته ، فهو يريد أن ينسى آلامه وذكرياته • وعند روضة قريبة يقف الساعات الطوال يترقب خروج أولئك الودعاء من المدرسة • وابتلع ريقه وقال : هناك طفلة تبلغ من العمر سبع سنوات تشبه ماري (٣١) تماما تنزل من قلبي منزلا هادئا فأغمرها بالقبلات الوداعة ثم أعود أدراجي محطم الكيان • وجرع نصف الكأس الباقية بلا كلام • (٣٢) • وقد زاد جمال القصة الحزن الذي وفق المؤلف في اشاعته في جوها ، وهذه النهاية الموقفة الانسانية ، التي أعطت للحدث أبعاده وعمقته مما قربها من القصص الفنى •

ومن قصص هذه المجموعة من المضمون العاطفى ، مجموعة « أصدقاء الزمن » التي نشرها عبدالمجيد لطفى عام ١٩٣٨ • والواقع ان هذه المجموعة ليست من القصص فى شىء ، وانما هى عبارة عن بعض الخواطر والمناسجات الحزينة الشاعرية • وتعبّر فى معظمها عن نفس حزينة فشلت فى الحب فرفعت صوتها بالبكاء أسفا ولوعة على حب ذاهب • وقد صيغت بأسلوب

(٣٠) المرجع السابق • نفس الصفحة •

(٣١) اسم حبيبته •

(٣٢) المرجع السابق • ص: ١٩ •

يذكرنا بجبران والمنفلوطي والرافعي ومن هنا ترتبط بقصص المجموعة الثانية . ولكنها لا تعداها الى أكثر مما ذكرنا من الصفات .
وأبرز كتاب المجموعة الثانية من قصص المضمون العاطفي ، بالإضافة الى عبدالمجيد لطفى الذى أولع ولعا خاصا بهذا النمط من المضامين :
عبدالوهاب الامين ، ولطفى بكر صدقي ، وكاتب آخر رمز لنفسه باسم لطفى فقط ، وليس من دلالة تشير الى أنه الكاتب السابق .

أما المجموعة الثالثة من قصص المضمون العاطفي ، فقد نجحت فى تقديم قصص أجود شكلا ومضمونا . وهى بذلك تمثل قمة التطور الفنى بالنسبة لهذا المضمون . ورغم أنها محدودة ، ويسهل حصرها ، فإنها تفضل المجموعتين بمزاياها وخصائصها الفنية . وأقدم قصة يمكن ان نلمس فيها مضمونا جيدا وشكلا ملائما ، هى قصة عبدالوهاب محمود التى نشرها عام ١٩٢٨ بعنوان « حياة مدرس » (٣٣) . وهى قصة لا تفصح عن امكانية الكاتب الفنية اذ نشر بعدها قصة تافهة ليس فى ذكرها غناء (٣٤) . ومضمونها يدور حول حب رجل لمومس ، التقى بها مرة ، ولم يستطع الزواج بها لمثاليته .

وقد تناول هذا المضمون ذاته - وهو حب رجل لمومس - وبشكل أكثر انسانية وفنية ، كاتب آخر رمز لنفسه بحرفى ج . ح وعنوان قصته « أوجا » (٣٥) . وفى هذه القصة احكام فنى ، ومتابعة جيدة لمشاعر بطله ، على نحو تحليلى عميق . وهى تقدم دليلا قويا على ان القصة أواخر الثلاثينات ترسخت فى العراق ، ووجدت طريقها . فالبطل يحبها ، بعد أن رآها فى الفندق ، وحتى بعد أن عرف وتيقن أنها يمكن ان تكون لأى رجل . لم تكن جميلة ، ولكنه مع ذلك « شعر أنه يحب هذه المرأة التى تدخل تصرفاتها

(٣٣) العراق - العدد ٢٥٢٢ - السنة ٩ - ٣ آب - ١٩٢٨ .

(٣٤) قصة « الفاجعة » . الاستقلال العدد ١٢٨٦ السنة ٩ - ٢٦ اغستوس ١٩٢٨ .

(٣٥) المجلة (الموصلية) - العدد ٩ السنة ١ - ١ شباط ١٩٣٩ ص: ٤٣٧/٣٨

في يقينه ، انها ليست أهلا لأى حب بل ليست أهلا حتى للبغض ، (٣٦) .
ومن بعيد صار يكره كل من راح يتقرب منها . وقد تأكد من حبه لها عندما
علم أنها منتقلة من الفندق ، فأرهبه الألم وكاشفها بحبه . وحين عرفت
صاحبة الفندق بحبه لها ، أخبرته بحقيقتها « لقد حاولت صاحبة الفندق أن
تمحو من نفسه هذا الحب بأن تريه أى امرأة أحب ، ولكنه كان يعرف
ويتألم أما الآن فقد شعر بان الألم يكاد يقتله .

ولم يستطع المكوث في هذا الفندق أكثر من ذلك ، فقد انتقل منه بعد
أيام قلائل ، وقد ظنت صاحبة الفندق أنه انتقل ليلتحق بأولجا . ولكنها
لا تدري كيف آلمته . ولا تدري أنه لم يلتق بأولجا . وأنه لا يزال
يحبها (٣٧) ، ورغم أن القصة تفتقد عنصرى الزمان والمكان ، فان ذلك
لا يفقدها قيمتها ، لما امتازت به من دقة فى تصوير العواطف والمشاعر وبما
حققته من فنية خلقت من معظم عيوب القصة العراقية فى هذه الفترة . فليس
فيها تعليق مباشر ولا حشر مواعظ ، مما يعوق مسار الحدث وتطوره .

وكتب فى نفس هذا المضمون كاتب عراقي آخر ، لم يفصح عن اسمه
الصريح أيضا ، وانما أطلق عليه اسم عربى عراقى (٣٨) ، رواية ،
نشرها عام ١٩٣٩ أيضا ، وبعنوان « من بنات الناس » . والقصة جميلة
محكمة ، جيدة ، تشف عن تمكن المؤلف من أسلوب القصص . وهى
رومانسية الاتجاه لا تضيف جديدا من حيث المضمون . وتحكى قصة شاب

(٣٦) المرجع السابق . ص : ٤٣٨/٣٩ .

(٣٧) المرجع السابق . ص : ٤٣٩/٤٠ .

(٣٨) يبدو ان سبب ذلك الى جانب حراجة الموضوع « حب بغى » يعود الى
أن الكاتب كان من الذين اضطروا الى مغادرة بلادهم نتيجة ارتباطهم
بأحداث سياسية معينة فهو يشير الى ذلك فى المقدمة . ويشير الى ذلك
أيضا فى ثنايا القصة حين يتحدث عن نضاله القومى ، وعمله فى
توزيع المنشورات السياسية المناهضة للحكم القائم ، والتي اضطرت
نتيجتها الى مغادرة العراق الى سوريا ولبنان .

مثالى التقى بطريق الصدفة بأمرأة عاهرة ، تركت ماضيها ، فاحبها وأحبته ، ولكنها لم تتجراً على أن تكشف له سرها ، حتى عرفه يوماً عن غير طريقها ، فكان ان تركها ، معذبة يائسة ، ولم يطاوعها قلبها أن تعود سيرتها الاولى ، بعد أن نفذ ما بقى عندها من مال فرجعت الى مسقط رأسها فى الريف ، وهناك ماتت محافظة على حبها وشرفها . ولقد صيغت القصة بأسلوب سردى متين . وهي تتألف من قسمين على طريقة أغلب الروايات الرومانسية كالآم فترتر لجوته ورفائيل للامرتين . القسم الاول يحكى فيه قصة علاقتهما منذ بدئها ، وحتى لحظة الانفصام . والقسم الثانى عبارة عن مذكرات حزينة مؤثرة ، كتبتها البطلة ، تصور فيها معاناتها الخاصة وعذابها حتى لحظة احتضارها .

ولعبدالوهاب الأمين قصة قصيرة جيدة ، بعنوان « ترنيمه الوداع » (٣٩) كتبت فى شكل رسالة يبعثها البطل الى حبيبته فى ليلة زفافها ، ويكشف فيها عن عاطفته تجاهها . وقد صور فى قصته هذه لحظة شعوره بحبها . وتمتاز هذه القصة بجمال أسلوبها ، وتدفق عواطفها على نحو شاعرى ، وبهذه الدقة فى تصوير لحظة شعوره بحبها ، التى عاش عليها منذ تلك اللحظة ، وصيرته شاعراً ، وخلفت له اجمل الذكريات .

ويبرز بين كتاب هذه المجموعة ، كاتب يستحق منا وقفة طويلة ، ولم أجد أحداً أشار إليه ، ممن ارخوا للقصة العراقية . وهو يوسف متى . فقد نجح فى تقديم قصة قصيرة ، تعتبر من أجمل القصص فى الأدب العراقى الحديث فى هذه الفترة وأجودها . ولا تتبع قيمته من هذه القصة وحدها ، بل من مجموع نتاجه فى القصة ، سواء أكانت من المضمون العاطفى ، أو من غيره . ورغم أن قصصه الأولى التى نشرها فى بداية الثلاثينات ، تتصف بصفات قصص المجموعة الاولى من هذا المضمون وتملك ذات عيوبها الفنية،

(٣٩) قصص من الادب الحديث . ص: ٨٧ .

فهي مع ذلك لا تخلو من دقة تعبير ، ومن تحليل للعواطف يشف عن تفهم مبكر لفن القصة ، وتبشر بتطوره الاخير^(٤٠) . ولقد تقدم تقدما محسوسا ، خلال فترة قصيرة ، نحو الفنية ، ووفق في تقديم نتاج لم يوفق غير قليل من الكتاب في زمنه ، الى تقديمه .

وقد برزت مقدرته بشكل مؤكد ، في قصة « عاطفة جامحة »^(٤١) وهي تحكى قصة امرأة ، لم يكن زوجها قادرا على اشباع أنوثتها الطاغية المتأججة فأصبحت بحاجة الى عطف رقيق يخفف من جفاف حياتها ، فأجبت تلميذا يافعا كان يشيرها ، ولكنه لم يكن يدرك سر تصرفاتها تجاهه . وفي القصة تحليل عميق لمشاعر البطلة ومتابعة أدق لافكارها ، وتصوير لموقفها من الغلام . وقد أتاح القاص للحدث أن يأخذ مساره ، دون تدخل منه ، فقدم بذلك عملا فنيا جيدا حين ركز على ناحية واحدة من نواحي حياة هذه المرأة دون أن يتعداه الى نواح أخرى ، وتابعها الى نهاية طبيعية موفقه .

على أن أجمل قصصه وأجودها هي قصة « حطام »^(٤٢) التي نرى أن لا بد من ان نقف طويلا عندها ، لانها تمثل في نظرنا قمة التطور الفني للقصة في هذه الفترة ، بالنسبة لهذا المضمون . وموضوع هذه القصة يتناول ناحية انسانية عميقة ، اذ يصور موقفا انسانيا لرجل يلتقى بحبيبه في موقف ذليل ، يشوهها ، بعد زمن طويل من نبذها اياه ، وسحقه واذلال كبريائه ، وهجره لسبب من الاسباب . ورغم ان هذا الموضوع ، كان قد سبق أن تناوله في قصة « شخصية قوية » التي نشرها قبل هذه القصة بفترة^(٤٣) ، فان

(٤٠) من قصصه الاولى الضعيفة التي يمكن درجها ضمن قصص المجموعة الاولى من قصص المضمون العاطفي قصة « ضحية العهد » الحاصد العدد ١٩ السنة ٣ - ١ - ١٩٣٠ و « في القرية » الحاصد العدد ٣٣ السنة ٣ آذار ١٩٣٢ و « الرسالة » الحاصد العدد ٢١ السنة ٤ - ١ - ١٩٣٢ .

(٤١) الحاصد - السنة ٤ العدد ٢ - آب ١٩٣٢ .

(٤٢) مجلة عطار - العدد ١ السنة ١ - آب ١٩٣٤ ص: ٩

(٤٣) الحاصد - العدد ١٦ السنة ٤ - ت ٢ - ١٩٣٢ .

الكاتب لم يوفق في قصة « شخصية قوية » توفيقه في هذه القصة . ويبدو أنه كان يهتم بهذا المضمون اهتماما خاصا ، مما أتاح له طول التفكير فيه أن يخلقه خلقا جديدا . لقد التقى بها في دور البغاء . وقبلها حين طلبت منه أن يقبلها ، ثم تبعها الى مخدعها حين طلبت منه ذلك . وفي لحظة غامرة تذكرها « فتاة صغيرة بثوب قصير ورداء أحمر جميل حاملة كتبها تحت ابطها في طريقها الى المدرسة . . . وذكر تلك المشية الحية وذلك الرأس الدقيق بقبعته الرخيصة . . . وثم ذلك الهوى - السخيف - الذي تنازل في سبيله عن قوته وشخصيته بغير فائدة مرجوة . . . ثم عشاقها الكثيرين الذين كانوا - كالقطيع - . . . هل تمكن أحدهم منها ،^(٤٤) لقد طرحنا المشكلة التي يعالجها ، من خلال أفكار البطل دون ان يصرح بها القاص . فهذه حبيبة البطل القديمة ، يراها بغيا في تناول اليد . وحين سألته : كيف ترانى ؟ أجاب « كيف أراك ؟ كما أنت الآن . . . ماذا كنت تتظنين ،^(٤٥) . ومنذ اللحظة الاولى ، استطاع القاص ان يجعلنا نحس بالصراع العنيف الذي يدور في نفسه . ورغم ان الرغبة الجنسية في نفسه كانت عارمة ، محت من ذهنه أى تفكير في التردد ، فانا كنا نشعر ان البطل كان يعيش ذكريات الماضي . فتاة أحلامه ، حبه ، التي هويها يوما ، والتي تنازل في سبيلها عن قوته وشخصيته ، لم يكن سهلا عليه ان يهضم واقعها هذا . . . كان قد ارادها في الماضي ، وهو يريدنا الآن . أما هي فكانت تعجب منه كيف أنه لم يتغير مطلقا » ولأمر ما دفعها دافع لامتلاكه تلك الليلة غير الدافع الذي يسايرها عند اقتناص غيره من الرجال . . . وودت لو ساعدته . . . لو تقدم له أى شيء » يمكنها التكهن أنه يرضيه أو يقع في نفسه موقع القبول ،^(٤٦) وقادته الى

(٤٤) عطار ، العدد السابق ص: ٩

(٤٥) المرجع السابق . نفس الصفحة

(٤٦) المرجع السابق . نفس الصفحة

عرفتها « وكان الفراش معدا ، وهناك دولاب كبير بابيه مرآة ثم كرسيان ،
 وصورتان ملونتان لها معلقتان على جدار الباب ، وعدا هذا فنوافذ ثلاث أسدلت
 عليها ستائر باهتة » (٤٧) وكان جو الغرفة مشبعا بعطر الياسمين ، وقد جلس
 هادئا يدخن سيكارتته ، فأثارها هدوءه « واستشعرت لأول مرة بمظاهر العاز
 والذلة والانكسار ، تدافع في مخيلتها تجاه الفتى الجالس ، وانحلت تلك
 العواطف في نفسها . وحل محلها شعور متدفق بالايمان والطهارة وبرزت
 فيها شخصيتها الدينية الخالصة التي ظلت مغمورة وراء حياة عاهرة منبوذة .
 وأعادت رؤية ذلك الشاب شخصيتها كتلميذة نقية مزهوة بجمالها » (٤٨) .
 فأحست الحاجة الى الدموع تنفس بها عن نفسها وحين قام فجأة ، دق
 قلبها عنيقا ، ولكنه بدلا من ان يتجه اليها راح الى النافذة وأزاح ستائرهما ،
 وأطل الى الطريق « وكانت الفتيات التعسات جالسات بجمود تغشى وجوههن
 أصباغ ومساحيق كالدمى لا تأخذ نظراتهن شيئا معلوما » (٤٩) . فقال في
 نفسه « بضاعة مزجاة » . . . ولوى شفثيه ، لقد كان يريدنا الآن . ولم تكن
 صورتها القديمة لتمحي بهدوء من ذهنه . وكانت ملامحه كما عهدتها
 خشنة . لقد كان يريدنا في الماضي أيضا . ولم تكن أحلامه في الماضي الا
 رغبة مكبوتة في امتلاكها وذكر اسمها ، فحاولت أن تجذبه اليها ، لكنه سألها
 كيف حصل هذا ؟ وقد ضحكت ، لم تكن تريد أن تفصح بالسر . وقالت :
 « لا توجد فتاة تروى تاريخ سقوطها كما حدث تماما » والأمر قد حصل
 فما أهمية ذلك الآن (٥٠) ونادته تعال « وتهاككت على الفراش لاهثة واضطرب
 نهداها ومالا يدفغان الثوب الى اليمين ، وافترش شعرها اللامع الذهبي نصف

(٤٧) المرجع السابق . ص: ١٠

(٤٨) المرجع السابق . ص: ١١

(٤٩) المرجع السابق . ص: ١١

(٥٠) المرجع السابق . ص: ١٢

الوسادة ومدت ذراعيها العاريين تدعوه وقد التمع في عينها مزيج من التوسل والاعتراف .. (٥١) وكان يتداعى وهو يلتهم الجسد .. ولكن على حين غرة ، طاف بذهنه « انها تسلم نفسها طائعة وبسهولة ، الآن وعندما أصبحت ملكا شائعا لأى طالب يطرق بابها » ، وشاع فى نفسه الألم والحذلان واكتأب على حبه الصافى العميق كيف يتساوى مع أحط رغبة يحملها أى واحد لهذه المرأة الحقيمة .. وعندما كانت عزيزة الجانب محبوبة مدللة .. هل فكرت فيه يوما وبما كان يقاسيه فى سبيلها؟؟ لقد ماتت شخصية الصبية الصغيرة منذ بعيد وهو يعيش معها بالوهم والخيال . وتلك الحياة الخيالية الحميمة يغذيها حبه الشائق العنيف أروع وأشوق ، مما يلقاه فى تلك اللحظة .. ومن الأسف والعار أن يحرق خيالاته الرائعة التى عاش بها مدى سنين بخورا على فراش عاهرة .. (٥٢) ولم يجد أمامه الا لفظة ساقطة يلفظها « على أشد ما يسهه استنكارا » ، كمن سلبت منه شيئا عزيزا لا ترجى اعادته .. (٥٣) ان تمثاله المعبود أصبح حطاما .. أما هى فقد استوت جالسة ، ولم تكن ندا له فى مشاعره وأحاسيسه لقد أصيبت بضربة آلتها ، اذ تركت هكذا مهملة ، فارادت ايلامه وجرحه ، فاتهمته بضعف رجولته .. فاستدار اليها مدهوشا ، ثم راح يضربها « واستراح الى الضرب ، وهاجت أعصابه وغلت دماؤه فمسك كتفيها وضغطهما بقوة وقسوة ، وامتدت يده على ثوبها فتمزق أعلاه وبرز نهداها الناضجان يضطربان على صدرها العارى . وقاوم حتى النهاية نظراتها الدامية المليئة فتنه وانتحابا . وتركها يشيعه نسيجها المتقطع العالى مع شذى عطر الياسمين » (٥٤) .

ان هذه القصة تدفع الى نفسك ، ما يدفعه الأدب الرفيع من لذة

(٥١) المرجع السابق . نفس الصفحة

(٥٢) المرجع السابق . نفس الصفحة

(٥٣) المرجع السابق . نفس الصفحة

(٥٤) المرجع السابق . ص: ١٤

شعورية • ويشيع فيها ما يشيع في هذه الاعمال القصصية المتكاملة ، الاصلية من نكهة خاصة • لقد انتقى يوسف متى موضوعه بمهارة وارتفع به الى مستوى انساني باهر ، يعيش في جو عراقي ، لا يمحي • لقد نقلت هذه القصة ، القصة العراقية الى آفاق الدقة في تصوير المشاعر الانسانية • كما أنها ، في اهتمامها بتصوير المكان على نحو دقيق ، مما يفتقده معظم القصص العراقي في هذه الفترة ، قد أحلت نفسها في موضع النماذج القصصية التي يحسن احتذاؤها • وقد حققت كثيرا من مقومات القصة الفنية اذ ركزت على موقف معين ، في مكان معين ، في زمن معين اهتمت به • ومن هنا كانت هذه القصة تمثل في نظرنا قمة قصص المضمون العاطفي ، ومثالا لنضوجه الفني ، وتؤكد حقيقة ان القصة العراقية قد صنعت فجرها ، وعرفت طريقها في الثلاثينات •

وقبل ان تترك قصص هذه المجموعة من المضمون العاطفي ، نرى ان نقف قليلا عند قصص كاتب آخر ، يعتبر أيضا من الكتاب البارزين الذين أسهموا في بزوغ فجر القصة العراقية وهو شالوم درويش • فقد أمد هذا التيار بقصص من نوع آخر • ذلك ان القصة العراقية في اتجاهها نحو الواقعية أواخر الثلاثينات ، ركزت على بعض النماذج ، من الناس البسطاء ، تصورهم ، وتعرض لمشاكلهم ، وتعنى برسم ملامحهم والتعبير عن انفعالاتهم ومشاعرهم • وهذه النماذج مستقاة من الحياة • وهي نماذج لاناس معينين موجودين فعلا في واقع القاص ، مما يعطى هذه القصص محلية متميزة • وقد عرض شالوم درويش لمشكلة الحب عند هؤلاء في ثلاث قصص من مجموعته الاولى « أحرار وعبيد » وهذه القصص فيها بعض عناصر البناء الفني ، اذ تركز على حادثة قصصية معينة لها بدايتها وتطورها ونهايتها ، وان كانت لا تخلو من عيوب ، تمثل في هذه النهايات المفاجئة التي يخفيها القاص الى النهاية ، ويفاجئ القارىء بها • وفي هذا السرد المتكلف بطريقة الكاتب

الخاصة ، وهى طريقة تخضع لسجيته ، لا الى اختيار التعبير الدقيق والملائم ، بحيث يحيل أسلوبه الى أسلوب مهلهل غير مكثف .

وهذه القصص هى : قصة « أبو شوارب »^(٥٥) وقصة « تحرير عبد »^(٥٦) وقصة « ياقوتة »^(٥٧) وينبض فى القصة الاولى حس فكاهى جميل ، ومحاولة دقيقة لرسم شخصية البطل ، ومتابعة انفعالاته المتضاربة التى كان يستشعرها نحو الفتاة التى كان يحبها ، ولكن يعوزها الحبك المحكم ، الذى يسوق المؤلف الى ذكر بعض العبارات التى لا ضرورة لها ، هذا الى ركة واضحة . والقصة الثانية ، ضعيفة متكلفة ، ولكن فيها بعض الملامح الانسانية اذ تعالج حب عبد لسيدته الجميلة . أما القصة الثالثة « ياقوتة » فهى أجمل هذه الأقسيس الثلاثة . وهى تحكى قصة خادم سوداء ، تلاحظ ابنة سيدها يوماً ، فى حالتهم وبكاء ، فيقودها تفكيرها الى تصور أنها لا بد تحب . ويتابع المؤلف تصوير الحدث من خلال تفكير بطلته هذه ، المحدود الساذج . فهذا التصور يحفزها الى اكتشاف سر الفتاة الغامض . وتدفعها محاولاتها لاكتشاف هذا السر الى التفكير بالشباب الذى تحبه هى ، والذى تمنى لقياء . وهو شاب وسيم مقتول العضل يسكن فى رأس الشارع من محلتهم . وتساءل نفسها هل يحب البيض كما تحب . فهى على سبيل المثال حين تفكر بذلك « الافندى الاسمر الجميل الذى يسكن فى رأس الشارع ذو القامة الطويلة والعضل المقتول ، وغالباً ما يكون ذلك بعد الأكل ، تشعر كأن عاصفة قد ثارت فى دماغها ، وكأن ملايين النمل تدب على جسدها والنار المحرقة تستعير بين أضلاعها فتشتهى أشياء مبهمة تكاد تجن لها جنونا وتجد نفسها بلا سبب تقوم بأعمال غير معقولة أو معتادة على الأصح ولكنها لا تبكى أو لا تجد فى

(٥٥) احرار وعبيد ص: ٥

(٥٦) المرجع السابق ص : ١٧

(٥٧) المرجع السابق ص : ٢٣

نفسها أى رغبة الى الاضطجاع بهدوء على سرير أو البكاء والعكس من ذلك
فإنها كانت تحس فى نفسها شيئاً يشبه الرغبة الى الركض فى ساحة الدار
كالمجنونة والى تحطيم كل ما تصادفه فى طريقها حتى لو كان رأسها،^(٥٨)
وبمستوى من هذه الدقة فى تصوير مشاعرها الساذجة يتابع المؤلف مراقبة
ياقوتة لابنة سيدها فى صمت * ولم تستطع أن تكبت رغبته طويلاً * فاندفعت
فى اليوم التالى الى غرفة الفتاة تبحث عن صورة مثلاً لتكتشف السر ، لأنها
لم تكن تعرف القراءة أو الكتابة * ولقد اكتشفته مما جعل عينها تجحطان ،
ومفاصلها تتراخى وتسقط مغشياً عليها فقد « عثرت بغير قصد على صورة
الشاب الذى تحبه نادية^(٥٩) ملفوفه بمنديل من الحرير لونه وردى ذى
رائحة عطرية منعشة ومن غريب الصدف أن يكون هو نفسه الشاب الأسمر
الجميل ذو القامة الطويلة والعضل المقتول الذى يسكن فى رأس الشارع»^(٦٠)

(٥٨) المرجع السابق . ص: ٢٩

(٥٩) ابنة سيدها

(٦٠) المرجع السابق . ص: ٣٢

المضمون الاجتماعي

يعد المضمون الاجتماعي من المضمين الأصيلة في الأدب العراقي الحديث ، ويعبر عن هذه الاتجاهات الاجتماعية الاصلاحية القوية الشاملة ، التي بدأت تنتشر في العراق مع بداية النهضة فيه . وهذه الاتجاهات الاجتماعية استجابة واعية لواقع التخلف الاجتماعي الشامل ، الذي كان عليه العراق في بداية نهضته وهو لا يزال يعاني بعض مظاهره . ولقد كان عمق هذا التخلف الاجتماعي وشموله حافزا كبيرا لكي يندفع المثقفون العراقيون - ومنهم الأدباء - في هذا الاتجاه ، ويسهموا في انهاض بلادهم التي أنهكتها أوضاع قرون طويلة دامية من التأخر والتخلف . ولقد رأينا ، ان القصة العراقية الحديثة ، في طورها البدائي الاول ، اتجهت اتجاها اجتماعيا اصلاحيا جادا ، نتيجة لذلك . وأفصحت عن هذه الرغبات التي اختلجت في نفوس المثقفين نحو بلادهم وراقيا . وقد أسهمت ، هذه القصص التي كتبت آنذاك ، بقدر استطاعتها ، بهذه المعركة الاجتماعية التي قادت العراق في طريق نهضته الأخيرة ، والتي لعب الأدب والأدباء دورا بارزا كبيرا فيها .

وإذا كانت هذه النزعة الاجتماعية الاصلاحية أكثر بروزا في الشعر ، خلال الفترة الاولى من العشرينات ، فاستطاع أن يفصح عن هذه النقمة الثائرة والحارقة الفائرة التي كانت تجيش في نفوس الناس على الأوضاع المتردية ، فذلك يعود بالاساس الى ترسخ الشعر ، بين الأدباء ، والى استناده الى جذور تاريخية عريقة ، وتقاليد أدبية متينة ، تمتد مع التاريخ العربي للعراق ، والى ان القصة العراقية خضعت في الفترة الاولى من العشرينات لمؤثرات وعوامل جديدة ، وجهتها وجهة جديدة ، وأخضعتها للتقليد مما فصلناه سابقا . ولم تقم القصة العراقية بدورها الاجتماعي المناسب ، الا بعد

ظهور الكتاب الجدد الذين تعرفوا على الفن القصصي في جوانبه المختلفة ،
واطلعوا على أنواع متعددة منه مع أوائل الثلاثينات •

ولقد كان لسيادة المفهوم الخاطيء عن القصة ، الذي عكسته روايات
المغامرات والغرام وروايات المنفلوطي المترجمة وموقف الأدباء المحافظين
منها ، وضعف ثقافة الجيل الجديد من المثقفين الذين استهوتهم هذه الروايات ،
ووقعت مهمة الكتابة في القصة على عاتقهم ، العوامل الأكثر تأثيرا في شحوب
المضمون الاجتماعي ، وغلبة المضمون العاطفي عليه في الفترة الاولى من
العشرينات •

والواقع ان المضامين الاجتماعية ، التي تناولتها القصة العراقية في
الفترة الاولى من طورها الثاني ، على قلتها ، كانت صدى لهذه المضامين
الاجتماعية التي صورتها روايات المنفلوطي المترجمة ، ومقالاته الاجتماعية المختلفة ،
وغيرها من الروايات التي تأثرت الرومانسية الأوربية في الأدب العربي
الحديث • فصورت فئات المجتمع الفقيرة والبائسة ، على نحو عاطفي مفتعل
يراد منه اثارة العطف والشفقة عليها • فشدت النكير على مظاهر اجتماعية
زائفة ، رأت فيها سببا هاما ، في تعاظم نكبات هذه الفئات • وقد خرج كل
هذا في أسلوب خطابي ، فيه الموعظة والنصيحة ، واللوعة ، والبكاء ، وليس
فيه من القصة شيء • فكوخ لفقير لا بد أن يكون الى جانب قصر لغني ، ليظهر
التناقض واضحا • وهؤلاء الأغنياء قساة ، أفضاظ ، لا رحمة في قلوبهم ، ولا
يعرفون للاحسان معنى • كأنما كان في ظن كاتبها هذه القصص أن احسانا
صغيرا يقدم عليه غني من الاغنياء ، كفيل بأن ينهي هذا الظلم الاجتماعي الفادح ،
الذي تعانيه الطبقات الفقيرة من المجتمع • ولم تكن هذه القصص بتصوير
الشخصيات على نحو واقعي ، بحيث تصفها في آثامها ، وشرورها ، وتعرض
لجوانب القبح في الحياة ، وبالتالي تصور الواقع كما هو ، لكي تحدد عوامل

الضعف فى المجتمع ، التى تعوق تقدمه ونهضته • ومن هنا فقدت قصص هذه الفترة الاجتماعية تأثيرها وقيمتها •

ولقد ظل لهذه الاجتماعية الرومانسية تأثيرها • بل ظلت تدمغ أكثر القصص الاجتماعية التى ألفت فى الثلاثينات بطابعها • ولكن هذا التأثير وهذا الطابع كاد ينحصر فى هذه الفئة الواسعة من المستجدين ، التى اندفعت الى كتابة القصة منذ أواخر العشرينات • وكان لفضالة حفظ هذه الفئة من الثقافة العميقة ، وانعدام الموهبة القصصية تأثير كبير فى وسم قصص هذه الفئة على كثرتها بالتفاهة ، وعدم القيمة • وليس لنا أن نترك دراسة هذه القصص من أجل ذلك • فلها أهميتها ، اذ أنها تصور جانبا كبيرا من القصص ، الذى انتشر انتشارا واسعا فى هذه الفترة ، ولا يمكن أن يغفله دارس يعنى بتتبع تطور القصة فى فترة قصيرة نسبيا بالنسبة لظهور فن أدبى جديد ، وترسخ تقاليد فى المجتمع على نحو متين • كما ان كثيرا من مضامين هذه القصص وجدنا صدى لها فى نوع آخر من القصص الاجتماعية ، كتب فى هذه الفترة • ذلك ان هذا النوع من القصص ، لم يبق وحده ، كما فى الفترة الاولى من العشرينات ، بل برز الى جانبه جانب جاد رصين قاد القصة الى فجرها ، وأرساها على قواعد من الفن أمتن ، وانفتح على ألوان جديدة متعددة من الفن القصصى ، ونجح هذا الجانب من القصص الاجتماعى فى أحيان كثيرة فى أن يقدم قصصا فنية لا يفقدها قيمتها وأهميتها ما فيها من عيوب ، اذ أن ذلك لازم لنتاج أدبى يحاول أن يستكشف طريقا جديدة •

وقصص المضمون الاجتماعى مجموعتان كل مجموعة منها تشترك بصفات وخصائص فنية متقاربة • ومضامين قصص المجموعة الاولى من المضمون الاجتماعى ، تشعب وتعدد ، كما ان مستواها الفنى يتفاوت رداءة وجودة بالنسبة الى مستوى كتابها ، ومدى قدرتهم على التعبير وتمكنهم من اللغة • على أنها جميعا من القصص غير الفنى ، الذى يدل على بدائية

وسداجة • ولقد كان مصدر ضعف قصص هذه المجموعة يعود ، كما ذكرنا الى مستوى كتابها • فهم كتاب مستجدون ، لانصيب لهم من الثقافة العميقة ، جاءت قصصهم معبرة عن هذه الضحالة ، فكانت سطحية المضمون أمرا طبيعيا •

وقد زاد من السطحية في المضمون قلة تجارب هؤلاء الكتاب في الحياة ، بحكم كونهم من صغار السن ، كما تشف عنه هذه القصص ، وقصور نظرهم عن ادراك حقيقتها • كما ان قصصهم ، لم تأت في الأكثر ، وهي تعبر عن تجارب حياتية صادقة • فقد كانوا بمثابة مراقبين ، لفتت أنظارهم بعض أحداث المجتمع البارزة ، فصوروها على نحو ساذج • وساقهم ضعف ثقافتهم الفنية الى أن يقودوا أحداث قصصهم الى ما ينبو عن المنطق ، والى ما لا يحتمل وقوعه في الحياة • لقد أرادوا ، فيما كتبوه ، أن يستدروا عطف القارىء ، ويشيروا شفقته على هذه الفئات المنكوبة البائسة ، أو يلفتوا نظره الى مساوىء يرون أنه من الواجب تلافيها واصلاحها • أو ارشاده الى مافيه خيره وصلاحه • ولكنهم لم يفلحوا الا فى دفع السأم والملل الى قلبه واثارة ضجره • كما أنهم فى سعيهم للبحث عن الحادثة الاجتماعية البارزة الشاذة ، لم يوفقوا ، فى أكثر الاحيان ، الا فى تقديم قصص لا تصلح للنشر الا فى باب أحداث المجتمع ، الذى اعتادت الصحف ، أخيرا ، أن تفرد له بابا ثابتا ضمن أبوابها ، مما تستقى مادته ، فى الأكثر ، من دفاتر الشرطة ، أو من أروقة المحاكم • ولقد أدى عدم تفريقهم بين الرواية والقصة القصيرة ، الى مجيء أكثر قصصهم وهى عبارة عن رواية مختصرة ، تعدد أحداثها ، وتكثر شخوصها ، وتتسع رقعتها المكانية ، وأمدتها الزمنى • مما أخرجها عن نطاق القصة القصيرة ، التى تعرض لموقف من مواقف الحياة ، أو لجانب من جوانبها ، وجعلها عبارة عن هيكل عظمى فيه كل شيء الا الحياة • وعلى الضد من ذلك فقد تتضاءل الحادثة فى هذه القصة ، وتندم بحيث لا تبقى غير صورة لمشاهد

مألوفة مما يقع عليه نظر الانسان في الشارع من مظاهر البؤس الاجتماعي ،
صورة امرأة بائسة حولها أطفال يتضورون جوعا ، أو فتاة بائسة تحتضر ،
ولا تستطيع ابتياع الدواء لفقرها ، او فقير يطارده الصبية بالحجارة لمجرد
فقره ، أو طفل فقير في يوم عيد ... الخ •

ولقد صاغ هؤلاء الكتاب قصصهم بأسلوب سردى تقريرى ، يخرج في
أكثر الأحيان الى النصيحة والارشاد أو الشكوى بشكل خطابي فج ، مما
يعوق سير الحدث • مغفلين في الوقت ذاته ، جانب رسم الشخصيات وتحليلها
وتصوير نوازعها المختلفة ، وجانب رسم المكان بحيث يضىء جوا معينا •
ونتيجة لذلك ، فانه من العيب أن نحاول العثور في أمثال هذه القصص على
أصالة أو محلية خاصة تصور الجو العراقى وتعبق بشذاه • وجل ما هناك
بعض المظاهر البارزة غير المفسرة للمجتمع العراقى ، في نواحيه المتعددة •

ولقد كانت أبرز المواضيع التي عالجتها قصص هذه المجموعة من
المضمون الاجتماعى هي مشاكل الفقر ، ومظاهر البؤس الاجتماعى المختلفة
التي تحاول أن تصور للقارى أن سبب الفقر الرئيسى هو لؤم الأغنياء ، وعدم
شفقتهم ، وفقدهم للمشاعر الانسانية • ومن نماذج هذه القصص قصة « فقير
ينتحر » التي تحكى قصة فقير يعيش في كوخ له مع زوجته ، قرب قصر لغنى ،
لا يحسن بوجوده • فيخرج ذات يوم للاستجداء ، فلا يحصل على قوت يومه ،
وحين يعود الى كوخه يجد زوجته ، قد ماتت جوعا فينتحر^(١) • وقصة
« ساكن ذلك القصر » لسعيد عبدالاله^(٢) ، التي تحكى قصة عجوز فقيرة ،
تقف أمام باب قصر غنى ، تحاول أن تحصل منه على بقية مرتب ابنتها المريض
الذى كان يشتغل عنده ، لتبتاع له دواء • ولكن الغنى يرفض تسديد مابذمته ،

(١) جريدة البلاد - العدد ٥٤ - السنة ١ - ١٢ ك ٢ - ١٩٣٠ • ومؤلفها
ن • عبدالكريم •

(٢) الحاصد - العدد ٣٢ - السنة ٢ - شباط ١٩٣١ •

ولا يكفى بهذا الرفض ، بل يضربها • وقصة « الغريق » للطفى بكر صدقي^(٣) ، التي تحكى قصة فقير كان يسير مع ابنته قرب النهر ، فاحسها الجوع ، ولم يكن لديهما من الطعام غير رغيف متعفن • وحين يصلان الجسر ، ويتمشيان عليه ، يمر غنى الى جانبهما ، لا يلبث أن يخرج ساعته الذهبية ، لينظر الوقت ، فتسقط منه فى النهر ، فيعلن هذا الغنى انه سيعطى روبية^(٤) الى من يخرجها فيتطوع الفقير لاجراجها طمعا بالروبية • ويفلح فى ذلك ، ولكن مقابل حياته التى طوتها المياه • وقصة « المجتمع الظالم » لعلى حسين الوردى^(٥) ، التى تحدث عن شاب اسمه سلمان لم يجد عملا ، فأخذ الاطفال يضحكون عليه فى الشارع لبؤسه • ثم يموت غرقا •

ومن المضامين الاجتماعية البارزة الاخرى التى تناولتها قصص هذه المجموعة من المضمون الاجتماعى ، وضع المرأة الاجتماعى وعلاقتها بالرجل • وأغلب هذه القصص تدور حول تزويج المرأة من رجل يكون فى الاثر شرسا ، فاجرا ، سكيرا ، مقامرا ، وليس من سبب لذلك غير أن المرأة لا رأى

- (٣) السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٨٦ - السنة ٢ - شباط ١٩٣١ •
 (٤) عملة هندية كانت مستعملة فى العراق آنذاك •
 (٥) الصباح العدد ٣٧ السنة ١ آذار ١٩٣٦ •

ومن قصص هذا المضمون الاخرى غير القصص السابقة • قصة « فاجعة فى عيد » لاحمد كريم - العراق - العدد ٣٣٩٨ - السنة ١٢ حزيران سنة ١٩٣١ • و « ضحية » لسليم بطى - البلاد - الاعداد ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ - السنة ١ تموز ١٩٣٠ • و « الموت » لعبد الصاحب الملائكة صوت العراق (بدل البلاد) - العدد ١٥٢/١ - السنة ١ - ١٠ آيار سنة ١٩٣٠ • و « البائسة » لسعيد عبدالاله - الحاصد العدد ١٨ السنة ٢ - ت ٢ - ١٩٣٠ • و « عمشه المطلقة » لتوفيق السمعانى - الحاصد العدد ٤ - السنة ٢ آذار سنة ١٩٢٩ • و « فى عرض الشارع » لعبدالله حلمى ابراهيم - الصباح - العدد ٦٥ - السنة ١ - ٤ تموز ١٩٣٦ - و « فى القصر والكوخ » الصباح العدد ٩٣ السنة ١ - ت ١ - ١٩٣٦ • الخ

لها في اختيار شريك حياتها • وتنتهي أمثال هذه القصص عادة بفرار الزوجة أو انتحارها ، وأحيانا يقتلها الزوج لمجرد أنها لم تطعه في امر تافه ... أو ... أو الخ^(٦) • ومن مضامين هذه القصص التي تناولت المرأة ، تصوير المرأة البغى ، واطهار العطف عليها ، باعتبارها ضحية ظروف اجتماعية قاهرة • وهذه الظروف الاجتماعية القاهرة التي صورتها القصص والتي تسوق المرأة الى السقوط ، لا تعدى واحدا من أمرين • أولهما : الفقر الذي يجعل من المرأة كيانا ضعيفا ، لا يسندها شيء ، فتقع فريسة سهلة لمن يتربص بها • وثانيهما : هفوة في حياتها • شاب جميل يغويها ، ثم يخلف وعده ، ويتخلى عنها ، فتسقط • وقد كتبت هذه القصص تأثرا بالرومانسية التي حفلت بالبغى وصورتها ، والتي من أشهر أمثالها ، بطلة «غادة الكاميليا» لألكندر دوماس الابن^(٧) • وهي من الروايات التي ترجمت الى العربية ، وانتشرت انتشارا واسعا بين أوساط القراء ، على اختلاف مستوياتهم الثقافية ، لم يخل من تأثير كبير في مضامين قصص هذه الفترة ، وأسهمت الى حد كبير في تكوين النظرة المثالية الخاصة نحو البغى ، لدى العديد من شباب الجيل

(٦) تراجع كنماذج لهذا المضمون من القصص :

« الارملة التي اختفت » ستيرينه ابراهيم - الحاصد العدد ٤٥ السنة ٣ حزيران سنة ١٩٣٢ • « في العرس » لسليم بطي - البلاد - العدد ٣٥ - السنة ١ - ١٩ ك ١ سنة ١٩٢٩ • و « ماري » لشالوم درويش • البلاد العدد ١٧ السنة ١ - ٢٨ ت ٢ - ١٩٢٩ و « الزوجية حقوق » ل (س . ر) الزمان (بدل البلاد) الاعداد ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ السنة ١ - ت ١ - ١٩٣٠ • و « نكبة » لممتاز أكرم العمري - الاخاء الوطني • مسلسل ابتداء من العدد ٧ السنة ١ آب ١٩٣١ •

(٧) المؤثرات الغربية في الرواية العربية • محمد غنيمي هلال • الآداب (البيروتية) العدد ٣ السنة ١١ - آذار ١٩٦٣ ص : ٢١ •

الناشيء ، الذي كان يخطو خطواته الاولى في الحياة^(٨) .

وتعرض هذه القصص التي تناولت البغي على نحو رومانسي ، بطريقة تكاد تكون واحدة . يذهب الراوي الى أحد بيوت البغاء ، وهناك يلتقي ببغي كسيرة متألمة ، فيسألها عن قصتها . . . الخ . وهذا الشاب قد يكون مثاليا مساميا ، بحيث أن القاص يحرص على القول أن ذهابه الى هنالك ليس بحثا عن اللذة ، وإنما لغرض التعرف على نواح من البؤس الاجتماعي ، على نحو مقتعل^(٩) . وقد أولع بهذا المضمون ، بصورة خاصة ، من القصاصين ، عبد المجيد لطفى ، الذي كتب عددا كبيرا من القصص على هذا النحو^(١٠) . والواقع أن هذا الكاتب لا يمكن عده من كتاب هذه المجموعة من قصص المضمون الاجتماعي ، لما تمتاز به قصصه ، من صفات وخصائص فيه ، تحله مكانة هامة بين القصاصين الذين كتبوا القصة في العراق في هذه الفترة . فأسلوبه شاعري متدفق ، وله قدرة على رسم الجو النفسى الملائم للحدث ،

(٨) لعل من أطرف النماذج القصصية التي صورت هذا التأثير في الجيل الناشيء من الشباب على نحو واقعي ساخر ، قصة «على صخرة الحقيقة» لشالوم درويش ، التي نشرها في الحاصد - العدد ٥٠ السنة ٣ تموز ١٩٣٠ . وتحكى قصة شاب كان قد قرأ «غادة الكاميليا» . فكان أثرها عظيما في نفسه ، اذ تهاجم المجتمع الذي ينتقم من المرأة بعد أن يدفعها الى السقوط ، فيرغب في أن يقوم بقسطه ، لماذا لا يكون أرمان؟ وبيحث بين الساقطات عن تضارع «مرغريت جوتيه» ، فوجد فتاة قيل له أنها لم تسقط الا منذ أيام . فأشفق عليها ، وحاول انقاذها . ولكن شفقتة هذه سرعان ما تحولت الى حب عميق ، استغلته الفتاة أبشع استغلال ، وأغرقتة في الديون . . .

(٩) تراجع قصة «وكر الرذيلة» لنديم الاطرقجي . الصباح العدد ٩١ السنة ١ - ٣ ت ١ - ١٩٣٦ .

(١٠) من هذه القصص ، «ليلة الاعتراف» الطريق - الاعداد ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ السنة ٣ آيار ١٩٣٥ . وقصة «ليلة شاكية» - الدفاع - العددان ١٤ ، ١٥ السنة ١ تموز ١٩٣٧ .

ودقة في تصوير بعض الانفعالات النفسية ، بالإضافة الى تخلصه من معظم
عيوب قصص هذه المجموعة الفنية . ولكن الذي يجعلنا ندرجه ضمن كتاب
هذه المجموعة من القصص - بالنسبة لهذا المضمون - هو أن نضوج المؤلف ،
في كتابة القصة ، لم تشهد هذه الفترة من حياته الادبية * وقد سيطرت عليه
نزعة رومانسية صبغت كل نتاجه القصصي ، سواء ما كان منه تلك القصص
التي تناولناها في المضمون العاطفي ، ام هذه التي تناولها في المضمون
الاجتماعي . ولم يتخلص من هذه النزعة الا في القليل من قصصه ، وأخر
الثلاثينات . وبذلك يمكن اعتبار عبدالمجيد لطفى ابرز ممثلي النزعة
الرومانسية في الادب العراقي الحديث خلال هذه الحقبة . ونتاجه يكاد
يستوفي ملامحها ، من عاطفية تتناول الحب ، أو اجتماعية تعرض على نحو
عاطفي لبعض المظاهر الاجتماعية ، التي عرضت لها الرومانسية . وقد خضعت
قصصه هذه الى سهولة وارتجال في التأليف ، مما أسقطها في العادي من
القصص . وكانت رغبته الكبيرة في التأليف ، قد دفعته الى كتابة عدد كبير
من القصص^(١١) ، أعاد نفسه في معظمها ، بحيث لم يعد القارىء يجد جديدا
فيما يقرأ له . وساقته هذه الرغبة الى الافعال والتكلف وارهاق حدثه بما
لا يطيقه من غثاء ولا طبيعية .

ومما يحمد للمؤلف أنه كان يدرك قيمة قصصه التي كتبها . فقد ذكر
وهو يتحدث عن النقص الذي كان يحسه في الأدب العراقي قوله : « اننى
أرى في الصحف وفي أحاديث الشباب ميلا للقصة والاقصوصة سواء لقرائنها

(١١) الواقع أن الباحث يعجب من غزارة قصص هذا الكاتب التي فاقت
قصص أى كاتب عراقي آخر ، في هذه الفترة عددا ، كما يعجب من
سرعته في الكتابة ، اذ كاد ينشر فى كل يوم قصة ، كأنما كان يكتب
نتيجة لطلب أو لسد فراغ قصة اليوم التي أفردت له معظم الصحف
العراقية فى الثلاثينات بابا ثابتا من أبوابها . يراجع فى ذلك فهرست
القصص المنشورة فى الصحف والمجلات الملحق بهذا البحث .

أو كتابتها • وقد حاولت أنا أيضا مرات عديدة أن اكتب ولكنني الى الان لم أنتج بعد قصة موفقة أرضى عنها قصة حقيقية صادقة كقصص موبسان وتورغنيف وتولستوى ... (١٢) الخ ، •

ومما يتصل بالمرأة ، التي تناولتها قصص هذه المجموعة من قصص المضمون الاجتماعي ، عادة غسل العار • وهي عادة كانت احدى سمات المجتمع العراقي البارزة حتى فترة قريبة من تاريخه ، ولا يزال لها وجود في بعض أحيائه • اذ يقدم الرجل على قتل المرأة ، حين تزل بها القدم ، غسلا للعار الذي لحقه من جراء هفوتها هذه • ولم توفق قصص هذه المجموعة من المضمون الاجتماعي ، في تصوير هذا الموضوع تصويرا جيدا (١٣) • وانما تناولته على نحو ساذج ، فيه طابع الخبر أكثر من طابع القصة ، ولذلك سنشير الى هذا المضمون عند حديثنا عن قصص المجموعة الثانية •

وقد صورت بعض هذه القصص الصعوبات التي تواجه الفتى الذي يريد الزواج في العراق ، نتيجة لتحكم ذوى الفتاة وجهلهم ، واصرارهم على تزويجها بمن لا ترغب في الاكثر ، مما يحطم مستقبل الفتاة ، ويدفع الفتى الى البحث عن البغايا لاطفاء شهوته المتأججة (١٤) •

وقد حرصت قصص أخرى ، من قصص هذه المجموعة من المضمون

(١٢) نقص في أدبنا • عبدالمجيد لطفى • الزمان • العدد ١٥٨ السنة ١ آذار ١٩٣٨ •

(١٣) من القصص التي تناولت هذا الموضوع ، قصة « ينتقم لشرفه » كتبها كاتب معروف بتوقيع مطلع • الاعتدال العدد ٧ السنة ١ آب ١٩٣٣ • يذكر عبدالقادر حسن أمين عنه انه يوسف رجب « القصص في الادب العراقي الحديث » ص : ١٠١ ولا يقف الكاتب في هذه القصة موقف المستنكر لهذه العادة •

(١٤) من هذه القصص : قصة « شمس تغيب » لانور زلحة • البلاد العدد ٢٠٤ « يتكرر الرقم » السنة ١ تموز ١٩٣٠ وقصة « هذا ما جنته على أمي » لعبدالله حلمي ابراهيم • الصباح العدد ٦٥ السنة ١ تموز ١٩٣٦ و « القصة التي لا تنتهي » ، لمحمد علي لقمانى - الدفاع - العدد ٢٤ - السنة ١ - ١٧ تموز ١٩٣٧ •

الاجتماعي ، على التوجيه الاجتماعي وأخذ العبرة ، وتبيان أضرار بعض الآفات الاجتماعية كالقمار والخمر . فهذه قصة تبين أن المهنة الحرة أفضل من الوظيفة التي تحتاج الى الوساطات والتزلف^(١٥) . وهذا شاب ينتهي نهاية سيئة نتيجة اسراف والده في تدليله وتسامحه معه رغم تصرفاته الخاطئة ، لأنه كان وحيد^(١٦) . وفي قصة أخرى يحاول القاص أن يبين لنا أضرار القمار ، فيصور مقامرا باع كل شيء يملكه ، حتى أضطر أخيرا الى بيع شقيقته لقاء مبلغ معين ، خسرته بعد ساعات . وحين أحس بتأنيب الضمير بتريديه^(١٧) . وويلات الخمر لا تحصى . فهذا زوج سكير ، يعمل في نهاره لينفق ما يحصل عليه في الخمر ، ويترك أسرته تنضو جوعا . وفي ليلة من الليالي يعود ثملا الى بيته عصبى المزاج ، فيضرب زوجته لأنها تأخرت في فتح الباب فيما يظن ، وحين يصرخ ابنه باكيا يرفسه بقدمه فيقتله . ولم ينفعه حين أفاق من سكرته نوحه وبكاؤه^(١٨) . ومن الانتقادات الاجتماعية ، التي تناولتها قصص هذه المجموعة ، ما تحدثت عنه ستيرينة ابراهيم في قصتها « أم »^(١٩) . إذ صورت امرأة اعتادت أن تترك ابنها الوحيد لحادمتها ، وتذهب هي في زيارات طويلة ، معطرة ، وتعود نشوى . وحدث أن كانت الحادم - مستغلة فرصة غياب سيدتها

(١٥) قصة « المهنة الحرة » لنهاد عبدالمجيد - العراق العدد ٣٤٩٤ السنة ١٤
آب ١٩٣٤

(١٦) قصة : « من هو المسؤول » - لناجي الجوهر - البلاد - العددان ٩١ ،
٩٢ السنة ١ شباط ١٩٣٠ . ومثلها في المضمون قصة « تربية الدلال »
لنعيم رزوق بشو - نداء الشعب (بدل البلاد) العدد ٣٣٠ السنة ٢ -
١٥ ك ١ - ١٩٣٠ .

(١٧) قصة « أبيع شقيقتي فبكم تشتريها » لاحمد عبدالرزاق - الحاصد العدد
٩ - السنة ٣ - ايلول ١٩٣١ ومثلها قصة « لا يزال يقامر » لنعيم رزوق
بشو البلاد العددان ١٩٣ ، ١٩٤ - السنة ٢ حزيران وتموز ١٩٣٠ .

(١٨) قصة « الزوج السكير » لسليم بطي - البلاد العدد ٦ السنة ١ - ٣١
ت ١ - ١٩٢٩ .

(١٩) الحاصد العدد ٢٩ السنة ٤ شباط ١٩٣٣ .

- تطارح عشيقا لها الغرام • فأقرب الطفل من النار فاحترق • فهربت الخادم حين أحست بالمصاب • أما الأم فانها حين عادت أخذت بالصراخ « وأدنت بقايا انعظام الى شفيتها وراحت تمطرها قبلات طويلة وهي بين حين وآخر ترسل ضحكات عالية مخيفة • فكان ذلك جزاء عادلا لسلوكمها وعدم مبالاتها » •

وقد عاد بعض القصاصين الى ذكر ياتهم عن الحرب العظمى الاولى ، فصوروا بعض النكبات التي ألمت بالناس آنذاك • ففي قصة «ضحايا» لمكي الاشرى^(٢٠) ، يتحدث الكاتب عن اسرة فقيرة ، يقتل معيها في الحرب • فتضطر الأم الى بيع كل ماتملكه ، ثم تشتغل خادما عند غني يعاملها معاملة فظة ، ويصيبها مرض عضال سرى الى أحد طفلها ، فتضطر الى بيع طفلها الآخر لتشتري بالثمن حياتها وحياء طفلها العليل • • الخ • وقد يتحدث الكتاب عن قصة فرار الجنود من الجيش آنذاك ، وما كانوا يلاقونه في طريق هربهم من أهوال^(٢١) •

وقد جنحت بعض مضامين هذه القصص الاجتماعية نحو القضايا السياسية تعالجهما ، وهو اتجاه بارز في القصة العراقية سيعمق منه ذوالنون أيوب • وعبرت هذه القصص عن بعض ملامح الاحداث السياسية التي كان يصطخب بها المجتمع العراقي • ففي قصة «الفتى المتظاهر»^(٢٢) ، يتحدث القاص ، عن تلميذ صغير ، يفلح بطريقة ذكية في اخراج تلاميذ مدرسته

(٢٠) الحاصد - العدد ١٣ السنة ٣ - ت ١ - ١٩٣١ ومثلها قصة «ضحايا الجوع» ليوسف مسكوني نداء الشعب (بدل البلاد) العدد ٢٩٧ السنة ٢ - ٦ ت ٢ سنة ١٩٣٠ •

(٢١) من ذلك قصة «الفرار» ل (س . ر) البلاد - الاعداد ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ السنة ١ آذار ١٩٣٠ وقصة «المهاجر» لسليم بطي - التقدم « بدل البلاد » العدد ٢١٣ - السنة ١ تموز ١٩٣٠ •

(٢٢) البلاد العدد ١١٤ - السنة ١ - ٢٥ آذار ١٩٣٠ - ولم يذكر المؤلف اسمه • وسبب ذلك واضح •

في مظاهراته • وفي قصة «خبز البلوط»^(٢٣) يتحدث القاص عن رجلين يقطعان طريقاً جبلياً في شمال العراق ، فيشاهدان فلاحاً وزوجته يتضوران جوعاً ، ولا يسترهما شيء • وحين يصلان الى المكان الذي يقصدانه ، يقرأ أحدهم في إحدى الصحف خبراً عن طلب بعضهم لمخصصات ضخمة ، نتيجة قيامهم بأمور وهمية فيتذكر ، اذ يستعيد الى ذاكرته مشهد الفلاح الذي صادفه في الطريق ، قول أحدهم في المجلس النيابي أن الفلاح العراقي يعيش في رفاهية ، وانه يأكل الخبز والزبدة • وفي قصة أخرى بعنوان « المنضد » لعبدالقادر اسماعيل^(٢٤) ، يتحدث الكاتب فيها عن شاب كان من أذكى تلاميذ مدرسته • ولكن ظروف الحياة أجبرته على ترك الدراسة ، والعمل كمنضد للبحرروف لكي يعيل عائلته فكان أن فقد بصره • فوجد نفسه بلا عمل ولا طعام • وكل ذلك لانه لا يوجد تنظيم نقابي يحمي العامل ، ويضمن له العيش في حالة عجزه ، كما يريد المؤلف ان يعلم القارئ •

ولن نستطيع ان نستمر مع هذه المضامين الى نهايتها اذ يكفينا هنا أننا عرضنا لجانب كبير منها لكي تكون الصورة التي نريد رسمها عن هذه القصص واضحة • ذلك أن مضامين هذه المجموعة من قصص المضمون الاجتماعي ، قد تناولتها القصة العراقية في جانبها الثاني المتطور • بشكل أو بآخر • وليس ذلك غريباً ما دامت أحداث المجتمع ذاته ، هي التي فرضتها ، باعتبارها مظهراً من مظاهره •

أما المجموعة التي تمثل الجانب الثاني من قصص المضمون الاجتماعي ، فإنها تمثل من القصة العراقية ، في هذه الفترة ، أفضلها • وهي التي وضعت القصة العراقية على اساس متين قادها الى فجرها ، اذ أن كتابها هم أكثر الكتاب موهبة ، وتواجههم بما يملكه من خصائص وصفات فنية ، قد

(٢٣) البلاد - الاعداد ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ - السنة ١ - حزيران ١٩٣٠ ولم يصرح المؤلف باسمه أيضاً •

(٢٤) البلاد - العدد ٥ - السنة ١ - ٣٠ ت ١ - ١٩٢٩ •

نجاح في ان يعطى القصة العراقية طابعها الذي عرفت به . وهي بالتالى تعكس تطور القصة العراقية في هذه المرحلة بصورة تكاد تكون تامة من حيث الشكل والمضمون . ولسنا نريد أن نعرض لقصص هذا المضمون هنا ، بتفصيل يستوفى كل ما تستحق من بحث فان جزءا كبيرا منه ، سيذكر حين تناول بالدراسة أبرز كتابها ، كما ان جانباً كبيراً منها قد ورد فى بيان المؤثرات التى أفضت الى نهضة القصة فى الثلاثينات وأدت بالتالى الى اتجاه القصة العراقية نحو الاجتماعية ومن ثم نحو الواقعية . وجل هنا فى هذا المجال ، أن نعرض لبعض جوانب هذه المجموعة .

فقد اتجه كتابها الى الواقع يستمدون منه مضامينهم ، ويتقنون شخصياتهم على نحو فيه تدقيق واختيار ، أبعدهم عن التكلف والافتعال الذى أخرج قصص المجموعة الاولى عن الطبيعية فى أكثر الاحيان . لقد صوروا الواقع المؤلم - الذى يعيشونه - بما فيه من مرارة لاذعة ، وجوانب قاتمة ، وكشفوا بكتاباتهم عما يبطن بعض الناس من شرور وآثام ، على نحو واقعى لا تسوده العاطفية الرومانسية التى لا ترى الخير الا عند الفقراء ، ولا ترى الشر ونضوب الانسانية الا عند الاغنياء . وقد أخذوا يدرسون شخصيات قصصهم ويحللون جوانبها النفسية على نحو يتقصى ملامحها ، ويعرض لمشاكلها التى هى مشاكل المجتمع ، مما أدى بهذه القصص ، فى كثير من الاحيان ، الى أن توفق فى تلمس أدواء المجتمع ، وتحسس مواضع الضعف فيه . ومن هنا كانت أكثر محلية من قصص المجموعة الاولى التى كانت تستهدف عرض الشاذ من الحوادث بعاطفية وتجسيما تجسيميا لا منطقيا .

ولقد كان للتصاق أكثر كتاب هذه المجموعة من القصص بالحياة الاجتماعية ، المعتمة ، وبالصراع السياسى الذى عاشه العراق ، نتيجة طموح الفئات المهضومة الواعية لتحقيق استقلال العراق الفعلى ، وانجاز الاصلاحات الاجتماعية التى تسهم فى تطوره وتقدمه ، أن أصبح من أبرز صفات هذه

القصص الاصيلية ، عكس التيارات السياسية والاجتماعية ، فيه ، وتصوير أحداثه البارزة . ونجح أدب كاتب مثل محمود أحمد السيد في أن يعكس نفسية جيل باكملة سواء أكان ذلك في قصته المطولة « جلال خالد » أم في قصصه القصيرة الاخرى التي نشرها في مجموعتيه « الطلائع » وفي « ساع من الزمن » . وقدم « ذو النون أيوب » وثيقة هامة عن فترة أخرى ، من تاريخ العراق ، حين عرض لعيوب الجهاز الاداري في العراق وصور ما ينخر به من انتهازية ومحسوبية ، وفقدان قيم ، أدت بالشباب الناهض الطامح الى تحقيق مثله الى أن يعود كسيرا مهزوما لا يعرف أين يضع أقدامه ، فضاقت الارض في عينيه حتى حسبها من الضيق كفة حابل . واذا كنا نفتقد في كثير من هذه القصص تكامل الفن القصصي ، وروح القصة الاصيل ، فإن ما يعطيها قيمتها هو أنها حرصت على أن تكون صادقة أمينة لما تعرض له .

وبرزت في قصص هذه المجموعة ، مشاكل هذه الفئة الجديدة من المثقفين التي قدر لها أن تلعب دورا كبيرا في تطوير المجتمع والفكر العراقي . فصورت الموظف وارتباطاته ومطامحه ، وآماله ، وما يقف أمامه من عقبات . وانعطفت الى مشاكل اجتماعية اخرى فعالجتها معالجة هادئة رفيقة ، فيها العقل ، وفيها النضوج ، ولا تخلو هذه المعالجة من جمال . وقد امتدت محاولاتها الى جميع نواحي المجتمع تعرض له وتصور ، فوفقت في بعض وفشلت في اخرى . ولقد جانبها التوفيق حين عرضت للريف ، اذ كان كتابها غرباء عنه ، ولم يكونوا من ابنائه . فالريف لم يتح له من النور ما يضيء أمام أبنائه سبيل التطور ، فلم يحسن احد تصويره اذ لم يعيش أحد مأساته .

ولقد كان من المواضيع الهامة التي تناولها كتاب هذه المجموعة من القصص ، وضع المرأة الاجتماعي . فتحدثوا عن مشاكلها ، ودعوا الى تحريرها . وابتعدوا كثيرا في تصويرها ، عن هذه الصورة الرومانسية التي

عكستها أغلب قصص المضمون العاطفي ، وقصص المجموعة الاولى من المضمون الاجتماعي . لقد كتبوا ما كتبوا ، في ظل تقاليد تفرض على المرأة أنها سلعة ، ولم تدرك حقيقتها باعتبارها كائنا حيا . فأرْمضهم ذلك ، وسخروا من الحجاب ، ونددوا بعادة القتل غسلا للعار التي كانت من أبرز مظاهر المجتمع العراقي ، حتى وقت قريب . وقد أفلحت بعض القصص في أن تصور هذا القتل ، على نحو يشعرنا بلا انسانيته ، ويدعوننا لان نقف مستكرين أمام مجازر ترتكب باسم الشرف . ودعوا الى تعليم المرأة ، وخروجها الى الحياة العملية .

وكانت الاهداف الاجتماعية الاصلاحية التي دفعت الكتاب الى مضامينهم هذه عاملا هاما في جعل بعض قصص هذه المجموعة ، أقرب الى أن تكون مقالة اجتماعية . بل ان بعضها ، كان مقالة اجتماعية اتخذت الشكل القصصي اطارا . كما يتمثل ذلك في قصص ذو النون أيوب . ولعل هذا من أبرز عيوب هذه المجموعة الفنية . على أن جل حصادنا من هذه المحاولات الجادة ، هو تعرف للطريق الذي ينبغي على القصة العراقية أن تسلكه . وهو طريق لا بد موصلها الى ما تصبو اليه من كمال . وقد ظلت هذه الكتابات الجيدة محصورة بعدد محدود من الكتاب ، يحصون على الاصابع . ولم يكن نتاج هؤلاء الكتاب - بالنسبة للكاتب واحد - على مستوى واحد من الجودة . وظلت كثير من عيوب قصص المجموعة الاولى من المضمون الاجتماعي التي عرضنا لها سابقا ، تظل على نتاجهم ، وتضعف منه . ولعل في هذا تفسيراً لما ذكرناه حين عرضنا لتطور القصة بين الحربين في الفصل الاول ، من هذا الباب من أن هذه الفترة شهدت فجر القصة العراقية ، وانه ظل طوال هذه الفترة فجرا (٢٥) .

(٢٥) ابرز كتاب هذه المجموعة من القصص هم محمود أحمد السيد ، وذو النون أيوب ، وأنور شاؤول ، وعبدالحق فاضل .

وتلقت نظرنا من قصص هذه المجموعة ، قصة « ثورة الجهل » ليعقوب بلبول^(٢٦) بأسلوبها القصصي ، ودقة التحليل فيها . وقد حاول فيها الكاتب أن يصور تأثير المخترعات الحديثة على هؤلاء الناس البسطاء ، الذين لا يملكون من طاقة الفكر ما يتيح لهم الاهتداء الى أسرارها . فوائل البدوي يعتبره شعور مخيف ، مضطرب ، مفرم بحب الاستطلاع ، حين استمع للمذياع للمرة الاولى ، فحاول أن يجد تفسيراً لهذه الاصوات والاعانسي والاحاديث التي تبعث منه . أيمن أن يكون في داخله جن ؟ اذ ليس من المعقول أن يستوعب هذا الصندوق الصغير جسم انسان . وقد اشتد عليه الامر ، وانقلبت حياته الهادئة الى حياة مضطربة ، منغصة ، مما دفعه الى محاولة اكتشاف السر بنفسه ؛ فذهب ، في منتصف ليلة ، الى المقهى . وحذر أن يوقظ خادمها ، لكن الاصوات الناشزة التي تعالت من المذياع ، حين فتحه أيقظت الخادم ، الذي استنجد بالناس فأدركوا واثلاً بعد ما حاول الهرب فأودع السجن . ولقد وفق يعقوب بلبول في هذه القصة ، في تصوير مشاعر واثل وانفعالاته وأفكاره المتضاربة ، وتطورها ، التي قادت الى السجن . وكانت هذه النهاية طبيعية تسجم مع ما اشاعه من جو نفسي منذ البداية .

ومثل هذه القصة في الجودة - من قصص يعقوب بلبول - قصة « صورة طبق الاصل^(٢٧) » وقيمة هذه القصة تأتي من واقعتها الدامية ، والتي وفق يعقوب بلبول في تصويرها بشكل لا نلمح فيه لشخصيته ظلاً . بحيث استطاع ان يقول ما يريد ، دون أن يحشر نفسه في سياق الحدث ، ويخرج بالعبارة أو النصيحة التي كان يحاول أن يخرج بها كثير من القصاصين في زمنه . فهذا عزيز وأخوه صالح يدخلان على القابلة المأذونة سعيدة ، في لحظة انشغالها في حل عقدة أعطتها اياها من أولدتها أول أمس ، فيرغمانها

(٢٦) الجمرة الاولى يعقوب بلبول . ص : ٥٩

(٢٧) المرجع السابق . ص : ٩٧

على أن تأتي معهما لتوليد أختهما • ومن خوفها تتبعهما فيقودانها عبر أزقة ملتوية • وعندما يصلان بها الى مكان معين يعصبان عينيهما ، لانهما لا يريدان أن تعرف المكان الذي يقودانها اليه • ثم يدخلانها الى بيت تجد فيه فدة يافعة قد تربعت حصيرا على الارض ، ويقول لها عزيز :

- « شوفي خاله ، أكو عدنا أخت نريدج تجسى بطنها العالية وتخبرينا بعدين اذا كانت حبلى أم لا ، وسنشق بطنها ، فاذا طلع صدق قولك وشفنا الطفل فى بطنها فسنطبخ دينار ، واذا هى مو حبلى يكون نصيبج مثل أختنا^(٢٨) » •

ولما تأكدت من أن أختها حبلى ، أخبرتهم بتردد ، وتوسلت بهما أن يعطفا على شبابها • ولكن عزيزا يقود الاخت وهى طائعة ليذبحها كما تذبح شاة • وبعد أن يتأكد من وجود الجنين فى بطنها ، يعطي القابلة الدينار الذى وعداها به ، فترفض أخذه • ويخرج صالح الاخ الثانى بالقابلة من البيت ، حاملا اياها على منكبيه ، ويوصلها الى أحد الشوارع العامة ، وهناك يتركها ، ويعود من حيث أتى •

ولا تتبع هذه القصة من واقعيتها الدامية وصدقها حسب ، وانما بما تطرحه فى مجرى البحث ، حين تثير مشكلة اللغة فى الحوار • فقد استخدم انعامية لغة للحوار ، الذى أجراه بين شخصين قصته • واذا كنا قد شهدنا سليمان فيضى فى « الرواية الايقاظية » البدائية ، يجرى الحوار بين أبطاله الجهلاء باللغة العامية ، لانه ينسجم مع مستواهم الثقافى ، ولكى يعطى صورة صادقة عن واقعهم ، فان هذا الاتجاه المبكر لا نجد له صدى فى القصص العراقية الحديث الذى كتب بين الحربين • وفيما عدا هذه القصة التى تحدث عنها ، وقصة أخرى كتبها خلف شوقى الداودى ، بعنوان « الفلقة » نشرها

(٢٨) المرجع السابق ص : ٩٩

عام ١٩٢٨^(٢٩) ، وقصة مطولة أخرى أو رواية كتبها محمد حسن النمري القطيني ، نشرها في كتاب مستقل عام ١٩٣١ ، بعنوان « في الفرات الاوسط^(٣٠) » . فان الحوار الذي كان يستخدمه القصاصون جميعا ، على اختلاف مستوياتهم كان يجري في لغة فصيحة يسوق القاص أبطاله الى قوله ، وان كان لا ينسجم مع واقع هؤلاء الابطال ، ومستواهم الفكري ، ويعبر في الاكثر ، عن أفكار المؤلف الخاصة ، الذي يتخذ من ابطاله واسطة لقول ما يريد قوله .

وقد كانت لغة الحوار فصيحة في جميع قصص المضمون العاطفي ، وفي الاتجاهات الاخرى من القصة التي سنعرض لها في الفصل الرابع من هذا الباب ، كما هي فصيحة في قصص المضمون الاجتماعي . ويظهر أن طبيعة الموضوع الذي تناوله هؤلاء القصاصون الثلاثة هو الذي فرض عليهم اتخاذ العامية لغة لحوار قصصهم . ف « الفلقة » تتحدث عن ذكريات طفولة وصبا المؤلف ، حين قاده والده الى مكتب « الملا » لكي يتلقى العلم وقد أراد المؤلف من سرده لذكرياته هذه أن يسخر من نظم التعليم القديمة وجهل المعلمين . فلم ير أنسب من العامية لغة للحوار الذي أجراه ، لكي يصور ما يريد تصويره بصدق . كما أن أحداث قصة « في الفرات الاوسط » كانت تجري في الريف . وهي أحداث جرت فعلا ، خبرها المؤلف بنفسه ، وأراد أن يكشف الستار عنها . فأجرى الحوار بين ابطال قصته من الفلاحين بلغتهم الفلاحية الدارجة التي تختلف أساسا عن لغة المدينة العامية ، لكي يكون أكثر صدقا في تصوير واقع الحال أيضا . وكذلك الامر مع يعقوب بلبول في

(٢٩) النشر الجديد - الجزء ٢ - السنة ٢ جون ١٩٢٨ .

(٣٠) هناك قصة أخرى كتبها نعيم طويق بعنوان « ياس » نشرها في الاهالي العدد ٤١٨ السنة ٣ آب ١٩٣٤ . أتخذ فيها المؤلف العامية لغة لحوار قصته الا أن الحوار في هذه القصة غير ذي أهمية في عملية بناء القصة الفني ، ويستخدمه استخداما نادرا ، ولذلك لم نر ضرورة الاشارة اليها في صلب البحث .

قصته «صورة طبق الاصل» لقد أراد أن يصور واقعة دائمة كما حدثت بالضبط ، ولعلها وقعت فعلا كما رواها^(٣١) . فلم يجد مبررا نفسيا أو فنيا ، لكى يطعن الصورة بان يزيف على المتحدثين لغتهم ، بل ان المبرر الفني موجود ، ولم يكن ذلك بفعل موقف فكرى معين ، كما حدث فى اتخاذ العامية لغة لحوار القصص الواقعي ، الذى كتب بعد الحرب العالمية الثانية . بحيث أصبحت هذه العامية فى الحوار احدى خصائص القصص الواقعي العراقي الحديث .

ولقد ساءت هذه العفوية التى لا تستند الى موقف فكرى معين ، بعض الكتاب الذين كتبوا القصص الاجتماعى ، الى أن يطعموا حوارهم ، حين يجدون ذلك أنسب للتعبير عما يريدون ، ببعض التعبيرات العامية ، دون ان تكون العامية لغة لحوار قصصهم كلها ، أو لغة لحوار قصة واحدة بتمامها . ومن النماذج القصصية التى أدخلت بعض التعبيرات العامية فى الحوار من القصص الاجتماعى ، قصة « الزوج السكير » لسليم بطى ، التى عرضنا لمضمونها سابقا . فهذا الأب وهو يسكر فى خماره ، يأخذ بالغناء ويحيط به جمع من السكارى يكبرون ويصيحون : « الله . الله . أبو أنيس مالك . » وحين يحين وقت قفل الخماره ، يقول ابن طبارة صاحبها : « يالله دنعزل » وحين يعود الزوج السكير الى البيت يضرب زوجه ويشتمها بقوله : « بنت الكلب . . بنت ال . . » وحين يتدخل أحد الجيران لتهدئة الزوج الغاضب ويقول له : « أبو أنيس ، عيب انت عاقل » يجيبه الزوج : « . . ر . . بك . . انا . . انا . . مو . . عا . . قل . . » وفيما عدا ذلك يعود الى الفصحى يجريها على لسان الزوج والزوجة والجار .

ويظهر هذا الاضطراب فى الحوار بشكل أبرز ، فى قصة أخرى

(٣١) مما يؤكد هذا ، أن هذا المضمون ذاته سبق أن كتبه كاتب آخر أقل موهبة ، مع اختلاف بسيط ، ونشره فى صوت العراق (بدل البلاد) تحت عنوان « جنون القابلة » فى الاعداد ١٦٠/٩ ، ١٦١/١٠ ، ١٦٢/١١ ، السنة ١ ايار ١٩٣٠ .

لسليم بطى بعنوان « ضحية رأس السنة »^(٣٢) . التى تحكى قصة طفل فقير ينتظر عودة أمه من عملها ، ليلة رأس السنة . ولما تبطى ، عليه يخرج الى الشارع العام ، فدهسه سيارة منطلقة بأقصى سرعتها ويموت . وحين تسمع الأم بخبر موت ولدها تصرخ : « ولدى « كمولى » . . ولدى . . أريد ولدى » وعندما تراه ميتا تصيح : « عيني كامل كامل . لمن تركتني يابا الى من أروح بعدك مبارك كمولى اشلون أروح للبيت . لمن اشتغل »

ومثلها فى الاضطراب قصة « الغريق » للطفى بكر صدقى التى عرضتها سابقا فلأب وهو يسير مع ابنته قبل الفاجعة ، يحس انه أتعبها فيخطبها بقوله : « لقد أتعبتك اليوم بالمسير وأظنك يا صغيرتى فى حاجة الى الراحة والرقاد . . . الخ » . فتجيبه بصوتها الناعم وهى تلثغ الكلمات بين شديقتها : « بابا ! خلى هسه نكعد هنا نتفرج على الناس بابا . . شوف . . شوف . . شوف الشمس شكده ؟ » .

وهناك نماذج قصصية أخرى ، لن تزيد ما نريد قوله وضوحا . ومن ذلك يظهر أن القصص الاجتماعى والواقعى فى العراق ، بالإضافة الى غيره من القصص فى مضامينه واتجاهاته المختلفة ، خلال الفترة التى ندرسها من تاريخه ، لم تبرز فيه مشكلة الحوار . بل كان كما يبدو ، من الأمور المسلم بها ، أن يجرى القاص حوار بلغة فصيحة . واذا كانت هناك بعض الاتجاهات لاستخدام العامية لغة فى الحوار فهى اتجاهات فرضتها طبيعة الموضوع الذى يتناوله القاص ، حين يجد أن لا مندوحة من أن يصوغ بعض حوار ، باللغة العامية ، لأنها أنسب للتعبير عما يريد^(٣٣) .

(٣٢) البلاد - العدد ٤٥ - السنة ١ - ١ ك ٢ - ١٩٣٠ .

(٣٣) هذا الاتجاه نفسه ، فى تطعيم الحوار ببعض الالفاظ العامية التى تكون أنسب للتعبير عن مقتضى الحال ، يبرز فى قصص محمود أحمد السيد ، وأنور شاذل ، وذو النون أيوب ، وعبدالحق فاضل ، وان كان حوارهم بصورة عامة فصيحاً .

ويبرز من القصصين ، الذين كتبوا القصة الاجتماعية في نزعتهما الواقعية ، خلال هذه الفترة ، شالوم درويش^(٣٤) . وقصصه تركز على بعض النماذج الانسانية ، التي ينتقيها من الحياة ، وقد تكون موجودة فعلا فيها ، ممن تعرف القاص عليهم في حياته ، فيعرض لجانب من مشاكلها بالتحليل ، ويصور عواطفها ، ومطامحها ، ومشاعرها . ولقد تعرفنا على هذه النزعة عند القاص حين عرضنا لبعض قصصه في الفصل السابق . وتناول قصصه ناحية واحدة من نواحي هذه الشخصيات ، بحيث تركز الحدث على نقطة واحدة لا تعداها ، وبذلك تقرب قصصه من القصة الفنية . وما يعيها ما ذكرناه سابقا ، من عدم استقرار أسلوب المؤلف ، وعدم اقتصاده بالتعبير ، والانسياق مع الطبع في السرد بحيث يضع على حدته فرصة البروز في ثوب فني جميل .

ويكفينا ، ان نأخذ احدي قصصه كنموذج توضح قولنا ، وتبين أهمية المؤلف في تاريخ القصة العراقية وهذه القصة هي قصة « راسم أفندي »^(٣٥) الذي يسكن حارة قدرة مظلمة ، سكانها من الفقراء . وراسم أفندي هذا لم يكن « أفنديا بالمعنى المعروف فلم يجلس في عمره الى مكتب ينهى من ورائه ويأمر ، انما كان موظفا سيارا ينتقل بين الدوائر والمصالح والغرف يحمل الرسائل وينقل المحفظات فهو مراسل من أولئك الذين تستخدمهم الدوائر لنقل الاوراق . دخل وظيفته منذ سنين وظل فيها حتى ترأس

(٣٤) كنا نود أن نتناول شالوم درويش في دراسة خاصة لأهميته ، الا أن نتاجه الذي نشره في أوائل الثلاثينات نتاج كاتب مبتدى ، لم يهتد الى طريقه بعد ، ولا يمتاز بشيء عن قصص المجموعة الاولى من الكتاب ، سواء أكان ذلك بالنسبة للمضمون العاطفي أو الاجتماعي . كما أن أفضل نتاجه القصصي الذي ضمته مجموعته القصصية الثانية « بعض الناس » نشره في فترة متأخرة بالنسبة للفترة الزمنية التي يتناولها بحثنا ، وذلك عام ١٩٤٨ .

(٣٥) أحرار وعبيد ص : ٧٠ وما بعدها .

الدائرة « عمر بك . . » فنوسم فيه النشاط والذكاء وأخذ يستخدمه نني مكتبه الخاص وداره لقضاء أعماله لقاء هدايا نقدية ،^(٣٦) ولقد انقطع الى خدمة سيده حتى بعد أن استقال هذا من وظيفته ، ومضى على ذلك أكثر من عشرين سنة . وقد احتل نتيجة لذلك مركزا مرموقا في الحارة التي يسكنها ، وحصل على لقبه هذا الذي عرف به بسبب أن راتبه الذي كان يتقاضاه يكاد يكفي لسد نفقات أسرته « وليس هناك في طول الحارة وعرضها من يدانيهم رفاها وجاها ،^(٣٧) . وقد بدأت مشاكله ، بعد هذه السنين الطويلة التي سلخها في خدمة سيده ، حين رأى أمامه فجأة صيبا ينافسه في الخدمة . ذلك لأنه « أصبح كهلا يعيه العمل البسيط ويضنيه أقل اجتهاد فما عاد بإمكانه أن يقوم بخدمة البك كما كان قبل سنوات فهو دائما يشكو التعب والاعياء حتى ضاقت به العائلة ذرعاً ،^(٣٨) ولقد أشعره وجود هذا الصبي بمصيره ، أيمن أن يكون الطرد ؟ » لقد أصبح شيخا يستحق الراحة والاشفاق ومن صالحه ان يستريح بعد عناء عشرات السنين أنك قواه فيها العمل المضني ولولا أن عائلته تموت جوعا لكان هو البادي بالانفصال ،^(٣٩) وتولدت في نفسه رغبة في أن يثبت من جديد جدارته . ولكن الصبي كان دائما في الصدارة ، ولم يكن بوسعها أن ينافسه في نشاطه وحيويته فتحولت مشاعره نحو الصبي الى كره عميق . وأصبح مجرد مروره أمامه يجعل أسنانه تصطك وشفتيه تتحركان بحركة عصبية . ولقد كانت مشاعره هذه غريبة عليه . فقد كان يحب الأطفال . وأخذ « يعجب في نفسه كيف أن جبه العظيم يتلاشى نحو هذا الصبي الباسم النشيط وهو اذا مر في طريق ابتسم لمن يصادفهم من الأطفال الصغار وأنقدهم شيئا من الحلوى التي يحملها في كوفيته الحمراء

(٣٦) المرجع السابق . ص : ٧٢

(٣٧) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(٣٨) المرجع السابق . ص : ٧٣

(٣٩) المرجع السابق . ص : ٧٤

وقد لا يمتلك نفسه فيحتضنهم ويقبلهم» (٤٠) ومع مرور الأيام زاحم الصبي
راسما في كل شيء، حتى في غرفته التي خصصت له في القصر منذ سنوات
طويلة • الى أن كان ذات يوم كان الجو فيه قاتما والهواء خانقا يزهدق النفس •
مر راسم أفندي الى جوار غرفة سيده، فسمعه يقول للصبي، أنت خير خلف
خير سلف • فلم يعد يحتمل ومشي « مسرعا الى غرفته الصغيرة حيث يجلس
متخاذلا الى أرضها ويضع رأسه بين ركبتيه ويسترسل في تفكير مشوش
مضطرب ويمر أصابعه الى رقبته لفك الزر الذي يربط طرفي السترة حول
العنق فانه يحس كأنه يخنق غير ان الزر لا يطاوعه فيشد عليه حتى يقطعه
والعرق يتصبب من جبينه وهو يلهث • ومن غير انذار يهب الى خنفسانة
تسير على الأرض بين رجليه وينزع النعل ويهوى عليها حتى تصبح لاصقة
بالرغام ثم يتنفس الصعداء كأنه قد قتل وحشا هائلا جاء لابتلاعه وتملكه
رغبة جامحة للقضاء على أي مخلوق يجده أمامه • • حتى الصبي نفسه» (٤١) •
والواقع أنه يريد أن يقتل الصبي • فاندفع نحو المطبخ وتناول آلة قاطعة
وعاد أدراجه صوب الردهة حيث يجد الصبي • ولكنه تعثر وسقط، وسقطت
من يده الآلة الجارحة • ولقد تألم نتيجة سقطته وتأوه، فهرع أهل الدار
الى مساعدته • ويسبقهم الى ذلك الصبي الذي يتولى انهاضه واعانته الى الانتقال
الى فراشه ويهون عليه الأمر ويسأله ما اذا كان قد أصابه مكروه فلا يتمالك
راسم أفندي من أن يذرف دمعة حارة تدحرج على أنفه وتسقط في فمه ثم
لا يلبث أن يمسك بالصبي ويقبله وهو يقول الحمد لله يا ولدي الحمد لله على
السلامة» (٤٢) •

ورغم أن القاص لم يعن بتصوير ملامح بطله، ولم ينصرف الى توضيح

(٤٠) المرجع السابق • ص : ٧٥

(٤١) المرجع السابق • ص : ٧٧

(٤٢) المرجع السابق • نفس الصفحة •

المكان لانشغاله بتحليل مشاعر بطله ومتابعة تطورها ، فان ذلك لم يضعف من قصته ، اذا قسناها بالقصة العراقية ، في الفترة التي كتبت فيها . وقد افقدت قصص هذه الفترة في معظمها ، وضوح الزمان والمكان ، وملامح الأبطال ، مثلما يفقدها القصص التحليلي الذي يعنى بتحليل مشاعر الأبطال ، ولا يهتم بشيء من كل هذا .

على أننا لانعدم أن نجد بين القصص العراقية بعضها منها يعنى برسم المكان وتصوير ملامح الأبطال على نحو دقيق ، ويتمثل ذلك بصورة خاصة ، في بعض قصص محمود أحمد السيد المتأثرة بمحمود تيمور ، الذي كان يعنى نبي البداية الأولى ، من حياته الأدبية ، باختيار نماذج من واقعه ، ورسم هذه النماذج بدقة وواقعية^(٤٣) . وغير قصص محمود السيد تلك ، قصة « الشيخ محمد » لصدقي أحمد مدرس^(٤٤) . التي تحكى قصة الشيخ التقى الحجول المنصرف الى العلم . ثم يحدث ما يقرب حياته ويقوده الى النقيض . فجور ومجالسة للراقصات في الملاهي . لقد رسم المؤلف ملامح بطله بدقة ، وهو يعرض يوماً من أيامه الأولى التي تأخذ شكلاً رتيباً هو جماع حياته . ثم أخذ يصور يومه بدقة وما يصادفه ، منذ خروجه فجرًا للصلاة . فرسم الطريق المؤدى الى الجامع ، والجامع ، وحنفيات الماء ، والحوض الذي يتوضأ عليه ، ثم ما يصادفه أثناء رجوعه في الطريق من حمير وغيرها ، وأمه العجوز ، التي لم يبق غيره لاعتائها ، ثم دراسته للعلم ، وخجله . على أن هذه القصة ، رغم ذلك ، لاتتم عن موهبة المؤلف ، ولا عن قدرته على صياغة قصة فنية . كما أنه لم يفسر العوامل التي قلبت حياة الشيخ محمد وجعلت منه فاجراً فاسقاً بعد أن كان ورعاً تقياً . واكتفى بالقول أنه شاهده بعد انقطاع سنين ، في ملهى يجالس الراقصات ولم يصدق بصره .

(٤٣) نقلا عن محاضرة للدكتورة سهير القلماوي بعنوان « نشأة القصة في

الادب العربي الحديث » ألقته في جامعة بغداد في ١٢/٣/١٩٦٦ .

(٤٤) الاخاء الوطني - العدد ٢٣٣ - السنة ١ تموز ١٩٣٢ .

وقد كشفت بعض القصص الاجتماعية التي كتبت في هذه الفترة ، عن تأثر القصاصين العراقيين ، بالأشكال القصصية الغربية ، واتجاهاتها المختلفة وخاصة القصة الروسية ، في اتجاهها نحو الواقعية الانتقادية . فكتبت عدة قصص عن أبطال ينتهون الى الثورة حين يكتشفون أن الواقع لا يمكن ان يبدل دون هذا الطريق . ولا قيمة لهذه القصص من الوجهة الفنية الا في أنها تحدد اتجاهها ، ستكون له السيادة في القصة العراقية بعد الحرب الثانية . وكتاب هذه القصص يسوقهم الى كتابتها روح الثورة والتمرد ، نتيجة لانتشار الأفكار الثورية الاشتراكية في العراق ، بعد هذا التطور الفكري الذي شهده العراق في الثلاثينات ، والذي رسمنا ملامحه سابقا . ففي قصة «أمل» يتحدث الكاتب ، عن شاب يتخرج في مرحلة دراسية معينة، ويستدعي من قبل رئيس دائرة ما ، لكي يقابله من أجل التعيين . وحين يذهب اليه ، يرى جمعا من المتملقين والمتزلفين يحيط بهذا الرئيس ، دون حق ، ودون جدارة ، اللهم الا مركزه فيمتعض . وعندما يحدثه هذا الرئيس ، الذي كان ينتظر منه تزلفا وتملقا شبيها بما كان يقدمه من حوله من الناس ، ينتفض غاضبا ويلقى محاضرة طويلة ، تعبر عن أفكاره . ثم يخرج وهو مصمم ولكن الى أين ؟ « الى حيث العمل والخدمة الحقة للقضاء على أمثال هذه الفئة البالية » (٤٥) . وفي قصة أخرى بعنوان « ليلة مقمرة » لابراهيم وصفي رفيق (٤٦) يصور القاص شابا غنيا ، يعيش عيشة مترفة ، يقوده صديق له الى حي الفقراء ، فيكتشف جوانب من الحياة بائسة لم يكن يعرفها . ومنذ ذلك الوقت حرر نفسه من ماضيه وقرر « مكافحة الظالمين واعتق المبدأ

(٤٥) الاهالي - العدد ٤٢٠ - السنة ٣ ايلول ١٩٣٤ . ولم يفصح الكاتب عن اسمه ، وانما رمز له بحرف «ص» . ومثل هذه القصة في المضمون قصة « خيبة » لابراهيم وصفي رفيق - الاهالي العدد ٤٠٥ - السنة ٣ - ١٩٣٤ .

(٤٦) الاهالي - العدد - ٤١٥ - السنة ٣ - ٢٧ آب ١٩٣٤

الشعبي وراح ينفق وقته وماله وجهده في سبيل تحقيقه .
 كما يتضح تأثير القصص الروسي ، منذ وقت مبكر في القصة ، في
 قصص محمود السيد ، وقد برز هذا التأثير في قصص « ذو النون أيوب »
 أيضا . على أننا يمكن ان نلمس في قصة « قاتل يتألم »^(٤٧) لوديع جويدة
 أجواء دستوفيسكي ، كما نحسها في قصصه المختلفة . وموضوعها ندم رجل
 قتل أخته يوما غسلا للعار . فالبطل يدخل في بداية القصة حانة في زقاق
 ضيق ، يلتجئ إليها في الليالي الممطرة ، بعض الخوذية والحمالين . ثم يأخذ
 بقص حكايته على صاحب الحان . لقد اشترك مع أخوين له في قتل أخت
 لهم ، غسلا للعار ، قبل ثلاثين سنة . ولا يزال يحمل وزر جريمته ، يعذبه
 « منذ ذلك اليوم لم يزر الكرى عيني ولم أذق طعم الراحة بل بقيت معذبا
 تطاردني صور وأشباح مخيمة أولدها فكري المضطرب المريض^(٤٨) » . ورغم
 أن القصة جيدة ، بالنسبة لزمانها ، فانها تشير الى أن كاتبها مبتدى ، لما يشوب
 أسلوبها من ضعف وركة في التعبير . كأن يقول وهو يصف يوم الجريمة
 « كان يوم جميل يبعث النشاط في النفوس ، فالنسيم البارد ورائحة
 الأزهار ، والتراب والغيوم والشمس كل هذه كانت أثرها في النفوس ،
 وكانت تسرى في رعشة .. النخ »^(٤٩) .

ولعل قصة « الأوباش »^(٥٠) لعبدالمجيد لطفى ، تمثل قمة هذا التأثير
 من حيث الوضوح ، والذي يستحيل الى تقليد محض لأعمال قصصية
 أجنبية . فقد خضعت خضوعا كليا لأثر القصص الروسي ، شكلا ومضمونا .
 بحيث أصبحت تعبر عن صدى لقراءة ، أكثر مما تعبر عن تجربة حياة
 معاشة ، تفصح عن واقع عراقي . كما أنها لا تتسجم مع قصص المؤلف

(٤٧) الحاصد العدد ٢٩ - السنة ٣ - شباط ١٩٣٢ .

(٤٨) المرجع السابق . ص : ١٨ .

(٤٩) المرجع السابق . ص : ١٩ .

(٥٠) المجلة - العدد ٩ - السنة ١ - شباط ١٩٣٩ ص : ٤٤٠/٤١ .

الأخرى ، فى روحها الرومانسية العام الذى أولع به فى هذه الفترة من حياته ، ولعلها تبشر باتجاه جديد سلكه المؤلف فيما بعد • وهى تحكى قصة ثلاثة رجال ، يسكنون بيتا قديما كان فيما مضى مضيئا لأحد الشيوخ • والثلاثة هم : معلم قد طرد لسوء السلوك والخشونة ، والثانى عامل أمى كان لصا من تاريخ بعيد وقد تاب واستقام • والثالث عاطل متواكل يعيش ليومه • جمعهم كلهم الفقر والحياة المظلمة البائسة • والأوباش تسمية يطلقها المعلم على نفسه وعلى زميليه • ويتابع المؤلف أفكار هؤلاء الأبطال وأحاديثهم فى ليلة مظلمة عاصفة يشتد فيها هطول المطر • ومع المطر يفكرون فى النساء والحياة الرغيدة ، فيتأسفون على ماض ، لا يمكن أن يعود • وفى غرفة أخرى من غرف البيت ، تسكن زوجة مهرب تركها زوجها من ستة شهور ، فى عمل له • وفى غرفة ثالثة تسكن امرأة أخرى تسلم نفسها لأى رجل الالهيم ، تجلس قرب جدتها المحتضرة • وبعد فترة يسمح صراخ ، فقد ماتت الجدة • فيندفع الرجال الثلاثة الى غرفة الميتة • ولكن المعلم يغتتم فرصة انشغال الجميع فينسل الى غرفة زوجة المهرب • وفى الصباح تدفن العجوز • وفى ساعة الدفن تدوى طلقات • لقد وجد المهرب زوجه حين عاد فى أحضان المعلم فأنهى حياتهما •

وعناية المؤلف برسم أبعاد المكان ومراقبة تتابع الحدث عناية كبيرة ، ولسنا نرى حاجة الى تأكيد تأثير الأدب الروسى فى هذه القصة ، فى مضمونها ، وشكلها ، وشخصياتها ، وأفكارها • فان هذه القصة تذكرنا بصورة خاصة ، بقصص مكسيم غوركى عن منبوذى المجتمع •

الفصل الرابع

مضامين واتجاهات أخرى

لن نستكمل عرض معالم القصة بين الحربين ، ولن نتوضح صورتها في جوانبها المتعددة ، دون أن نعرض للمضامين الأخرى والاتجاهات التي سلكتها . ولا تبلغ هذه الاتجاهات أن تكون تيارات ، فقد استغرق المضمون العاطفي ، والمضمون الاجتماعي ، القصة العراقية ، وكانا تعبيرا صادقا عن طبيعة المؤثرات والعوامل التي أثرت في تطورها ، والتي حددت طابعها . ولم يبق هذان المضمونان للمضامين الأخرى ، مكاناً أو مجالاً يلفت النظر ، للوهلة الأولى . وإنما هي قصص محدودة متفرقة ، لن تعدم أن تثير انتباه الباحث المدقق ، وتجعله يفرد لها مكاناً خاصاً ، لما تتصف به من صفات وخصائص تميزها عن صفات وخصائص المضمونين السابقين . وبعض هذه الاتجاهات تعبير أصيل صادق عن المشاعر ، والنوازع التي تملك نفوس الكثير من الشباب المثقف ، في هذه الفترة . وبعضها الآخر تقليد لهذه الأنماط العديدة من القصص المترجم ، في اتجاهاتها المختلفة . ولم تكن حركة الترجمة في هذه الفترة ، تخضع لاتجاه واحد ، وإنما كانت تسير سيرا مضطرباً ، وتفاوت ما ترجم من القصص ، جودة ورداءة ، وأفصح في الأكثر عن أهواء ورغبات المترجمين واتجاهاتهم الفكرية ومستواهم الثقافي الذي لم يكن واحداً . كما أن بعض هذه الاتجاهات كان تعبيراً عن فهم خاص للقصة ، ينساق المؤلف في اتجاهه هذا ، مع طبعه ، وينطلق على سجيته ، وتبرز في كتاباته المؤثرات القصصية الشعبية الموروثة ، ويشجب تأثير القصص المترجم .

ومن هذه الاتجاهات، التي تلفت نظر الباحث ، الاتجاه الفردي الذاتي، الذي يمكن اعتباره تباشير تيار جديد في القصة العراقية ، استأثر باهتمام عدد غير قليل من كتاب القصة بعد الحرب الثانية . وهو يعبر عن نفسية جيل جديد من الشباب لم ينجحوا دائما في التوفيق بين ما فتحته لهم الثقافة الحديثة من آفاق جديدة ، وما غرست في نفوسهم من مثل خاصة ، وبين الواقع القاسي المجذب الذي يعيشونه ، بتقاليده ، وتزمته ، ومظاهر التخلف الاجتماعي فيه ، التي أتاححت للوصولية والانتهازية السياسية فرص البروز والصدارة ، فعاد معظم الشباب كسيرا يعاني فشلا خاصا . فشلت في الحياة العملية . وفشل في حب لم تكن البيئة والظروف الاجتماعية بمستطعية أن تغذيه ، ان لم تكن عاملا قاهرا على تحطيمه . وفشل في خلق الانسجام بين الواقع والمثل التي تسيطر على أفكارهم . فأحسوا العبت عميقا ، وعانوا التمزق والقلق ، بحيث لم يعد بعضهم يجد مبررا لحياته ، فاخذ يفكر في الانتحار .

وابرز كتاب هذا الاتجاه ، عبدالوهاب الامين^(١) . فقد وفق في تصوير هذا الضياع ، الذي تعانيه الفئة المثقفة ، والذي قادها الى مأساتها . ويحسن من يقرأ قصصه ، أنه انما كان ينطلق من تصوير معاناته الخاصة ، وأحاسيسه التي كان يحيها بعمق . ولذلك كان أكثر توفيقا في قصص هذا الاتجاه ،

(١) أحس بهذا الاتجاه عنده ، وديع جويده . ففي مقال له عن القصة العراقية كتبه بمناسبة صدور مجموعة « قصص من الادب الحديث » ، لعبدالوهاب الامين قال « والكتاب بعد ذلك يمثل الشباب العراقي في دورنا هذا . وما ينتابه من الهواجس والافكار ، ويصور لنا عدم الثقة بالنفس . فمن خلال سير القصص وتسلسل أفكار الكاتب تستطيع أن تشعر بدقات قلبه غير المتزنة والقلق الذي يساور نفسيته الفتية . . . وهي تستقبل الحياة باندفاع يخامر التردد والاحجام » . الانقلاب العدد ٢٤ - السنة ١ - شباط ١٩٣٧ .

منه فى قصصه الاخرى • فى قصة «المخمور»^(٢) يصور لنا شابا يقرأ كتابا ويسكر • ثم لا يلبث أن يمزقه وينطلق الى بيته • وهناك لا يستقبله أحد ، فيحس عقم حياته • جفاف وجدب فى كل مكان • « لم لا أجد من يستقبلنى ، لم لا أرى من تضمنى الى صدرها فى مثل هذا الوقت من كل يوم ، لم أرى كل هذه الانواع من البؤس والعدم والضجر عندما أرجع الى البيت ، وأنت أيتها الجدران هل ضجرت أنت أيضا من لقيائى كل يوم • • • »
 وحين يحاول النوم يستعصى عليه فيلحن « سألنى هكذا حتى النهاية نعم لم لا ، حياة ممجوجة لا طعم فيها آه ، ما هذه لعن الله الذباب ، لقد كتب على ما أسخفها من كلمة كتب على أن أعيش كأننى أودى ضريبة على ان الانتحار أولى بى • ولكن لن انتحر ! لست جبانا ، وفي الصباح يفر الى جهة مجهولة • كأن الفرار حل ينقذه مما يعانيه •

وفى قصة أخرى بعنوان « حيرة »^(٣) ، يحاول المؤلف ان يتأمل على نحو أعمق مأساة بطله • فبطل القصة « جميل » يحاول ان يؤكد وجوده ، فى عالم لم يلتفت اليه فيه أحد • انه يريد أن يلفت أنظار الاخرين ويشعرهم بقيمته ، فلم ينجح • فيفكر فى الانتحار • ولكنه سرعان ما يبعد هذه الفكرة عن رأسه • ولقد وجد نفسه يوما مريضا تلهبه الحمى ، ففكر فى كتابة يوميات عن الحياة التافهة • وحين تمضى الايام ينشر جميل خواطر حزينة • بضع مقاطيع شعرية فى الندبة والبكاء لان ذلك اسهل ما كان يمكن كتابته^(٤) • • وحين فشل فى ذلك أيضا ، فكر فى الرحيل ، لقد خيل اليه ، أنه سيجد فى مكان آخر بغيته • ولكنه حين رحل ، وهبط المدينة الجديدة ،

(٢) السياسة (بدل البلاد) - العدد ٢٨٧ سنة ٢-٢٣ شباط ١٩٣١ • وانظر أيضا قصة « ميت الاحياء » من قصصه • البلاد - العدد ٤١٥ - السنة ٢ - آذار ١٩٣١ •

(٣) قصص من الادب الحديث • ص: ١٣

(٤) المرجع السابق • ص : ١٧

بدد من ذهنه كل ما كان تصوره • فالواقع الكالغ يفرض وجوده على كل مكان • فيخلد للنوم • وتكون هذه آخر محاولة يفكر فيها^(٥) •

ورغم ان قيمة هذه القصص تأتي بالدرجة الاولى ، من كونها تخطو في اتجاه جديد في القصة العراقية ، عمقه القصاصون فيما بعد ، بعد الحرب العالمية الثانية ، برزت فيه النزعة الفردية المتشائمة التي زاد من عمقها ، تعرفهم على التيارات الادبية الغربية المعبرة عن أزمة الحضارة الغربية المنهارة ، بعد خروجها من أتون حرب كبرى ، رسمت للبشرية مصيرا بشعا ، واعلنت افلاس الفكر الذي دان به الناس فترة طويلة ، كما نرى ذلك واضحا في أدب كامي وسارتر وكافكا ، فان لهذه القصص قيمتها ، من الوجة الفنية • فهي تتميز بقوة اسلوبها ، ورسوخ عبارتها القصصية ، ودقة تحليل مشاعر أبطالها • ونجاح القاص في هذا التحليل لمشاعر ابطاله ومتابعته لافكارهم دون تدخل منه بتعليق يعوق سير الحدث ، قد أحل قصص هذا الاتجاه في مكانة طيبة بالنسبة لقصص هذه الفترة ، رغم أنها لا توفق في تقديم حدث تام الابعاد يتعمقه القاص ويتقصاه • وكانت في الاكثر عبارة عن صور قصصية ، فيها الخواطر المتدفقة والافكار الحزينة أكثر مما فيها من عناصر القصة الفنية المتكاملة •

وفي اتجاه آخر ، نرى القصة العراقية تنزع الى تصوير المشاعر الانسانية في موقف انساني متميز ، وهذه المشاعر الانسانية ، لا تفصح عن محلية • وهي تصورها على نحو مجرد ، بحيث لا يمكن أن تعتبر مضامين هذه القصص الانسانية ، ملكا لبيئة معينة أو لقطر من الأقطار • اذ أنها تخطى هذه الحدود الضيقة بما يكسبها صفة الديمومة والخلود • ففي قصة

(٥) من قصص هذا الاتجاه الاخرى قصة « هواجس الارق » للطفى بكر صدقي • الاخاء الوطني - العدد ٢٢ - السنة ١ - آب ١٩٣١ •

بعنوان « الدمية »^(٦) لسعدية سعيد يحيى ، تصوير لمشاعر طفلة تلقت دمية هدية من أخيها ، فدعت صديقاتها واصدقائها من الاطفال لزيارتها . ثم حدث أن أوقع أحد الاطفال الدمية فتهدمت . فصورت القاصة بنجاح غضب الطفلة واندفاعها الى الانتقام من المسبب ، ثم فشلها في ذلك ، واستسلامها أخيرا للبكاء في حضن أمها . وفي القصة احساس قصصى قوى ، وأسلوب متدفق جيد ، بالاضافة الى الدقة في تصوير مشاعر الطفلة .

ولعل « سخرية الموت »^(٧) ليوسف متى ، نموذج طيب لقصص هذا الاتجاه . وهى قصة فنية جيدة ، شكلا ومضمونا ، ولا يمكن أن يسحق تأثيرها من نفس القارىء بسرعة . وتصور مشاعر أب تجاه ابنه العليل ، على نحو خاص . فالليلة سوداء ، متراكمة الظلمة . والمطر يسقط . والأب قرب النافذة يرقب سقوطه . والرياح شديدة عاصفة تهز النوافذ والأبواب . ويتراجع . كان ابنه هناك مريضا . وتخلج عواطفه بشجن ، وينحنى على الطفل ، فلا يقبله لانه يعتبر ذلك دليلا على ضعفه . ولم يكن يؤمن بالطب ليدعو طبيبا ، كما لم يكن يعتقد أن من حقه أن يقف أمام رغبة انسان فى الموت . لقد كان الطفل مريضا منذ ساعته الأولى . ويتابع فى لحظات بعد ذلك ، توقف المطر عن الهطول ، وذبابه تحوم قرب النافذة . ويأخذ فى التفكير ما قيمة موت ولده ، ماذا يهم لو مات ، أو لو عجل هو بموته ؟ هل سيكون فظا غليظا أو وحشا ؟ وكان يفكر . . . الناس لا (يحبون) وانما يحبون ما (يريدونه) ، وبدهى أنه لا يحب هذا الطفل اذا تأكد انه سيبقى مريضا عشرين سنة . وحين يدرك ان ابنه لن يشفى يفكر فى ضغطة صغيرة تنهى حياته . ويدركه شىء كالجنون . ويتمشى نحو السرير . ولكنه يقول فى نفسه ، انه ليس من وظيفته ذلك بل هنالك قوة أخرى تعمل لانجاز مثل

(٦) المجلة - العدد ٢٢ - السنة ١ - آب ١٩٣٩ ص: ١٠٤٧/٣٩

(٧) الحاصد - العدد ٤٢ - السنة ٣ - أيار ١٩٣٢ ص: ٨١

هذه الأمور • ثم يداخله عطف قوى على طفله • ويقرب منه • ومد يده وأمرها على جبينه العليل وكان باردا فأنحنى الرجل على السرير وهو بين الدهشة والفرع وشخصت عينه الى حدقتي الطفل • وتساقط المطر في تلك اللحظة تساقطا سريعا وكان صوت اصطدام القطرات بزجاج النافذة كشيء عريب لا عهد له به يرن في الغرفة الواسعة ولمس الرجل طفله يتحسسه ، في انحاء جسمه آه •• هل هذا حقا؟؟ يا للسخرية •• لقد كان الطفل ميتا • (٨) •

هذه القصة القصيرة ، قصة بالمعنى النقدي ، فالكاتب يحلل نفسية رجل خلال موقف معين لا يتعداه • لقد اهتم يوسف متى برسم الظلال التي تعمق من الحدث وتزيد من الأثر الذي يتركه جو القصة المشحون بالتوتر • واستخدم المطر استخداما موفقا • فالمطر يهطل حين كان الأب يعاني افكارا متضاربة تجاه ابنه ، ويكف عن الهطول ، حين تستقر أفكاره على أمر معين ، ثم يعود الى الهطول وبشدة ، حين يكتشف الأب موت طفله • وكانت طريقة المؤلف في بناء قصته التي تعتمد على التحليل والوصف الخارجى موفقة متينة • كما ان استعاطه بالمؤثرات الخارجية في النهاية ليزيد من عمق الاحساس بالمأساة موفقة ناجحة • فالموت ساخر كبير ، وكل آلام الأب النفسية لم يكن لها جدوى • ان الطفل كان ميتا ، حين كان الأب يفكر في أن يكون القوة التي تعجل بموته ، ليريجحه من عذاب لم يجد مبررا له • واتجهت القصة العراقية ، اتجاها آخر هو عرض بعض الآراء الفلسفية والعلمية • ففي قصة طريفة بعنوان « موسى وداروين » (٩) ل • ل • ع ، يتحدث المؤلف عن لقاء تم بين موسى وداروين في عالم الأرواح • ويدور

(٨) المرجع السابق • ص: ١٩

(٩) الوطن - العدد ٦٧ - السنة ١ - تموز ١٩٢٩ • ولا نعرف اسم المؤلف •

بينهما نقاش يعرض المؤلف من خلاله ، لنظرية داروين ، ونشوء الأرض ،
وفكرة التطور . وفي قصة أخرى بعنوان «الحاضر»^(١٠) ، لابراهيم وصفى
رفيق ، يحاول القاص ان يبين من خلال مناقشة فلسفية أن الحاضر لا وجود
له . وفي قصة «الغريقان»^(١١) لجعفر حسين مناقشة لسر الحياة ، تحاول ان
تخلص الى نتيجة محددة . فعلى خشبة من سفينة تحطمت استوى شابان ،
فتى وفتاة ظلا يجريان مع الخشبة حيث تجرى الرياح الى ان استقرا على
اليابسة . وعلى اليابسة وقرب البحر يأخذان في مناقشة سر الحياة . وينتهيان
الى أن الوجود سره لغز مغلق « لا يحل طلسمه الا من هو فوق مستوى
البشرية ، وأسمى من مدارك الانسانية »^(١٢) . أما نهاية الحياة فهي الموت ،
الذي يتربص بالانسان . ولكي يبرهن المؤلف على هذا الرأي ، يسوق حوتا
يفاجيء الشابين خلصة ويتلعهما .

ورغم ان الاتجاه في استخدام أسلوب الرمز في القصص اتجاه قديم،
كان قد التجأ اليه الكتاب في طور القصة البدائي الاول ، في قصص الرؤيا ،
فان هذا الاتجاه كان بين الحربين ضعيفا . وقد استخدم استخداما أوسع في
القصص التي كتبت بعد الحرب الثانية ، بسبب الظروف السياسية التي احاطت
بالكتاب . وكان الأديب العراقي يلتجئ اليه في الأكثر ، عندما تدلهم الأحداث
ويصبح التصريح بالامور ضربا من المخاطرة التي لا يؤتمن جانبها^(١٣) .
ومع ذلك فانا لا نعدم أن نعر على بعض القصص التي استخدمت الرمز

(١٠) الاهالي - العدد ٣٨٥ - السنة ٣ - تموز ١٩٣٤

(١١) الاعتدال - العدد ٣ - السنة ٢ - آب ١٩٣٤

(١٢) المرجع السابق . ص: ١٤٠

(١٣) يراجع في أسلوب الرموز في القصص العراقي بعد الحرب الثانية
كتاب « نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق » لجميل
سعيد . ص: ٤٧-٥٠ .

بين الحربين • ففى قصة « مؤتمر الحيوانات » ل (أ • ج) (١٤) يتحدث الكاتب عن المشكلة السياسية التى كان يعانىها العراق آنذاك • وهى مشكلة الانتداب ، الذى فرضته بريطانيا عليه ، كشكل من أشكال السيطرة الاستعمارية • وتحكى قصة مؤتمر للحيوانات انعقد برئاسة الأسد ، وعرضت فيه مشكلة الحيوان واستغلال الانسان له • وقد تكلم فى المؤتمر الحمار ، وعرض شكواه ، وهى تركز حول ظلم الانسان وجوره • وقد دافع الانسان عن نفسه بأنه يرعاه ويرشده ولا يمكن أن يتركه سائبا دون هذه الرعاية والارشاد • ولكنه مع ذلك ، اذا طلب المجلس منه أن يتركه سائبا ، دون رعاية منه ، فهو سيوافق ويلبى الطلب • وقد تأجلت الجلسة الى السبت للبت فى الأمر • ولا نحتاج الى أن نفسر هذه الرموز ، فهى تعبر عن موقف بريطانيا من العراق وحججها التى تانت تدلى بها فى عصبة الأمم آنذاك لتبرير استمرار سيطرتها عليه •

وقصة « أحلام الطفولة » (١٥) لنديم الأطرقجى ، تحاول أن تنحو نحو رمزيا خاصا • ولعلها تفسر الدوافع الغامضة التى كانت تسيطر على المؤلف ، فى حياته القصيرة ، التى اخترمها الموت مبكرا • وتحكى قصة طفل ، يسكن قرية من قري الريف ، ساقه دافع غريب • فخرج فى ليلة مظلمة ، منتظيا صهوة جواد أصيل • فسحرته الطبيعة بجمالها • وأحس بعاطفة قوية نحو القمر • وأثاره أكثر من أى شىء آخر ، أن رأى القمر يسير معه حيث يسير • فصور له خياله ، انه لا بد سيدركه ان هو سار بسرعة أكبر • ولكن عبثا • فورا احدى الأكم يختفى القمر ، ثم لا يعود يراه أبدا • فيترجل من جواده ، ويستلقي على الأرض ، يتشقق عطرها • فتأخذه سنة من النوم ،

(١٤) العراق - العدد ٢٣٨٢ - السنة ٢ - شباط ١٩٢٨ - ولا نعرف مؤلفها

(١٥) الهاتف - العدد ١٣٩ - السنة ٤ - ايلول ١٩٣٨ •

ويحلم • يرى نفسه في جنيته جميلة ، فيها أطفال يلعبون ، وحين يقرب منهم يطيرون به الى السماء حيث تفتح أمامه أبواب قصر ضخم • ولا تمضي غير برهة قصيرة حتى يأتي اليهم شاب جميل بصحبة فتاتين جميلتين أيضا • ويعرف أن الشاب هو القمر واحدى الفتاتين الشمس والاخرى الطبيعة • فيسجد لهم حين يرى الاطفال يسجدون وهو مبهور بجمالهم • ثم يخناره القمر من بين الأطفال ويقدم له هدية خاصة ، هي درة لامعة ، وبهذه الدرة سوف يعشق ويتعذب • ولكن هذا العذاب هو الذى سيجعله خالدا أبدا الدهر • وتهديه الشمس شيئا آخر غير ملموس • تهديه نور الحياة الذى يضىء له ظلمات العالم ويهديه الى الصراط المستقيم • أما الطبيعة فتهديه تفاحة لذيذة ستعلمه الحكمة ان أكلها • ولا يلبث أن يستيقظ بعد ذلك ، حائرا لا يجد تفسيراً لما رأى • وكان غيابه قد أقلق أبويه فبعثا من يطلبه • وحين عثروا عليه عادوا به ليلقي بنفسه بين احضانهما •

ويبدو ان المؤلف أراد في هذه القصة أن يبين وجهة نظره في الحياة، وهى وجهة نظر عبر عنها بأسلوب صريح فى قصصه الأخرى المنشورة فى الصحف والمجلات المختلفة^(١٦) • وهذه القصص بمجملها تتغنى بالطبيعة ، وتصور المثال والحلم والوهم ، وتسعى نحو الحكمة الخالدة التى لا تسعها أرضنا • حتى ليلوح ان المؤلف كان مسوقا فى حياته بأحلام طفولته التى حكها أخيراً^(١٧) •

ولقد برز ، فى القصص التى كتبها خلف شوقى الداودى ، اتجاه فكاهي ساخر ينحو فى أحيان كثيرة الى السخرية من كثير من العادات البالية

(١٦) يراجع لمعرفة أسماء هذه القصص ، فهرست القصص والروايات المنشورة فى الصحف والمجلات العراقية الملحق بهذا البحث •

(١٧) نتاج نديم الاطرقجى فى القصة كحياته يلفت نظر الباحث ، ويستحق منه عناية خاصة

والمظاهر الاجتماعية البارزة . وكان لشخصية الداودي الظريفة ، التي عرف بها ، وجه للنكتة ، ومهارته الخاصة في حبكها والقائها ، بالإضافة الى أسلوبه الخاص الساخر في الكتابة الذي صاغ به كثيرا من الخواطر والأفكار التي نشرها في الصحف والمجلات آنذاك ، الأثر الأكبر في نشوء هذا الاتجاه في القصة العراقية (١٨) . ورغم أنه اتجه غير جليل الحظر في العراق الجهاد البعيد عن روح الفكاهة والهزل ، فإنه لا يمكن اغفاله ، لما شهدته هذه الفترة التي ندرسها من نشاط بارز في الأدب الفكاهي الساخر . يتمثل في الصحف والمجلات الهزلية التي صدرت آنذاك ، وفي المقالات الهزلية الكثيرة التي كتبت في الصحف والمجلات الأخرى المختلفة (١٩) .

ومن قصص خلف شوقي الداودي ، التي توضح هذا الاتجاه « الفلقة » (٢٠) ، عرض فيها بأسلوب جميل ساخر ، يذكرنا بأيام طه حسين ، صفحة من ذكريات طفولته ، حين أدخله أبوه كتابا قديما . وكان من المعتاد أن يقول الأب للملا المشرف على ادارة هذه المدرسة البدائية حيث كان يتلقى الطفل العراقي تعليمه الأولى : « لك اللحم ولي العظم » اشارة الى انه يريد تهذيب ولده وتعليمه ، ولا يهمله ، من أجل ذلك ، ما يوقعه الملا بولده من صنوف التعذيب والضرب . وكانت الفلقة آنذاك الواسطة الأقسى ، التي يستخدمها هذا الملا القديم لارهاب صغاره . ولقد صور الداودي في هذه القصة دخوله الى الملا ، وتهديده منذ البداية بالفلقة ، حتى أصبحت شجبا

(١٨) يراجع في تفصيل هذه الجوانب في شخصية الداودي كتاب « القصة العراقية قديما وحديثا » . ص: ٢٣٥ وما بعدها .

(١٩) أبرز الصحف الهزلية التي صدرت آنذاك . كناس الشوارع . سينما الحياة . جبزبوز . أبو احمد . وابرز كتاب الهزل غير خلف شوقي الداودي . ميخائيل تيسي . عبدالقادر المميز . ابراهيم صالح شكر . يراجع كتاب « الصحافة في العراق » . رفائيل بطي . ص: ١٢١-١٣٠ .

(٢٠) مجلة النشء الجديد . جزء ٢ السنة ٢ - ١٩٢٨ ص : ٩٩

مرعبا يطارده فى كل مكان • فهو يحلم فى ليله بما أخذ فى النهار من درس خوفا منها • وهو يمتنع عن الطعام ، وينقلب سلوكه ، من الصخب الى الهدوء الساكن الذى يقوده الى التقوى والعبادة الساذجة ، خوفها منها أيضا • فأصبح يؤم المسجد مع أبيه ، يؤدى فروض الصلاة فى أوقاتها مما لفت نظر أحد مدرسى الجامع آنذاك ، فتعهد بالرعاية ، وتلقى على يديه مبادئ النحو واللفه • وكان نتيجة ذلك أن تفوق على الملا فى ثقافته وعلمه • فأخذ هذا يحذر منه خوف أن يسأله سوآلا ، يعجز عنه الذى لم يكن يتعدى قراءة القرآن ، عن جوابه • ولكن ما كان الملا يحذر منه يقع ، فها هو فى يوم يسأله جواب إحدى المسائل النحوية ، فيحار ويختلط عليه الأمر ، مما يثير سخريه الأطفال • والواقع أن هذه القصة بما ينبض فيها من حس ساخر ، ومن تصوير دقيق لنظام التعليم القديم ، وكشف عيوبه ، ما يجعل أمر تلخيصها عملا مشوها لها • انها قصة تستحق ان تقرأ •

وفى قصة أخرى له ، بعنوان « حسيه »^(٢١) يحكى قصة موظف شاب أولع بقراءة الروايات الغرامية ، حتى صار ينسج حكايات غرامية على نسقها ، يقصها على اصدقائه ويجعل من نفسه بطلا من أبطالها ، مما أثارهم • فدبروا له (مقليا) : بعثوا له رسالة حب على لسان فتاة ، تخبره فيها أنها تنتظره فى مكان معين • فيذهب ، ولا تأتى • ويحس اصدقاءه يرقبونه • فيتمنى من الله أن تحدثه أى امرأة ، لكى يتخلص من موقفه المحرج هذا • وبينما هو على هذا الحال المضطرب ، تقترب منه فتاة وتسأله ان كان شخصا آخر ، فلا يتردد ويجيب بالايجاب ، فالذى يهمه أن لا يظهر فشله أمام الآخرين • ولكن الفتاة لا تلبث أن تنهال عليه سبا وشتما ، ثم تبصق فى وجهه ، وتخبره أن عليه أن يتأدب ، وان لا يتعرض لبنات الناس • فكان موقفا مؤلما ، أمام

(٢١) البلاد - العدد - ٦٩ - السنة ١ - ك ٢ - ١٩٣٠ •

أصدقائه الذين أغرقهم الضحك^(٢٢) .

ومن كتاب هذا الاتجاه الساخر شالوم درويش • فبالإضافة الى الحس الفكاهي الساخر الذي يتجلى في قصصه المختلفة ، كتب قصة بعنوان « في سنة ٢٥٤١ »^(٢٣) • تخيل فيها ان الرجل أصبح في موضع المرأة رهين البيت ، ويعانى ما تعانىه المرأة في زمن الكاتب من هضم للحقوق جردها من انسانيتها • والقصة كتبت على شكل رسالة يعثها بطله الى امرأة جاءت تخطبه من ابويه ، يبين فيها سبب رفضه الزواج منها يقول فيها : « سيدتى الدقتورة: أخبرنى أبواى انك طلبت اليهما يدي • وقد تركا لى - ولا أظن ذلك يبدو غريبا في نظرك - حرية قبولك أو رفضك »^(٢٤) • فالمرأة هى التى تطلب يده ، والرجال فى عام ٢٥٤١ ، من الجنس الضعيف • ولكن بطل قصته متمرد على وضعه هذا يحن « الى ذلك العهد السحيق الذى نقرأ عنه فى تاريخ السلف الصالح ، يوم كان للرجل من القوة والسيطرة ما لكان الآن • • »^(٢٥) وهو لذلك يسمى مستأنثا • وسميت مستأنثا لأننى أريد أن أترك الدار وأزاول ما تزاو لن من الاعمال والمهن اجيبني بالله : أى خطر على الأخلاق والعفة فى خروج الرجل الى السوق يمارس عملا شريفا يرتزق منه ما لا يدعه بحاجة الى استجداء ما يعيله (كذا) من أمه أو أخته أو زوجته »^(٢٦) • واذا كان لا بد له من الرضوخ لهذه السنن الاجتماعية الجائرة ، ورضى بالزواج ، فانه لن يتزوج (بدقتورة) • وسبب ذلك يعود

(٢٢) ومن هذا النمط من القصص ، قصة ناجى محلب «موقف غرام» التى تحكى قصة مقلب آخر ، ليس فى ذكره غناء • الحاصد - العدد ٣٧ - السنة ٢ - نيسان ١٩٣١ •

(٢٣) أحرار وعبيد • ص: ٣٤

(٢٤) المرجع السابق • نفس الصفحة •

(٢٥) المرجع السابق • ص: ٣٥-٣٦

(٢٦) المرجع السابق • ص: ٣٥

الى ان انهماك الدكتور في العمل، يشغلها عن زوجها فلا توفر له ما يصبو اليه من
سعادة. على انه لن يفكر بالزواج أبدا. «كلا ياسيدي سوف لا أفكر بالزواج
أبدا فاني لست معجبا بهذا الدور المضحك الذي يمثله أبي ولا أريد أن
أضيف الى أطواق أسرى طوقا جديدا ربما كان أصلها جميعا» (٢٧). وفي
هذا القلب الجميل للواقع سخرية رقيقة، وطرح لرأى، يدين به المؤلف عن
طريق ساخر غير مباشر، يجد له في النفس وقعا جميلا.

وهناك اتجاه آخر يستمد مواضيع قصصه من التاريخ البعيد أو القريب.
وقصص هذا الاتجاه بمجموعها ساذجة، تفتقد طرافة الموضوع الأصيل. فهذا
كاتب يسرد بما أطلق عليه اسم قصة واقعة ذي قار (٢٨). ولا يركز على
أشخاص أو حدث واضح المعالم. وآخر يتحدث عن اغتيال سنحاريب (٢٩)
من قبل أبنائه، الا أن اسر حدون - احد ابنائه ممن لم يشترك في الاغتيال -
يتجرد لمعاقبة الفاعلين، وهكذا يعلو الحق من جديد. وفي قصة أخرى
يتحدث كاتب آخر عن قصة حب مستمدة من تاريخ الأدب العربي الجاهلي (٣٠)
وهي قصة حب المتلمس لابنة عمه أميمة. وفي القصص التي استمدت
القصاصون مضامينها، من التاريخ الحديث، نجد نزعة قومية ووطنية واضحة.
ففي قصة «المشوق» (٣١). يتحدث الكاتب عن أحد الذين شتقهم جمال
السفاح بأسلوب سردي تقريرى لا روح فيه ولا جمال. فتاة تبكي. تخرج

(٢٧) المرجع السابق ص: ٣٨

(٢٨) قصة واقعة ذي قار ل (ن . و) العراق - العدد ٣٥٧٢ - السنة

١٤ - ت ٢ - ١٩٣٤

(٢٩) قصة « اغتيال سنحاريب » لشكري محمود احمد - الغروب - العدد

١ - السنة ١ تموز ١٩٣٥ .

(٣٠) قصة « صدفة لذيذة » ل « م . ح الصوري » العراق - العدد ٣٥٦٣ -

السنة ١٤ - ت ٢ - ١٩٣٤

(٣١) العالم العربي - العدد ١٤٨٢ - السنة ٥ - ٢ - ١٩٢٩ وكاتبها رمز

له بالحروف (ب.ك.ذ) .

لترى أبها وهو يقاد الى المشنقة • ويقول الأب قبل شنقه انه يموت من أجل
الناس • أما الفتاة فتأخذ بالتحدث عن الامبراطورية العربية التي تحام بها •
وفي «ذكرى ميسلون» لحافظ خالد^(٣٢) ، يسرد القاص بأسلوب خطابي
انشائي ، قصة اندحار الجيش العربي في سوريا ، ودخول القوات الفرنسية
دمشق • وكان خالد ، بطل القصة ، من الشباب الذين اندفعوا الى محاربة
المستعمرين • وفي يوم الهزيمة ، ومع دخول الجيش الفرنسي دمشق ، يحرص
خالد على أن لا يدنس أحد الفرنسيين العلم العربي ، فيحاول أن ينزله من
مقر القيادة العربية ، فيصلى بنار حامية تصرعه مع حبيته التي اندفعت الى
مساعدته • وهذا الاتجاه في القصة القصيرة قد يؤكد حقيقة واحدة ،
وهي رسوخ الفن القصصي في المجتمع العراقي في الثلاثينات ، مع عدم
استقرار مفهومه ، بحيث أصبح ميدانا يخوض فيه كل من هب ودب ، ممن
لا يدرك أن للقصة شروطا ومقومات •

ولكن هذا الاتجاه لم يقتصر على القصة القصيرة بل تعداه الى محاولات
فردية لكتابة الرواية الطويلة • وأول محاولة روائية تصادفنا في هذا الاتجاه
هي المحاولة التي أقدم عليها يوسف رزق الله غنيمه • فقد حاول كتابة رواية
تاريخية نشر قسما منها مسلسلا في لغة العرب ، بعنوان «غادة بابل»^(٣٣) •
وتابعه في هذا الاتجاه القس سليمان الصائغ ، اذ نشر عام ١٩٣٤ رواية
تاريخية طويلة تقع في جزئين بعنوان «يزدان دوخت الشريفة الأربيلية»
والروايتان متأثران روايات جرجي زيدان التاريخية • اذ قصد كل منهما

(٣٢) البلاد - العدد - ٥٧ - السنة ١ - ك ٢ - ١٩٣٠

(٣٣) نشرها مسلسلية ابتداء من العدد ٥ - السنة ٥ - ١٩٢٧ - في ثمانية
أقسام ولم يتمها • ولعل السبب يعود الى ان المؤلف اصبح وزيرا
في ١٤ ك ٢ ١٩٢٨ في وزارة عبدالمحسن السعدون الثالثة (تاريخ
الوزارات العراقية، عبدالرزاق لحسنى ج ٢ ط ٢ ص: ١٣٥) •

الى التعليم كغرض مباشر بالاضافة الى التسلية^(٣٤) ، فجمعنا بين الغسرام والتاريخ . وكان هدف كل منهما من كتابة روايته مختلفا . فيوسف غنيمه أراد في روايته أن يصف المجتمع البابلي القديم ، عاداته وتقاليده ونظمه ومعتقداته . ومن هنا كان كثيرا ما يقود أبطاله الى أماكن لا مبرر لذهابهم اليها ، لكي يتحدث عنها بشكل موضوعي علمي ، يستعين بالمصادر والمراجع ، التي كان يشير اليها كهوامش لروايته ، فهو يأخذهم الى السوق أو المعبد لكي يصف السوق والمعبد البابلي القديم . أو يقودهم الى أرض زراعية خارج المدينة لكي يشرح نظام الأراضي ، وعلاقة الفلاحين بملكي الأرض . أو يخلق مناسبة أخرى لكي يصف حفلة رجوع الملك البابلي من الصيد ، أو أحد الأعياد البابلية الهامة .

أما القس سليمان الصائغ فقد كان هدفه دينيا أخلاقيا تبشيريا بالاضافة الى هدفه التاريخي . وقد أوضح هدفه هذا في مقدمة روايته حيث قال « تعرض هذه الرواية التاريخية فصولا أخلاقية وتعيد تمثيل مواقف من التجرد والتضحية جرت على مسرح الاجيال ومرت فتركت اثرها في التاريخ ، أسوة يأتسى بها من يتغنى بالاخلاص ويشيد بالمبدأ . فعندما يتلقى الشاب دروسا في المبدأ من أبطال التضحية ورجال التجرد لينحو نحوهم في خدمة الخالق والعائلة والوطن ، عالما أن محبته للعائلة وللوطن لا تتغذى الا من صدق المحبة لله . ذلك ما تستهدفه هذه الرواية التاريخية وهناك هدف ثان ، هو القاء نور جديد على قضية تاريخية واقعة في ظل كسيف من الغموض ، وما زالت الى اليوم تحت البحث عند المحققين ، وهي زمن دخول المسيحية الى العراق وما بين النهرين^(٣٥) » . ولم يحد القس سليمان الصائغ في روايته

(٣٤) يراجع لدراسة خصائص روايات جرجي زيدان وجمعها بين التعليم والتسلية كتاب « تطور الرواية العربية الحديثة في مصر » ص: ٩٣-١٠٦ .

(٣٥) يزداندوخت ط ٢ - ص: ٣-٤ من المقدمة .

عن هديه اللذين ذكرهما • فجعل أبطاله نماذج مثالية مضحية ، تساق الى المجازر التي ارتكبها شابور الثاني ملك الفرس ، طائفة مهللة بلقيا المسيح • كما أنه شرح في فصول طويلة ما يظن أنه واقع تاريخي ينبغي اثباته ، وهو أن المسيحية انتشرت انتشارا واسعا بين الناس منذ أزمان بعيدة في العراق ولاقى من التأييد ما أهلها لان تلعب دورا كبيرا في تاريخ العراق القديم •

وعقدة الروايتين الغراميتين واحدة • حب بين حبيبين تقوم بينهما العقبات ولا نعرف نهاية رواية « غادة بابل » لان الرواية كما ذكرنا سابقا لا يكملها صاحبها • أما رواية « يزداندوخت » فان سليمان الصانع خلق حبا عذريا عنيفا بين يزداندوخت وسانان البطل الفارسي المحارب الذي أصبح مسيحيا • ولكنهما لا يتزوجان • فيزداندوخت تنذر نفسها للمسيح وتصبح راهبة • أما سانان فيذهب ضحية المجازر الرهيبة التي ارتكبها شابور الثاني طائعا مهللا مرحبا بالموت •

ولكن رواية أخرى ، يعد صاحبها أقل تمكنا من فنه الروائي ، تناولت فترة من تاريخ العراق القريب • وهي الأحداث التي جرت قبل وخلال ثورة العشرين العراقية • فضح فيها دسائس الاستعمار والاعية الخاصة في خلق فئة من الاقطاعيين ، من رؤساء العشائر • وأحداث هذه الرواية كثيرة ، متراكمة ، ربما لا يستطيع الباحث متابعتها دون أن يضع قلما وورقا أمامه لكي يسجل تابع أحداثها الكثيرة • والغرام عنصر هام فيها على انها تنتهي بقتل الحبيب غدرا ، وانتحار الحبيبة بعده • وأهم ما فيها أن مسرحها الريف ، وأبطالها من الفلاحين ، وحوارها عامي فلاحى • إذ أن القاص أراد أن يكون صادقا في تصوير الواقع • وعنوان هذه الرواية « في الفرات الاوسط » ومؤلفها محمد حسن النمرى القطيفى ، ونشرها عام ١٩٣١ •

وهناك اتجاه آخر في القصة العراقية يمثلها جعفر الحليلى أوضح تمثيل •

يتجلى فيه تأثير الادب العربي القديم ، والقصص الشعبي ، أكثر من تأثير القصة الغربية المترجمة . وهذا التأثير غير ظاهر الملامح ، وإنما يطل علينا في هذا الروح العام الذي يسود قصصه ، فيحس القارىء أجواء القصص الشعبي ، وأسلوبه . ولا يقدم الخليلى فى اتجاهه هذا قصصا بالمعنى المفهوم ، وإنما يقدم ضربا من الحكايات الشعبية المنتشرة بين الناس ، يعرض من خلالها معتقدات العامة ، تلك المعتقدات التى رسخت فى الأذهان كنتيجة لتغريب الدجالين أو لسوء فهم شرائع الدين وللجهل المسيطر على العقول منذ عهد بعيد . فعدا الايمان بالسحر ، والجن عقيدة ملازمة ، خلفت أسوأ الآثار فى حياة الناس (٣٦) ، أو يقدم مزيجا من الحواطر الانتقادية والصور والذكريات ، يسوقها بأسلوب طلى يشد القارىء ، ويخضع لسهولة كبيرة فى التأليف ، تقربه من الاسلوب الصحفى السريع ويتصف بأكثر صفاته وخصائصه .

ففى يومياته ، التى نشرها فى جزئين ، نحس الخليلى مصورا فنانا همه أن يصور نواحي المجتمع المختلفة . فقدم العديد من الصور الساخرة الحية التى يغلب عليها روح الفكاهة والتسلية ، ولا تخلو من نقداً لازعة قد تخلص الى العبرة والنصيحة . ويعنى الخليلى كثيرا بتفاصيل الصورة التى يرسمها ، أو الفكرة التى يريد عرضها ، وكثيرا ما ينهيها بمفاجأة تحس لها طعما لازعا . وقد نقد فى كتابه هذا - بجزئيه - كثيرا من عيوب بيئته - النجف - نقداً يشف عن ذكاء ، وقدرة حسنة على اختيار ما يحسن انتقاده من مظاهر المجتمع العديدة .

ومن نماذج صورهِ الحية الجميلة التى انتقاهَا ، من الحياة المشاهدة ، صورة « محسن السقاء » (٣٧) ، الذى لم يكن كغيره من السقائين الذين يجولون

(٣٦) القصص فى الادب العراقى الحديث ص: ١١٠

(٣٧) يوميات ج ١ . تهمة عادلة . ص : ٨

فى الازقة مدللين بمائهم • فهو يجول صامتا ساكنا لاينبس ببت شفة ، ولا ينطق بكلمة ، وهو « لا يبيع الماء كما يبيعه سائر السقائين وانما يجىء الدار خلسة حتى اذا فهم ان الباب مفتوح ، وأنه لايعوزه غير جر الحيط ودفعه برجله ، حل - عند ذلك - القرب بسرعة فائقة وأنزلها من على الحمار وبقفزة واحدة ، وبصوت تنبيه لايزيد على كلمة (يا الله) واذا به فى وسط الدار • ولايفيدك اذ ذاك أى علاج للتخلص منه حتى ولو كان (كوزك) وقماقمك مملوءة بالماء !! وعبثا تحاول افهامه بأنك لا تحتاج الماء وأنتك فى غنى عنه الساعة !! كما أن صياحك فى وجهه واحتجاجك على ولوجه الدار بغير اذن منك لايجدى نفعا ، ولا يصد من عزم محسن شيئا ، فلما يجب ان يفرغ ما دام قد دخل بيتك ولو آل تفرغه فى (البالوعة) (٣٨) ، ثم لايلبث أن يطالب بالثمن كما يفرضه ويشاؤه بوقاحة • وقد أثار ذلك أهل المحلة ، ولكن أحدا لم يكن قادرا على أن يفعل شيئا • الى أن كان ذات يوم شاءت ارادة محسن فيه « أن يفرغ الماء لاحدى الدور أربع مرات متعاقبة فى مدة ساعتين بالجبر والارغام حتى ثار غضب رب الدار ولم يطق الصبر على اعتداء محسن فراح يوسعه ضربا بكل ما فى وسعه من قوة ، ويتهمه زورا بأنه قد سرق من بيته قطعة من السجاد الفاخر (٣٩) • وقد وجد أهل المحلة فى هذا الشجار فرصتهم للانتقام • فصبوا جام غضبهم على رأسه • وهكذا ختمت رواية محسن السقاء فى هذه المحلة بضرب مبرح وقذف شنيع ولم نعد نرى لاقدامه أثرا فى تلك الشوارع ، (٤٠) •

ولقد قدّم الخليلي ، على هذا النسق ، صورا جميلة أخرى تعرف عليها بعين الفاحص الحبير ، مما يقع عليها نظر الناس كل يوم فى النجف • ويكفى

(٣٨) المرجع السابق • ص: ٩

(٣٩) المرجع السابق • ص: ١٠

(٤٠) المرجع السابق • ص: ١١

القارىء أن يرجع ليومياته فسيجد عشرات الصور متناثرة هنا وهناك بين خواطره ونقداته وحكاياته والتي لا تخلو من طرافة وحسن مغزى (٤١) .

ومن نماذج حكاياته التي سردها فى يومياته ، والتي تبرز فيها روح الحكاية العربية القديمة التي تخلص الى مغزى معين ، حكاية الرجل العقيلي (٤٢) . وهي نمط من القصص يؤكد اتجاه التحليل فى القصة الخاص ، الذى ينطلق فيه على سجيته ، ولا يخضعه لشروط القصة الفنية ، فى قليل أو كثير .

ويهتم التحليل اهتماما كبيرا بتصوير معتقدات العامة الساذجة ، وتبيان اباطيل هذه المعتقدات ، ولا تخلو مجموعة من مجاميع قصصه ، من هذا النمط من القصص التي تتحدث عن هذه المعتقدات . ففي قصة « الابريق الناطق » (٤٣) ، يتحدث عن صديق له كان أخ زوج أبيه يسرقه . حتى لم يبق لديه شيء ثمين يعتر به . فكتب الى أبيه يعلمه بالحقيقة ، ويطلب رأيه فيما يجب أن يتخذه من اجراءات تجاه السارق . وقد جاءه جواب الاب يخبره فيه أن نسيه ليس سارقا وانما السارق هو شخص غيره . ذلك لانه استخار الابريق فى الأمر فأخبره بذلك . ومن رسالة الأب : « ... وقد اجرينا عملية الابريق فما تحرك باسم فلان المتهم ولكنه تحرك باسم فلان الساكن فى رأس الشارع فيجب أن تأخذوه وتحلفوه ولا تخلوا سبيله » (٤٤) .

(٤١) من صورته فى الجزء الاول من يومياته : فارزان ص: ٢٧ . حب الظهور ص: ٣٨ . مناعة ص: ٤٣ . فنان ص: ٤٦ . يسع . . . يسع ص: ٧٨ . خزاعل باب الصحن ص: ٨٢ . ذكاء ص: ٨٨ فخفخة فارغة ص: ٩٩ . الكلكلة ص: ١٥٦ . الخ . . . وفى الجزء الثانى : ساعة مع جلاله شريف الخياط ص: ٤ . الى فوق . . . الى تحت ص: ١٢ . سرور القهواتى ص: ٣٢ الحمار الادكن ص: ٦١ . محمد ص: ١١١ . فى الدير ص: ١٢٥ .

(٤٢) المرجع السابق . ج ١ درس عن المعنويات . ص: ١٣٣ .

(٤٣) المرجع السابق . ص: ١٤٣ .

(٤٤) المرجع السابق . ص: ١٤٥ .

أما خواطره الانتقادية ، فعديدة * تتجلى فيها السخرية والنقادات اللاذعة البارعة لمظاهر المجتمع * ولتبيان أسلوب الخليلي فيها نختر واحدة منها تحدد اتجاهه ، وتعطى فكرة واضحة عنها وهذه الخاطرة عنوانها « حرفة الأدب »^(٤٥) ، قال : « أعرف ح * * شابا بليدا لا يميز الكوع من (البوع) ولا يفرق بين النظم والنثر وكان يجلس كالجدار اذا ضمه مجلس للأدب وقرض الشعر ، وقد كان هذا الشاب موظفا يتقاضى راتبا لا يستهان به * بالنسبة لمقامه ومقدرته الا أنه استغنى عنه في الاخير وقلب له الدهر ظهر المجن حتى أصبح جيبه أفرغ من فؤاد أم موسى * ومرت الايام وتلتها الشهور ولم أسمع له ذكرا * وكدت أنساه بالمره *

وذات يوم جاءت جريدة (الكرخ) واذا فيها قطعة شعرية بليغة قد ذيلها (ح) بتوقيعه ، فلم أستطع - وأنا الخبير بقدرة الشاب - الا أن أظنه قد اقتطع تلك المقطوعة من ديوان خطي ونسبها لنفسه ، أو أنه سرقها من أحد أصحابه وسجلها باسمه ، غير أنني لم ألبث أن قرأت له مقطوعة أبلغ وامتن من المقطوعة الأولى نشرتها له جريدة (العراق) فتيقنت حينئذ أن بين الافلاس والادب علاقة قوية ورابطة متينة ، وقد سمعنا أن من شروط الأديب أن يكون مفلسا ولم نسمع من شروط المفلس أن يكون أديبا حتى عثرت على شعر (ح) فأمنت بهذه النظرية^(٤٦) ، *

ومن هذه الخواطر ، والحكايات ، والقصص ، بالاضافة الى بعض

(٤٥) المرجع السابق ص : ٦٤ - ٦٥

(٤٦) ومن خواطره الاخرى فى ج ١ من اليوميات ، طغيان المادة ص : ٤ ، تهديد فاشل ص : ١٩ ، سوء التفاهم ص : ٢٢ ، خطايا ص : ٢٥ ، فلسفة افلاس ص : ٣٣ ، الرأى العام ص : ٣٥ ، اتساع الفتنة ص : ٥٥ ، مبادئ ص : ٥٧ ، بطولة بلا ثمن ص : ٧١ * الخ * وفى ج ٢ : الحضارة عند الانسان والحيوان ص : ٩٠ ، وهل علاقة بين الجنون والادب ص : ١٠٥ الخ *

الذكريات التي يرويها عن طفولته ، والتي يبرز فيها انسياق الخليلي مع طبعه ، بحيث لا يمكن أن نجد فيما يكتبه عقدة أو بناء فنيا ، وإنما هي بساطة وسهولة لا تعرف التكلف والتعقيد ، يتحدد اتجاه الخليلي في القصة • وهو اتجاه لم يخرج عنه في مجاميعه الأخرى ، التي نشرها ضمن الفترة التي ندرسها ، ولا نحسب أنه خرج عنها في مجموعاته الأخرى التي نشرها بعد الحرب الثانية • ف « اعترافات » مجموعته الثانية ، تقدم حكايات ذات حادثة أو حوادث تشد القارئ إليها وتسليه • فيها الطرافة ، والمصادفة ، والشذوذ • كقصة هذا الفتى الورع العابد الذي تحول إلى مجرم سفك أرواح الناس بمجرد أنه سمع أن ابنة خاله قد فقدت عفتها ، فقتلها ، وقتل عشيقها ، وقتل شخصا آخر بريئا خطأ ، ثم اكتشف في النهاية أن الفتاة بريئة (٤٧) • أو فيها النفاضة في بعض الأحيان ، كما يتمثل ذلك في قصة « من دفن القلب » (٤٨) ، التي تحكي قصة أحد الأشخاص الذي أراد الانتقام من غانية كان ينفق عليها ثم تنكرت له ، فاستخدم من انتقم له • وفيها بالإضافة إلى ذلك الأسلوب السهل البسيط الذي يحسن التحدث عن الحدث دون الطعن فيه ، ولكن ليس فيها من القصة الفنية شيء • فهي اعترافات صاغها بلسان المتحدث ، تروي بعض الأمور التي وجد البعض في الأفضاء بها تخفيفا عما يشعرون به • وليست هذه الأمور بالأسرار الجليلة الخطر ، فهي تتحدث مثلا عن حب صياني قام بين شاب وابنة الجيران ، أدى بالفتاة إلى أن تقتل بعد أن اكتشف أنها فاقدة لبيكارتها ليلة زواجها (٤٩) • • الخ أو حكايات أخرى تستهدف الدعابة والنكتة ، ويطبعا طابع الأفتعال ، وليس فيها ما يثير غير الطرافة • وفي هذه القصص يبرز هدف الخليلي الذي يتوخاه من كتابة القصة • وهو هدف

(٤٧) اعترافات • اله الشر ص : ٢٢

(٤٨) المرجع السابق • ص : ٧٢

(٤٩) المرجع السابق • ص : ٣ حديث قديم •

أفصح عنه حين عرف مجموعته هذه بقوله « قصص منتزعة من صميم الحياة كتبت للتسلية والأدب والعظة والعبرة^(٥٠) » ، وبذلك تفتقد قصصه هذه النزعة الاجتماعية الواقعية ، التي تلمس أدواء المجتمع ، وتحاول أن تقدم حلولاً ناجعة لمشاكله .

ولا يكشف الخليلي في مجموعته الثالثة « مجمع المتناقضات » عما يفاير ما رسمناه من اتجاه ، سهولة وبساطة في الحبك وانسياق مع الطبع ، وصور سريعة يستقيها من بيئته ، لا تبلغ أن تكون قصة . وأبطال هذه المجموعة في الغالب من الطبقة الفقيرة أو من طلاب العلم في العتبات المقدسة . وطريقته في تقديم أبطاله أنه يصفهم وصفا يمهّد فيه لفهم تصرفاتهم ونزعاتهم ، التي كثيرا ما تنحو نحو الشاذ غير المألوف . وتؤكد هذه المجموعة من القصص ما لمسناه في اليوميات ، فهو قد يختار نادرة شعبية وينشئ منها قصة فيها الطرافة وجودة الحبك الذي يستهوي القراء كما في « الشيخ سلمان^(٥١) » . واتجاه الخليلي يميزه من بين القصاصين ، ولا يقربه من كتاب القصة الفنية ، في شيء . فهو نسيج وحده ، ربما لا يكون لانتشار القصة في العراق ونهضتها من تأثير فيه ، غير هذا الاهتمام بهذا الفن والانصراف إليه ، مما ينسجم مع ميوله وقابلياته الصحفية^(٥٢) . ولقد ترك الخليلي أثره على عدد محدود ممن حاول الكتابة في القصة ، ووجد في مجلته « الهاتف » ترحيباً

(٥٠) غلاف كتاب يوميات ج ٢ ط ٢ تعريف بكتاب اعترافات للاعلان .
(٥١) مجمع المتناقضات ص : ١٩ . وتراجع الملاحظات القيمة التي كتبها عبدالحق فاضل في المجلة (الموصلية) عن هذه المجموعة . العدد ٤ - السنة ١٦ - ٢ - ١٩٣٨ ص : ٤٤ / ١٩٨ .

(٥٢) هناك قصة مطولة نشرها الخليلي أوائل حياته الادبية بعنوان « التعساء » وثلاث قصص اخرى نشرها في اوقات متفرقة في الثلاثينات هي : « حديث السعلي » و « خيال الظل » و « السجين المطلق » ، بالإضافة الى رواية طويلة بعنوان « الضائع » . ودراسة هذه الاعمال لا تضيف جديدا الى ما قلناه .

لنشر نتاجه أواخر الثلاثينات . فقدموا صوراً اجتماعية انتقادية ليثتهم وعاداتهم ، مهما بالغنا في قيمتها الأدبية فإنها لاتعدو الصورة القصصية ، ولا تشير الى ملامح تطورية في القصة . ويمكن لمن يريد أن يراجع أعداد « الهاتف » حيث تطالع عشرات الصور التي تختلط بالمقالة أو التحقيق الصحفي ، والتي استعارت أسلوب السرد القصصي اطارا . ولعل أبرز من يمثل هذا الاتجاه الذي يسير على نهج الخليلي ، وأكثرهم قدرة على تقديم الصور الجميلة ، بأسلوب يتأثر أسلوب طه حسين في القصص ، هو ضياء سعيد .

لقد قدم ضياء سعيد عشرين صورة أطلق عليها اسم القصص ، نشرها أول الأمر في الهاتف ثم عاد وجمعها في كتاب أسماه « صور الحياة »^(٥٣) . وفي هذه الصور نلمس ما سبق أن لسناه عند الخليلي اذ تمتزج فيما يقدمه الصور والحكايات ، والذكريات والحواظر ، ويختفي ظل القصة الفنية تماما . وطريقة ضياء سعيد في تقديم صورهِ واحدة لا تتغير الا نادرا . وهي طريقة تذكرنا بطريقة طه حسين في تقديم أحاديثهِ المختلفة التي كان يذيعها على الناس في الصحف . ومن ذلك على سبيل المثال ما قدم به صورة « الشيخ على أو بقال القرية »^(٥٤) ، قال : « أما الصورة التي أريد أن أقدمها اليك أيها القاري . العزيز فخليط من الظلام والنور ، صورة لا أدري ألامعة هي ؟ أم باهتة ؟ وان كنت أدري جيدا واستطيع ان أوكد لك أنها صورة لذيذة مفرحة ستجد فيها الى جانب الفكاهة المرحة سذاجة ودعة وستحس بهالة من النور والضياء كما ستحس أيضا بسحابة من الظلام تحوط هذه الصورة من جميع جهاتها فما أحسب أن قرى الرافدين سيحجود عليها الزمن بمثل هذه الصورة التي أضعها نصب عينيك »^(٥٥) . ثم يسترسل فيحدثنا عن كل ما يعرفه عن هذا

(٥٣) صور الحياة . ج ١ . مطبعة الغرى . النجف . ١٩٣٨ .

(٥٤) المرجع السابق . ص : ٢٦ .

(٥٥) المرجع السابق . نفس الصفحة .

النقال ، صفاته ، طبيته ، اخباره ، هكذا وكما تعن له ، لا يحاول أن يخلق مما يقدمه بناء فنيا متكاملًا .

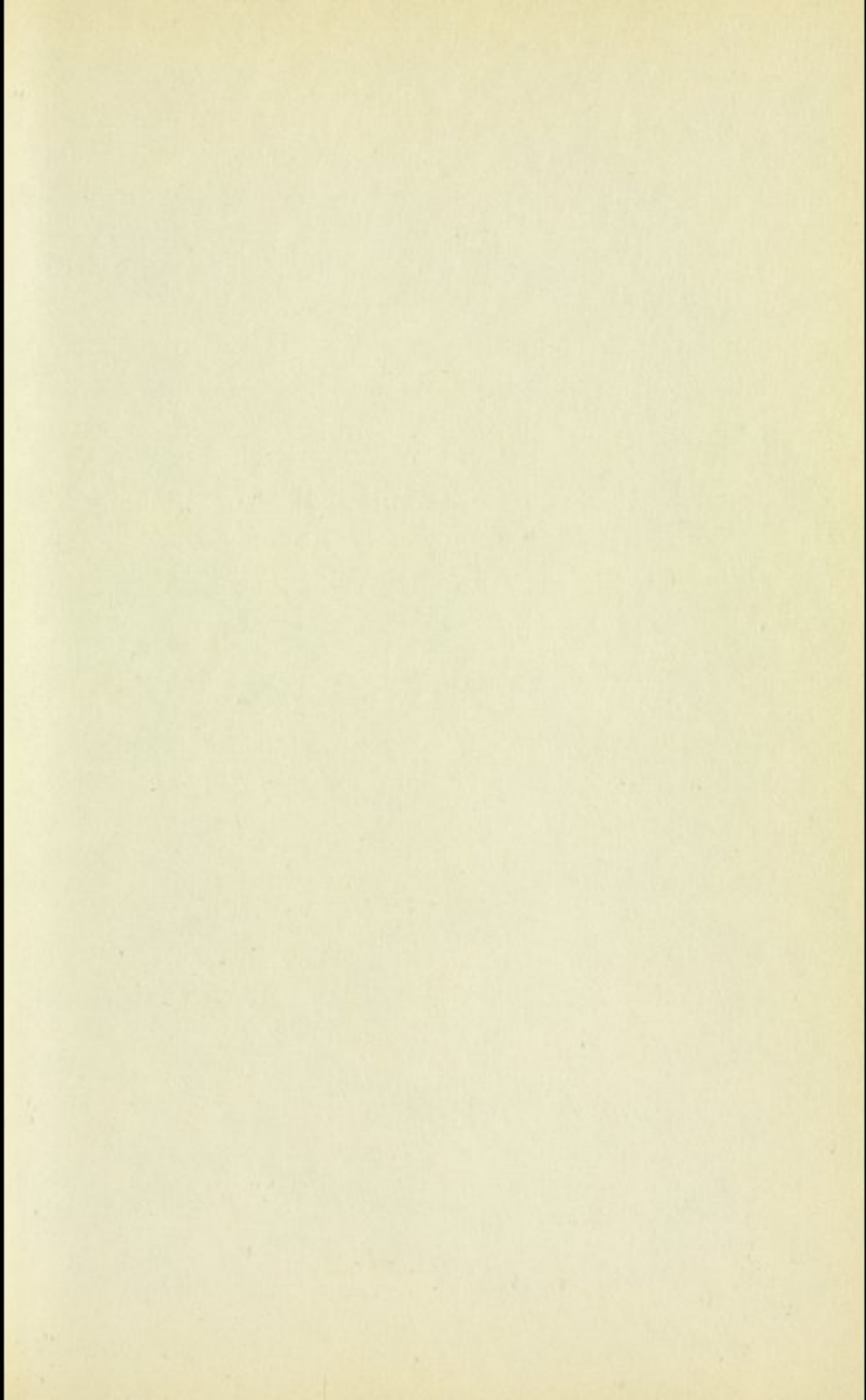
ورغم أن صور ضياء سعيد ، تنفق مع صور الخليلي في أنها تستمد مادتها من بيئة واحدة ، هي بيئة النجف والقرى المحيطة بها ، وتحرص على أن تعرفنا جوانب هذه البيئة كما هي ، وتنقد العيوب الاجتماعية في هذه البيئة ، نقدا رقيقا حينا ، ونقدا لاذعا حينا آخر ، فانها تختلف عنها في الاسلوب الذي صيغت به . فأسلوبها على خلاف أسلوب الخليلي متين يعنى صاحبه به عناية كبيرة . فيه اشراق العبارة ، وجمال التعبير ، بالاضافة الى وضوح القصد . وان كان قائما على أساس تقليد أسلوب الدكتور طه حسين ، الا انه تقليد المتمكن من لغته لا تقليد العاجز الذي لا يطول البناء الرفيع العماد .

وأخير ، هناك اتجاه آخر في القصة العراقية لا أهمية له في تاريخ القصة العراقية ، ولكنه يعبر عن ترسخ مفهوم القصة في المجتمع . وممثل هذا الاتجاه هو صبرى عبدالله . الذي كان ينشر قصصه في مجلة الحاصد ، حيث كان يسرد فيها بعض القضايا الجنائية التي كانت تصادفه أثناء عمله في سلك الشرطة العراقية . ولقد توسع في هذه المحاولات ، حين كتب رواية كاملة بعنوان « البنادق المسروقة » ونشرها عام ١٩٣٩ ، وتحدث فيها عن سرقة غامضة لمركز من مراكز الشرطة في الريف . اذ استطاع لصوص مهرة ، أن يسرقوا من هذا المركز بعض البنادق ، بعد أن خدعوا الحرس . ويشرح في الرواية الوسائل الذكية ، التي اتبعها لكشف مرتكبي هذه الجريمة ، مما يذكرنا بالروايات البوليسية ودورها في رسم مفهوم الرواية أو القصة ، وضغطها على هذا العنصر الهام من عناصرها وهو التشويق .

وبعد ، فهذه جملة مضامين واتجاهات تجمعت كلها في شكل من
الاشكال ، أثناء هذه الفترة ، منها ما ألحَّ على أكثر من كاتب ، ومنها ما انفرد
به واحد منهم ، فأثر بقوته أثرا واضحا في سير تاريخ القصة ولكن الأهم
أن كتابا بعينهم كان لموضوعاتهم ولأسلوبهم أثر متكامل يحسن بنا أن نراه
متكاملا واضحا ، فندرس كلا منهم على حدة ليتضح لنا دورهم في بناء القصة
العراقية وتطورها في الباب التالي •

الباب الثالث

قَصَّاصُونَ



تَهْيِيد

كتب القصة في العراق بين الحربين ، عدد كبير من الكتاب • ويكفي القاري • أن يرجع الى فهرست القصص التي نشرتها الصحف والمجلات العراقية ، الملحق بهذا البحث ، لكي يتعرف على العديد منهم • ولكن هذا العدد الكبير ، من الكتاب الذين كتبوا القصة بين الحربين ، كان جلهم من الهواة استهواهم هذا الشكل من الفن ، ووجدوا فيه وسيلة سهلة تتيح لهم التعبير عن مشاعرهم وعواطفهم المكبوتة ، فكتبوا القصة والقصتين والثلاث ثم رموا قلمهم بعيدا ، وانصرفوا الى ما هو أجدى في نظرهم من شؤون الحياة • واذا كان نتاج بعض هؤلاء الكتاب ، قد أفصح عن موهبة وأصالة ، فإن معظمه كان نتاجا سريعا ، ضحلا ، يفتقد الاصالة ومقومات الفن • وقد رأينا نماذج من هذا النتاج في جانبه ، في الباب الثاني من هذا البحث •

على ان العراق لم يخل من قصاصين غير أولئك ، كتبوا في القصة نتاجا وفيرا ، امتاز بالجودة ، والاصالة والمحلية في أغلبه • وعبر عن هذه النزعات والاتجاهات والمؤثرات التي حددت سير القصة العراقية وتطورها بين الحربين • وكان نتاجهم لذلك ، يمثل القصة العراقية ، ويعكس طابعها وملامحها وخصائصها وصفاتها العامة في هذه الفترة • ومن هنا تناولهم بالدراسة ، كل من حاول أن يدرس القصة العراقية ، في نشأتها وتطورها ، أو حاول أن يدرس أبرز كتابها • وهؤلاء القصاصون : محمود أحمد السيد ، أنور شاول ، ذو النون

أيوب ، عبدالحق فاضل (١) .

وإذا كان لزاما لأي باحث يريد ان يدرس القصة العراقية ، أن يقف طويلا ، عند نتاجهم ، يستجلى ملامحه ويبين خصائصه وصفاته العامة ، لكي يصل ببحثه الى غايته ، فان ما يمكن أن يتصوره البعض ، من أن نتاج هؤلاء القصاصين اذ تناوله بالدراسة معظم الباحثين الذين أرخوا للقصة العراقية ، غير ضروري لبحث يفترض فيه ان يأتي بجديد ، لا يمكن قبوله . اذ أن هذه المحاولات التي درست القصة العراقية ، على قلتها ، لم تقدم دراسة وافية عن هؤلاء القصاصين بحيث تنقضي كل جوانب نتاجهم ، وتحاول أن تتعرف على خصائصه وصفاته ، وتتبع المؤثرات التي أثرت فيه ، والتي حددت بالتالي مضامينه وأشكاله الفنية . وكل ما لدينا من هذه الدراسة محاولات محدودة متفرقة ، ركزت على جانب من جوانب حياة هؤلاء الكتاب ، أو تناولت بعض نواحي أدبهم . بل ان قصاصا من هؤلاء ، هو عبدالحق فاضل ، الذي يمكن اعتبار نتاجه في القصة قمة ما استطاع الفن القصصي ان يحققه من تطور بين الحربين ، لاقى من الاهمال ، والاعراض ، والأحكام السريعة المرتجلة ، ما أسدل على نتاجه القصصي ستارا صفيقا من النسيان ، وشوه الفكرة عنه في أذهان القراء . لذلك نرى من الضروري ، لبحث كبحثنا ، يحاول أن يؤرخ للقصة العراقية ويتبع نشأتها وتطورها ، ان يقف طويلا عند أدب هؤلاء القصاصين ، ويدرسهم دراسة مستفيضة تقيم نتاجهم ، وتضعهم في مكانهم الذي يستحقونه ، من تاريخ القصة العراقية . وهو ما سنحاول ان نحققه في الفصول التالية من هذا الباب .

(١) هناك قصاصون آخرون كتبوا في القصة بين الحربين ، نتاجا ، لا يقل جودة عما قدمه هؤلاء . وهم شالوم درويش ، وعبدالمجيد لطفى ، ويوسف متى ، وعبدالوهاب الامين . الا أن أفضل نتاج شالوم درويش ، وعبدالمجيد لطفى كتباه بعد الفترة المحددة تاريخيا لبحثنا . ونتاج يوسف متى وعبدالوهاب الامين ، لقلته ، لا يسعف الباحث في أن يقدم بحثا طويلا عنهما . على أننا قد وفينا نتاج هؤلاء الكتاب حقه فيما تقدم من بحث .

الفصل الاول

محمود أحمد السيد

١٩٣٧-١٩٠١

لعل أهم قاص يمثل القصة العراقية بين الحربين ، تمثيلاً تاماً ، هو محمود أحمد السيد^(١) . فقد كان أول من بدأ كتابة القصة - بنوعها الطويلة والقصيرة - في العراق ، بعد الحرب الاولى . وأخلص لها عمره الادبي كله ، الا فترات قصيرة منه انتهبها البحث عن طريق يستقر عليه ، شأن أي فنان أصيل . وكان أيضاً أول من كتب في القصة الاجتماعية ، في نزعتها الواقعية ، وأوائل الثلاثينات . وبذلك يكون قد بدأ بداية مبكرة كتابة القصة الحديثة ، تساوق تاريخياً الفترة التي بدأ فيها الكتابة محمود تيمور ، وغيره من كتاب الرعيل الأول في مصر ، والذين أسهموا في تطوير القصة المصرية ، والقصة العربية عامة . ومن هنا يمكن اعتبار محمود أحمد السيد من الذين شاركوا في بناء

(١) يمكن أن يراجع في تفصيل حياة السيد :

١ - كتاب « محمود أحمد السيد » لمحمود العبطة المحامي ٢ - « نظرات في التيارات الادبية الحديثة في العراق » للدكتور جميل سعيد ص : ٨ وما بعدها ٣ - « القصص في الادب العراقي الحديث » لعبد القادر حسن أمين ص : ٢٩ وما بعدها ٤ - « القصة العراقية قديماً وحديثاً » لجعفر الخليلي ص : ١٨٣ وما بعدها .
ومقالات درست بعض جوانب حياته منها :

مقالة « محمود - أ - السيد » رائد القصة العراقية الاول » في كتاب « اعلام من الشرق » لعبد القادر البراك ص : ٧٨ وما بعدها . ومقالة « محمود احمد السيد » في كتاب « في القصة العراقية » لباسم عبد الحميد حمودي ص : ١٠ وما بعدها . وقصته المطولة « جلال خالد » وثيقة هامة تكشف عن نوازه وتطوره بين عامي ١٩١٩-١٩٢٧ .

القصة العربية ووضع أسسها ، لا القصة العراقية وحدها . ولو امتد به العمر ، ولم يختطفه الموت مبكرا ، لكان ممكنا أن يمدنا بتساج قصصي ، فيه ما في القصص العربي المتطور من الأصالة والصدق ، ومقومات الفن ، وثرائه .

ويمكننا في دراستنا ، لقصص محمود أحمد السيد ، أن نقسمها قسمين ، كل قسم منهما يمثل خصائص القصة واتجاهها عند السيد في فترة من فترات حياته الأدبية . واتجاه الكاتب في قصص القسم الأول ، الذي يمثل مرحلته البدائية الأولى ، اتجاه رومانسي مغرق في رومانسيته لا يسعى الى تطويره . وهي بمجموعها محاولات كاتب « مبتدى » ينقص فيه التركيز والقوة والتجربة الناضجة ،^(٢) . ولا قيمة فنية لها . انما تأتي أهميتها من كونها تمثل مرحلة أولى من مراحل الكاتب الفنية ، وتعكس في الوقت ذاته طابع القصة العراقية وخصائصها في الفترة الأولى من العشرينات . وبذلك تكسب أهمية تاريخية فحسب . وقصص هذا القسم ، يضم روايته ، « في سبيل الزواج » عام ١٩٢١ و « مصير الضعفاء » عام ١٩٢٢ . ومجموعة من القصص القصيرة أطلق عليها اسم « النكبات » نشرها عام ١٩٢٢ .

أما القسم الثاني : فهو يضم بالإضافة الى قصته المطولة « جلال خالد » التي نشرها عام ١٩٢٨ مفتتحا مرحلة جديدة في حياته الأدبية ، مجموعتين من القصص ، الأولى « الطلائع » نشرها عام ١٩٢٩ ، والثانية « في ساع من الزمن » عام ١٩٣٥ ، وبعض الأفاصيص المنفرقة نشرها في الصحف والمجلات ، ولم يضمها الى إحدى المجموعتين السابقتين . وفي قصص هذا القسم يتضح اتجاه للكاتب جديد ، وتطور فني بين .

ويفصل بين قصص السيد في قسميها الأول والثاني فترة دامت خمس

(٢) القصة العراقية الحديثة . د . سهيل ادريس . الاداب . العدد ٢ السنة ١ - ١٩٥٣ . ص : ٢٢

سنوات ، صمت فيها قلم السيد عن كتابة القصص^(٣) . ولكنه لم يصمت عن الكتابة فى الأنواع الأدبية الأخرى . وخصوصا المقالة الأدبية والاجتماعية . اد شهدت هذه الفترة نشاطا ادبيا كبيرا ، يتمثل فى هذا العدد العديد من المقالات والأحاديث الأدبية المتنوعة ، التى كان يذيعها على الناس فى الصحف والمجلات المختلفة . والواقع أن الباحث ليعجب ، وهو يتبع نتاجه فى هذه الصحف والمجلات ، خلال هذه الفترة ، من مقدار ما كان يبذله هذا الرجل من جهد فى سبيل أن ينشر أفكاره ، ويوضح مثله التى كان يؤمن بها . وبالإضافة الى أن هذه المقالات والأحاديث عكست تطور السيد الفكرى ، وتطور أسلوبه فى الكتابة الأدبية نحو الاستقرار ، ورصانة التعبير ومئاته ، فانها أيضا توضح الأسباب التى أدت بالسيد الى الانقطاع عن كتابة القصة ، خلال هذه الفترة ، والانصراف الى المقالة الأدبية بالتالى .

وقبل أن ندرس قصص السيد فى قسميها ، نرى من الضرورى التحدث عن تطوره الفكرى ، والفنى ، منذ بداية مزاولته الكتابة فى القصة ، ومن ثم تنكره لها ، وحتى عودته الى هذا الفن ، بعد أن أدرك جوهره على نحو جديد . فقد اندفع الى الكتابة فى القصة ، فى فترة مبكرة من شبابه ، يسوقه شعور بأهمية هذا الفن ، وضرورة ادخاله الى الأدب العراقى الحديث ، وانجذاب خاص نحوه ، وشوق الى الكتابة فيه ، تولد فى نفسه بعد أن قرأ قصص المغامرات والغرام ، التى انتشرت انتشارا واسعا فى العراق آنذاك . فقد كتب فى مقدمته لرواية « مصير الضعفاء » يقول « طالما كانت تشوقنى نفسى الى كتابة الروايات^(٤) . ولكنى كنت أتردد وأحجم لما فى الامر من صعوبة . استشرت هذا وذاك . فلم أجد احدا يشجئنى على الكتابة بهذا الموضوع . ولم

(٣) دامت هذه الفترة من عام ١٩٢٣ الى عام ١٩٢٨ . حين نشر قصته المطولة « جلال خالد » .

(٤) يلاحظ أن اصطلاح « الرواية » فى مفهوم السيد فى هذه الفترة ، يعنى القصة بانواعها .

آلف رجلا يشير على بشيء سوى الكف عنه وتركه بتانا . ذلك لأنهم استصغروا شأنى وحسبوا أن لن أقدر عليه . بل توهموا أنه شيء عظيم لا يستطيع أى كاتب من العراقيين دخول بابيه كأن كتاب الروايات في الأسم الأخرى أناس هبطوا من السماء . لم أعبا بذلك . بل رجعت فكتبت أول رواية وهى (فى سبيل الزواج) ولكن اتضح بعد ظهورها أنها ناقصة من عدة وجوه . حتى استخف بها البعض . ولم يستحسنها البعض الآخر . ولكن ذلك لم يشبط من همى شيئا بل قلت لاعالجن هذا الموضوع . فاكبتن فيه حتى ينسني لى النجاح . . . (٥) وهذا الاصرار الذى تملك السيد ، فى شبابه الباكر ، والذى تشف عنه كلمات مقدمة روايته الثانية ، هو الذى جعله يتخطى العقبات والصعوبات التى كانت تنتصب أمامه ، أو يتجاهلها وهو يمارس الكتابة فى فن جديد ، يجد نفسه فيه وحيدا لا يشجعه أحد ولا يعينه على تحقيق بغيته ، ان لم يجد السخرية والاستهجان يواجه بهما فى كل ما يكتب . « كنا كلما نهم بوضع كتيب ، أو تأليف رواية ، نسمع الضجيج والصراخ من كل ناحية ، والاستهجان المضحك من كل جانب والسبب واضح بين ، لأن العالم لا يرونا (كذا) الا أناسا متهوسين أو شبانا تدفعنا على ذلك حرارة الشباب لا غير . ولعلنا نرى لهم بعض الحق لانهم رأوا ما رأوا من دعاوى الذين سبقونا من الرجال المحنكين فلم يعودوا يصدقوا (كذا) بأحد كأمثالنا وأمثال غيرنا من الشباب الناشئين (٦) » .

وبهذا الروح ، وهذا الاصرار كتب روايته الاولى فى سبيل الزواج ، والثانية « مصير الضعفاء » وقصصه القصيرة التى ضمها الى مجموعته « النكبات » ولكننا مع ذلك بدأنا نحس فى الكلمات التى كتبها فى مقدمة مجموعته الاخيرة « النكبات » شعورا بالمرارة والخيبة . كأننا كان السيد يحسن ان هذه الصعوبات ، وهذا الاستهجان ، سيجهزان يوما على ما يريد تحقيقه « ابتدأت

(٥) مصير الضعفاء . مقدمة المؤلف . ص: ٦

(٦) السهام المتقابلة ، محمود احمد السيد . ص: ١٠ من المقدمة .

بتجسيم الروايات ، وكتابة الفجائع والادوار المحزنة التي يمثلها البشر على مسرحهم الكبير فأخرجت اثنتين منها كل واحدة على حدة . ورغم ما رأيت أمامي من العوائق والحوائل أردفتها بعدة روايات صغيرة أخرى . أقدمها بيمينى فى هذا السفر غير المطول ، ولا ادرى هل يتناولها أبناء جلدتى منى كما يتناولون غيرها من أسقاط روايات الأجانب ، (٧) .

ولسنا نرى فى وصفه للروايات التى كانت منتشرة آنذاك بأنها من أسقاط روايات الأجانب ، دلالة على تفتح السيد على مفهوم جديد للقصة غير ما كان شائعاً من مفهوم لها فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ العراق الحديث . فقد كان مسوقاً إليه بدافع من رد الفعل العنيف ، الذى ولده فى نفسه ، سلوك العراقيين نحوه . لقد كتب قصصه وهو لا يدرك مفهوماً للقصة غير هذا المفهوم الذى عكسته روايات الغرام والمغامرات . ورواياته وقصصه التى كتبها فى هذه الفترة ، تعبير عن هذا المفهوم واضح . على أننا مع ذلك لن نجهد أنفسنا فى التدليل على صحة قولنا ولنا من كلام السيد ما يؤيد . فقد كتب بعد نضوجه يتحدث عن تطور مفهومه عن القصة ، فتحدث عن مفهومه الأول لها قال : « كنت قبل بضع سنوات اقرأ بعض القصص المعربة عن اللغات الأوربية ، فأراها مملأى بالحوادث الرائعة الخطيرة ، ومثلها ما شاهدت من القصص المصورة على لوحات السينما ، ذات المناظر الخلافة والالوان الساطعة ، كنت أقرأها ، وكنت أراها ، فأحسب ان بلادنا الحلو من كل رائح خطير ، غير جديرة بان يستمد منها الكاتبون المواد لقصصهم » (٨) . وبوحى من هذا المفهوم صاغ قصصه التى لم تكن أكثر من روايات مغامرات ، مما لا يشاهد فى الحياة ، وان كثر عرض أمثالها على الشاشة البيضاء .

(٧) النكبات ص: ٨ من المقدمة .

(٨) مقالة لمحمود احمد السيد فى مجلة الحديث ، عدد ٧ . وقد نقلنا النص من كتاب « محمود أحمد السيد ، لمحمود العبطة » ص: ١٠٣ .

على ان تراجع السيد عن كتابة القصة واغفاله لها ، واعلانه للملأ أنه عدل عن الكتابة فيها ، والذي دام خمس سنوات كما ذكرنا ، لم يأت نتيجة لهذه العقبات والصعوبات التي كان يحسها تجهز على أمه في أن يكون كاتباً روائياً، وتحول دونه ودون تحقيق ما يصبو اليه ، وانما ذلك يعود الى تعرفه على لون جديد من الفكر لم يعهده . فقد اكتشف الفكر الجاد . وتعرف على ما كان يكتبه كتاب ، من أمثال قاسم أمين ، وشبلى شميل ، وسلامة موسى ، وطه حسين ، وعباس محمود العقاد . وفتح له هذا الفكر ، بنزعه العقلية العميقة ، وبتجاهاته المادية ، آفاقاً جديدة أشعرته بعقم أفكاره العاطفية الاولى ، في الاصلاح الاجتماعي ، التي استمدها في الأغلب ، مما كان يكتبه جبران خليل جبران ، والمنفلوطي . لقد أدرك أنه ليس غير حامل لأفكار غير ناضجة ، لا يمكن أن تصلح علاجاً لما يحسه من أدواء تنخر في بلاده . فكان رد الفعل في نفسه عنيفا عاتيا ، عصف بكل طموحه القديم ، وبكل أفكاره التي كانت ترى في الرواية والقصة ، بشكلها الذي كان يقرأ ، منتهى ما يجب أن يحققه الكتاب في الشكل القصصي . ولم يكن ما يقع بين يديه ، من قصص بمسئطع أن يعرفه على القصة الفنية الحقيقية ، لكي يصحح مفهومه عنها، فانقلب هذا الانقلاب الكبير . ان زمنا قصيرا لا يتجاوز عاما ، على نشره لمجموعته «النكبات» كان كفيلا بأن يكون السيد غيره . ويمكننا أن نجد في مقالاته التي كتبها بعد انقلابه الفكري الذي ألمعنا اليه ، نماذج تعكس اتجاهه الفكري الجديد . فما هو في احدى مقالاته يندد باتجاه المطابع العربية الى طبع كتب الأدب الخيالي ، وانصراف القراء الى قراءتها ، ويعلن تنصله من رواياته الخيالية فيقول : « ليت السلطات في الشرق . . . ولا تفضب أيها القاريء . . . بيد اناس ماديين قساة ، يعملون على كسر قلم كل أديب خيالي أو روائي غرامي ، يدعى العصرية ، ولكن لا فرق بين نفسيته ونفسية ذلك الشاعر القديم القائل « أحبها ويحب ناقها بعيري ، الا بالمظهر الكاذب . آه . ليت الظروف كانت تفهم ، فتكسر

يدى قبل أن أكتب تلك الروايات الغرامية الفاسدة الثلاث : « فى سبيل
الزواج » و « مصير الضعفاء » و « النكبات » السخيفة التى أعدها لطحه عار
فى حياتى وحياة الادب ، (٩) .

وتكشف مقالة أخرى كتبها ردا على نقد وجهه إليه أنور شاول فى مجلة
المصباح ، حاجته فيها فى بعض آرائه السابقة ، حول عقم الروايات الغرامية ، عن
أن السيد فى هذه الفترة من حياته ، لم يكن قد تعرف بعد على الأدب الروائى
العالمى الذى كتبه كبار أدبائه . فقد جعل الروايات الغرامية نقيضا لمذهب
التفلسف والجد ، الذى أخذ يدعو اليه ، قال : « أنا لا أشاء أن يرغب
الكاتبون جميعا عن المذهب الروائى الغرامى ، الى مذهب التفلسف والجد . .
ولكنى أكتب ذلك وهو رأى الحر الذى أراه ، وأجاهر به . . » (١٠) . ويؤكد
هذا المقال أن سبب انصراف السيد عن كتابة القصة ، يعود الى أن نمط القصص
التي كان يقرأها كان واحدا ، ولم يكن يلائم اتجاهه الفكرى الجديد .
ولم يقف السيد هذا الموقف من القصة وحدها ، بل تعداه الى غيرها .
فاعتبر المقالات والخواطر واليوميات التى كانت تنشرها الصحف آنذاك ،
ومنها مقالات وخواطر سبق له نشرها فى الصحف والكتب ، ليست من
الادب الحق فى شئ (١١) . وقد كان هذا الموقف من السيد اعلانا
واضحا ، على أنه قطع كل ما يربطه بماضيه ، وانه راح يحتفظ لنفسه طريقا

(٩) مقالة « هياكل الماضى » العراق - العدد ١٠٠٨ - السنة ٤ - ايلول
١٩٢٣ .

(١٠) المصباح - العدد ٣٢ - السنة ١ نوفمبر ١٩٢٤ ص: ٤ . وأنور
شاول كان رئيس تحرير هذه المجلة ، وان لم يفصح عن اسمه الصريح ،
واستعار له اسم ابن السمؤل .

(١١) تراجع مقالة « هشيم : خواطر ويوميات الجليلي » - جريدة المفيد -
العدد ٥٢٣ - السنة ٣ - ٨ ٢ - ١٩٢٥ .

جديدا • على أنه لم يعرف هذا الطريق جيدا ، ولم يتبين ملامحه بصورة واضحة ، أو أنه لم يكن مؤهلا له ، لذلك لم نره ينصرف الى تأليف ما كان يدعو الناس اليه ، من فكر جاد وفلسفة وعلم •

ولقد كانت النتيجة المباشرة لرد الفعل العنيف هذا أن اندفع الى القراءة الواسعة ، لكي يعمق من ثقافته • ولم تقتصر هذه القراءة على ما كان يكتب بالعربية ، بل أخذ بقراءة ما كان يكتب باللغة التركية • ففتحت له معرفته بهذه اللغة كوة ، أطل منها على الفكر والادب الحديث • فقرأ الادب التركي الحديث ، وقرأ ما ترجم من الأدب الغربي الى هذه اللغة ، فعرف القصة التركية الحديثة ، والقصة الغربية المترجمة الى هذه اللغة • ورغم ما يلوح من أنه تعرف على القصة الحديثة منذ زمن مبكر نسبيا ، إلا أنه لم يستطع أن يهضم فكرة العودة الى كتابة القصة بسرعة • ففي عام ١٩٢٥ ، لخص رواية «البعث» لتولستوى ، وقد قدم لها قوله : « اننى اكتب هذه القصة - اليوم - ملخصة ، محللة بعض التحليل • اكتبها وأنشرها على قراء العربية لاشغفا منى بالقصص ، ولا حبا بكتابة القصص ، ولا افتتانا بفن القصص المعروف فهذه مسالك كنت قد عدلت عنها الى غيرها ، ويعلم الناس ذلك ، ولكن لأنى أريد أن أعرضها عليهم لأجل العبرة ، وكفى ، أريد أن أعرضها عليهم • وهى : القصة التى أرى فيها صورة مجسمة من صور الحياة الاجتماعية ، على عهد القياصرة - آل رومانوف - تلك الحياة التى أنهتها الثورة الكومونية الروسية الأخيرة ^(١٢) ، • ان هذا الرفض ، للعودة للقصة ، الذى أكدته الكلمات السابقة ، سرعان ما تبدد ، فها هو بعد فترة قصيرة ، فى عام ١٩٢٦ ، يعود الى قصة البعث ويترجم منها

(١٢) الصحيفة - العدد ٣ - السنة ١ - شباط ١٩٢٥ ص : ١٥ : ولقد عاد الى هذه القصة التى أعجب بها أكثر من مرة • فترجم فصلين منها نشرهما فى مجلة المعرض عدد ٢ سنة ٢ - ك ١ - ١٩٢٦ ثم عاد ولخصها تلخيصا وافيا ونشرها بالسياسة الاسبوعية المصرية فى ٢٦ مارس ١٩٢٧ ثم ضمها الى مجموعته « الطلائع » عام ١٩٢٩ •

فصلين ينشرهما في مجلة «المعرض» . ويؤكد في المقدمة التي كتبها لهذين الفصلين حرصه على أن يقدم صورة من حياة الفلاحين ، ويعتبر تورغنيف ، ودوستويفسكى ، وتولستوى ، أقطاب هذا الاتجاه الأدبي الذي أطلق عليه اسم «الرياليزم» اى الواقعية ، ويرى ان «الفصلين يحويان صورة من حياة الفلاح نحن اجدر من غيرنا بالاطلاع عليها . فحياة الفلاح عندنا تماثلها أو تكاد . وواجب علينا ان نتخذها وما اليها من صور أدب «الرياليزم» الروسى ، نماذج للأدب الشعبى الجديد الذى نرجو أن يتكون - عندنا - فى المستقبل القريب^(١٣) . وهذه الدعوة الجديدة ، تلفت النظر ، وتثير الاهتمام . اذ أنها تظهر أن السيد قد عرف القصة الحديثة الواقعية ، واكتشف فيها ما كان يرنو اليه . فلم تعد نتيجة لذلك ، نظرتة مقتصرة على تصور أن الفلسفة والعلوم وغيرها من ألوان الفكر الجاد الذى دعا الى الانصراف اليها ، والتأليف فيها ، فيما سبق من أيامه ، هى الوسطة الوحيدة التى تنقل الفكر العلمى الرصين ، وتمارس دورها فى الاصلاح الاجتماعى ، فالقصة أيضا ، يمكن أن تقوم بالمهمة ذاتها على نحو جديد ، ربما لا يقل تأثيرا عما عرف من ألوان فكرية .

لقد كان اكتشاف السيد للأدب الروسى فاتحة تبدل جديد ، فى اتجاهه وتطوره الفكرى ، اذ عرفه على لون جديد من الأدب ، كان يراه شاحبا خافتا ، ولم يكن يتميزه بوضوح قبل ذلك ، ولكنه كان فى دمه . وهذا الاتجاه الجديد الذى عرفه عن طريق الأدب الروسى أولا ، أصبح اتجاهه الاخير ، عمق منه ، وحاول أن يقلده ، لانه يصدر عن طبعه ويلائم مواهبه الخاصة .

وبالاضافة الى ما اكتشفه السيد فى الأدب الروسى من نزعة واقعية تصور المجتمع ، وتسعى الى علاج مشاكله ، اكتشف فى الأدب التركى

(١٣) المعرض - الجزء الثانى - السنة ٢ - ك ١ - ١٩٢٦ ص: ١١١ .

الحديث نزعة ثانية ، كان يجد لها صدى عميقا في نفسه . نزعة الى الحرية ،
ونزعة الى هدم التقاليد البالية التي كانت تعوق مجتمعه عن التطور ، فقرأه ،
وأعجب به . ثم لم يلبث أن سعى الى ترجمته ، ولقد كان هذا كفيلا بأن
يستقر السيد على أمر ، ويرجع الى طريقه الذي خطه القدر له . فصار
يدعو دعوة صريحة للقصة . ولكنها هذه المرة ، دعوة فيها العمق ، وفيها
ادراك لما يتطلبه ادخال فن جديد من جهود ، أقلها العمل على ترجمة هذه
الألوان القصصية الحديثة لكبار كتابها ، لكي تكون نماذج صالحة ينسج
القصاصون العراقيون على نسقها ، فيغني الأدب العراقي بفن عاد يشعر بأهميته .
ولم يخف رأيه هذا ، فقد كتب في جريدة الاستقلال عام ١٩٢٧ يقول « هذا
واني أرى من واجب الأدباء عندنا - تمهيدا لادخال القصة والأقصوصة في
أدبنا - أن يعرضوا علينا بواسطة النقل والتلخيص والتحليل نماذج مما شاع
وانتشر منها في الآداب اخصها الآداب الشرقية من روسية ويابانية وصينية
وتركية . فانها تنفق وأذواقنا ولا تكون بعيدة عن نفسياتنا كالقصص
والأقاصيص الافرنجية التي أسرف في نقلها الى أدبنا كتاب لايفقهون^(١٤) .
لقد عرف السيد طريقه وعاد الى ميدانه في روح ، ونظرة ، وثقافة
جديدة ، وبوحى من هذا كتب السيد « جلال خالد » عام ١٩٢٨ ، و « الطلائع »
عام ١٩٢٩ ، و « في ساع من الزمن » عام ١٩٣٥ ، وغيرها من القصص .
فكان أول من حاول كتابة القصة الفنية في العراق ، وكان أول من قادها الى
فجرها . وكان وما يزال أخلص من كتب القصة في العراق لهذا الفن . بذل
لها عمره ، وجهده ، فكان واضع أسس القصة الحديثة في العراق . ويكفيه
أنه كان كذلك ، لكي يحتل هذه المكانة الهامة في تاريخ الادب العراقي
الحديث .

(١٤) مقالة « نزعة من نزعات الادب القصص التركي » الاستقلال العدد
١٠٩٥ السنة ٧ - تموز ١٩٢٧ .

واكتمالا لصورة تطور السيد الفكرى ، والفنى ، نرى أن نقل نصا من حديث له كتبه بعد أن نشر قصته « جلال خالد » تحدث فيه عن المؤثرات التى أثرت فيه ، فجعلته يتجه اتجاهه الأخير ، قال : « فلما ان قرأت هذه القصص الكبيرة الروسية التحليلية « الارض العذراء » لتورغنيف « الجريمة والعقاب » لنستويفسكى و « ابن الطبيعة » لهاتزيباشيف وما إليها ، وهذه الاقصوصات الصغيرة التى أكثرت منها الصحف التركية والصحف المصرية ، وهى لأشهر الكتاب انطون شيكوف وماكسيم غوركى وتولستوى ومن اليهم ، غيرت رأيى ، فقد أتضح لى أن تلك القصص ذوات المفاجآت الرائعة والألوان الساطعة خيالية كاذبة زيفها كاتبوها وعرضوها على الناس فى الاسواق والمكتبات لغاية واحدة هى اكتساب المال . ولست أريد أن أحدثك فى هذا المقال القصير عن هذه القصص أو تلك . انما أريد أن أدعو الكتاب الى البدء بكتابة القصص الشعبية . وأن يحتدوا فى كتابتها الكتاب الروسين هؤلاء . أضف اليهم : أميل زولا وفرانسوا كويه من الكتاب الفرنسين . وأنت تدري أن القصة هى العنصر الأهم من عناصر الأدب العالمى فى هذا العصر وان الادب العربى ما زال محروما منها ، وأن من واجب كل أديب أن يزاول كتابتها ، وأنها يجب أن تكتب لغاية واحدة : تصوير « الحياة الشعبية » لتظهر للعيان الجوانب الكاملة منها والناقصة التى يسعى المصلحون الى اصلاحها . وهذه هى أكبر غاية لمن ذكرت آنفا من الكتاب . وفى محيطنا - كما أعلم الآن - من المواد المهيأة (للكتابة) والقصص مما لا نفاذ له ولا حصر . . . ويسرنا أن يحاول بعض الكتاب المصريين كتابة القصص الشعبية ولكنها ما تزال فى بدء أمرها . لم تنضج النضوج الفنى بعد وان كانت مدعونا الى الاغتراب بها ، ونرجو أن يوفق الكتاب الى اعلاء شأنها ، حتى تبلغ الدرجة الجديرة بها النهضة المصرية^(١٥) . »

(١٥) مجلة الحديث - عدد ٧ - نقلا عن كتاب « محمود احمد السيد » ص :

ولا نرى بعد الذي قدمناه عن السيد ، أننا كنا مخطئين حين قلنا أول
البحث أن السيد لم يكن واضح أسس القصة العراقية فحسب ، وإنما كان
أيضا من المشاركين ، في وضع أسس القصة العربية عامة . بالادراك المبكر
لأهميتها ، وفي هذه المحاولات الناضجة التي كتبها ، والتي قامت على أسس
رصينة غير مرتجلة .

٢

ولم يؤلف السيد من القصص القصيرة في الفترة الأولى من حياته ،
في العشرينات الاثماني قصص تضمنها مجموعته « النكبات »^(١٦) غير روايته
« في سبيل الزواج » و « مصير الضعفاء »^(١٧) ، وليس لهذه القصص القصيرة
من مقومات القصة القصيرة ، الفنية ، غير عدد صفحاتها القليلة . وهي عبارة
عن قصص طويلة مختصرة^(١٨) ، أو أحاديث اجتماعية اتخذت الشكل
القصصي ، وتسرد بطريقة تقريرية جامدة ، وتخلص الى النصائح والمواعظ
والدروس الاخلاقية . وكثيرا ما يستعين الكاتب بالآيات الشعرية يعلق بها
على ما يريد قوله ، على طريقة القصص الشعبي المعروفة . بالإضافة الى ضعف
الاسلوب ، وضعف الحكمة ، وأنت « تقرأه فترى نفسك أمام دفتر من طلاب
المدارس الثانوية . وترى الاغلاط النحوية والاملائية كما ترى ضعف الربط

(١٦) هناك قصة يتيمة تاسعة نشرها في ملحق العراق المسائي - العدد ٤١٦
السنة ٤ - ك ١ - ١٩٢٣ بعنوان « الشبح » ولا يميزها عن قصص
النكبات شيء .

(١٧) انظر في الحديث عن روايته هاتين « نظرات في التيارات الادبية
الحديثة في العراق » ص : ١٠ - ١٣ .

(١٨) تراجع لذلك قصة « صحيفة سوداء في تاريخ اسود » التي استمدتها من
التاريخ القريب الحديث « النكبات » ص : ٦٧ وقصة « الصعود الهائل »
ص : ٢٥ . وأحداث القصة الأولى تقع في تركيا . والثانية في باريس .

الخطأ والصواب

في الكتاب اخطاء مطبعية بسيطة رايانا ان ننبه الى اهمها فيما يلي :

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
بأهداف	بأهداب	١١	١٦
بجمع	بجميع	٤٦	٢٠
بنوبولاصر	نوبولاصر	٥١	٣
فنعماء	ففناء	٧١	١٤
بسبب	بسبب	٨٩	٥
اخمها	اخمها	١٥٣	٩
الجوار	الحوار	١٥٥	٢١
ص : ٨١	ص : ١٨	١٦٨	السطر الاخير
تانت	كانت	١٧١	١١
(٥١)	(٥٢)	١٨٥	١٦
وأخير	وأخيراً	١٨٧	١١
ينسني	يتسني	١٩٦	٨
الحدديثة	الحديدة	٢٠٤	٢٢
بالم	بالمثل	٢٦١	٧
ذون النون	ذو النون	٢٧١	١٠
وقد	قد	٢٨٣	٢١
السابقة	السابعة	٢٨٥	٦
على قتلها	على قتلها	٢٩٠	١
نفسه	نفسه بعد	٢٩٧	١٢
اكثرت	اكثرت	٣١٢	١٢
يشير	ما يشير	٣٢١	السطر الاخير

بين الجملة والجملة والعبارة والعبارة^(١٩) ، • ويتجلى في قصصه هذه روح كئيبة يائسة ، لعلها تعبر عن هذا الاحساس بالخيبة واليأس ، الذي غمر الجيل الجديد في العراق ، نتيجة للأحداث السياسية في العراق التي قادت بلادهم الى غير ما كانوا يرجون ويأملون • وبطل هذه القصص في الاغلب متمرد ساخط على المجتمع ونظمه الجائرة ، يسلك في حياته سلوكا نزيها مثاليا ، لا يفهمه غيره من مواطنيه ، فهو لذلك في نظرهم ، وحشي^(٢٠) ، فيعانسي الفشل والهزيمة ، ويؤمن بأن التقدم في الحياة مسألة (حظوظ) لا مسألة جد واجتهاد^(٢١) ، فيجأ بالشكوى ، ولكن لضعف حاله ، لا يجد من يسمع شكواه^(٢٢) • أو يندفع الى محاولة اصلاح الناس ، فيتحدث في مناسبات مختلفة ، أحاديث اصلاحية ليس فيها غير الطفولة والمراهقة^(٢٣) • وتشير هذه المجموعة بشكل قاطع الى ان الأشكال الفنية للقصة القصيرة لم تكن معروفة لدى السيد آنذاك ، كما أنها لم تكن معروفة لدى غيره من القاصين ، الذين مارسوا كتابة القصة في زمنه هذا ، ومن هنا جاء التخطيط في الأشكال التي عرضت بها هذه القصص ، مما أفقدها كل قيمة فنية •

٣

ومما يلفت النظر ، في مرحلة السيد الثانية ، أنه كان يعود الى قصصه بالتجويد دائما • تجويد جزئي يتناول اللفظة والعبارة ، فيقوم ما يراه حريا بالتقويم ، ويحذف ما يراه حقيقا بالحذف • وتجويد فني ، يعنى بتجويد أشكال قصصه بحيث تلائم تطوره الفني • وهذا هو الذي يفسر لنا أن

(١٩) نظرات في التيارات الادبية الحديثة • ص: ١١

(٢٠) النكبات قصة « أبطال الخمرة » ص : ١١ • وفي القصة خطبة يبين

فيها السيد اضرار الخمر أخذت الصفحات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ •

(٢١) المرجع السابق • قصة « سطران من حكاية » ص: ٤٣ •

(٢٢) المرجع السابق • قصة « قصة الضعيف » ص : ٤٩ •

(٢٣) المرجع السابق • قصة : « ناصح القوم » ص: ٥٨ •

قصصا عديدة ، سبق أن نشرها في مجموعته « الطلائع » عاد ونشرها في مجموعته الأخرى « في ساع من الزمن » (٢٤) . كما أنه عاد الى مضمون قصته المطولة « جلال خالد » أكثر من مرة في كلتا المجموعتين . وقد ذهب البعض الى أن هذا يدل على جذب في مخيلة السيد القصصية ، وان ميله وهواه كان للمقالة الأدبية أكثر من القصة (٢٥) . وصحيح أن المقالة الأدبية كانت تأخذ من نشاط السيد الحظ الأوفر ، ولكن ذلك لا يعنى انه حين كان يعود الى بعض قصصه بالتنقيح والتجويد ، أنه كان يفتقر الى الخيال . فقد كان قارئاً جيداً ، ولم يقف تطوره الفكرى والثقافى . ولذلك كان لا بد له أن يعود الى بعض قصصه ينقحها ويعيد كتابتها ، ويلبسها شكلاً فنياً ينسجم

(٢٤) كما يجب أن يلاحظ أن قصص هاتين المجموعتين ، قبل أن يضمها في كتاب ، كان قد نشرها في الصحف والمجلات . وقد خضعت للتجويد الجزئى قبل نشرها للمرة الثانية .

(٢٥) القصص فى الادب العراقى الحديث ص: ٤٦ . ويستنتج الدكتور جميل سعيد ، فى كتابه « نظرات فى التيارات الادبية الحديثة » ص: ١٧-١٨ من ظاهرة اعادة السيد نشر بعض قصصه فى مجموعة ثانية ، ان نتاج السيد القصصى الذى تضمه مجموعته « الطلائع » و « فى ساع من الزمن » لا قيمة له قال : « وتراه بعد ذلك يبدأ بتسجيل ما يراه من أحداث ولكنها أحداث تافهة . وكأنه يشعر هو بافلاس ايامه من الحوادث ، ولم يعد يرى فيها ما يستحق التسجيل ، فيعمد الى ما سبق نشره عام ١٩٢٩ ، ينقله بالحرف الواحد (!) وقد يعمل فيه قلمه بتحوير أو تبديل يسير ، ويضيف اليه ما يراه فى حياته اليومية ، وينشره فى كتاب « فى ساع من الزمن » . « ولكى يعلل هذا الرأى ، لم يجد غير اشغال السيد فى أواخر حياته ، لوظيفة سكرتير «مجلس النواب» فى بغداد سبباً له . وذلك لان «الحرمان والجهاد كانا وسيطلان معدن الادب . والاديب اذا ما ظفر بالراحة والدعة ظفر بالخمبول والهبوط » . وهكذا قامت دراسته لقصص السيد على استعراض نتاج مرحلته الاولى ، ثم دراسة لقصته المطولة « جلال خالد » واغفال تام لكل نتاج السيد القصصى الآخر ، فى مرحلته الثانية . ونحن لا نوافق على هذا الرأى ، ان لم نكن نقف على خط مناقض له مما يستطيع القارى تلمسه فى البحث .

مع ذوقه الفنى الجديد ، ونظرته الجديدة الى القصة • وهى قصص تصوره هو بالذات ، بكل زخم تجاربه التى شهدت تطوره الفكرى • ولم نره يعود بالتنقيح الا فى الاقل النادر ، لغير هذه القصص التى استمدتها من حياته الخاصة ، أو التى تحكى تجارب قريبة من نفسه حتى لنخالها تجاربه هو بالذات •

ويخيل لنا أن السيد كان يعاني مشقة كبيرة فى صياغة القصة • ولم يكن يتصورها عملا سهلا ، فیدع طبعه يسوقه الى تسويد الصفحات الطوال ، دون احساس بالمسؤولية الادبية والتاريخية ، كما كان دأبه فى مرحلته الاولى • ولعل هذا هو الذى يفسر لنا قلة القصص التى كتبها فى مرحلته الثانية بالنسبة لما كان منتظرا منه • ولقد أخذ على عاتقه مهمة كبيرة هى وضع أسس القصة العراقية الفنية التى تنزع نزعة واقعية ، وكان يدرك عظم المشاق ، وجسامة المسؤولية • فقد كتب الى أحد اصدقائه يتحدث عن كتابه الطلائع يقول : « وما هذه الفصول الا (طلائع) ومقدمات للادب القصصى الواقعى العراقى الذى اعتزمت السعى الى تكوينه ، وأنا بين اليأس والامل ، لان دون هذه الامنية عقبات ، أهمها فقد الحرية الاجتماعية والحرية الفكرية وقلة القراء ... (٢٦) » ولعل هذا الذى ذكره ، وقراءته الواسعة للقصص وتعرفه على جوانبها الفنية الاصيلية ، هو الذى يفسر لنا سبب حذره وتردده فى أن يطلق لفظة القصة على ما كتبه فقد وصف مجموعته « الطلائع » بأنها صور وأحاديث موجزة عراقية وغيرها • و « فى ساع من الزمن » بأنها صور عراقية فقط • وقال فى تبرير كتابته مجموعته الاخيرة « كان حبى للادب والفن يهيب بى - بين حين واخر - ويدعونى الى كتابة صور تمثل حياتنا بأسلوب القصص : الفرع الباسق من « النثر الفنى » الذى نرجو له نموا عندنا

(٢٦) نقلا عن كتاب « محمود احمد السيد » ص : ١١٣ •

وازدهاراً^(٢٧) ، مما يشير الى ادراكه ، أن محاولاته في القصة لم تبلغ أن تكون قصصاً فنياً متكاملات .

وبسبب من انه لم يكن يكتب في فن له جذوره التاريخية في الأدب العربي وأنه كان يحاول خلق القصة العراقية من العدم ، راح يبحث عن أشكال فنية ملائمة لمضامينه ، في القصة الغربية ، وخصوصاً القصة الروسية ، التي تعلق بها . فأخذ يحتذيها ، ويقلدها . فقصة «انقلاب»^(٢٨) ، التي نراها من أجمل قصص مجموعته الطلائع ، تعلق مجلة الحديث عليها بقولها : « . . انقلاب اقصوصة عراقية كاملة ، مكتوبة على الطريقة التحليلية الروسية الواقعية ، صور فيها كاتبها صورة حقيقية من صور الحياة البيئية في بغداد . »^(٢٩) ويشير السيد الى هذا التأثير بصراحة في تقديمه لقصة «سكران»^(٣٠) وان كان يوسع دائرته الى الادب الفرنسي ، فيقول : « وبعد ، فحسبي أن أقول : اني احتذيت أميل زولا ، والكتبة الروسيين أمثال شيكوف وتولستوى في كتابتها ، وهم الأولى ينزلون الى الدركات السفلى من سلم حياة المجتمع الانساني ، فيقتطفون منها المواد لقصصهم ، بدلا عن أن يعرجوا الى الدرجات العليا ، فيثروا للناس الزهور ويخطفوا الابصار بالالوان الساطعة البهية ، فيشغلوهم عن معرفة الحقيقة ، والاهتداء الى الداء الدافين »^(٣١) .

وهذا التصريح من السيد ، يعطينا الحق في أن نتوسع بدائرة القصص التي كان يقلدها وينسج على نسقها . فالقصص التركية التي كانت تسمى ، الى السخرية والتهكم من التقاليد البالية نجد صدى لمضامينها في قصصه . كما أن نزعة محمود تيمور في مرحلته الادبية الاولى ، التي تعنى برسم

(٢٧) في ساع من الزمن . ص:٣ من المقدمة .

(٢٨) الطلائع . ص:٤٦ .

(٢٩) نقلا عن كتاب « محمود أحمد السيد » ص:١٠٨ .

(٣٠) الطلائع ص : ٦٧ .

(٣١) الطلائع : ص:٦٨ .

الشخصيات بدقة ورسم الملامح بواقعية ، واختيار نماذجه القصصية من واقعه ، بحيث أصبح بطله صورة واقعية لانسان يحيا بالفعل فيه ، مما يدل عليه تسميات قصصه في مجاميعه الاولى ، الحاج جمعة ، الحاج شلبي ... الخ^(٣٢) ، نجد صداها في بعض قصص السيد ، ومن هنا كانت قصصه في مرحلته الثانية تخضع ، في شكلها ومضمونها ، لمؤثرات ثلاثة هي القصة الغربية وخصوصا الروسية منها ، والقصة التركية ، والقصة المصرية التي تمثل بصورة خاصة في نتاج محمود تيمور .

على أن هذا يجب الا يقودنا الى تصور أن قصص السيد ، كانت تقليدا محضا يفتقد الاصاله والمحلية . فقد عرف كيف يستفيد من هذه المؤثرات ، واستطاع بوحى منها ، أن يعرض لنواحي المجتمع المختلفة فنجح في قصصه رغم عيوبها الفنية ، في أن يعكس نفسية جيل باكملة ، وان يرسم نماذج من هذا المجتمع بلامحها الواقعية ، وان يعرض لكثير من عيوب المجتمع بالنقد . مما أكسب أدب السيد في هذه المرحلة صفة عراقية أصيلة خاصة ، يفقدها أدب كثير من القصاصين الذين جاؤا بعده ، وكان أدبه نتيجة لتلازمه تلازما تاما مع حياته ، بحيث كن لا يصدر الا منها ، وثيقة صادقة بالغة الأهمية لفترة مضت من تاريخ العراق القريب .

٤

واول ما يطالعنا من قصص السيد في مرحلته الثانية ، المطولة « جلال خالد » . ومن الصعوبة بمكان اعتبارها من القصص القصيرة أو الرواية . فهي ليست برواية تستوفي بعض مقومات الرواية الفنية أو شروطها ، فليس هناك حدث معين أو أحداث معينة فيها بنيت عليها . وهي لا يجازها لا تأخذ من انصفحات الطويلة ما يجعلها تحتل مرتبة الرواية أيضا ، اذا اعتبرنا عدد

(٣٢) نقلا عن محاضرة للدكتورة سهير القلماوي عن نشأة القصة في الادب العربي الحديث القتها في جامعة بغداد . كلية الاداب . آذار ١٩٦٦ .

الصفحات مقياسا نميز به بين الانواع القصصية . كما أنها من الطول ما لا يصح معه اعتبارها قصة قصيرة ، اذ بلغ عدد صفحاتها ثمانى وستين صفحة . ولعل أصدق وصف يمكن أن نصفها به هنا هو ما ذكره السيد عنها فى مقدمته قال : « هذه القصة موجزة . وهى لا يجازها لا تماثل القصص التحليلية الكبيرة ذوات التفاصيل الدقيقة . فأنت تراها أشبه بالمذكرات أو الحديث^(٣٣) » . والواقع أنها ليست أكثر من مذكرات أو حديث ساقها على نحو لا يتجلى فيه فن قصصى . وجعلها فى قسمين ليس من رابط عضوى يربط بينهما . فالقسم الاول منها ، يتحدث فيه السيد عن شاب عراقى اسمه « جلال خالد » لم يطق الصبر على الهوان الذى أصاب بلاده ، بعد الاحتلال البريطانى ، فاعتزم الرحيل ، فسافر الى الهند . وهناك التقى صحفيا هنديا ، من الثوريين الاشتراكيين ، فتعلم منه الكثير من الافكار الاشتراكية ، مما وسع من آفاقه الفكرية ، وجعله يقف على الكثير من القضايا الاجتماعية والسياسية ، التى كان مفهومه عنها مضطربا غامضا عاطفيا . فخرج مفهومه الوطنى من اطاره الضيق الى مفهوم انسانى واسع . وحين عاد الى بلاده ، بناء على طلب من أصدقائه بعد نشوب الثورة العراقية عاد فى روح جديدة ونظرة الى الحياة مختلفة ، وهو يحمل شعورا بأفلاس آرائه وأفكاره الاولى التى حملها بعد الحرب الاولى ، كما يحمل شعورا بعقم الانكباب على المنفلوطى وعبراته ونظراته وخيالات « بعض الادباء العرب ، كما كان يفعل الى عهد قريب^(٣٤) » . وقرر أن يأخذ نفسه بثقيف رصين ، لكي يكون أكثر نفعا لبلاده وأمتة . وفى هذا القسم من جلال خالد ، حادثة غرامية ، حذفها لن يضير الرواية فى شيء . اذ أحب جلال خالد فتاة يهودية بغدادية التقاها فى الباخرة التى أقلته الى بومبي ، ولم يجروا أن يكاشفها بحبه ، ثم افترقا بعد أن رست

(٣٣) جلال خالد . ص: ٢ من المقدمة .

(٣٤) المرجع السابق . ص: ٦٦-٦٧ .

السفينة في الميناء ، ولم يرها بعد ذلك أبدا ، وانما سمع عنها أنها أصبحت بغيا ،
بعد أن نكب أبوها ، وجن خطيبتها الذي كان يرافقها .

أما القسم الثاني من القصة فهو مجموعة من الرسائل تبادلها جلال خالد
مع صديقين له هما أحمد مجاهد و « ك . س » تفصح عن رغبة الاصدقاء الثلاثة ،
في أن يعملوا في سبيل بث أفكارهم الثورية ، لتغيير الواقع الاجتماعي ،
ولكنهم يفشلون . وقد أعاد بناء هذه الرسائل بناء أكثر فنية في مجموعته
« الطلائع » ونشرها بعنوان « مجاهدون » كقصة منفصلة . لذلك سنتحدث عن
مضمون هذا القسم من القصة ، عند دراستنا لمجموعته « الطلائع » فيما سيأتي
من البحث .

وتأتي أهمية « جلال خالد » في نظرنا ، من كونها تقدم وصفا دقيقا
لنفسية شاب من الجيل الجديد في العراق . وهو جيل فتح عينيه على بلاده ، وهي
مكبلة بأصفاد قوات غازية قاهرة ، فلم ير غير الجنود الاجانب تعيث في بلاده
فسادا ، فلم يرض الهوان ، واندفع الى الثورة ، ولكنه حين وجد قواه أعجز
من أن تحقق انقاذ بلاده مما هي فيه من خمول ونقص وشلل وجهل ، عاش
ال فشل ، وانطوى على نفسه ينظر الى الحياة نظرة تشاؤمية حزينة .

وثاني كتاب أصدره السيد في القصة هو مجموعته
« الطلائع » (٣٥) . وتضم تسع قصص هي : الطالب الطريد ص : ٣ ، الامل

(٣٥) « الطلائع » غير خالصة للقصة ففيها احاديث مختلفة وتراجم وتلخيصات
لبعض القصص التركية والروسية والارمنية . فقد تحدث عن قصته
المطولة « جلال خالد » وعرض مضمونها من جديد ، ليبين غرضه من
كتابتها ، ولم يكن هدفه من هذا العرض ما توهمه البعض من أنه
أعاد كتابتها ، ففي هذا العرض من أسلوب المقالة ما فيه . كما أن
المؤلف يوضح غرضه بشكل واضح . (يراجع حول الملاحظة الاخيرة :
« القصص في الادب العراقي الحديث » ص : ٤٦) كما أعاد نشر ما سبق
ان لخصه من قصة البعث ونشرته له الرسالة المصرية الاسبوعية . ثم
لخص بعض قصص رشاد نوري المنشورة في مجموعته المسماة « ضيف
الرب » وترجم بعض أقاصيص أرجمنند أكرم . ثم حلل قصة أخرى
من الادب الارمني .

المحطم ص : ٩ ، ومجاهدون ص : ٣٠ انقلاب ص : ٤٦ ، جماح هوى ص :
٧٩ ، وسكران ص : ٦٧ ، ورسالة هجر ص : ٧٥ ، أو تسهرين ص : ٨٦ ،
وحادثان ص : ٩٥ .

أما مجموعته القصصية الاخرى « فى ساع من الزمن » فتضم ثمانى
قصص هى : بداى الفايز ص : ٥ ، وأبو جاسم ص : ١٧ ، والدفتر الازرق
ص : ٣٠ ، ونكته العمامة ص : ٥٢ ، وعاتكة ص : ٦٤ ، والذكرى ص : ٧٨ ،
ورصاصة فى الفضاء ص : ٨٤ ، وطالب أفندى ص : ٩٤ .

وتشترك المجموعتان فى قصص معينة ، نشرت فى « الطلائع » ثم أعاد
كتابتها ، مع تطوير لها وتغيير لعناوينها ونشرها فى « فى ساع من الزمن » وهذه
القصص هى : قصة « الطالب الطريد » أعاد نشرها بعنوان « أبو جاسم » وقصة
« الامل المحطم » بعنوان « الدفتر الازرق » و « جماح هوى » بعنوان « الذكرى »
و « نكته العمامة » أعاد نشرها دون تغيير لعنوانها .

وهذه القصص التى تشترك فيها المجموعتان سنحاول أن ندرسها دراسة
مقارنة لنستشف التطور الذى حققه السيد من الناحية الفنية ، فى الفترة
الفاصلة بين اصداره لمجموعتيه . فقصة « الطالب الطريد » تتحدث عن شاب
اسمه عبدالعزيز من أبرز صفاته الالباء وعزة النفس يحدثه بحديثه صديق له ،
كان من أقرانه أيام الدراسة فى المدرسة السلطانية العثمانية - قبل احتلال
الجيش البريطانى بغداد - وكان يكره الحكومة العثمانية لأنها جندت أخاه
الكبير ، وأرسلته الى الحرب . وكان أكثر زملائه ايفالا فى معرفة المدينة ،
يعرف شوارعها ، وطرقها ، وبعض بيوتها . وكان بالاضافة الى ذلك يجهر
بما يعتقد ، فقد « كان يعتقد مثلاً أن القبعة العسكرية التى ابتدعتها الحكومة
أيام الحرب قبعة افرنجية محرم لبسها . وأن رباط العنق رمز للصليب . .
ولم يضع القبعة على رأسه حتى آخر يوم من أيام المدرسة^(٣٦) ، وكان يقضى

(٣٦) الطلائع . الطالب الطريد . ص : ٣ .

أغلب أوقاته فى منازعة الطلبة ، مما جعله فى نظر الكثيرين فتى شغباً سىء الخلق • و انتهى الحال به الى الطرد من المدرسة • وكان السبب الرئيسى لطرده أنه تشاجر مع طالب من الطلبة الجدد من أبناء الضباط الذين جاؤا بغداد - آنذاك - اذ عيّرهِ واعتدى عليه فقابله عبدالعزيز بالمثل - وبعد فترة حدث صديقه عن كيفية حدوث النزاع بينه وبين ذلك الطالب ، قال : « غادرت البيت صباحاً وأنا كئيب محزون لان أمى لم يصل اليها كتاب من أخى الجندى مند شهر وبعض الشهر ، واذ كنت أمشى فى الشارع وأبتعد عن البيت فاجأني رجال خمسة من الشرطة يعدون وراء جندى هارب ، وصرخ احدهم : خائن ! قف ! ثم أطلقوا عليه الرصاص فأردوه ، وسقط وهو تعب جريح يلهث وعينه تنظران الى السماء ، وكنت واقفا على قيد خطوة منه أنظر اليه فى لهفة وفرق ، وهو ملقى وقد اصفر لونه وجللت وجهه سحابة من قتر الطريق ، وتشنجت أعصابه من الخوف ، وجاء الشرط يتراطنون يريدون أن يرفعوه ، والتفتوا يبحثون عن حمال يحمله الى مخفرهم ••• وكان نياط قلبي متقطعاً من الألم ، وأعرضت عنهم صامتا وقد قتلت فى كل همة ، وخشيت أن يكون هذا المصير مصرى - فى الغد - اذا ما طالت مدة الحرب القائمة ، ودعيت كما دعى أخى الى خنادقها ، فأرتعدت وتملكنى الحنق واليأس معا ، ولحظت أن الشمس تملأ الأرجاء نورا ، ففهمت اننى تأخرت عن موعد الدرس الاول ، وكنت أمشى مدفوعاً بقوة خفية فما انتبهت الا وأنا على باب غرفة صفى ، وكانت مغلقة •• فطرقت الباب طرقة خفيفاً لم يسمعه المعلم •• وتم أنت تعلم ماذا أجاب بعد أن طرقت الباب مرة ثانية وحاولت الدخول ، أو لم يقل لى : أخرج ، أخرج ، اندفع يا حمار ! أو كنت حماراً فى اسطبل أبيه ؟ وكنت كما رأيتى حين خروجكم من الصف نائراً مهتاجاً ؟ واذ كنت أمضى الى قاعة الماء وأنا شاعر بالظماً وجفاف الفم ، لقينى ذلك النذل فلاغانى ثم كان من الامر أن لكتمته كما رأيت ساعة أقبلت علينا ، وماذا كان يجب على أن أفعل ؟ وسحقاً للمدرسة

بعد أن ينالني من هؤلاء أذى! ...» (٣٧) وتنتهي قصة «الطلائع» هنا • ولكن السيد يعود إليها ويتحدث «في ساع من الزمن» عن مصير عبدالعزیز هذا ، الذي انتهى إليه أخيراً • فقد قاده أباه وعزة نفسه إلى السجن • ذلك أنه بعد طرده من المدرسة ، هاجر إلى البصرة واشتغل هناك عاملاً في شركة أجنبية • وحدث أن انتهره رئيسه الأجنبي ، يوماً ، وشتمه ، وأهانته لأنه أخطأ في عمله بعض الخطأ • وكان رئيسه هذا «شخصاً مخيفاً بين العمال ، خشن الطباع ، شرساً» (٣٨) • فما كان منه إلا أن طعنه بمديّة ، فجرّحه ، ولم يصب منه مقتلاً • فسجن • ولم يأبه لما صار إليه ، بل كان يرى عمله سبباً من أسباب التفاخر بالجرأة والشجاعة وكان يكرر قوله مراراً «ليتّه كان من أبناء أمتنا أمثالي ، اذن والله لما جرّحته ، لما جرّحته» (٣٩) • ويخلص السيد في ختام قصته إلى ما يريد قوله في قصته هذه «••• والعبرة ليست فيما حدثتكم ، بل فيما أرى عند هذا العبد العزيز الذي لقبوه في السجن بأبي جاسم كما يلقب العراقيون عادة فتیانهم ذوی «الاریحیة» والنجدة والشجاعة ، مجرمین كانوا أو غیر مجرمین ، من فلسفة القوة والامل والتفاؤل والاستهزاء بصروف الحیاة؟» (٤٠) ولقد كان جديراً بلقبه هذا ، فقد «كان شريفاً من قبل ، شريفاً من بعد ، ورب مجرم معذور؟ ، فاما أنه كان فقيراً وسوف يغدو كما كان ، فما في الفقر من عيب • وما ضاعت حياة من كان مثله اباة وعزة نفس •••» (٤١) •

والقصة فاشلة فنياً ، صيغت بأسلوب سردي تقريري ، ولا يمكن اعتبارها

(٣٧) المرجع السابق • ص : ٧-٨ • و «في ساع من الزمن» قصة «أبو جاسم» ص : ٢١-٢٢ • مع بعض التغير البسيط الذي لا يغير من جوهر النص الذي نقلناه •

(٣٨) في ساع من الزمن ص : ٢٧ •

(٣٩) المرجع السابق • نفس الصفحة •

(٤٠) المرجع السابق • ص : ٢٨ •

(٤١) المرجع السابق • ص : ٢٩ •

غير حديث من الأحاديث، أو صورة من الصور القصصية ، يغلب عليها روح المقال أكثر من روح القصة . وقد حرص السيد على ان يقدم فيها نموذجا انسانيا ، استقاه من الحياة الواقعية . على أن أبرز ما فيها ، وما تستحق بسببه أن تحسب لها ميزة ، هذه الصور الصادقة لبعض مظاهر الحياة أيام العثمانيين ، والتي وفق السيد في تصويرها ، وهذه الدقة في عرض بعض النوازع النفسية الدفينة ، التي نراها متغلغلة في نفوس بعض العراقيين ، والتي تنعكس على تصرفاتهم وسلوكهم ، وهذا التمجيد لصفات فيها النجدة والشجاعة ، والعزة والاباء ، مما بدأنا نفتقد الكثير منها عند العراقيين اليوم ، والتي كانت فيما مضى ، من أبرز ما يتصف بها ، أهل العراق . وربما نجد في هذه الصفات الانسانية الخلقية ، والتي يبدو ان السيد كان يعجب بها ويشيد ما يبرر له العودة الى هذه القصة ، لكي يستكمل ملامح الصورة التي رسمها ، ويتم أبعادها على نحو متكامل ، لا يعدم تأثيره في نفوسنا لما فيه من دقة وصدق ، في رسم نموذج انساني ، يعيش الحياة فعلا .

أما قصة « الأمل المحطم »^(٤٢) فهي تحكى فترة من حياة السيد الاولى ، وتقدم نموذجا انسانيا واقعيا ثانيا . وهذا النموذج الذي تقدمه هذه القصة يعكس نفسية ابناء جيله من الذين فتحوها على مثل جديدة ، وأمل واستبشار بالحياة ، وبنهضة بلادهم ، وتقدمها ورقيا ، ابان الاحتلال البريطاني للعراق . ثم ما كان من شعور بالخيبة واليأس الذي هيمن على نفوسهم ، حين رأوا سلطات الاحتلال ، تجهز على كل أمل من آمالهم ، عندما سيطرت على كل شيء في البلاد ، واغلقت منافذ الحرية التي كانوا يتطلعون اليها بشوق عاطفي ، فلم يطبقوا الصبر على الذل والهوان الذي أصاب بلادهم . وبطل قصته « الأمل المحطم » على غالب يذكرنا بجلال خالد ، بطل قصته المطولة ، ان لم يكن هو

(٤٢) الطلائع . ص: ٩

نفسه في فترة سابقة ، من حياته • كان في الثامنة عشرة من عمره عند الاحتلال البريطاني ، حلو السمائل ، عصبى المزاج ، من أسرة معروفة بنزعتها الدينية وميل أبنائها الى طلب العلم • وقد دهش الفتى من عظمة البريطانيين ، فاندفع بحماس قومي عاطفي الى العمل في سبيل القضية العربية • وحين أصبح معلماً بعد تخرجه في مدرسة المعلمين « كانت دروسه التي أنشأ يلقيها واسطة لبث الدعاية للقضية » (٤٣) • ولكن حصاده كان الفشل فقد « كان مخطئاً ، كان يحسب أنه سيخلق التلامذة على غراره ، فاذا به يراهم لاغين متشاغلين عنه ، يحسبونهم يقص عليهم قصصاً يفكهم بها ، ويقتل أوقاتهم » (٤٤) • وكان حصاده الفشل أيضاً ، في كل ما اعتزم القيام به من أعمال مفيدة نافعة لبلاده • استقال من وظيفته ، وأراد الانخراط في إحدى الجمعيات السرية التي كانت تعمل للاستقلال ، فلم يفلح • وكان نتيجة ذلك آلاماً نفسية هائلة أجهدته ، فعزم على الرحيل الى الحجاز لكي يعمل في سبيل القضية العربية • وكان ما دفعه أكثر من غيره الى التفكير بالرحيل ، هو ما حدث له يوماً حين خرج للتنزه ، اذ مر « به جنود سكارى فركله واحد منهم ، فسقط على الارض وكاد يغمى عليه •

قال : « آ ؟ أبلغنا هذه الدركة الهاوية من الذل ؟ كلا ، حرام على أن أتسم نسائم العراق بعد اليوم • ولأهجرن بغداد كما هجر الاندلس أبنائها عقيب أن فتحها الافرنج ••• » (٤٥) وسافر الى البصرة ، وهناك سرق اللصوص دراهمه ، فوجد نفسه بلا مال ، فاضطر الى أن يعدل عن خطته ويعود مستسلاً الى بغداد •

تلك فترة من حياة علي غالب ، صورها السيد بأسلوب سردي تقريرى ،

(٤٣) المرجع السابق • ص: ١١

(٤٤) المرجع السابق • نفس الصفحة •

(٤٥) المرجع السابق • ص: ١٦

يطلق فيها لقلمه العنان في أن يسرد ما يريد ، دون ادراك لفنية القصة او تقنياتها ، ولذلك غلب روح الحديث عليها . ولكنه رغم ذلك وفق في رسم نفسية علي غالب رسما دقيقا ، كما وفق في تصوير أفكاره ومشاعره ، وأثر ذلك كله في سلوكه وتصرفاته . على أن السيد عاد بعد ذلك الى هذه القصة ، فصاغها صياغة جديدة رائعة في قصة « الدفتر الأزرق » من مجموعته « في ساع من الزمن » . وطور فيها مما جعلها أقرب الى القصة الفنية الحديثة منها الى الاحاديث القصصية التي رأينا سماتها فيما عرضنا له من القصص حتى الآن . وبدأ قصة الدفتر الأزرق ، من فترة متأخرة من حياة علي غالب . فيها هو ذا في عام ١٩٣١ ، موظف في ديوان الحكومة في العمارة ، برم بوظيفته ، شغوف بالادب ، ينظم الشعر الذي كرسه في غرض واحد هو خدمة الفلاحين والشباب حتى أن الذين كانوا « يعرفون ابن غالب من الموظفين وغيرهم يلقبونه جادين أو هازلين بشاعر الفلاحين والشباب ، لانهم كانوا يعلمون أنه كان ينظم الشعر فيما يجب أن يكون من أغراض الشباب في يقظته ، وفي الحث على تحقيق نهضة الفلاح واصلاح حاله ، وان لم يكن ينشر منه شيئا .. » (٤٦) وكان يحس الوظيفة قيدا يحول بينه وبين ما يريد تحقيقه ، فصمم على الاستقالة ، والسفر الى بغداد حيث يصدر صحيفة تنقل أفكاره وآراءه الاصلاحية . وقد جمع من أجل هذا الغرض مبلغا من المال ، اعتقد أنه يكفي ويزيد . جمعه بعد أن قتر على نفسه تقيرا حرمة كل المتع الصغيرة التي يحتاجها امثاله . واستلم على غالب ، كتابا من الحكومة تعلمه فيه بأنه قد أعفى من خدمتها اجابة لطلبه ، فيعود بأفكاره الى ماضيه ، حياته الاولى ، فيسرد السيد هنا ، ما سبق ان قصه علينا منها في « الأمل المحطم » على نحو مكثف . وحين يعود الى بغداد ، يصدر صحيفته الادبية فعلا ، لكنها سرعان ما تغلق « اذا اتهمت بعد صدور العدد السابع منها بالزلزل عن الخطة الأدبية المرسومة

(٤٦) في ساع من الزمن . ص: ٤٢

لها • • • (٤٧) ويخسر معظم ما يملكه من مال في مشروعه هذا • فيتحول اتجاه تفكيره ، الى اتجاه ثوري ناقد ، يبثه في شعره الذي كان ينظمه • وينتهي بعد عناء فكري طويل الى أن النظام الاجتماعي في العراق فاسد • ولكن ما كان يؤرقه هو « كيف يغيره ؟ كيف يستطيع تغييره على عجل لأصلاحه على ما يريد ؟ وهل نسي أو تناسى كيف ماتت صحيفته في مهدها فتلاشت كصبيحة خافتة في عواصف الرياح » (٤٨) • وكان أن انهار فلم يعد يحتمل ضغط أفكاره واحساسه المتفاقم بالخيبة والفشل • فهرب من المدينة متخفياً وعاش في كوخ في ضاحيتها • وكان مصيره أخيراً مستشفى المجانين • وهكذا « انطفأت شمعة كانت تضيء » (٤٩) ولم تخلف وراءها سوى ديوان شعر مكتوب في دفتر أزرق •

ان مأساة على غالب ، في الدفتر الأزرق ، هي صورة مجسمة مبالغ فيها بعض الشيء ، لمحنة فئة من المثقفين العراقيين من ذوي الاحساس المرهف والوطنية المتقدة • وكأنها تجسيم لمأساة السيد نفسه ، حين لم يحصد في كل حياته غير الخواء ، وغير الموت السريع ، فانطفأ كما تنطفىء شمعة كانت تضيء • ان مجتمعا « أخذت تسوده طبقة تلي المادة على كل مثل ومعنى ، وتعبد العجل الذهبي ، فكادت تنحل فيه الروابط الأدبية الانسانية بالتنازع على الحطام » (٥٠) نفس المجتمع العراقي آنذاك ، لا يمكن أن يجد فيه أمثال على غالب ، غير الفشل المقرون بالآلام النفسية التي ينوء بحملها كاهل انسان • ورسم السيد في قصته هذه نموذجاً واقعياً ، استقاه من بيئته ومجتمعه • وقد أدان من خلال رسمه لهذا النموذج هذه البيئة وهذا المجتمع • ورغم ان بطله

(٤٧) المرجع السابق • ص: ٤٣

(٤٨) المرجع السابق • ص: ٤٨

(٤٩) المرجع السابق • ص: ٥٠

(٥٠) المرجع السابق • ص: ٤٣

هذا كان مثاليا يشير الشفقة ان لم نقل السخرية ، لكنه كان نموذجا انسانيا صادقا لا يزال العراق يحتضن أمثاله .

ولعلنا نستطيع أن نلمس تطور التقنية الفنية في قصص السيد ، بشكل أوضح ، حين نقارن بين « جماع هوى » و « الذكرى » . و « جماع هوى » تحكى قصة طالب شاب ، يسكن الموصل * كان متعلقا بأستاذ من أساتذته « فذ مفرد بمذهبه الاجتماعي ، يعتقد المذهب المادى الذى كان الدكتور شبلى شميل من أول الدعاة اليه فى الشرق العربى »^(٥١) يسافر الى حيث يقيم خاله وأسرته فى قرية صغيرة على شاطئ الفرات ، بعد أن أغلقت المدرسة الثانوية أبوابها ، فى العطلة الصيفية * وهناك يلتقى ابنة خاله ، ولم يكن قد رآها منذ ثلاث سنوات ، فيحس بمشاعر غريبة تجاهها . ثم لا يلبث أن يعرف أنه يحبها . فحاول التقرب منها . فوجد استجابة واستسلاما منها حين قبلها . ولكن ذلك كان آخر عهده بها فقد عزم على ترك البيت فجأة وآب الى الموصل دون أن يبين السيد الأسباب . كأنما كان يريد القول ان الفتى ، ما كان يريد لنفسه أن ينساق مع رغباتها ، التى أحسها بتبغى أكثر من القبلة ، وهو الذى يحتفظ لخاله وزوجه بأكبر التقدير والاحترام . وكان ختام القصة أن الفتى حال وتغير ، وانصرف عن أفكار أستاذه الأولى . « وأضحى لا يقرأ من الكتب الا الأفاصيص الغرامية »^(٥٢) . ولم يكن يدري ما اذا كانت خيبته فى حبه ستنتهى الى التوفيق فى يوم من الأيام .

تلك هى مادة قصة « جماع الهوى » التى نشرها فى الطلائع ، فلنرى كيف تناول السيد هذه المادة من جديد فى « الذكرى » . فهذا هو الشاب نفسه ، ولكن بعد ان تخرج فى مدرسة الحقوق ، وصار له شأن فى الحياة . أرادت له أسرته الزواج على الطريقة التقليدية ، فنزل عند ارادتها . « وفى اليوم

(٥١) الطلائع . ص:٥٧

(٥٢) المرجع السابق . ص:٦٥

السابق ليوم الزفاف، أقبل على دفاتر مذكراته يطلس ويمحو منها ما كتب عن حوادث
عرامه ومعاشقه حتى حينه ذاك ، وكانت كثيرة بالنسبة الى ما يحدث لأمثاله
من أبناء جيله ، • وفيما كان يجمع هذه الأوراق وآخر غيرها ، وخصلا من
الشعر ، والهبات المختلفة ، مفكرا في أن يلقي بها في النار تطهيرا لنفسه من
آثار ماضيه ، واستعدادا لصلة ، بل حياة جديدة في ظلال الشريعة القاهسة
والقانون ، سقطت من بينها صورة صغيرة حائلة اللون ، كأنها كانت منزوية
متخفية على استحياء ، فتناولها صامتا ، وقلبها بين يديه ، وحينئذ عادت الى
ذاكرته أيام حبه الاول في الحياة •• كانت الصورة صورة ابنة خاله و داد فقد
ذكرها •• ^(٥٣) ويأخذ السيد بسر ما سبق أن حكاها لنا في قصة « جماح
هوى » مع تركيز أكبر وحذف لما شعر أنه حشو وإطالة لا ضرورة لها • ويتم
حدثها • فبعد فراقه لها ، جاءه نعيمها بعد أشهر قليلة ، اذ هلكت بمرض
التيفو • « فجر عليه هذا الحادث ، بل هذا المصاب شرا وعذابا ، أديا به الى
تشاؤم ويأس ألقيا به في أحضان اللذات الرخيصة ، والخطايا ، فعبث بهذه
وبهذه ، ولهى بتلك وتلك » ^(٥٤) • ثم « عاد الى الصورة يضمها الى صدره ،
ثم فاضت عيناه بالدموع •

وسرعان ما ألقى بجميع ما احتوى صندوق ذكرياته في نار الموقد ، غير
أسف على شيء منها ، ولكنه أبقى على صورة و داد ، لأنه رأى فيها شبح صباه
الظاهر كله الذي تولى بما كان فيه من حب طاهر ، لم يعرف مثله من بعد ،
ولا بد له من المحافظة على ذكره •

وكان المساء فغابت الشمس في آفاقها ، وشجبت أنوار النهار • ودق في
تلك الساعة طبل من طبول الأفراس التي أقيمت لزواجه ، ولكنه لم يكن
مستبشرا ولا فرحا بما كان مقبلا عليه •

(٥٣) في ساع من الزمن • ص: ٧٨-٧٩

(٥٤) المرجع السابق • ص: ٨٢

وأرقته في ليلته ، تلك الذكرى . . . (٥٥)

ونرى في هذه القصة دليلا واضحا ، على تطور السيد من الناحية الفنية وتطور تقنيته . فهذه الطريقة بالرجوع الى الماضي ، التي سبق أن استخدمها في دفتر الأزرق ، من الطرق القصصية الفنية ، وهي طريقة جميلة ، وفق السيد فيها توفيقا كبيرا . كما ان شكل هذه القصة ومضمونها متلازمان تلازما وثيقا ، بحيث يمكن القول انها بنيت بناء فنيا متكاملا . ونحسب أن هذه القصة تقدم دليلا آخر على ما قلناه سابقا ، من ان السيد لو أمتد به العمر ، ولم تنطفئ شعلة حياته سريعا لاستطاع أن يكتب في القصة نتاجا متطورا ناضجا .

و « حادثان » لا يمكن اعتبارها من القصص ، بأي حال من الاحوال . فهما حادثان من الحوادث التي يكثر وقوعها في المجتمع ، ويتحدث عنها الناس في مجالسهم وليس للسيد من فضل فيهما غير فضل الصياغة . والحادثة الاولى « نكتة العمامة » وصفها بانها « من حوادث بغداد قبل خمسين سنة (٥٦) » . وتحكى خبر رجل كان في عمامته لطحخة سوداء لم يفتن اليها ، فنبهه أحد اصحابه اليها ، قائلا أن وسخا أو سخاما على رأسه . فانتفض من مجلسه وذهب الى بيته ، ولم يلبث أن عاد بعد قليل . فاستغرب صاحبه منه أن يرى السخام لا يزال موجودا ، فنبهه من جديد . فنهض مرة أخرى ، وذهب الى بيته ، ثم عاد . وحين كرر صاحبه تنبيهه للمرة الثالثة ، انفجر في وجهه صارخا ، ويك لم تبق الا أمي العجوز . لقد فهم الرجل أن صاحبه يقصد حين كان ينبهه الى السخام الذي في عمته أن شرفه قد دنس ، فنحر زوجته وأخته . وقد عاد الى هذا الخبر في « في ساع من الزمن » . ونشره بالعنوان نفسه (٥٧) . ولكن صاغه بأسلوب جديد . فقد تحدث عن اجتماعه وجمع

(٥٥) المرجع السابق . ص: ٨٣

(٥٦) الطلائع . ص: ٩٥

(٥٧) في ساع من الزمن . ص: ٥٢

من أصدقائه باحدى المستشرقات في فندق من فنادق بغداد . وكان النقاش الذي جرى بينهم يدور حول عادة القتل غسلا للعار ، التي كانت المستشركة تسمع عنها . وقد جرى النقاش على نحو علمي موضوعي ، مما أفقد القصة كل قيمة فنية . وقد أورد السيد الحكاية السابقة ، بعد أن طلبت منه المستشركة أن يحكى لها ما يعرف من أمثال هذه الحوادث لتكتب عنها بعد عودتها الى بلادها .

أما الحادثة الثانية « نعمة وحش » (٥٨) . فهي حكاية كان قد أوردتها في قصة « جلال خالد » (٥٩) ووصفها بأنها من حوادث العراق في الربع الاول من القرن العشرين ، وتحكى خبر شاب من قبيلة معينة ، هتك عرض أمه رجل من أهل احدى القرى المستضعفة ، فما كان منه الا أن انتقم لشرفها بأن « هتك عرض فتاة بكر من فتيات القرية وفعلت عصابته بامرأة أخرى - مثل ما فعل - بعد أن حلقوا شعر رأسيهما وكادوا يمزقونهما طعنا بالخنجر والمدى ، ثم آبوا الى دارهم آمنين » (٦٠) .

ويبدو ان غرض السيد من نشره لهاتين الحادثتين ، هو التنديد بهذه القيم والتقاليد المترسخة في العراق ، التي تؤدي الى القيام بأعمال فيها الفظاعة والوحشية .

وقصة « مجاهدون » التي نشرها في « الطلائع » ، سبق ان تناولها السيد أيضا . فمادتها القصصية تشكل القسم الثاني من قصته المطولة « جلال خالد » كما ذكرنا سابقا . وقد كتبها في « جلال خالد » على شكل رسائل كان يرسلها بطل القصة أحمد مجاهد الى صديقه جلال خالد . أما هنا فقد صاغها صياغة جديدة ، وطرح مضمونها من خلال حديثه عن حياة بطلها

(٥٨) الطلائع . ص: ٩٧

(٥٩) جلال خالد . ص: ٥٧

(٦٠) الطلائع . ص: ٩٨

أحمد مجاهد ، الذي استقر موظفا ، صغيرا ، في بلدة عراقية . وهذه القصة من القصص التي استمد السيد مادتها من حياته الخاصة ، وتعرض رغباته ومطامحه في العمل الوطني والخدمة العامة ، في الفترة التي شهدت تطوره الفكري ، في العشرينات . ويذكرنا بطلها ، في ملامحه العامة ، بعلي غالب ، فهو موظف أيضا ، ويضيق ذرعا بوظيفته ، ولا يألف جو القرية الجامد الكالح ، ويفكر في جمع مبلغ من المال أيضا لاصدار صحيفة تعبر عن آرائه . ولكنه هذه المرة لا يسعى الى هدفه وحيدا ، فهناك مجموعة من الأصدقاء تشاركه السعي . وغرضهم جميعا ، هو الجهاد في سبيل وطنهم . ولكنه جهاد يدور في مخيلتهم ولا يتحقق عملا . فهم يصممون على العمل في سبيل الوطن وقضاياه ، ويصممون على اصدار صحيفة تعبر عن آرائهم الاصلاحية ، ولكنهم لا ينفذون مما يعزمون شيئا . وكانت نقطة التحول الكبيرة في حياتهم ما أدركه جلال خالد^(٦١) أخيرا . ان مجرد التفكير في العمل لا يعنى العمل نفسه ، فيكتب الى أحمد مجاهد يقول : « ماذا يجب على عليك وصحبنا الاقلين أن نعمل بعد اليوم ، اننا كنا وما نزال نفكر في صحيفتنا الميتة قبل أن تولد ، ولكننا ان لم نستطع نشرها فهذه الصحف أممنا الا نستطيع أن نكتب فيها ، ألا نستطيع أن ندعو الى تحرير الفلاح ؟ غدا سأرسل الى من أعرف من الطبقة المستتيرة المخلصة دعوة للاجتماع وسأطرح على بساط البحث منهجا جديدا للعمل . . . »^(٦٢) ولكن نتيجة الاجتماع كانت الفشل أيضا ، فقد كتب في رسالة أخرى الى أحمد مجاهد يقول : « اجتمعنا فلم نرسم خطة . ولن نقدر على ذلك . ولم يبق لدينا بعد خيبة الامل من

(٦١) يذكر السيد اسم جلال خالد في هذه القصة كما ورد في قصته المطولة

ويعنى نفسه بالتأكيد .

(٦٢) الطلائع . ص : ٤١

مثل أعلى للعمل فالونوب . . . ، (٦٣) وكانت تلك هي النهاية . شعور باليأس والخيبة يشل الحركة منهم .

وهناك أربع قصص في المجموعتين هي ، « رسالة هجر » و « أو تسهرين » و « عاتكة » و « طالب أفندي » يصور فيها السيد البغايا من النساء . ويحسن هنا قبل التحدث عن هذه القصص ، الإشارة الى أن السيد لم يكن متأثراً في اختياره لبطلات قصصه بالنزعة الرومانسية التي ترى فيهن ضحايا لنظم اجتماعية قاهرة ، أفقدتهن طهارتهن ، كما ظهر عند دراستنا لقصص الكتاب الذين تأثروا بالرومانسية في الباب الثاني . فقصص السيد هذه تسودها نزعة واقعية ، لم تكن ترى في هؤلاء النسوة ضحية للمجتمع ، وبالتالي لم تسع الى إثارة عواطف الرحمة والشفقة عليهن . فقد اختار نماذجه من واقعه ، وصورهن كما هن في هذا الواقع أو كما يراهن هو ، عابثات ، منحطات الاخلاق ، لا قيم مثلية تحكم تصرفاتهن ، مستغلات للرجل يعبثن بعواطفه . ويبدو انه كان مسوقاً لهذا نتيجة نزعة الواقعية ، ونتيجة نظرية خاصة لهؤلاء النسوة ، عمق منها نزعة دينية متأصلة في أغوار نفسه .

ففي قصة « رسالة هجر » يتحدث السيد عن رجل يعود الى بيته وهو عاقد العزم على كتابة رسالة هجر الى صاحبتة ، يقول في بدايتها « أخطاؤك - أنت وحدك ياسيديتي - التي اضطرتني الى العزوف عنك والتخلص منك على عجل ، وأنا الرابع الآن » ، (٦٤) . وفي ذهنه تنثال ذكرياته ، عن أول تعرفه بها ، وتصرفاتها تجاهه ، التي جعلته يتخذ قراره الاخير . فقد كانت تخدعه ، في كل تصرفاتها ، وكانت تريد أن تحصل منه على أكبر مبلغ من المال ، ولم تكن مخلصه له .

(٦٣) المرجع السابق . ص: ٤٤

(٦٤) المرجع السابق . ص: ٧٥

وفى « أوتسهرين » حديث يجرى بينه وبين صديق له ، يحدثه فيه عن نهاية علاقته مع احدهم • ويذكرنا بطل قصته هذا بما يملكه من صفات فيها الرجولة والاعتداد بالنفس ، بطل مجموعة « ذو النون أيوب » الثالثة « صديقى » • والمرأة التى يتحدث عنها هذا الصديق بنى بروحها ، ولكنها كانت تتظاهر بالعفة أمامه • ورغم أنها تعلقت به فانه لم يكن يحبها حباً خالصاً ، وكان رأيه فيها يتلخص فى هذه الكلمات التى قالها : « الغريب فى هذه الامرأة أنها تفخر بأنها راقية ، متعلمة تحسن الأدب ، ولكنها لا تحسن عملاً الا مهنتها العادية الخلو من عناصر الفن العالى والا استدراج الرجال بغية استلاب أموالهم » (٦٥) • وكان صلفها ، وكبرياؤها دافعا له لاهاتها • فقد كانت كبيرة فى السن ، ولكنها لم تكن تعترف بذلك • لذلك عزم على الانتقام منها بأن يستغل هذه الناحية • فأخذ ينتقد هزائها ، وشعرها ، وعينيها الغائرتين • ثم أشعرها أنه يعرف أنها ملك للآخرين • فقد سألها عن أحد أصحابها • فأجابته بأنه لا يتردد عليها • « وأعقب ذلك سكوت ، وسكون كسكون الرمس فى الصحراء • وكنت أقصد بتذكيرها بصاحبها أن تفهم انها امرأة بنى طالما تمتع بها الرجال • فعلام التظاهر بالعفة • • » (٦٦) وكان ذلك آخر عهده بها •

وليس فى هاتين القصتين جمال فنى ، بل ان فيهما من برود السرد ، ونضوب المشاعر الانسانية ، وجفاف العاطفة ، ما اعدمهما أى تأثير فى نفس القارىء أو أية قيمة فنية • على أن قصة « عاتكة » من مجموعته « فى سماع من الزمن » قصة انسانية جميلة • وتحكى خيبة أمل رجل فى امرأة كان يحبها • وتقنية القصة متينة متطورة • مما حققه السيد فى أواخر حياته •

(٦٥) المرجع السابق • ص: ٩١

(٦٦) المرجع السابق • ص: ٩٣-٩٤

فهذا الضابط صالح بن أرشد تأتيه رسالة من عاتكة المرأة التي كان يحب • ولم يكن قد رآها منذ أربع سنوات ، حين كان زوجها قد هجرها وطلقها • وهو يذكرها سيدة طاهرة عفيفة على املاق • وقد فارقتها مرغما « اذ سيق وكتيبة الجيش التي كان يعمل فيها هناك ، الى الجبال الكردية ليحارب العصاة الخارجين على الدولة •• » (٦٧) • وفي اليوم التالي يذهب اليها في المكان الذي حددته له • وهناك كانت الصدمة ، لقد جاء يحدوه أمل في أن يجدد حبه ، ولكنه اكتشف أن حبيته تلك لم تعد غير امرأة ساقطة ، تعرف دالتها عليه ، فأرادت استغلاله • فكان أن تراجع يحمل حزنا هائلا في قلبه • ولقد رآها بعد ذلك « سافرة حاسرة ، سكرى ، جالسة في سيارة ، تفحش القول وتفهقه ضاحكه بملء شديها ، وجنبها ثلاثة رجال سكارى يصفقون ويفنون غناء كالصراخ والعواء • وقبلها أحدهم في غير ما خجل ولا حياء •

وحينئذ أدرك صالح أن المرأة أضحت غير التي كان يعهدها ، وأنها الآن غريبة ، فليس الى الابد ذكرها • ورائته ، فأخرجت له لسانها ، فأشاح بوجهه عنها •

وهناك ، في الجادرية ، على الشاطيء جلس يرنو الى الافق البعيد ، وقد تفرق صحبه في الغابة ليصيدوا الطير ، مفكرا ثم بكى •• » (٦٨) •

وقصة « طالب أفندي » لم تكن بتصوير هذا النمط من النساء بل عرضت لنموذج انساني واقعي ، أراد به المؤلف أن يصور تفسخ القيم في المجتمع العراقي • فطالب أفندي « ملا مشهور ، من الذين يكتبون لرؤساء القبائل • وكان واسطة عقد الصداقة بين بعضهم والحكام السياسيين البريطانيين أيام الاحتلال • متشاعر من المدرسة القديمة » (٦٩) • جاء بغداد

(٦٧) في ساع من الزمن • ص: ٦٥

(٦٨) المرجع السابق • ص: ٧٦-٧٧

(٦٩) المرجع السابق • ص: ٩٤

أملًا في أن يحصل على وظيفة أو يظفر بكرسى في مجلس النواب « فحلقت
لحيته واعتاض عن عمامته البيضاء السدارة ، وعن ثيابه العربية وعباءته الثياب
الافرنجية » (٧٠) . يلتقي في الفندق الذي يقيم فيه راقصة أجنبية معروفة
بادمانها على المخدرات ، ومهددة بالطرد من البلاد في أى لحظة ، فكان طالب
أفندي صيدها الأخير . وفي القصة نزعة ساخرة ، ورسم دقيق لهذا النموذج
مما يحلها في مكانة جيدة ، بالنسبة للادب الواقعي . وقد استمد السيد مادتها
من مجتمعه الذي يزخر بالمتناقضات والذي انحلت قيمه وسادت فيه فئمة ، لم
يكن رصيدها بأكثر من الانتهازية السياسية والاستخذاء أمام المستعمرين .

و « انقلاب » من مجموعته « الطلائع » تتجه بأسلوب السيد اتجاهها آخر ،
اذ ينحسر فيها السرد المباشر والتقرير انحصارا بينا . وتركز على ناحية واحدة
من نواحي الحياة ، ويظهر فيها تلازم تام ، بين الشكل والمضمون . وهذا
الاتجاه في قصص السيد اتجاه غير أصيل ، فقد كتبها وهو واقع ، تحت تأثير
تقليد بعض نماذج القصص الروسي كما أشرنا سابقا . ومن هنا حققت نجاحاً
فنياً متطوراً ، لا تبلغه قصصه الأخرى . وهي تتناول صفحة من حياة انسان ،
في مكان وزمان معين . فأما المكان فغرفة في بيت عراقي ، وأما الزمان فهو
يوم الجمعة ٢٠ نيسان . . . والوقت ظهراً . يعود بطل القصة الى بيته ، فيجد
كل شيء كما تركه . « فالفراش مهمل غير مغطى ، وثيابه التي كان قد نضاهها
عنه مبشرة ملقاة على الأرض ، وأدوات الحلاقة لا تزال في طاسها تعلوها رغوة
من الصابون » (٧١) . وتدخل زوجه عليه وهي فرحة ، وتخبره أنها أعدت
له سمكا . فيحسق . ثم يقول : « لن آكل السمك لانني لم
أرده طعاما لي اليوم . . . ولست بمنفل فانك لا تدخلين المطبخ فتعانين مشقة

(٧٠) المرجع السابق . ص: ٩٥

(٧١) الطلائع . ص: ٤٦

طبخه من اجلى ، ، وقام منصرفا عنها ، فخطي خطوتين الى جهة المنضدة ،
 فرأى فى كأس الماء طاقة من الزهر البهيج ، فلم يحفل بها ، وشعر بأنه يأسف
 لضياعتها فى هذه الغرفة المهملة ، كما شعر برغبة قوية فى أن يلتفت الى زوجه
 فيخرج لها لسانه ! . . . (٧٢) ولكنها كانت قد غادرت الغرفة (٧٣) ، ثم يلفت
 نظره دفتر مذكراته ، ويخطر له أن يكتب فيه شيئا ، ولكن ما أراد كتابته
 حين تأمله وجده سخيلا لا يستحق الذكر ، فليس فيه غير ما يجرى كل يوم
 بشكل رتيب ، وتأتى اليه زوجه وتخبره أن الطعام معد ، فيتتهرها ويلوم نفسه
 لانه لم يعد يكتب مذكراته ، ولكنه حين يعود الى ما كتبه يدرك أنه
 دفتر لكتابة التوافه « وهل أنا الا رجل أهملته الحياة فى هذه الزاوية من
 الارض ، فعاش عيشة الدواب (٧٤) ؟ » وتأتى الخادم تنبهه الى الطعام من
 جديد ، فلا يعيرها انتباها ، فيأكل القط الطعام ، فلا يهتم ، ولكنه لا يلبث أن
 يشعر بالأسف حين رأى زوجه تهم بالبكاء فقد « كانت الحادثة مؤلمة لها
 حقاً ، كذلك أدرك ، لانها تعبت كثيرا فى طبخ السمك ، ولا شك من أجلها
 ومن أجله ، وان كان يكرهه ، (٧٥) » ثم نهض الى الطعام ، ولكنه لم
 يستطع أن يأكل فعزم على ان يتناول طعامه فى مطعم من المطاعم ، وألقى
 نظرة على دفتر مذكراته فحسبه شخصا يعاديه ، وقبل أن يخرج من البيت
 اقتطع منه كل الوريقات المكتوبة ، وعندما بلغ المطعم أقبل عليها يتلوها واحدة
 بعد أخرى فرآها - من أولها الى آخرها - خلوا من المعنى حتى صفحة
 سره ، فمزقها وهو يتناول الطعام وحين خرج من المطعم تنفس

(٧٢) استعمل السيد هذا التعبير فى هذه القصة وفى قصة « عاتكة »
 للدلالة على الاستهزاء والسخرية .

(٧٣) المرجع السابق . ص: ٤٧

(٧٤) المرجع السابق . ص: ٥٤

(٧٥) المرجع السابق . ص: ٥٥

الصعداء ، وكان يمتلكه شعور كالذى يمتلك أحدنا ساعة يسره نبأ بعد ان يحزنه نبأ^(٧٦) ، وذلك كان انقلابه •

ومثل هذه القصة ، فى قدرتها على التحليل قصة « سكران » وقد وقع السيد حين كتبها ، تحت مؤثرات أجنبية مباشرة أيضا ، واعترف فى المقدمة التى قدم بها هذه القصة أنه احتذى فيها « أميل زولا والكتبة الروسين أمثال شيكوف وتولستوى »^(٧٧) • ولذلك اختار بطله من هؤلاء الذين يعيشون فى الدركات السفلى من سلم المجتمع الانسانى • ففى غرفة صغيرة من غرف نزل حقير معد للغرباء فى الميدان كان يسكن قاسم أفندى ، وهو شاب قصير نحيف تحسبه لنحافته وقصر قامته صيبا • كان يسكر ، وكان مزهوا فرحا يفكر فى هذه الامرأة ، التى عرفها قبل اسبوعين فى « المحل العام »^(٧٨) « وما على أن أفعل ؟ لقد وقعت فى شركى ، فلا تمنع نفسى عنها اسبوعا على الاقل ، ولا أظنها ستستطيع الصبر ، فترسل الى رسلها ورسائلها ترى ، وسأظل ممتعا حتى تبر بوعدا ، حتى تعطينى الاربعة ربية التى أردت ••• »^(٧٩) وكان يشرب ويفكر ، حتى غدا ثملا ، ثم جاءه خادمها ومعه رسالة منها ، كتبها أحد كتاب العرائض ••• يا حبيبى ليش هكذا زعلان ؟ تركتني بعد أن عرفتك وجئتى ست مرات ، واننى وحق رأسك لا ليلى ليل ولا نهارى نهار ، أبكى وعينى على الطريق ، فارحم ••• الخ ،^(٨٠) فضحك ضحكا سخيفا ، وأخبره الخادم أنها مهتاجة تبكى وتنتظر جواب رسالتها • وناول الخادم « ربية » طلب منه أن يبتاع

(٧٦) المرجع السابق • ص: ٥٦

(٧٧) المرجع السابق • ص: ٦٨

(٧٨) الجامع لدور البغاء فى بغداد آنذاك •

(٧٩) المرجع السابق • ص: ٦٩

(٨٠) المرجع السابق • ص: ٧١

له بعض النقل ، وأراد أن يتجرع كأسه فلم يستطع . وتذكر أن الطبيب
نصحه بترك الخمر لانه مسلول ، وادمانه عليها يؤذيه ، فغضب . وأخرج
ورقة الدواء وهو مصمم على تمزيقها ، أخرجها ولم يفتحها ، وكان بين
طياتها ورقة نقد قيمتها عشر « ربيات » هي و « الربية » التي أعطى الخادم
أيها كل ما بقي لديه من راتبه ، فمزقها ولم يدر أنه كان يمزق معها
دراهمه التي ادخرها لايامه الثمانية الباقية من الشهر ، ثم أرمأها وهو
يخاطب نفسه بلسانه المتعثر الثقيل :

« مسلول . . مسلول . . لا تشرب ، يقول ابن الكلب ، يعنى اننى
يجب ان أقتل نفسى بعيدا عن السرور واللذة . وعلم الله انه كاذب ، ولو
كنت مريضا لما أحبنى النساء وعشقتنى » (٨١) . ثم بكى اذ تذكر فاقته
السابقة يوم غادر قريته وهجرها الى بغداد بحثا عن العمل ، والوظيفة .
ووجده الخادم بهذا الحال حين عاد ف « وقف يغالب الضحك متعجبا
ساخرا ، ينظر الى القطع الممزقة من ورقة النقد المشورة حول المائة
ويتمنى أن يبصق فى عينه !! » (٨٢) .

هذه هى قصة « سكران » ونراها غريبة على طبع السيد ، وان كانت
جيدة من الناحية الفنية . وفيها ما لمسناه فى « انقلاب » من قدرة على تببع
مشاعر البطل ، وتحليل دقيق لانفعالاته النفسية على نحو يشحب فيه السرد
التقريرى الذى ألقناه فى قصصه الاخرى . والواقع ان هذه القصة وقصة
« انقلاب » تحمل تابشير اتجاه جديد فى القصة الواقعية العراقية ، برز
بشكل واضح بعد الحرب العالمية الثانية فى كتابات القصاصين . ونموذجه
واقعي فعلا ، مما هو موجود فى الحياة . واذا كان السيد قد وقع تحت
تأثير الأدب الروسى ، وقصص الطبيعيين من الكتاب ، الذين يمثلهم أميل

(٨١) المرجع السابق . ص: ٧٣

(٨٢) المرجع السابق . ص: ٧٤

زولا ، فإن هذه القصة قد وفقت في ان تصور واقع فئة من الناس ، في المجتمع قد لاتعرف عليه النظرة السريعة .

وقصة « رصاصة في الفضاء »^(٨٣) ليست أكثر من صورة أو مشهد جرى أمامه في أحد مرافق بغداد ، ونقله نقلا أميناً صادقاً ، لشاب كان قد فصل من وظيفته بسبب اشتراكه في المظاهرات الوطنية التي جرت عام ١٩٢٨ . يغلبه السكر فتقد حميته الوطنية ، ويطلق عدة رصاصات في الهواء تؤدي به الى السجن .

ولا يبقى لدينا من قصص المجموعتين ، غير قصة « بداي الفايز »^(٨٤) وقد أرجأنا الحديث عنها لاهميتها . فهذه القصة من القصص القليلة في الأدب العراقي الحديث التي عرضت للريف ، وصورت عاداته وتقاليده ، وهي بالاضافة الى ذلك قصة انسانية جميلة فيها اشراق العبارة القصصية ، ودقة التصوير لأجواء الريف ، وحسن الحبك . و « بداي الفايز » بطل القصة فتى طويل القامة مفتول الساعدين ، آدم اللون ، يشترك مع أبناء قبيلته في تلبية السدود أمام نهر الفرات الغاضب . وكان رؤساء القبائل يدورون حول الفلاحين يشجعونهم ، ويضربون المقصر المتخلف منهم عن صحبه بالعصي والسياط . وقد أصابت « بداي » ضربة عصا كما أصابت غيره ضربات . ولكن « بداي » الذي كان شاذاً في قبيلته في بعض خلاله ، قوى الشكيمة ، عزيز النفس ، معتزاً بقوة جسمه ، لم يحتملها ، فوقف

(٨٣) في ساع من الزمن . ص: ٨٤ .

(٨٤) المرجع السابق . ص: ٥ . وقد نشر السيد هذه القصة اولاً في عام ١٩٢٩ . في جريدة الوطن (بدل الاستقلال) العدد ١٨-٢٧ مايس ١٩٢٩ . ثم عاد ونشرها قبل ان يضمها لمجموعته هذه في الرسالة في ١٥ يوليو سنة ١٩٣٥ ، كما يشير في هامش الصفحة (٥) من مجموعته « في ساع من الزمن » .

يتمتم متظلما في شبه ثورة وعصيان^(٨٥) . وقد بهت الرئيس من تصرفه ، وأراد أن يضربه من جديد . ولكنه عدل عن رأيه ، وأنشأ يرميه بما هو عند القبائل شر من ضرب العصا وأنكى . فقد عبره بجبنه لانه لم ينتقم لآخيه اذ قتله جسام من أبناء القبيلة المجاورة . فعلى غضبه ، وشعر أن حياته أضحت عبئا ثقيلا عليه . « لم يكن راضيا بالعار الذي خلع عليه هذا الحادث منه جلبابا أسود ضافيا . لم يكن ساكنا عن حقه والنار في القبائل كالدية ، حق . على أنه لم يربدا من التريث حتى تنجلي هذه المصيبة التي حلت بالقبائل الفراتية كافة ، مصيبة الفيضان . فكان من المروءة تركه وشأنه ، أما وقد سبق السيف العذل ، فعيّر أمام الناس ، فلا كانت الحياة ان لم يشار وينتقم^(٨٦) . . . » فصمم على قتل جسام تلك الليلة . وكانت قرية جسام على الضفة الأخرى من النهر ، فعبر إليها في زورق . وفيما هو يشرع في تنفيذ ما عزم عليه ، ويسدد بندقيته الى غريمه ، اذا بالمياه تفجر من ثلمة حدثت في السد ، وتفرق كل شيء . فوقف بدأى مبهوتا ، يتأمل الفاجعة ، في دهش وتألم . « وكانت نفسه ساكنة هادئة بعد أن أفلتت فريسته منه ، وأحس شيئا يتمزق في جوفه ثم استيقظ في نفسه شعور غريب جديد ، هو غير الشعور بالضراوة والرغبة في الانتقام والنار . وذهل عما جاء من أجله^(٨٧) ، وحين رأى جسام ، في وضع محرج ، يكافح من أجل انقاذ أسرته ، أقبل يعينه ، وحمل أحد أولاده الى مكان أمين . ثم عاد بدأى الى قبيلته مرجئا نأره الى حين « ساكنا هادئا ، فخورا بالفعللة التي لم يفعل مثلها أحد قبله ، اذ أنجد أسرة حين لم يكن له من انجادهما بد واستحيا لأجلها ، ولو الى حين ، نفسا

(٨٥) المرجع السابق . ص: ٨

(٨٦) المرجع السابق . ص: ٩

(٨٧) المرجع السابق . ص: ١٣

ما كان لها الا أن تموت^(٨٨) . . . وبعد عام ، رجع جسّام الى أرضه ، بعد انجلاء الغمة . وجاءت رسله الى بداي يسعون بينهما بالصلح « ويحملون دية القتل مالا وامرأة ، وهى أخت القاتل ، فتزوجها بداي ، زواج «الفصل» على سنة القبائل الموروثة وتقاليدها . ولم يعد أحد يجرؤ ، بعد ذلك ، أن يعير الفتى بأنه نام عن ثأره نوم الجبان الذليل^(٨٩) . . .

ويحمد للمؤلف أنه ساق بطله الى هذا الموقف الانساني ، واذا كان هذا الموقف يتناقض مع ما عرف من قيم بدوية قبيلة ، فان تصور استحالة حصوله أمر لا مبرر له .

٥

وهناك قصص أخرى ، نشرها السيد في الصحف والمجلات العراقية ، ولكنه لم يضمها لمجموعته الأخيرة . وهذه القصص لا تبلغ درجة قصصه الاخرى ، التي كتبها في مرحلته الثانية ، من حيث الاهمية ، ما عدا قصة واحدة . ولعل ذلك هو سبب اهمالها من قبل السيد ، وتركها نهبا للضياع . والقصة الاولى « ثورة على أبيه^(٩٠) » ، كتبت على شكل رسالة يعيئها ابن لايه البخيل ، الذي وقع في حب فتاة صغيرة ، تزوجته طمعا في ماله . وقد غير هذا الزواج سلوك الأب تجاه ابنه مما جعل الابن يفكر في الرحيل ، والانفصال عنه .

(٨٨) المرجع السابق . ص: ١٦

(٨٩) المرجع السابق . نفس الصفحة .

(٩٠) الحاصد العدد ١٥ - السنة ١ - آيار ١٩٢٩ ص: ٦ . وقدمها بقوله « هدية من الكاتب العراقي الى صديقه القاص المصري الكبير : (محمود تيمور) » .

والثانية « شكوى »^(٩١) ، كتبت بتقنية جيدة ، فالراوي ينتظر صديقا له من المحامين في مكتبه ، فيتأخر عليه ويلتقى في المكتب شيئا يحاول أن يرفع شكوى على زوج ابنته ، الذي طلقها لأن خادما سرق ابنه ، فأضاعت الأم رشدها ، ولم يعد الزوج يطبق رؤيتها بعد فقد ابنه . وقيمة هذه القصة في طريقة تناولها ، وفي هذا الاعتناء في رسم ملامح الشيخ ، حتى ليبدو السيد مصورا فانا ، حرص على أن يجلي معالم الصورة ، بحيث لا يترك صغيرة أو كبيرة في الشكل الذي يرسمه دون أن تبين .

أما الثالثة « عبداللطيف بك »^(٩٢) ، فقصّة عادية ، غريبة على طبع السيد من حيث المضمون ، إلا أنها تم عن تمكنه من صياغة القصة الحديثة . وتحكى قصة طبيب متفرنج ، يحب أرملة لا تبليه ما يريد . وفي حفلة راقصة تنكر الأرملة بزى ثان . يلتقيها فيولع بها وهو لا يعرفها لتكرها فكانت تلك تجربة عرفت بها حقيقة عواطفه ومشاعره ، وفي اليوم التالي تلخص رأيها في حب الرجل ، انه يحب بعينه لا بقلبه ، أما المرأة ، فانها تعشق بقلبه .

على أن « شهامة »^(٩٣) ، يمكن اعتبارها من القصص الجيدة ، ولا نرى مبررا للسيد في اغفالها ، وقد أهداها الكاتب أيضا الى محمود تيمور ، فقد قدمتها الصحيفة التي نشرتها بقولها « أفصولة عراقية ، مهداة من كاتبها الى القاص المصري المجيد الاستاذ محمود تيمور بك » ويتضح في هذه القصة تأثير محمود تيمور في السيد بشكل بارز . ففيها اعتناء دقيق ، يلفت النظر في تصوير أبطاله . وهو تصوير لا يتناول مشاعر هؤلاء الأبطال وحدها على نحو تحليلي ، لسناء في قصة « انقلاب » و « سكران » ، بل يمتد الى أزيائهم ،

(٩١) البلاد - العدد ١ - السنة ١ - ٢٥ ت ١ - ١٩٢٩

(٩٢) البلاد - العدد ٢ - السنة ١ - ٢٧ ت ١ - ١٩٢٩

(٩٣) البلاد - العدد ١٥ - السنة ١ - ٢٦ ت ٢ - ١٩٢٩

وحر كاتهم وملامح وجوههم ، وتشف هذه القصة عن سخرية رفيقة ، لاتنسجم مع اتجاه السيد الجاد الذي ألفناه في قصصه الأخرى .

وتألف هذه القصة من ثلاثة مقاطع . ففي المقطع الاول ينصرف السيد الى رسم أبطاله . وهؤلاء الأبطال ثلاثة من الناس البسطاء ، يجتمعون فسي خمارة يسكرون . وفي المقطع الثاني يجري السيد فيما بينهم حوارا يدور حول تمجيد صبي يبلغ الخامسة عشرة من عمره ، قتل أمه لأنه رآها ورجلا غريبا عنها في « المسافر خانة » بالميدان^(٩٤) . ويتابع السيد في هذا المقطع من قصته تأثير الحديث عن الصبي في احدهم ، وهو صفوت بك محمد ، وقد غلبه السكر ، فأحس أن هذا الحديث تعريض به لأن له ابنة أخت تكسب رزقها من مورد خفي ، لم يحرص فيما مضى ، على أن يشغل نفسه بالتفكير في مآناه . فثارت دماؤه ، واندفع الى بيته ، يطوح به السكر ، عازما على قتلها . وفي المقطع الثالث ، نرى صفوت بك ، بعد نصف ساعة ، في بيته . لم يستطع التحمل ، وشعر ان عليه أن ينظف بيته . . فتناول سكيناً ، لكن زوجه ، تدرك غرضه فتصرخ ، ويأتي الجيران على صوت صراخها . ويفلح أحدهم في أخذ السكين من يده ، وهو يسب ويشتم ويردد تهديده . . ثم ينام . ويختتم السيد قصته بالطريقة البديعة التالية ، التي تبرز فيها سخرية لاذعة « واذ حل اليوم التالي لم يذكر صفوت بك مما حدث له في الليلة الماضية ، في الحانة وداره ، الا رسوماً مبهمه كالظلال راحت تمحوها يد النهار المسفر شيئاً فشيئاً . وفي هذه القصة تبرز قدرة السيد على تحليل المشاعر الانسانية الدقيقة ، التي كما يظهر لم ينتبه اليها فلم يستغل هذه القدرة استغلالاً تاماً في قصصه الأخرى ، فيما خلا قصتي « انقلاب » و « سكران » اللتين أشرنا اليهما .
وإذا كان لنا من كلمة أخيرة ، في قصص السيد في مرحلته الثانية ،

(٩٤) المنطقة التي توجد فيها دور البغاء في بغداد قديماً .

نختم بها دراستنا له ، فهي أن هذه القصص بحكم كونها محاولات رائدة ،
لاتخضع لشروط القصة القصيرة الفنية ، ولا تنطلق من ادراك كامل لمقوماتها .
ولذلك كان من التحكم تطبيق هذه المقاييس عليها . فقد صدرت عن طبع ،
لاشك ان صاحبه ذو موهبة لاتنكر ولكنه لم يتقيد بقيود الشكل الفني ، ومن
هنا كانت بعض قصصه لا تتناول صفحة واحدة من حياة انسان أو تصور جانباً
منها بل تمتد فتحكى حياة كاملة ، مما يجعلها أقرب الى أن تكون قصصاً
مطولة منها الى أن تكون قصصاً قصيرة . ولكنها صيغت بأسلوب متين رصين ،
ينم عن تمكن المؤلف من اللغة وقدرة على استعمالها . وقد حقق المؤلف فيها ،
مالم يحققه كثير من القصاصين ، حين صور ورسم نماذج انسانية في هذا
المجتمع ، وعكس كثيراً من عاداته وتقاليده ، بأسلوب فيه الصدق والحرارة
لأنها كانت كما يقول مؤلفها في وصف مجموعته « في ساع من الزمن » :
« لم تقبس الا من حياتنا الواقعة . ولم تنقل الا عن الحوادث الجارية من
حولنا ، في موطننا هذا « في ساع » وأيام قريبة أو بعيدة مضت « من زماننا »
هذا ، دع عنك ما يحيط بها ويرقعها من غلائل التصور وشفوف الخيال^(٩٥) .

(٩٥) في ساع من الزمن . ص : ٤ من المقدمة .

أنور شاول

(١٩٠٤ - ٠٠٠٠)

١

يرجع اهتمامنا بأنور شاول ، بحيث أفردنا له دراسة منفصلة ، لا لقيمة قصصه من الناحية الفنية ، وإنما لأنه كان من أوائل الذين مارسوا كتابة القصة في العراق ، ومن أوائل الذين أدركوا أهميتها وسعوا لانتشارها ، وترسيخ جذورها في هذا القطر . سواء بما كتبه في القصة ، أو بما ترجمه منها ، أو بما حرص عليه من تشجيع وحث على كتابتها منذ أصدر مجلته الحاصد ابتداء من عام ١٩٢٩ ، حتى انه أعلن عن استعداده لدفع بدل نقدي لكل من يكتب قصة يرسلها للنشر في مجلته^(١) . وبذلك يكون لأنور شاول

(١) نشر أنور شاول في العدد ١٥ من مجلته السنة ٣ - ت ٢ - ١٩٣١ ص : ٥ اعلانا نصه « تشجيعا للقصة العراقية وتنشيطا للكتاب العراقيين الناشئين أو الذين هم على أهبة النشوء ، يسر الحاصد أن يعلن انه مستعد لان يدفع عن كل قصة عراقية ترده للنشر بدلا يتراوح بين ٣ ، ١٠ ربيات » وقد قال في تعلييل هذه الخطوة في العدد نفسه ص : ٢ « الكاتب اليوم مهما بلغ به شغف الكتابة والنشر لابد وأن يطالب بشمرة مجهوده الفكري ، هذه الحقيقة من جهة ، وضرورة تشجيع القصة العراقية المتأخرة من جهة أخرى كانتا العامل الذي دفعنا الى أن نذيع باننا نرحب بالقصص العراقية . وندفع بدلا عنها لكتابها . » ويختتم دعوته بقوله : « ان أمام القصصي العراقي النابه أفقا بعيدا ، وفضاء لامتناهيا يجري مع الايام والليالي ، باستطاعته أن يغترف منه ما يشاء فالى السعي معنا في سبيل ترقية الفن القصصي ندعو المفكرين والمفكرات من أبناء البلاد » .

فضل الريادة ، وفضل لفت أنظار المتأدين الى هذا الفن ، بحيث تجرأوا على الكتابة فيه ووجدوا في صفحات مجلته صدرا رحبا ، أفسح لخطرات ونفثات أقلامهم مجال الظهور . والواقع ان نتاجه في القصة الذي جمعه ونشره عام ١٩٣٠ في « الحصاد الاول^(٢) » ، ذو قيمة تاريخية كبيرة . فبالإضافة الى أن زمن كتابة هذه القصص مبكر نسبيا ، وأنه يعكس بعض ملامح القصة العراقية وخصائصها في زمنها ، فان قصصه بما كتب لها من الذبوع والانتشار، قد ألقت ظلالها ، وطبعت بطابعها وخصائصها العامة ، نتاج عدد كبير من مراهقي الكتاب ومستجديهم ، الذين تحدثنا عن خصائص وصفات قصصهم، حين عرضنا لمضامين واتجاهات القصة بين الحريين . ومن هنا أصبحت دراسة قصص هذه المجموعة هي في الوقت نفسه دراسة لصفات قصص هؤلاء القصاصين وخصائصها وترسم بالتالي ملامح جانب بارز من جوانب القصة العراقية .

على أن تأثير قصص أنور شاول كان منحصرأ بهذا العدد من صغار الكتاب ، ولم يتعد الى أكثر منه . وبذلك كان تأثيره في خلق الأدب القصصي المتطور ضعيفا ، في العراق ، ان لم نقل معدوما لما اتصفت به قصصه ، من سذاجة ، وافتعال ، وتكلف رغم قدرة صاحبها اللغوية ، ومثانة تعابيره . ولقد كان نتيجة للمؤثرات التي تحدثنا عنها سابقا ، أن خطت القصة العراقية خطوات كبيرة في طريق تطورها ، بعدما تفتحت أمام الكتاب العراقيين آفاق من الفكر أرحب ، وبعد تعرفهم على القصة الغربية الحديثة سواء أكان ذلك عن طريق الترجمة ، أم عن طريق مباشر . فلم تعد محاولات كاتب مبتدى ، كمحاولات أنور شاول ، يتخبط في معرفة طريقه ، نماذج صالحة ، لكي تترك

(٢) يضم الحصاد الاول احدى وثلاثين قصة ، كان قد نشرها في الصحف قبل جمعها . وطبعه في بغداد عام ١٩٣٠ .

أنرا يسهم في تطوير القصة العراقية نحو استكمال خصائصها التي عرفت بها
في نزعها الواقعية .

وان يكن أنور شاول ، من اوائل الذين اهتموا بالقصة فاننا لا يمكننا
أن نعتبره من الكتاب الذين أسهموا في وضع أسس القصة العراقية الحديثة ،
كما اعتبرنا السيد من قبل . فبينما كانت محاولات السيد في القصة محاولات
أصيلة ، تصدر عن مجتمعه ، وتعنى بتصوير ملامحه ، بحيث غدت وثيقة
بالغة الأهمية لفترة من تاريخه ، ونراها تهتم في الوقت ذاته بالبحث عن
أشكال فنية ملائمة ، فيما تعرف عليه السيد من ألوان قصصية أجنبية ، كان
تاج أنور شاول يخضع بسهولة كبيرة في التأليف ، وارتجال ، ونضوب
موهبة ، بحيث فقدت أي تأثير في نفس قارئها ، وصدرت عن طبع لم يلمس
أدواء هذا المجتمع ، ولم يتعرف على مناحيه . وان كان ، فانه لم يوفق في
تصويره . حتى ليخيل الى القاري ، انها تصدر عن انسان لم يعيش هذا
المجتمع أو أنه لم يكن بأكثر من مراقب غريب ، استرعت انتباهه ، مظاهر
الأشياء ، ولم يستطع أن ينفذ الى عوامل المأساة الحقيقية التي يزخر بها
المجتمع . أو أنه - بحكم ظروفه الخاصة - لم يكن يستطيع أن يتحسس ما
في المجتمع من عورات وعيوب ، ومن هنا لم يستطع أن يصورها تصويراً
صادقاً .

وعلى أنه كان ينطلق ، في كتابة القصة ، من مفهوم متطور لها لا يخضع
لمفهومها الأول ، الذي كان سائداً في الفترة الأولى من العشرينات ، والذي
عكسته روايات الغرام والمغامرات وروايات جبران والمنفلوطي ، فقد ذكر في
مقدمة حصاده الأول ، وهو يناقش دعوى من يرى أن الجو العراقي لا يصلح
لتكوين القصة ، لأنه لايسهل علاقات حب تقوم بين حبيبين : « ان القصة
لا تقوم على القبلات الحارة يتبادلها العشيقان ، أو على لواعج الهوى يشها

الحيبان فحسب ، انما تستمد عناصرها من المجتمع بما فيه من عادات وتقاليد ومبادئ وأخلاق وآداب وبما فيه من نقص أو انحطاط أو ارتباك أو غير ذلك مما يستلقت نظر القصصي ويستدعيه للإصلاح^(٣) ، ، فانه لم يحقق مفهومه هذا في قصصه تحقيقا تاما ، وظلت قصصه تمس سطح الحياة ، دون أن تنفذ الى أعماقها .

ومهما يكن من شيء ، فان الباحث قد يجد بعض العذر له فانه كان يحاول محاولات مخلصه ، في أن يكتب في فن لم يكن له وجود حق ، في بيئته . وهي محاولات لم تخل من متاعب وعقبات ، أوضحها في مقدمة حصاده الأول اذ قال : « ان حصادي الاول هذا لم يخل من متاعب وعقبات ، لأنسى لست سوى أحد القصصين العراقيين الذين يحاولون خلق القصة العراقية من العدم ، لست سوى « كشاف » أمهد الطريق لهذا الضرب من الأدب اليانح الذي أصبح له من سيطرته في عالم النشر مقام سام . وفضل لاينكر . وبديهي أن ألقى بعض الصعوبة في انتقاء الحوادث لقصصي ، اذ ليس مجهولا لدينا ان مجتمعنا مازال ضمن حدود ضيقة ، وأن الحرية الفكرية ما زالت في أفق أعتم وأن الجمهور لم يتعود استماع قارص اللوم ومر الانتقاد يفرغه الكتاب القصصيون في صلب قصصهم ، ومع هذا وذاك فان التجارب القصصية التي قمت بها ما هي الا خطوة أولى في هذا السبيل^(٤) . ولقد كانت خطوة أولى فعلا لم تنجح في وضع أسس للقصة العراقية الحديثة ، كما نجحت محاولات السيد القصصية ، لكنها كانت عاملا محفزا للعديد من المتأدبين أن يدلوا بدلوههم ، ويمارسوا كتابة القصة ، مما رسخ من كيان هذا الفن في المجتمع العراقي ، وأحل القصة في المكانة اللائقة بها في دنيا الأدب .

(٣) الحصاد الاول - ص:٦ من المقدمة .

(٤) المرجع السابق . ص:٤-٥ من المقدمة .

ذكرنا سابقا ، أن أنور شاول بدأ كتابة القصة في وقت مبكر نسبيا ، فقد نشر أول قصة له عام ١٩٢٤ ، في مجلة « المصباح » التي كان يرأس تحريرها ، وهي بعنوان « العاشق الغادر^(٥) » . وتتصف هذه القصة بصفات وخصائص قصص الفترة الأولى من العشرينات . فهي تفرق نفسها بالتعبير الانشائية المحفوظة ، التي لا قيمة لها في مجرى الحدث ، وتدخل ضمن قصص المضمون العاطفي الساذج الذي تحدثنا عنه سابقا . وتحكي قصة فتاة اسمها لطيفة كانت تنتظر حبيبها «عزيز» الذي تأخر عليها ، في الأعظمية حيث كان الناس يصطافون آنذاك . وحين يأتي تحس أنه تغير ومن ثم تدرك أنه « لم يكن الا مخادعا كذوبا لعب بلبها كما لعب من قبلها بكثيرات من بنات جنسها^(٦) » . فنكتب له رسالة طويلة تؤنبه فيها، وتخبره أنها ستسلوه وتساء . وبعد مرور شهرين على ارسال هذا الكتاب كان عزيز يمر بلطيفة وعلى وجهه ملامح الندم الشديد فكانت هذه تنظر اليه نظرات السلو والنسيان كأن ما حدث لها معه لم يكن الا حلما من الأحلام^(٧) ، وأهمية هذه القصة تأتي من كونها أول محاولة ينشرها أنور شاول في القصة . وهي مع سذاجتها ، تحدد طابع قصصه عامة ، فانه ان كان قد تخلص من ركة التعبير في قصصه اللاحقة ، فهو لم يتخلص من سذاجة المضمون الذي طرحته هذه القصة .

(٥) نشرت هذه القصة في العدد ٢٩ ، ٣٠ من المصباح السنة ١ نوفمبر ١٩٢٤ . ولم يذكر أنور شاول اسمه الصريح وانما ذكر أنها لمحرر المصباح . ومحرر المصباح هذا كما هو موجود على صدر الصحيفة هو ابن السمؤال . وابن السمؤال كما يكشف عن هويته عبدالرزاق الحسنى في كتابه « تاريخ الصحافة العراقية » ص ٨١ . ط ٢ . هو أنور شاول .

(٦) المصباح - العدد ٢٩ - السنة ١ - ٦ نوفمبر ١٩٢٤ ص:٧

(٧) المرجع السابق . العدد ٣٠ . ص:٨

وبعد هذه القصة ، ينقطع أنور شاول ، عن كتابة القصة أو ينقطع عن نشرها على الأقل ، حتى عام ١٩٢٧ إذ أخذ ابتداء من هذا العام ينشر في صحيفة « العالم العربي » كل أسبوع قصة من قصصه التي ضمها أخيراً لحصاده الاول . والقصة الاولى التي نشرها في العالم العربي رجع بها لذكرياته عن الحرب العامة الاولى ، ولم يضمها للحصاد الاول . كما لم يضم القصة التالية التي نشرها في هذه الصفحة . وتكشف القصة الاولى « في حصار الكوت - من حوادث الحرب العامة »^(٨) ، عن ولع أنور شاول الخاص ، بالحوادث الفاجعة البارزة ، وبإخفاء نهايات معينة يفاجئ بها القارىء ، وهي نهايات لا تنمو من الحدث تلقائياً . ففي عام ١٩١٦ ، إبان حصار الكوت ، وبعد أن هدأت دمدمة المدافع ، يخرج شيخ عجوز للبحث عن طعام لاحتفاده الصغار ، فيعثر على كيس محكم الربط ، بعد أن كاد يأس ، قرب مطحنة ، فيحمله الى بيته وهو يظن أنه كيس طحين . وحين يصل الى البيت ، يندفع رجل اليه ، ويطعنه بمدية ، ويسرق الكيس . ولم يكن هذا المعتدى غير واحد من الجياع ، الذين لم يتيسر لهم الحصول على الطعام . وحين يصل السارق الى بيته ، يكشف أن الكيس لم يكن كيس طحين ، وإنما كان من الأكياس الرملية المستعملة في الحرب لإقامة المتاريس .

وتشبه هذه القصة في تفاهتها ، قصته الثانية « ذكريات من حوادث الحرب العامة »^(٩) وهي قصة أراد لها أن تكون إنسانية . وتحكى قصة صديق من أصدقائه الإنكليز ، كان يراه كثيراً مهموماً على السدوم . وفي ذكرى الهدنة شاهده ينخرط بالبكاء فجأة ، ثم يأخذ يقص عليه فاجعته . أربعة أخوة له قتلوا في الحرب ، وأبوه وأمه ماتا حزناً عليهم . وخطيبته الحبيبة اشتركت في

(٨) العالم العربي . العدد ١١٣٦ - السنة ٤ - ٢٥ ت ٢ - ١٩٢٧

(٩) العالم العربي . العدد ١١٤٢ - السنة ٤ - ٢ ك ١ - ١٩٢٧

الحرب أيضا لتضمد الجرحى ، فكان أن أصابتها رصاصة طائشة أردتها
قنبلة . وفي القصة تمجيد للاستعمار الانكليزي واعجاب به ، فهو يخاطب
صاحبه الانكليزي في ختام القصة ، ولكن أتم الانكليز قد فتحتم العالم ،
فيجيبه صاحبه : نعم ولكن بدماء رجالنا ونساتنا .

ويضم « الحصاد الأول » قصصه التي نشرها في « العالم العربي » و
« الحاصد » و « البلاد » بين عامي ١٩٢٧-١٩٢٩ . وهي بمجموعها من
القصص غير الفني الذي أشرنا الى خصائصه فيما سبق من بحث . ولقد كتب
معظمها ، وهو طالب يتلقى الدراسة الاعدادية^(١٠) . وكان
التزامه أمام صحيفة العالم العربي ، بأن يقدم قصة في كل اسبوع^(١١) ، وما
لقيه من تشجيع القراء ، حافظا له على كتابتها والاسراع فيها^(١٢) فهي تخضع
لاهمال وسهولة بارزين ، وتخلو من كل ابداع ، وتفتقر الى السمة الخاصة ،
وتسقط في العادي العمومي^(١٣) . ولغة المؤلف ، اذا قيست بلغة كثير من
القصاصين الذين كتبوا القصة في زمنه ، لغة جيدة غالبا ، ولكن ذلك لا يعفيها
من كونها محاولات أولى ساذجة في القصة ، ولا يرفع من قيمتها الفنية .

(١٠) في زحام المدينة . أنور شاول . ص : ٣ من التصدير .

(١١) مجموع ما نشر من قصص « الحصاد الاول » في العالم العربي ، فيما
خلا قصتيه التي أشرنا اليهما سابقا ، والتي لم يضمهما لهذه المجموعة ،
بلغ أربعين قصة ، وفي « الحاصد » خمس قصص ، وفي
« البلاد » قصتين وقد نقل هذه القصص بنصها الذي نشره في هذه
الصحف دون تغيير ، الا عناوين بعضها ، ونشره في مجموعته .

(١٢) يلاحظ تعليق « العالم العربي » في هامش ما أسماه أنور شاول قصة
ولم يضمه لمجموعته أيضا . اذ ليس ما كتبه فيها غير نص ما جرى له
في مقابلة مع الشاعر الزهاوي ، حين طلب منه أن يأخذ من حياة
الشاعر مادة لقصصه . العدد ١٢٣١ - السنة ٤ - ١٦ آذار ١٩٢٨ .

(١٣) القصة العراقية الحديثة . سهيل ادريس . الآداب - العدد ٢ - السنة ١
شباط سنة ١٩٥٣ ص : ٢٤ .

وبالإضافة الى أن قصص هذه المجموعة ، تصف بجميع صفات القصص غير الفني ، من أسلوب انشائي ، وحوادث مفتعلة ، متكلفة ، يستهدف منها القاص استدراج الدموع ، وبعث الأحزان ، فتبدو وكأنها تلخيصات لروايات كبيرة ، أو خطبا تخرج الى النصيحة والارشاد ، وبت الشكوى ، واعلان السخط ، على قيم اجتماعية جائرة تأثرا بالرومانسية في نزعتها العاطفية ، فاننا يمكن أن نلمس خصائص تميزها عن غيرها من القصص التي كتبت في هذه الفترة . فهي مفتعلة العقدة ، غثة الصياغة ، ومضامينها أدبية لا قيمة أدبية أو انسانية لها . وكما قلنا فهي تسقط في العادي العمومي منها . ومن هنا لم توفق قصصه في أن تعرض لنواحي من المجتمع وتقدم نماذج انسانية في سمات عراقية أصيلة ، كما وفقت قصص السيد . كما ان هذه المضامين تحرص على تمجيد بعض الافكار الساذجة بطريقة تقريرية مباشرة فيها النصيحة والارشاد ، وهي أفكار لا تصلح أن يعتنقها الشعب ، أو يدين بها الناس ، لما فيها من سطحية وبعد عن الشعور الانساني العميق .

كما أن هذه القصص ، بحكم كون مؤلفها يهوديا ، قد صورت البيئة اليهودية في العراق . اجواءها، ومثلها، ونفسياتها، ومشاكلها، على نحو ساذج غير عميق ، وبذلك امتازت هذه القصص على غيرها بهذه الناحية - ان كان في ذلك من ميزة - على نحو يلفت النظر . ولم نجد هذه البيئة اليهودية مصورة على نحو شبيه بما هو موجود في مجموعة أنور شاول ، الا في بعض قصص الكتاب اليهود من العراقيين ، وأبرزهم يعقوب بلبول في مجموعته « الجمرة الاولى » . ومن أبرز مشاكل اليهود التي صورتها مجموعة « الحصاد الاول » ما كان يعانيه يهود العراق وخصوصا الفقراء منهم اذا كثر انجاب البنات ، وذلك لان البنت اليهودية تكون عبئا ثقيلا على عائلتها . لان « يهود العراق » كثيرهم من اليهود يدفعون مبلغا كبيرا لبناتهم حين الزواج . ويتعلق بيهودية أنور شاول ، النزعة المادية بأعس صفاتها ، التي هي

من أبرز صفات اليهود في العالم ، والتي تمتلك نفسية مؤلفها ، وتنعكس على قصصه • وهذه النزعة المادية ، لا تتم عنها قصصه بطريق غير مباشر فحسب ولكنه يفصح عنها بكلمات صريحة ، وتطالعنا منذ الصفحات الأولى من مقدمته ، اذ يقول مخاطبا القاريء : « ومهما يكن من استحسانك حصادي ، أو استهجانك إياه أيها القاريء العزيز (العزيز طبعا اذا اقتنيت نسخة) فلا يهمني الأمر كثيرا بقدر ما يهمني أنك دفعت ربية لمحمود افندي حلمي صاحب المكتبة العصرية أو غيره من الكتيبيين ثمننا لاحدى نسخ الحصاد الاول بما فيه من سنابل وهشيم وأشواك ، (١٤) » .

ومضامين قصصه ليست اجتماعية دائما ، وانما توزعها اتجاهات مختلفة ، حددها في مقدمته فقال : « ولئن ساغ لى أن أبوب قصص الحصاد الاول فان بالامكان تقسيمها الى :

١ - القصص الاجتماعية مثال مشاهد ليلة (ص : ٣٨) وصفقة خاسرة (ص : ٤٦) ومذكرات ضائعة (ص : ٦٦) وتبكي •• (ص : ١١١) ووخر الضمير (ص : ١٦) وغيرها •

٢ - القصص السياسية مثل كمال والنيابة (ص : ٩١) و أنيابة أم شحادة ؟ •• (٩٦) •• وغيرها •

٣ - القصص الادبية مثال لكى تكون عظيما (ص : ٨٥) وآمال ممزقة (ص : ١٤٧) وغيرها •

٤ - القصص الغرامية مثال بنفسجة (ص : ٩) والزهاوى وراحيل اليهودية (ص : ٦٠) والحب المبتور (ص : ١١٦) وقلب فارغ (ص : ١٥٣) •

٥ - القصص الخيالية مثال بغداد بعد الطوفان (ص : ٧٠) والامبراطور أنور (ص : ١٦٣) •

(١٤) الحصاد الاول • ص : ٤ من المقدمة •

وليس هذا التقسيم الا تقسيما نسبيا اذ أن أغلب هذه الالوان القصصية يختلط بعضها ببعض فيكون الصورة القصصية المطلوبة ومن الصعب اعتبار هذا التقسيم تقريرا جازما ، (١٥) .

واذ كنا نعلم هذه التقسيمات التي قسم قصصه اليها اساسا لدراستها ، فاننا نلمس في جميع قصص هذه المجموعة ، في اتجاهاتها المختلفة ، التي حددها فيما سبق ، الحكمة المفصلة ، ونضوب المشاعر الانسانية ، وسطحية التفكير والطرافة الساذجة ، وانعدام الموهبة القصصية .

فقصصه الاجتماعية - وهي أغلب قصص الحصاد الاول - لا تقدم أكثر من مشاهد ، لبعض المظاهر الاجتماعية البارزة ، وعرض على نحو ساذج ، ربما لا يفلح في تقديم أكثر من صورة قصصية لبعض المشاهد التي يشاهدها الانسان في كل حين . ففي قصة « مشاهد ليلة » (١٦) يتحدث عن مشهد رآه في منتصف الليل ، بعد رجوعه من ملهى ، لفقير ينام على قارعة الطريق يتوسد الحجارة ، يأتيه طفله برغيف من الخبز ، أخذه من فم قطة سوداء ، فيلتمه . و « المقامر » (١٧) قصة رجل أولع بالقمار ، فكان أن باع كل شيء يملكه ، حتى اضطر أخيرا الى السرقة ، فسجن . وفي « هذيان زوجة » (١٨) تصوير لجرم يقترفه أبوان في حق ابنتهما الخامسة ، اذ يختقانه ، وتمرض الزوجة فتهذى بجرمها . وفي « نفوف العيد » (١٩) يسرد قصة امرأة ، كانت تريد أن تشتري لابنتها حلة ترتديها في العيد ، ولكنها عاجزة عن توفير النمن ، فزوجها لا يكاد يوفر لها من الرزق ما يسد الرمق . فتمتحن كرامتها

(١٥) المرجع السابق . ص : ٦٥ من المقدمة .

(١٦) المرجع السابق . ص : ٣٨

(١٧) المرجع السابق . ص : ٤٣ .

(١٨) المرجع السابق . ص : ٥١

(١٩) المرجع السابق . ص : ٨٠ .

بأن تتوسل بأحد الأغنياء لمساعدتها ، فيرفض • فيضطر الأب الى بيع ثياب ابنه الصغير المتوفى ، وخاتم خطبته الفضي • أما هي فتلجأ الى السرقة ، فيلقى القبض عليها وتسجن •

أما قصصه الغرامية فهي تدور حول المضمون ذاته ، الذي ألفناه في قصص المضمون العاطفي الساذج • حب بين شابين تقوم بينهما العقبات وهذه العقبات تمثل في رغبة الأبوين في تزويج ابنتهما من رجل غني ، وقد يحدث أن تمرد الفتاة على ارادة أبويها ، وتنجح في تمردها • ففي قصة « بنفسجة »^(٢٠) تبرز روح التمرد هذه التي يمجدها المؤلف • وبنفسجة فتاة ترفض الزواج بالرجل الذي اختاره لها ذووها ، لتزوج حبيبها ، وتنجح في ذلك • ففي يوم قدوم خطيبها الى البيت تغلق باب غرفتها على نفسها ، وترفض استقباله ، فيضطر الخطيب الى مغادرة بيت الفتاة مطرق الرأس خجلا • ثم يوافق ذووها على زواجها من حبيبها أخيرا • ومثلها قصة « الحب المتبور »^(٢١) التي تحكى قصة رفض عائلة فتاة خطبة حبيبها الشاب لها لانه ليس غنيا ، فيعلن الشاب ثورته ، ونقمته ، ويفصح عن هذه الثورة والنقمة في رسالة يبعثها الى أخ الفتاة ، وتقع في يد الحبيبة • ويترك المؤلف قصته هنا ، ولا يختمها ، لأن وقائعها كما يقول « لم تصل حتي اليوم الى أكثر من هذا »^(٢٢) • وقصة « الدرويش »^(٢٣) • تكشف عن مضمون غرامي مضحك • فهذا رجل يترك دار أبيه متكررا بزى درویش ، طمعا في الحصول على حبيبة قلبه • فيعثر عليها في أحد البيوت ، ويخبرها وهو يقرأ لها كفها ، أنه اذا جاءها شاب من الشبان في يوم هطلت أمطاره ، وقصفت رعوده ، فلترض

(٢٠) المرجع السابق • ص : ٩

(٢١) المرجع السابق • ص : ١١٦

(٢٢) المرجع السابق • ص : ١٢١

(٢٣) المرجع السابق • ص : ٢٠

عائلتها بخطبته عن طيب خاطر ، لأن وراء هذه الخطبة حياة سعيدة . وبهذه الطريقة الغربية يفلح في الحصول على الزوجة التي يريد ، ولا يكشف لها السر الا بعد فترة طويلة من زواجهما .

أما قصصه السياسية ، والتي تمثل في قصتيه « كمال والنيابة » (٢٤) و « أنيابة أم شحاذة ؟ » (٢٥) فهي ليست بأكثر من مقالات سياسية تبين رأى الكاتب في البرلمان الأمل ، والتديد بواقع أصبح ملازما للموضع السياسي في العراق آنذاك .

ولا يدرك القارىء لماذا أطلق اسم « الأدبية » على قصتيه « لكى تكون عظيما » (٢٦) و « آمال ممزقة » (٢٧) وافرد لها قسما خاصا ، ففي « لكى تكون عظيما » يحكي عن مؤلف شاب لم يجد من ينشر كتابه العظيم ، فيثور ويمزقه . ولكنه بعد ذلك يتراجع ، ويجمع ما تناثر من مزقه ، لانه قرأ في احدى صفحات كتابه مانصه « من الحمق أن يحلم المرء بأن يكون عظيما اذا لم يكن في نفسه من العزم والثبات والمثابرة ما يولد فيه العظمة الحققة » (٢٨) . مما يوحي انه يعنى بها القصص التي تهتم بشؤون الأدب والأدباء على ان هذا الهمم للفظه سرعان ما يتبدد حين يقرأ القارىء قصة « آمال ممزقة » من هذا الاتجاه ، فهي تعالج مضمونا اجتماعيا يقربها من مضامين قصص السيد . والقصة عبارة عن مذكرات كتبها صديق له ، شعر يوم حصل على شهادة تخرجه انه سيحصل على ما يطمح اليه . ولكنه يصطدم بالواقع . فهذه المحسوبة هي الوسطة الوحيدة التي يستطيع بوساطتها أن يحتل مكانا في

(٢٤) المرجع السابق . ص : ٩١

(٢٥) المرجع السابق . ص : ٩٦

(٢٦) المرجع السابق . ص : ٨٥

(٢٧) المرجع السابق . ص : ١٤٧

(٢٨) المرجع السابق . ص : ٩٠

مجتمعه • وفيها بالاضافة الى الاشارة الى المحسوبة بعض الصور الانتقادية
الاخري للمجتمع • والحس الانساني الذي نراه عميقا في قصص السيد التي
تتاول هذا المضمون ، يشحب هنا ، ولا يفلح أنور شاول في أن يثير في
نفوسنا أكثر مما تثيره مقالة اجتماعية تتاول الموضوع ذاته •

وتتجلى النزعة الاجتماعية ايضا في هذه القصص التي أطلق عليها صفة
الخيالية في « بغداد بعد الطوفان »^(٢٩) • تحكى عن حلم يحلمه المؤلف بعد
رجوعه الى البيت ، في ليلة شاهد فيها مياه دجلة تفيض فيضانا خطرا • فهو
يرى نفسه في بغداد جديدة ، غير التي يعرفها ، فيها معالم المدينة الغربية
المنظورة • سعادة في كل مكان ، ورائحة الازهار تعبق في الفضاء ، وعمارات
شاهقة ، ولافتات كتب عليها كلمات من نوع ، المجمع العلمي ، دار الفنون
الجميلة ، مسرح المأمون ، أوبرا أبي نواس ، المكتبة الكبرى ••• الخ ثم
يعزم على دخول مسرح المأمون ليشاهد ما يمثل فيه ، ولكنه يستيقظ ويتبدد
حلمه • ومثلها قصة « الامبراطور أنور »^(٣٠) فهو يحلم أنه امبراطور يحكم
بين الناس بالعدل ، ويقاضى المنافقين والبخلاء ، وينصف أصحاب الصحف
لأنهم خطباء الأمة وقادة أفكارها •

وهناك قصص أخرى ، في هذه المجموعة من العسير أن نحدد اتجاهها،
وتكشف فيما تكشفه عن ضيق أفق الكاتب وضالة خياله ، وانعدام انسانيته •
ومن هذه القصص قصة « اللقيط »^(٣١) ، التي تحكى قصة شاب لم يكشف أنه
لقيط الا بعد وفاة من كان يظن أنه أبوه • اذ ترك له هذا ثروته ورسالة يخبره
فيها بحقيقته ، التي لم يكن يريد أن يكشفها له ، لولا ما لاحظته عنه ، أنه
يحب شقيقته ويوشك أن يتزوج بها • فيؤلم الفتى هذا الأمر ، ويصبح حزينا

(٢٩) المرجع السابق • ص : ٧٠

(٣٠) المرجع السابق • ص : ١٦٣

(٣١) المرجع السابق • ص : ٢٦

كُنْيَا ، لا يقر له بال • واذا ترى خادمه العجوز حاله ، تخبره بأنها أمه •
وتطلب منه أن يغفر لها زلتها القديمة • ولكنه بدلا من أن يعطف عليها ،
ويرحم شيخوختها ، نراه يعنفها ويؤنبها ، ثم يقرر أن يهاجر الى بلاد الحرية
أمريكا (كذا) • ومثلها في التفاهة والسخف قصة « ضياع الاثنين » (٣٢)
وقصة « مذكرات ضائعة » (٣٣) اللتان لا نرى ضرورة لعرض مضمونيهما •

وهناك بعض القصص أراد مؤلفها فيها أن ينحو منحى انسانيًا ، فلم يوفق
كقصة « طفلتان » (٣٤) التي تصور طفلة تعطف على ابنة خادمتها الصغيرة ،
فتعطيها ملابس جديدة في ليلة العيد • وقصة « عاكف بك » (٣٥) التي صورت
المجازر التي أوقعها هذا القائد التركي بالحلة خلال الحرب العامة •

هذه هي قصص أنور شأول التي نشرها في مجموعته « الحصاد الاول »
في سذاجتها ، وضيق أفقها وافتقارها الى الفن • ان قيمتها تاريخية كما قلنا
وتأتي أهميتها من كونها محاولات أولى في القصة العراقية الحديثة ، وتحدد
صفات وخصائص عدد كبير من القصص غير الفني التي كتبها الكتاب
المراهقون ، والمستجدون الذين استهوهم هذا الفن ، في أوائل الثلاثينات ،
ووجدوا سهولة كبيرة في الكتابة فيه • ومن هنا فهي تعكس صورة جانب من
القصص الذي كتب في العراق خلال فترة من تاريخه ، والذي لا يزال نجد
صدي لخصائصه وصفاته ، ومضامينه في قصص صغار الكتاب الذين يكتبون
القصة حتى اليوم •

(٣٢) المرجع السابق • ص : ٣٣

(٣٣) المرجع السابق • ص : ٦٦

(٣٤) المرجع السابق • ص : ٧٢

(٣٥) المرجع السابق • ص : ١٤

ولم ينقطع اهتمام أنور شأؤل بالقصة ، بعد اصداره لمجموعته الاولى ، فقد كتبها على قلة ، ونشر بعض ما كتبه منها في مجلته الحاصد ، ثم جمع هذه القصص وغيرها ، مما كتبه في زمن متأخر ، في مجموعة ثانية نشرها عام ١٩٥٥ بعنوان في « زحام المدينة » . ويبدو أن مشاغل الحياة المادية ، وانصرافه الى الأعمال التجارية والمحاماة ، هي التي صرفت الكاتب عن تكريس جهوده للقصة ، رغم انه لا يزال يعيش في بغداد حتى الساعة ، ولم يهاجر ، كما هاجر الكثير من يهود العراق الى الأرض المحتلة .

وتضم مجموعته الثانية « في زحام المدينة » من القصص التي نشرها في الفترة التي نؤرخ لها . قصة « تريد أن تحب » (٣٦) وقصة « القصص الضائع » (٣٧) وقصة « معلم اللغة » (٣٨) وهذه القصص الثلاث ، في خصائصها العامة ، تعطى صورة تامة لما صار اليه فنه القصصي الذي عكسته مجموعة « في زحام المدينة » . ولا تشير هذه القصص ، الى تطور كبير ، في تقنيته القصصية ، يساوق ما حققته القصة العراقية من تطور . على أننا يمكن أن نلمس فيها ناحيتين ، برزتا بشكل خاص ، وميزتا قصص هذه المجموعة عن قصصه السابقة . والناحية الاولى ، تتمثل في هذا الاهتمام الجديد ، بالتحليل النفسي ، مما افتقدته قصص مجموعته الأولى . والثانية ، تتمثل فيما شاهدناه في بعض

(٣٦) في زحام المدينة . ص : ٤١ . وكان نشرها في الحاصد العدد ٣١ - السنة ٤ آذار سنة ١٩٣٣ ص : ٨

(٣٧) المرجع السابق . ص : ٨٩ . الحاصد - العدد ١ - السنة ٧ - نيسان ١٩٣٧ ص : ١٨

(٣٨) المرجع السابق . ص ٢١ . الحاصد - العدد ٢٤ - السنة ٧ - ت ١ - ١٩٣٧ ص : ٢

قصصه السابقة ، من ولع خاص بمفاجأة القارىء بنهايات متكلفة ، مفتعلة ، لا تنمو نموا طبيعيا مع تطور الحدث . ولم تكن لنشير الى هذه الخاصة ، لولا ما رأينا من أن هذه الصفة تعتبر من أبرز صفات قصص مجموعته الثانية كلها تقريبا ، ومن خصائصها البارزة ، مع احتفاظ هذه القصص بكثير من سمات « الحصاد الاول » وخصائصها . السرد التقريرى ، وسداجة المضامين . مما يؤكد حقيقة واحدة ، هى أن صاحبها قصصى غير موهوب . وصحيح أن بعض هذه القصص الأخيرة ، قد اكتسبت غنى أكثر ، فى نزعتها التحليلية ، لكنها لم تفلح فى أن تكون أكثر من قصص عادية ، ليس لها من قيمة أدبية أو فنية ، مما يشير الى أن صاحبها لم يستفد من تطوره الفكرى بالرغم مما نعرفه عنه أنه كان يجيد الفرنسية ، و يترجم عنها ، منذ أوائل حياته الادبية بحكم دراسته فى مدرسة « الأليانس » اليهودية ، التى كانت تتميز بأهتمامها باللغتين الانكليزية والافرنسية ولا سيما الافرنسية^(٣٩) . اللهم الا ولعه بهذه العقدة الموبسانية المعروفة ، التى أشرنا اليها كخاصة ثانية من خصائص مجموعته القصصية الثانية البارزة .

وقبل أن نتحدث عن قصصه الثلاث ، نشير الى قصة نشرها فى الحاصد ولم يضمها لمجموعته الأخيرة . وهذه القصة هى « صرخة الحب »^(٤٠) وصفها بقوله ، « قصة عراقية واقعية نشرها بأذن خاص » ، والواقعية فى مفهوم أنور شاؤل ، تعنى وقوعها فعلا ، ولم يستعمل هذه اللفظة بمعناها الاصطلاحي المعروف . والقصة ساذجة ، وموضوعها يثير السأم من كثرة ما طرقه الكتاب . ففى شارع من شوارع بغداد ، يشاهد منظرا عجبا . فتاة تتعلق بحبيبها ، وتصرخ : فيليب عزيزى فيليب ابق معى لا تتركنى . . . لنت سوية ، ثم

(٣٩) نظرات فى التيارات الادبية الحديثة . ص : ١٩

(٤٠) الحاصد - العدد - ٢٦ - السنة ٢ - ك ٢ - ١٩٣١ . ص : ١٤

يتذكر أنه يعرف الشاب . لقد كان صديقه منذ أيام الدراسة ، ثم فرقت بينهما الحياة . وبعد ذلك تأتيه ، رسالة من هذا الصديق ، يخبره فيها بقصة حبه ، وليس فيها أكثر من أنه أحبها ، وأحبه ولكن أهل الفتاة يعارضون هذا الحب .

وقصة « تريد أن تحب » تبرز فيها الناحيتان التي أشرنا إليهما آنفاً ، بصورة واضحة . وتحكى قصة فتاة حسناء ، توفى زوجها ولما يمر على زواجهما أكثر من عام ، ولم يخلف وراءه سوى طفلة فى مهدها ، وذكريات طيبة مشوبة بمرارة الفراق الابدى . ولقد أحبت وحيدتها ، ولكن هذا الحب لم يعوض لها ما كانت تستشعره فى قلبها من فراغ . وكم ليلة مرت عليها وهى تبكي جمالها الذى يضيع . الى أن برق فى ذهنها كالهام « أريد أن أحب » ولكن من تحب ؟ وكل من فى المجتمع يراقب منها الحركات والسكنات ، ويحصى عليها حتى الأنفاس . فكرت فى كواكب السينما ، وفكرت فى أبطال الروايات العصرية ، كتعويض يملأ فراغ قلبها . ولكنها فشلت . فهى تدرك أنها بحاجة لحب حقيقي لا خيالى . ثم عزمت أخيراً على أن تبحث عن حبيب لها بين من يكتب فى الصحف والمجلات . حتى كانت ليلة سعيدة عثرت فيها على مقال لكاتب أطلق على نفسه اسم سمير النجوم . والمقال يبحث « فى الحياة والحب والجمال فتفتست الصعداء وبرقت أسارير وجهها وخفق قلبها ، خفقة غريبة لم تستطع « م » تأويلها الا بأنها عثرت على من تريد أن تحب » (٤١) وظلت تتعقب مقالاته وقصائده ، التى كان ينشرها فى الصحف . وتخيلته شاباً جميلاً مثقفاً ، فعشقتة على بعد . وتحت وطأة مشاعرها ، قررت أن تخطو خطوة حاسمة ، فدعته لزيارتها فى بيتها فى موعد حددته ، باعتبارها احدى المعجبات . وفى اليوم المحدد ، أعدت كل شيء

(٤١) فى زحام المدينة . ص : ٤٨

لاستقبال حبيبها المنتظر • ولم يستطع قلبها تحمل بطنه مرور الساعات
والثواني ، ثم دقت ساعة الموعد « فطرق الباب على الأثر فهزولت تستقبل
سعادتها المنتظرة • فتحته قليلا وهي تقول بصوت عذب متقطع :
- تفضل

فدخل سمير النجوم يتوكأ على عصاه •• كان شيخا تجاوز الستين ،
محدوب الظهر ، غائر العينين ••
- مساء الخير يا سيدتي
- تفضل •••

وأومات إليه بأن يدخل غرفة الاستقبال وركضت الى غرفتها فارتمت على
فراشها تبكي بكاء الاطفال ، (٤٢) • وهذه النهاية الموبسائية ، التي أفقدت
القصة كثيرا من جمالها وأثرها في نفس القارىء • يمكن أن تجد مثيلا لها
في قصته الاخرى « معلم اللغة » ، على نحو خفف منه قليلا • وتحكى قصة
رجل بصير دعى مرة ، لتدريس فتاة خدر ، لايسمح أهلها بخروجها من
البيت • وقد كانت تلميذة ذكية ، رخيمة الصوت ، عذبة النبرات ، فأعجب
بها • ثم تحول هذا الاعجاب الى حب ، اكتشفه في قلبه ، حين طلبت منه
يوما أن يملئ عليها ابياتاً شعرية تدور حول الحب • وقد قاده وهمه ، حين
صارت تطلب منه ذلك باستمرار ، وتطلب منه أيضا ، قطعاً ورسائل في الحب
والعتاب والحنين ، الى تصور أنها تحبه ، اذ لم كل ذلك ؟ • ولكنه لم
يجرؤ على أن يكشفها بشيء • الى أن كان ذات يوم عرف فيه أن بنائه
الشامخ ، الذى بناه ، لم يكن سوى رغوات صابون أذابتها شمس الحقيقة ،
في أقل من لمح البصر • اذ وقعت في يديه عن طريق الالتباس رسالة « اطلع
على مضمونها وعلى اسم الشخص المخاطب فيها فاذا بالحبيب هو غير هذا

(٤٢) المرجع السابق • ص : ٥٢

الاعمى البائس واذا بفتاها طالب طب يمت اليها بقرابة بعيدة^(٤٣) ، وكانت نهاية القصة أن أهل الفتاة ، استغنوا عنه في اليوم التالي ، ودفعوا له بقية حسابه .

وقصة « القصصى الضائع » أقل هذه القصص الثلاث جودة . وتحكى قصة شاب جاءه يوما الى صحيفته الحاصد ، وطلب منه نشر قصة له ، فيرفض طلبه لعدم صلاحيتها للنشر . وفي مرة ثانية ، وثالثة ، يواجه الشاب بالرفض أيضا ، ولكن على أسف . ويغادره الشاب في المرة الأخيرة ممتعضا . ولا يعود لزيارته ، الا بعد غيبة طويلة . وهذه المرة يقول له انه لم يأت بشأن نشر قصة من قصصه ، فعهد كتابة القصص والمقالات ، مضى وانقضى بالنسبة له . ولكنه جاءه في شأن آخر هام عساه ان يخدمه بانجازه ثم يحكى له قصته من يوم غادره آخر مرة ، حتى لحظة مجيئه لزيارته ثانية . فقد خرج يومذاك ، وهو عازم على أن يعثر على موضوع قصته الجديدة فى الحياة ، وتذكر صديقا له يحب راقصة من الراقصات ، يذهب اليها في الملهى الذى تعمل فيه كل يوم . فتوجه اليه وهو يخال أنه عثر على موضوعه المناسب . وهناك التقى براقصة أجنبية أخرى ، سرعان ما أحبها وتعلق بها . وهذه الراقصة الآن مهددة بالطرد من البلاد ، لأن « أمانة العاصمة » لاترغب فى تمديد اجازتها وهو يريد الآن منه أن يكتب فى صحيفته منددا بأمانة العاصمة ، التى تحرم الناس من معنى حياتهم ، دون شعور بالمسؤولية ، وبذلك فسيعمل على انقاذ حياته . ويختم أنور شاول قصته هذه بقوله : « كانت هذه الواقعة أجمل قصة أتخفى بها هذا القصصى الضائع ولانه لم يخطها قلمه كتبها أنا كما رواها لى بالحرف الواحد^(٤٤) . » ولانعتقد أننا نوافق المؤلف على وصف هذه الواقعة بأنها قصة جميلة ، فهى تافهة المضمون ، ولاتعبر الا

(٤٣) المرجع السابق . ص : ٢٩

(٤٤) المرجع السابق . ص : ١٠٠

عن نزوة طائشة لمراهق ، ليس من قيمة انسانية ، أو اجتماعية لها • ان لم يكن العكس تماما •

من كل هذا نرى أن أنور شاول بتأثره الاقصوية الفرنسية على نحو يتمثل في محاولة أقلمة الشكل الفني بخصائصه عند موبسان ، على واقع عراقي صرف ، وبمحاولاته المبكرة الرائدة في القصة ، قد استطاع أن يترك أثرا معينا في القصة العراقية ، مهما ضوئل حظه وأهميته ، فهو لاشك قد أسهم ، بشكل من الأشكال في ترسيخ هذا الفن في العراق ، وفي تنويع أشكاله الفنية • ولكن ضعف موهبة الكاتب القصصية ، وإهماله لفنه وانصرافه الى اهتمامات أخرى ، وضعف تركيب القصة ، وخاصة مضمونها ، قلل من أثر الدور الذي قام به • وكان خليقا أن يكون دورا هاما لو أنه أعطاه مسن وقته ، وجهده ، ما أعطى قاص كالسيد هذا الفن من حياته وحيه •

الفصل الثالث

ذو النون أيوب

١٩٠٨ - ٠٠٠

١

حين بدأ « ذو النون أيوب » كتابة القصة ، حوالي عام ١٩٣٥^(١) ، كان مفهوم القصة الحديثة قد ترسخ في العراق ، واتسعت دائرة قرائها وكتابها على حد سواء ، وكتب فيها من المحاولات القصصية العديدة ، الموفقة في بعضها ، الساذجة في أغلبها ، ما حدد اتجاهها ، ووضعها على أسس من الفن أمتن . ولقد كان للمحاولات المخلصة الجادة ، التي بذلها محمود أحمد السيد وغيره من القصاصين ، سواء أكان ذلك في كتابة القصة الحديثة أم في الترجمة عن لغات أخرى ، ما مهد الطريق وهياً منطلقاً جديداً للقصاصين . بحيث وفق البعض في أن يقدم بعض الأفاصيص ، التي تجمع بين الغرض الاجتماعي الذي ينحو نحواً واقعياً ، يتخلص في كثير من جوانبه ، من العاطفية الرومانسية ، وبين بعض مقومات الفن وأصوله . والواقع أن القصة العراقية استطاعت خلال فترة قصيرة ، من عمرها أن تشهد « ولادة آثار فنية تشبه الآثار المصرية واللبنانية التي صدرت في ذلك العهد بفرق واحد هو أن الآثار العراقية ظهرت اثر فترة أقصر من فترات التطور^(٢) » . ومن هنا كان

(١) بدأ « ذو النون أيوب » ينشر أفاصيصه في الصحف والمجلات ، قبل أن يضمها أخيراً الى مجموعات . وأول قصة له عثرنا عليها ، نشرها بعنوان « صديقي » في صحيفة الطريق العدد ٦٧٨ السنة ٣ - ٢٥ حزيران - ١٩٣٥ .

(٢) القصة العراقية الحديثة . الآداب-العدد ٢-السنة ١ شباط ١٩٥٣ ص : ٢٤

المناخ صالحا لـ « ذو النون أيوب » ، لكي ينشئ في القصة نتاجا جديدا ، يتخلص فيه من كثير مما كنا نلمسه في المحاولات الاولى ، من تردد وضعف . ولا ينبغي أن يفهم من هذا القول ، أن « ذو النون أيوب » قد استطاع أن يصل بهذا الفن الى قمة تطوره ونضجه ، خلال هذه الفترة التي ندرسها ، فان ذلك كان من نصيب كاتب آخر ، هو عبدالحق فاضل ، الذي بدأ كتابة القصة في نفس الوقت واستطاع أن يصل بهذا الفن الى اقصى ما حققه من تطور خلال هذه الفترة . ويعتبر نتاج « ذو النون أيوب » امتدادا ، للنهج الذي اختطه محمود السيد ، ووضع أسسه ، وتطويرا له في الوقت ذاته ، وينطلق من مدرسته في القصة . ومن هنا ، كان أدب « ذو النون أيوب » يصدر عن هذا المجتمع ، ويصوره تصويرا صادقا أميناً ، ويتأثر الادب القصصي الغربي ، وخصوصا القصص الروسية ، المتمثلة في نتاج كبار كتابها ، دوستوفيسكي وتورجنيف ومكسيم غوركي وجوجول . . وغيرهم ، مما لونا أدبه بنزعة واقعية انتقادية صارمة . بحيث اقتصر على هذا الضرب من القصص الاجتماعي الواقعي ، ولم يتعد الى غيره من القصص أبدا . وسادت قصصه ، نتيجة لهذا التأثير بالقصص الروسية ، نبرة تهكمية بالغة ، وسخرية لاذعة ، من كثير من قيم مجتمعه ونظمه ، واهتمام مبالغ فيه ببعض الشيء ، بتحليل مشاعر أبطاله ، ومحاولة النفاذ الى دخالهم الخاصة ، على نحو يذكرنا بنزعة دوستوفيسكي الخاصة في هذا الاتجاه ، والتي تتجلى في جميع أعماله القصصية ، وخصوصا الجريمة والعقاب ، والاخوة كرامازوف .

ولا يخفى « ذو النون أيوب » اتجاهه هذا ، فهو يذكر في مقدمة مجموعته الاولى « رسل الثقافة » قوله : « في يقيني أن أعظم مهمة يجب على الادباء ، والقصصيين منهم على الاخص ، أن يضطلعوا بها ، هي اعطاء صور صادقة لما يقع تحت ابصارهم من حوادث عجيبة ، وشخصيات غريبة ، وأنظمة

وقوانين حكومية أو شعبية ، يدخل ضمن ذلك تلك القوانين غير المكتوبة التي يخضع تحت تأثيرها المجتمع ، وينقدها غير خائف عقابا أو راجيا ثوابا ، تلك الانظمة المتعارفة ، والتقاليد المرعية التي تشرب احترامها في دمه ، والتي يتعصب لها فيعمى عما فيها من حسن أو قبيح وتزداد هذه الصور قيمة كلما اختلطت بشيء من التحليل يجمع بين نواحيها المتباعدة ، ومظاهرها المربكة فيفسر ما غمض من أسبابها وعللها^(٣) . ولقد كان « ذو النون أيوب » مخلصا لمفهومه هذا عن القصة ، الاخلاص كله ، ولم يحد عنه في حياته الادبية جميعها . على أن هذا المفهوم في رأينا ، هو بذرة الضعف الاولى في قصصه . ف « ذو النون ايوب » لا يريد من القصة أكثر من تصوير الواقع بجوانبه المتعددة ، فليسجل اذن ما يراه في واقعه ، وليستقده الانتقاد الساخر المرير الذي يريد ، وليفسر أسباب تردى هذا الواقع ، وليصور مظاهر التخلف والضعف فيه ، لكي تبلغ القصة هدفها في نظره . وبذلك اقتربت قصصه ، في الاغلب ، بنزعتها هذه ، وبأسلوبها المباشر وخطابيتها في أحيان كثيرة ، ونقاشها لمظاهر التخلف والتردى الاجتماعي ، من المقالة الاجتماعية . ان لم تكن هي مقالة اجتماعية ، استعارت الشكل القصصي اطارا لها ، لكي تكون أكثر تأثيرا في النفس ، وأكثر ايصالا للحقائق التي يريد كاتبها أن يكشفها . ولكي نزيد هذه الملاحظات ، التي تحدد طابع قصص « ذو النون أيوب » ايضا ، نرى أن لابد لنا من دراسة العوامل التي حفزت « ذوالنون أيوب » وجعلته يتجه الى كتابة القصة ، واتخاذها شكلا فنيا ، يعرض به آراءه الاجتماعية والسياسية الانتقادية . فالمعروف أنه اتجه في بداية حياته العملية ، اتجاها علميا ، وكان اختصاصه الجامعي ، العلوم . وأصبح بعد تخرجه في الكلية استاذا للعلوم الرياضية والطبيعية في المدارس الثانوية

(٣) رسل الثقافة . ط ١ ص : ٣ من المقدمة .

بغداد^(٤) . وأنه زاوول مهنته هذه يدرس هذا الفرع البعيد عن الادب ودراسته ، فترة طويلة ، قبل أن ينصرف للقصة يكتب فيها . وتكشف لنا قصة مطولة من قصصه ، مراحل تطوره الفكري ، وأسباب اتجاهه الى القصة ، وهذه القصة هي قصة « مؤامرة الاغبياء » التي نشرها في مجموعته الرابعة « وحى الفن » ولسنا نريد أن نعرض بالتحليل لهذه القصة ، فليس هذا مجاله ، الا أننا نرى ان هذه القصة حين تتحدث عن بطلها ، ومراحل تطوره الفكري ، حتى انصرافه أخيراً الى القصة ، يكتب فيها ، انما تتحدث عن كاتبها نفسه . فهي من قصص التراجيم الذاتية وان أحاطها بما يوههم أنها ليست كذلك . وقد زاد من ثقنا ، بصحة رأينا هذا ، أن « ذوالنون أيوب » قد أكد خطوطها العامة في أكثر من مناسبة ، حين تحدث عن قصصه ، أو عن تجربته في الكتابة ، وعوامل انصرافه اليها .

وتكشف هذه القصة ، عن تعلقه المبكر بالقصص ، فحين كان صبياً صغيراً ، في المرحلة الابتدائية ، من دراسته ، كان يستمع الى ما تقصه عليه احدى عجائز محلته ، في ليلالى الشتاء الباردة قرب كانون النار ، فيجد فيما تقصه عليه عالماً سحرياً غريباً يستهويه . ثم حين منع أبوه هذه القاصصة العجوز من دخول بيته ، وجد ضالته في بيت أحد أصدقائه ، الذى كان يقع قرب مقهى يقرأ فيه « قصة خون »^(٥) قصص الف ليلة وليلة أو سيرة عنترة ، أو أخبار الزير سالم ، أو فيروز شاه . ثم يتعرف على هذه القصص قراءة بعد ما تعرف عليها سماعاً . وفي المدرسة يكشف احد معلميه اهتمامه هذا ، فيعطيه احدى قصص جرجى زيدان التاريخية . فيجد « هذه القصة من نوع جديد عجيب يمتاز على ما قرأه بتسلسله المنطقي ، ووحدة

(٤) مقدمة المؤلفات الكاملة ، للمؤلف . ص : ٣

(٥) لفظ يطلق في العراق على قارئ القصص الشعبية في المقاهى العراقية قديماً .

الغرض^(٦) ، وكان ان قرأ جميع مؤلفات جرجى زيدان الروائية • وبعد ذلك بدأ بمطالعة الروايات البوليسية وقصص المخاطرات • فلم تسلم من يده قصة • الى أن حدث يوماً ، عثر فيه على « قصة » الجريمة والعقاب ، لدستوفسكي و (تاييس) لاناتول فرانس و (بتريس) لرايدر هجارد • فأخذ الاولى وبعد أن قرأ صحيفتين منها رماها متأففا • وأما الثانية فقد قرأ نصفها وهو لا يدري أكان يقرأ قصة أم كتاباً أم شيئاً آخر ، ولما شرع في قراءة الثالثة شعر بالملل لخلو القصة من المغامرات ولما فيها من التطويل والاسهاب في التحليل والاستعارات الشعرية ، ولكن شيئاً في نفسه كان يتحرك ، ويحرضه على الاستمرار في المطالعة ، وكانت عواطفه تجيش ، وأنفاسه تسرع وقلبه يخفق حين يقرأ وصف أخبار الغرام العنيف الرائع الذي انفرد هذا الكاتب بوصفه وتحليله وتمجيده^(٧) • ولقد كان يمر بدور المراهقة • فكانت هذه « القصة نهاية عهده بقراءة القصص البوليسية ، وفاتحة عهده بقراءة القصص الغرامية^(٨) » فقرأ كل ما وقعت عليه يده • وكان من ضمن ما قرأه ، روايات المنفلوطي المترجمة وغيرها من القصص • وقبيل انتهاء دراسته الثانوية انضم الى زمرة اولئك الطلبة المتحمسين الذين يندفعون الى التشبه بالكبار من رجال سياسة وأدب وعلم ، فيؤسسون الجمعيات ، ويتباحثون في شتى الشئون ••• وفي هذه الزمرة وجد من يعيب عليه ولعه بالقصص ويسخر من القصص والقصصيين ، والكذبة والكذابين ، ويتباهى بأنه يطالع جمهورية أفلاطون ، وفلسفة ابن خلدون وماديات كارل ماركس ، ونظريات فرويد في التحليل النفسى ، وغيرها من الكتب^(٩) ، فاضطر الى

(٦) وحى الفن • مؤامرة الأغبياء • ص : ٧٠

(٧) المرجع السابق • ص : ٧٩

(٨) المرجع السابق • ص : ٨٠

(٩) المرجع السابق • ص : ٨٣

مطالعة بعض تلك الكتب . * ولكنها لم تصادف هوى في نفسه بل قاداته الى قراءة الطوبيات والتراجم ، فأعجب بطوبى (افلاطون) و (تومس مور) و (ويلز) وكان قد اتقن اللغة الانكليزية اتقاناً يمكنه من فهم ما لم يترجم الى اللغة العربية^(١٠) ، * وكان ذلك بسبب مشابهة هذا اللون من الادب للقصة . ومع مرور الايام لم تعد قراءته لقصد « التسلية وقطع أوقات الفراغ بل ابتغاء التلذذ بدراستها وصار يدرس ما يطالع وينتقد ، ويدرس اخلاق من يعاشر وينتقد ، ويدرس طبائع اصدقائه وحتى معلميه واساتذته ، وكانت تغلب في انتقاده روح المفاضلة ، والحب والكراهية ، فيمتدح الاخيار ويلعن الاشرار ، ويحتقر الاغبياء ويعجب بالاذكياء ، ولكن هذه الروح كانت تضعف بالتدريج حتى زالت . واستحالت دراسته تلك الى دراسة علمية بحتة ليس للتحزب أو الحب والكره دخل فيها^(١١) ، وكان ذلك نقطة التحول في حياته ، اذ اختار في دراسته العالية ، موضوعاً علمياً . خلافاً لما نشأ عليه من تعلق بالقصة والادب . على أنه لم ينقطع عن قراءة القصة . وقد حدث أن وقع بصره عفواً ، على قصة الجريمة والعقاب لدستوفيسكي ، فعزم على قراءتها ، حين تذكر أنه لم يستطع قراءتها من قبل . * ووجد لشدة دهشته أن القصة تستولي على مشاعره وتخلب له^(١٢) ، * وكان أن قرأ القصة ثلاث مرات . وكانت هذه الحادثة بداية دور جديد في حياته ، فقد عرفته بكتاب فد ، فسعي الى قراءة نتاجه الآخر ، « فقراً » « بيت الموتى » و « الزوج الابدى » و « الاخوان كارامازوف » وغيرها من مؤلفات الكاتب واصبح يحتفظ بهذه القصص يراجعها أو يطالعها عدة مرات ، لا كما كان يفعل سابقاً حين كان يرمى القصة دون مبالاة ، بعد أن يفرغ من مطالعتها ، ويرجع الفضل

(١٠) المرجع السابق . ص ٨٣ - ٨٤

(١١) المرجع السابق . ص : ٨٥

(١٢) المرجع السابق . ص : ٨٦

لدستوفيسكى ، فى ولعه بالادب الروسى ، فانكب على مطالعة مؤلفات « تولستوى » و « ايفان تورجنيف » و « بوشكين » ... الخ^(١٣) ، وقد قاده هذا ، الى أن يبحث عن شبيه هذا النوع من الادب القصصى التحليلى فى آداب الامم الاخرى ، فقرأ اجود ما عثر عليه . وقاده بحثه الى (اناتول فرانس) و (الفونس دوديه) و (بول بورجيه) و (هنرى بوردو) و (موبسان) و (أميل زولا) و (هوجو) و (فولتير) و (مارسيل بريفو) .. الخ^(١٤) ، وقرأ غيرهم من الكتاب ، شو ، وويلز ، ولورنس ، وجون كالتورتى ، ودكنز ، وسنكلر لويس ، ومارك توين ، وأدكار ألن بو ، ولويجى بيراندللو ، وماريا ريمارك .

ثم تخرج فى كليته ، وانخرط فى الحياة العملية ، يحمل مثله الخاصة ، التى بذرتها الكتب فى قلبه ، وعمل بهمة ونشاط ، ولكن قيم مجتمعه ، وسيادة الانتهازية السياسية أدت الى أن يصطدم بهذا الواقع المر ، فكان رد فعله عنيفا عاتيا ، اذ أدرك ، فيما أدرك عن هذا الواقع ، « ان مقياس المرء ما يملكه من حكمة ودهاء ، وان الاخلاق لا مفهوم لها ، وان الاخلاص يدل على السذاجة والحمق ، والشرف شىء مكروه ، والصدق معناه الجنون ، وخيانة الواجب أول شروط النجاح ، والشعوذة رأس مال من يبغي التقدم ، والخدمة الصحيحة تأتى بأسوأ العواقب ، والوطنية اسم بلا مسمى ، والقومية بناء قصور لبضعة أشخاص فقط ، والشعبية والشعبوية والشيوعية تدل على مفهوم واحد^(١٥) » . فقرر قراره على القيام بخدمة وطنه « وأراد أن ينفذ قراره بنشر مقالات مسلسلة يشرح بها وجهة نظره أو يبرهن على فساد الانظمة المتعارفة بصورة تجعل قبوله لها فى المستقبل من

(١٣) المرجع السابق . ص : ٨٧ - ٨٨

(١٤) المرجع السابق . ص : ٨٩

(١٥) المرجع السابق . ص : ٩٩

المحال ، وبدأ يكتب ، وكم كانت دهشته عظيمة حينما وجد أنه يكتب فصلا من قصة ولكن ذلك لم يشنه فاندفع يكتب حتى اتم رواية كبيرة كاملة مزج فيها الفن بالنقد والنكات بالمأسى ، والاحلام المسولة بالشكوى المريرة . . (١٦) ،

تلك هي قصة تطور « ذوالنون أيوب » الفكرى ، وقصة الحوافز التي ساقته الى كتابة القصة ، رغم أنه اتجه اوائل حياته العملية وجهة تخالف الوجهة الادبية التي عرف بها . وفى الذى قدمنا تأكيد لما قلناه ، من ان « ذوالنون أيوب » كان من همه أن يكتب المقالة الاجتماعية للتديد بواقع اجتماعى معين أثاره ، فوجد نفسه نتيجة قراءته فى القصة مسوقا الى أن تأخذ مقالته الشكل القصصى . ولسنا نظن أننا مخطئون فى هذا الزعم . ولدينا من كلام « ذوالنون أيوب » الصريح ، ما يؤكد قولنا بشكل يقطع كل شك . ففى رد له على سؤال وجهته له مجلة الآداب^(١٧) البيروتية عن رأيه فى مؤلفاته ، تعرض للحافز الذى دفعه الى كتابة القصة فقال « ولنبدا بالحافز الذى دفعني الى الكتابة ، فأقول انه دافع اجتماعى بحث . واليك قصة تورطى بانخراطي فى زمرة الكتاب . لقد كانت المواضيع العلمية تستهوينى فى دراستى المدرسية ، وهذا ما دفعنى الى درس الرياضيات فى دراستى العالية . ولكنني كنت فى الوقت نفسه مولعا بالادب ، وبقسم القصة بصورة خاصة ، فكانت قراءة الكتب الادبية والقصصية كل ما يشغل وقت فراغى من يوم أن تعلمت القراءة والكتابة باللغتين العربية والانكليزية . ولقد كنت كثير الملاحظة والانتقاد لكل ما يمر بى فى حياتى اليومية ، وقد حدث فى حياتى فى الوظيفة أن اصطدمت ببعض الجهات الحكومية اصطداما نهينى ، بل أيقظنى ، وأقنعني بأن الكثير من المتناقضات فى المجتمع ،

(١٦) المرجع السابق ص : ١٠١

(١٧) الآداب - العدد ٢ - السنة ٢ - شباط ١٩٥٤ ص : ٩

وفى منطق رجال الحكم يرجع الى عوامل جذرية تكاد تنتظم كل نواحي الحياة عندنا ، فأثارني ذلك ، وأوجد في الرغبة في التعبير عن هذه الثورة ووجدتني فجأة وبصورة غير اختيارية تقريبا ، أعبر عن آرائي وخلاصة تجاربي وانتقاداتي في كتيبات رخيصة الثمن سهلة التداول ، قريبة الى الافهام ، فيها ما يغري بالقراءة . وهكذا كان من الطبيعي أن أسجل انفعالاتي وانطباعاتي وتمنياتي وآرائي بأسلوب قصصي فيه متعة وفائدة ، وهذه الاقاصيص لا تتناول أفرادا بل نماذج وحالات عامة^(١٨) ، وبهذا الحافز الاجتماعي البحث ، ونتيجة لهذا المفهوم عن القصة الذي المعنا اليه سابقا ، جاءت قصصه ، وهي تتناول النواحي المختلفة للحياة الاجتماعية ، وترتبط ارتباطا وثيقا بالناحية السياسية ، تناولتها على نحو فيه الجرأة والشجاعة ، مما أثار للكاتب مشاكل لا حصر لها ، تحملها بجلد وصبر . واضطرته أحيانا كثيرة الى أن يدافع عن نفسه . حين كان البعض يتصور ان ما كان يكتبه يصور أناسا معينين بالضبط في المجتمع العراقي^(١٩) . وجاءت أكثر قصصه وهي أقرب الى أن تكون مقالات اجتماعية أو سياسية من أن تكون قصصا . ومما يؤكد قوة هذا الاتجاه عند الكاتب ، أنه كان يحرص على أن تضم كل مجموعة من القصص ما يتعرض لناحية من نواحي المجتمع ، أو لمشكلة من مشاكله ، حتى لكأن كل مجموعة قصصية من مجاميعه كتاب بحث يدرس هذه المشكلة من جوانبها المختلفة .

وبسبب من اتجاه المؤلف هذا ، وبسبب من أن قصصه حرصت على عرض كثير من الحقائق الاجتماعية والسياسية ، على نحو فيه الجرأة

(١٨) مختارات ذو النون أيوب . ص : ٦٩ - ٧٠ والاداب ، العدد السابق .
وقد أكد هذا الحافز في مقدمة المؤلفات الكاملة ص : ٣
(١٩) يراجع التحذير الذي كتبه « ذو النون أيوب » في ختام مجموعته
الخامسة « برج بابل » .

والشجاعة ، في العراق خلال الثلاثينات ، أصبح لهذه الاقاصيص قيمة اجتماعية كبرى لا يمكن اغفالها ، وأصبحت دراسة هذه القصص دراسة لفترة من تاريخ العراق الاجتماعي والسياسي ، وعرضا لمشاكله التي كان يعانيها ، على نحو صادق أصيل . وكان لذلك كله الفضل الاول في شهرة كاتبها ، واتساع دائرة قرائه على نحو لم يحققه مؤلف عراقي قبله أو بعده .

٢

وأفكار المؤلف التي عرضها في مجاميعه القصصية ، التي تندرج ضمن الفترة التي نؤرخ لها من تاريخ القصة العراقية تدل بوضوح على ما نقول . ففي مجموعته الأولى « رسل الثقافة » يحاول أن يدرس دراسة خاصة ، اعتمدت ايراد الامثلة والصور المختلفة ، واقع الفساد المستشري في وزارة المعارف يومذاك . ففي هذه الوزارة لا محل للاخلاص ، والذكاء والثقافة ، وانما هي أمور قد تكون عامل فشل ، وسببا للتفكيك بمن يتحلى بها . وما يتحكم بمقياس التقدم فيها هو النزف ، والنفاق ، والقدرة على التلون حسب ماتقتضيه الظروف . وأيضا ، اسناد الشخص من أصحاب السلطان ، ومن لكلمتهم تأثير في أمور البلاد . ومن نشأ على مثل واخلاص فلا بد له آخر الأمر ، من أن يستسلم استسلاما كاملا لهذه القيم التي تسوق جهاز هذه الوزارة ، ويرضح للذل في سبيل العيش ، أو يتخذ وضعا سلبيا مضحكا ، أو ينزوي بعيدا لكي ينجو بكرامته .

ففي قصة « البيك المثقف^(٢٠) » صورة لرجل دخل الى ميدان العمل وهو يحمل مثله الخاصة ، التي لم يكن يريد التخلي عنها بحال من الأحوال . وقد ظل ، لذلك مهملا فترة طويلة يتخطاه من هم أقل منه كفاءة . فكان أن

(٢٠) رسل الثقافة . ص : ٨

تثبيت بوسائلهم الخاصة ، والتجأ الى خال له من أصحاب النفوذ ، كان يأنف من الالتجاء اليه سابقا . فتقدم في المناصب تقديما سريعا ، بوأه منصب مدير عام فى الوزارة . ويقدم « ذو النون أيوب » فى « بقلاوة^(٢١) » ، صورة ساخرة لمعلم لا يخلص فى أداء واجبه . وفى « الدرجات النهائية^(٢٢) » ، صورة أخرى لهذه الضغوط التى تمارس على المدرسين ، لتنجيح أبناء الذوات . أما « سيرة وسيرة^(٢٣) » ، فهى تؤكد أن الانتهازية والقدرة على التلون هى الوسيلة المثلى للتقدم السريع فى هذه الوزارة . ومثلها قصة « سيد عبيد فى لهوه^(٢٤) » ، وقصة « قلب المعركة^(٢٥) » ، التى هى عبارة عن مقالة اجتماعية ، تلخص آراءه السابقة ، وتعرض بعض الأمثلة والصور الساخرة ، على طريقة المقالات الصحفية التى يكتبها كاتب ذكى يعرف أسرار مهنته .

ويتحدث فى مجموعته الثانية « الضحايا » عن المرأة ووضعها الاجتماعى ، ونظرة المجتمع اليها ، على نحو يعكس نظرة المؤلف الاصلاحية ، التى تدعو الى منح المرأة حقوقها ، والنظرة اليها ككيان انسانى لها ما للرجل من حقوق . فيبين فى « ساقطة^(٢٦) » ، أن الظروف الاجتماعية هى التى تسوق المرأة الى السقوط . وفى « من وراء الحجاب^(٢٧) » ، دعوة الى السفور واضحة . وفى « طريق الخلاص^(٢٨) » ، تنديد بتزويج الفتاة خلافا لارادتها . ويستنكر فى « شرف^(٢٩) » ، عادة القتل غسلا للعار المنتشرة فى مجتمعه . فى حين يقدم فى

(٢١) المرجع السابق . ص : ٤٢

(٢٢) المرجع السابق . ص : ٥١

(٢٣) المرجع السابق . ص : ٨٠

(٢٤) المرجع السابق . ص : ١٢٣

(٢٥) المرجع السابق . ص : ١٣٣

(٢٦) الضحايا . ص : ٥

(٢٧) المرجع السابق . ص : ٢٣

(٢٨) المرجع السابق . ص : ٣٣

(٢٩) المرجع السابق . ص : ٥٩

« جنون (٣٠) » صورة للجهل الذي يهيمن على المرأة العراقية . فتحدث عن امرأة تحس برود عاطفة زوجها تجاهها ، فتستعين بأحد المشعوذين ، الذي يصف لها دواء مخدرا ، تضعه في شرابه ، وكان نتيجة ذلك جنون زوجها . ويحرص « ذو النون أيوب » في مجموعته الثالثة « صديقي » على تقديم أفكاره الخاصة ، التي يريد لها الانتشار في مجتمعه ، ولذلك اختار بطلا خاصا أطلق عليه لفظة « صديقي » . وهو نموذج مثالي غير واقعي ، يمثل ما يريده المؤلف أن يكون عليه الانسان الأمثل . وصفاته ، التي يؤكد عليها « ذو النون أيوب » في مختلف قصص هذه المجموعة ، واحدة . فهو شاب رياضي مقتول العضل ، ذو كبرياء لا يخضع لقانون أو ناموس اجتماعي ، ما دام لا يقره . متمرد على واقعه الذي يعيشه ، لذلك كان في نظر الكثيرين ، شابا غريب الأطوار ، تصف تصرفاته بالشذوذ ، لأنها لا تتسجم مع ما هو مألوف من قيم وعادات في المجتمع . ولم يكن لمجتمع تسوده الزلفى والنفاق ، الا أن يحكم عليه حكما قاسيا ، كان يقابله دائما بالسخرية والتجاهل . فقد كان مخلصا لذاته ، ولافكاره . ويصور المؤلف مواقف « صديقه » هذا من بعض العادات الاجتماعية الزائفة ، وهي مواقف تنم عن رجولة وبطولة ، ولكنه كان يعيد فيها أفكاراً ومواقف ألقاها ، في مجموعته الاولى . حتى فسي القصة الأخيرة من قصص هذه المجموعة « النهاية (٣١) » . حين اختار البطل شيخا في السبعين من عمره ، خلافا لما هو عليه في قصصه الأخرى . صوره شيخا يعيش بقلب الشباب ، ويملك روحهم ، وحبهم للحياة ، وعزيمتهم القاهرة . كأنما كان يريد أن يقول ان على الانسان أن يعيش حياته ، بشباب دائم ، فلا تقف الشيخوخة حائلا بينه وبين ذلك .

ويحاول « ذو النون أيوب » في مجموعته الرابعة « وحي الفن » أن

(٣٠) المرجع السابق . ص : ٩٣

(٣١) صديقي . ص : ١١٦

يعرض آراءه في الفن • فالفن انما يسعى الى الحقيقة « أيتها الحقيقة الخالدة ، يا قبلة الفلاسفة وأنشودة الانبياء ، وحبية الحكماء لك أقدم صلاتي وأبتهل^(٣٢) » واختار أبطالاً لقصته الاولى في هذه المجموعة « ثلاثة ورابعهم » ، ثلاثة أشخاص • هم كاتب وشاعر ورسام • وأجرى بينهم حواراً ، طرح فيه نظراته الكاملة عن الفن • وشرح ما يفرق بين أنواع الفنون المختلفة ، ثم تحدث عن عملية الخلق الفني ، باعتبارها الهام يخضع لها المبدع خضوعاً لاواعياً ، فيأتي بأعظم الاعمال • وفي القصة تأكيد لمفهوم « ذو النون أيوب » عن القصة الذي أشرنا اليه سابقاً ، والذي حدد خصائص نتاجه وصفاته فحين يتحدث عن الكاتب أحد أبطال قصته ، يقول : « أما الكاتب المسكين فقد أخرج للناس قصة صرف فيها الكثير من وقته ، وأسأل فيها نفسه ووجدانه حتى خلق منها قطعة فنية راقية ، ولكن قيامة العالم قامت ضده فقد كشف بكتابه عما يبطن بعض الناس من شرور وآثام ، فكان كتابه عبارة عن مجموعة مدهشة من الحقائق المرة ، والفضائح المستورة التي لا يحلم مرتكبوها بوجود من يجروها على كشفها^(٣٣) » ، والعبارة الاخيرة وصف صادق لخصائص قصص « ذو النون أيوب » فهي ، في مجملها ، عبارة عن مجموعة مدهشة من الحقائق المرة والفضائح المستورة التي لا يحلم مرتكبوها بوجود من يجروها على كشفها • ويحاول « ذو النون أيوب » في قصص مجموعته الاخرى أن يستكمل جوانب نظراته الى الفن • فيبين في « حلم على نغم^(٣٤) » ، أن الموسيقى من الفن ضرورية لتهديب النفوس ، ولو فقدت من الحياة لاستحال الناس الى وحوش كاسرة ، لا يقف أمام ثورتها أحد • وفي « عظيم^(٣٥) » يبين لنا أن الفنان الذي يكتب عن عاطفة صادقة ، واحساس عميق بما يكتب يقدم أعمالاً

(٣٢) وحي الفن • صلاة فنان • ص : ٤

(٣٣) المرجع السابق • ص : ٧

(٣٤) المرجع السابق • ص : ٢٠

(٣٥) المرجع السابق • ص : ٣٩

عظيمة أصيلة • فاذا بدأ يكتب من أجل الكتابة فقط ، خبا نور الابداع فسي
تواجه ، واستحالت أعماله الادبية الى مجرد عبارات جوفاء لاقيمة لها • وتشرح
« قصة النبي ^(٣٦) » ، نظرة الناس الى الفنانين ، اذ يرونهم في الاكثر ، غرباء
الأطوار لايمكن فهمهم • فيصمونهم بوصمة الجنون • وفي قصة « واخيرا ^(٣٧) » ،
فضح لسلوك السلطات آنذاك ، اذ حاربت شاعرا وطنيا طوال حياته ، فلمسا
مات ، أرادت تمجيده ، تظاهرا منها بتشجيع الأدب والادباء •

وفي مجموعته الخامسة « برج بابل » يعود الى موضوعه المفضل ، وهو
الحديث عن فساد الجهاز الاداري ، والسلوك الانتهازي ، وفقدان القيم •
وبرج بابل هذا هو جهاز الحكومة الاداري بأكمله ، ان لم نقل انه المجتمع
بأسره ، لم يقصره هذه المرة على ديوان وزارة من الوزارات • ومن هنا كانت
هذه المجموعة وصفا ، لهذا التفسخ الاخلاقي والسياسي الذي تميز به
العراق في مجتمعه ، وفي جهاز حكومته ، في الثلاثينات • ولقد كان أبطال
قصته الاولى « في قاعدة البرج ^(٣٨) » ، ثلاثة • رجل جاهل بدد ثروة أبيه في
الخمير والميسر ، جاء بغداد لكي يحصل على مركز نيابي بمعونته أهل الجاه
والنفوذ • وصحفي فاشل أراد أن يستقل صاحبه الاول ، لكي يصل بواسطته
الى ما يطمح اليه • ورجل دين قضى زهرة عمره في تحصيل علوم الدين
واللغة ، وسهر الليالي مكبا على الدراسة ، الى أن أدرك أن سهر الليالي في
بلاده لا يوصله الى المعالي ، كما هو معروف ، فنار وصخب ، حتى أصبح
حاقدا على كل شيء • والنقاش الذي يجريه المؤلف بينهم صورة ساخرة
للمهازل التي كانت تجرى في البلاد ، ولانحطاط القيم وضياع المعايير الثقافية •
ولم تخرج قصص مجموعته هذه الاخرى عن هذا المضمون •

(٣٦) المرجع السابق • ص : ١٠٦

(٣٧) المرجع السابق • ص : ١٣١

(٣٨) برج بابل • ص : ١٠

ومجموعته السادسة « الكادحون » مكرسة لمن يراهم مصدر ثروة العراق وحياته • العمال والفلاحين • فقدم صوراً ونماذج إنسانية ، ذات طابع محلي أصيل • ولعل هذه المجموعة ، أقرب مجموعاته السابقة ، في روحها العام ، الى القصص الفنية • فقد وفق « ذو النون أيوب » في كثير من قصص هذه المجموعة في تصوير واقع البؤس الاجتماعي والسذاجة ، والطيبة ، لهذه الفئات المهضومة الحقوق من المجتمع • حتى أصبحوا وهم يعيشون يؤسهم ، لا يحسون ألماً منه ، كأنما كان البؤس والفقر والجهل أمراضاً مزمنة ، أصبحت مألوفة لديهم لكثرة ما لازمتهم في حياتهم الطويلة ، فما عادوا يشكون من آلامها الحادة •

ولقد أردنا بعرضنا لمضامين مجاميع « ذون النون أيوب » القصصية ، التأكيد على أن الحافظ الاجتماعي ، والسياسي الذي دفع الكاتب الى كتابة القصة ، قد صبغ نتاجه بنزعة اجتماعية واقعية لم يخرج عنها ، وقاد قصصه الى أن تكون أقرب الى المقالات الاجتماعية ذات النزعة السياسية ، التي اتخذت الشكل القصصي اطارا لها ، منها الى القصص الفنية • مما يؤكد حقيقة أن « ذو النون أيوب » كان يفكر في تهيئة الافكار والآراء التي يبني عليها القصة قبل أن يفكر في هيكل القصة نفسها وعقدتها وحبك حوادثها • ولهذا كان بعض قصصه بلا عقدة تقريبا ، ولا حوادث ولا هيكل ، كل ما في الأمر أنه اختار أسلوب القصة ليقول لك عن طريقه ما أراد أن يقول^(٣٩) • ويمكن أن نورد أمثلة عديدة من قصصه توضيحا لما قلناه من أحكام عامة • فقصة «سيرة وسيرة» و « بقلادة » من قصص مجموعته الاولى تفتقدان العقدة تماما • فالأولى عبارة عن حوار طويل يجريه بين شخصين ، لكي يقارن بين سلوكيهما •

(٣٩) تراجع الملاحظات القيمة التي كتبها عبدالحق فاضل عن مجموعة « وحي الفن » في مجلة « المجلة » العدد ٨ - السنة ١ - ١٦ ك ٢ - ١٩٣٩ ص : ٣٥/٣٨٦ ، وعن « برج بابل » العدد ١٦ - السنة ١ - ١٦ أيار ١٩٣٩ ص : ٣٣/٧٦١ •

والثانية مجرد حديث عن معلم يصور سلوكه وتهاونه • ومثل هاتين القصتين قصة «شرف» من قصص مجموعته الثانية ، ومعظم قصص مجاميعه الاخرى • كما أن انعدام الهيكل القصصي واضح في كثير من هذه القصص أيضا فقصة « قلب المعركة » مثلا يتحدث الكاتب فيها حديثا عاما ، يوجهه الى القارىء ، مباشرة ، ويورد خلاله امثلة يوضح بها مايقول •

٣

على أن ذلك يجب أن لا يجعلنا نتصور أن قصص « ذو النون أيوب » خلو من القيم الفنية • فالواقع أن قصصه رغم ما أشرنا اليه سابقا ، قد حققت تقدما فنيا ملحوظا ، بالنسبة لواقع القصة العراقية في هذا العهد فبالرغم من أن مجموعته الاولى « رسل الثقافة » لم تنجح في تقديم عمل فنى ، يعتمد التصوير ورسم الشخصيات من خلال تطور الحدث ، وانما هي تقرير وسرد لواقع جربته المؤلف ، فان اطار قصص هذه المجموعة الذي يسوق المؤلف من خلاله أفكاره وآراءه الخاصة ، محكم البناء فى الاغلب • كما أن الحس القصصى ، يتجلى بصورة واضحة فى صياغته لعباراته • فهذه العبارات لرشاقتها ، وبساطة أسلوبها التعبيرى ، اذا نظرنا اليها نظرة جزئية منفصلة عن عملية البناء الفنى الكامل للقصة ، تذكرنا بأجمل ما قرأنا من العبارات القصصية فى القصص الغربى ، وخاصة الأدب الروسى منه •

والحوار ، الذى يستخدمه باسراف ، على نحو لم نعهده عند غيره ، متدفق طلى ، يشف عن تمكن المؤلف من استخدامه ، وقدرته على ادارته • رغم أنه يعبر عن أفكار محدودة ، هى أفكاره الخاصة ، يوزعها بالتناوب على أبطاله ، لكى يصل من خلال النقاش الذى يجريه أو الأسئلة التى يطرحها وجوابها ، الى ما يتبغى عرضه من آراء وأفكار اصلاحية • وان

عد ذلك ضعفا في الحوار ، لانه لايساعد ، اذا كان كذلك ، على رسم الشخصيات ، وتطوير الحدث ، فانه لازم للقصص التي تكتب في غرض اجتماعي أو فكري محدد ، كما هو حال قصص « ذو النون أيوب » .

كما أن براعته القصصية ، تتجلى في قدرته على التحليل ، الذي يتأثر فيه القصص التحليلي العالمي ، وخصوصا قصص دوستوفيسكي ، الذي نرى أثره بارزا واضحا في أكثر قصص « ذو النون ايوب » . وتتجلى هذه النزعة ، ومهارته في استخدامها على اوضح ما تكون في قصة « البيك المثقف » من مجموعته الاولى « رسل الثقافة » . فهذا البيك حين يرجع بذاكرته تحت ضغط احساسه بتأنيب الضمير ، الى فترة شبابه الأولى ، نرى ذكرياته تتثال عبر ذهنه اثيالا متدفقا ، يشف عن تلمس دقيق للنوازع الانسانية العميقة ، التي تكون الانسان على صورة معينة ، ثم تقوده الى طريق تدهوره وانحطاطه ، بحيث تخفت في قلبه أي مثل انسانية أو خلقية ، مما كان يعتبرها في الماضي ، كل شيء في حياته ، ويضحى من أجلها بكل المكاسب المادية .

وقد قادته هذه الدقة في التحليل ، وقدرته على استخدامها ، الى نجاحه في تصوير بعض النماذج الانسانية ، التي لايصعب علينا ، أن نعثر على مثل لها في المجتمع . واذا كان هذا التصوير لايعنى برسم ملامح هذه النماذج ، بالقدر الذي يعنى برسم سلوكها الانتهازي ، فان ذلك لايفقدها قيمتها ، لما في هذه النماذج من واقعية وصدق فني ، كما يتمثل ذلك في قصة « البيك المثقف » وقصة « السيد عبيد في لهوه » من قصص هذه المجموعة .

وعلى أن هذه الخصائص والصفات ، التي استخلصناها من مجموعته الاولى « رسل الثقافة » هي بشكل أو بآخر ، خصائص وصفات مجاميعه الأخرى ، فاننا يمكن أن نلمس في نتاجه اللاحق خصائص فنية متطورة غير ما ذكرناه ، تشف عن دقة في الصنعة أكبر ، وقدرة على التحليل وادارة الحوار ، على نحو تتجلى فيه البراعة الفنية . مما قاده الى أن يوفق في كتابة

قصص يخفت فيها طابع المقالة الاجتماعية ، ويرتفع يدله ملامح القصص
 الفني الاصيل . وبالرغم من أن قصص مجموعته الثانية « الضحايا » لا ترتفع
 كثيرا عن مستوى قصص مجموعته الاولى ، من الناحية الفنية ، ومضامينها
 تسقط في العادي من المضامين ، الذي ألقناه في كثير من قصص المضمون
 الاجتماعي . فانا نجد قصة « الجريمة والعقاب » تقف في موقف متميز ،
 بالنسبة لقصص هذه المجموعة الاخرى . فطابع المقالة يشحب ويتلاشي منها ،
 ويحل محله طابع انساني يخرج بهذه القصة عن طابعها المحلي . ويبرز فيها
 تأثير (دوستوفيسكي) في الكاتب واضحا ، بحيث لا تبدو هذه القصة أكثر من
 تقليد ، لا أصالة فيه لموضوع قصة « الجريمة والعقاب » العظيم . فالحانة مكان
 دوستوفيسكي الأثير تواجهنا منذ بداية القصة . وهذه الثرثرات التي يتحدث
 بها السكيريون في الحانات ، والذين تحطم حياتهم باستمرار جرائم غير قانونية
 ارتكبوها فيلاقون عقابهم الخاص ، في هذا العذاب الداخلي الممزق ، على نحو
 مميت ، نتيجة لصحوة ضمير تطل عليهم في كل آن ، هي موضوع قصته . ففي
 حانة من الحانات الشعبية يلتقي بطله ، فيحدثه بقصته . وكان يشرب الخمر
 كما يشرب الماء الصرف ، ويلتفت اليه فجأة ، « وبدون سابق انذار قبض على
 رسفي بيد مرتجفة ، وكانت قبضته قوية رغم ضعف أعصابه ، وقال :

- اني مجرم ! هل تعلم ذلك ؟ .. مجرم فظيع ! (٤٠) » .

ثم يقول له بعد ذلك :

« أخبرني أولا ما الفرق بين انسان يغمد سكيناً في صدر رفيقه وآخر
 يحيط غيره بكل عوامل اليأس والقنوط حتى لا يجد مجالا غير الموت
 فينتحر (٤١) » .

ثم يحكي له قصته ، لقد أحبته امرأة تركية التقاها في القسطنطينية ،

(٤٠) الضحايا . ص : ٧٨

(٤١) المرجع السابق . ص : ٨٠

وسرعان ما ضجر منها ، وحين احست أنها عقبة أمام زواجه انتحرت • وقد أدرك جريمته بعد موتها ، فظل يتحمل وزر الجريمة عذابا نفسيا هائلا قاده الى الخمر ، يفرق أحزانه فيها •

وليس في مجموعته الثالثة « صديقي » من الخصائص والصفات ، ما يميزها عما ذكرنا من خصائص وصفات على أن مجموعته الرابعة « وحي الفن » تتميز عن سابقتها من المجاميع ، بهذه الدقة في الصنعة والنضوج الفني ، الذي يلمسه قارئها في هذا النفس الهاديء الذي لا يشوبه اضطراب والذي يتجلى في أسلوبه ، وفي بنائها الفني • وان كان لا يتخلص فيها تماما ، من طابع المقالة ، ومن رغبته الخاصة في الشرح والتفسير ، الذي يظن حدثه ويشوه من فنية ما يكتبه •

ففي قصة « حلم على نغم » من قصص هذه المجموعة ، نجد دليلا واضحا على هذه الدقة في الصنعة والنضوج الفني ، والنفس الهاديء الذي لا يشوبه اضطراب ، والبناء الفني ، الذي يتخلص به من كثير من عيوب قصصه الأخرى • فهو يحكي قصة حلم ساقته اليه موسيقى شهرزاد للموسيقى الروسى الشهير ريمسكى كورساكوف التي كان يستمع اليها • وانغام هذه الموسيقى تساوق تطورات ما يشاهده في حلمه ، على نحو جميل • فالمدينة التي يشاهدها في حلمه مدينة يحكمها رئيس ذو سطوة قاهرة ، يستجيب لآراء بعض ناصحيه ، فيحرم على الناس الفن في كل صورته وأشكاله • فكان أن تحولت مشاعر شعبه تجاهه من ولاء مطلق الى ثورة هائلة ، أرادت أن تكتسحه ، لولا تدخل ملاك الفن ، لاقناعه بخطل قراره ، وضرورة تراجعه عنه • وحين يستيقظ من نومه يجد الاسطوانة الاخيرة من « السمفونية » وهي « غرق مركب السنديباد » ترسل في الجو أنغامها الصاخبة التي تمثل الاعاصير •

وتفاجئنا قصة « عاصفة وصدائها » من قصص مجموعته الخامسة « برج بابل » فهي من أفضل قصصه ان لم تكن أفضلها على الاطلاق • وتمثل في

رأينا قمة ما وصل إليه « ذو النون أيوب » من تطور فني ، وهو تطور لم يحققه في أية قصة أخرى . حتى لنحسبها غريبة عنه ، لولا موضوعها الذي تعالجه ، والذي غدا صفة لازمة لقصصه . وهذه القصة من القصص القليلة ، التي استوفت مقومات الفن القصصي في هذه الفترة التي ندرسها ، وفيها هذا الشذا الخاص الذي يعبق في أي عمل قصصي أصيل ، وينحسر عنها السرد التقريرى تماما ، وتنعدم نزعة الكاتب الخاصة في الشرح . ولا يمكن تلخيص هذه القصة دون أن تفقد قيمتها ، شأن أي عمل فني أصيل ، لبنائها المحكم ، ولاعتماد المؤلف في تتبع تطور حدثها على تداعيات بطله الذهنية . بحيث عادت كل عبارة ، تقريبا ، لها قيمتها في بناء حدثها وتطوره . ورغم أن موضوعها الذي تناوله في هذه القصة ، هو من مواضيع « ذو النون أيوب » الأثرية أي مشكلة الانتهازية السياسية ، والتلون في المواقف المختلفة ، بالنسبة للبعض ، فانه هذه المرة يطرحه بشكل جديد . فهذا تواما الصحفي ينتظر في بيته زوارا . هم : زعيمان ووزيران سابقان وقنصل دولة أجنبية ، لكى يتأمروا على اسقاط الحكومة . وكانت الليلة ممطرة ، انفتحت فيها « ميازيب السماء كأفواه القرب ، وجلجل الرعد بعد برق ساطع ، أنار ظلمات الليل فبانت خيوط المطر كأسلاك مبرومة من فضة ، تصل السحاب المظلم بالارض الفارقة في المياه^(٤٢) » . ويتمتم ، انه جو لا يصلح حتى لارسال كلب خارج الدار . فيزعجه ذلك ، حين يتصور عدم امكانية أصحابه الحضور هذه الليلة . لقد ذل في الايام الاخيرة ، وها هي الصحف تشن عليه غارة اثر غارة ، ولا يستطيع دفاعا عن نفسه . ولم ينفعه شيء من مكائنه ، وذكائه الذي يعترف به حتى خصومه . وفي الفترة الاخيرة ، كثر خصومه وأعداؤه ، فلم يعد لدفاعه المستमित عن نفسه ، من نفع . وعند ما عطلت صحيفته الى أجل غير مسمى ، تنفس الصعداء ، فقد صان هذا التعطيل كرامته الصحفية . وقد شعر

(٤٢) برج بابل . ص : ٣٩

أن المقادير تعاكسه دائما ، فحين كان على وشك أن يصبح وزيرا سقطت الحكومة التي كان يسندها ، واستحال كل شيء الى هباء . والآن ، حين يأمل من وراء هذا الاجتماع أن يعيد له ما فقده ، نيابة بل ربما وزارة ، تأتي هذه العاصفة الهوجاء ، التي لم تكن في الحسبان ، وتقوض كل شيء . وتزأر « الرياح في الخارج فكان لزيورها دوى هائل مرعب قطع عليه سلسلة أفكاره ، وارتجفت روافد النوافذ تحت ضغط الرياح ، ثم تغلبت على واحدة منها لم تكن محكمة الاقفال فدفعتها بشدة ، ودخلت الغرفة بدوى وصغير . وأبرقت السماء في تلك اللحظة ، فامتألت الغرفة بضوء البرق الساطع^(٤٣) . وعزم على أن يغلق النافذة ، وخطا خطوتين ، ولكن يده سقطت عفوا على أحد المجلدات الضخمة المرصوفة في خزانة الكتب فجاء بيده وهوى على وجهه ، وهوت معه عدة مجلدات ضخمة اخرى . ولم يكن توما في تلك اللحظة في حالة طبيعية . لقد أثرت في قوة أعصابه النكبات التي حلت به أخيرا . ولقد كانت هذه المجلدات هي « مجموعات جريدته السنوية كلها . سجل ينطق بطول جهاده ، وبشدة أناته ، وتقلبه في ألوان من الرفعة والضعفة ، عشر سنين في كفاح مستمر ونضال عنيف لم يحصل بعدها الا على بيته هذا ، وثروة لا بأس بها ، واسم تصب عليه اللعنات ، بين آن وآخر . وشخصية كالجسر يعبر عليها الأقوياء الى حيث يريدون^(٤٤) » وتمتلكه رغبة في فتح أحد المجلدات ، وحين يفتحه يبدأ باستعادة ماضيه . لقد نشأ نشأة دينية وقضى أيام طفولته وأوائل سنى شبابه ، مع القسس يقرأ اللاهوت ليكون قسيسا ، ولكنه عزم على أن يكون صحفيا فكان . ولقد بنى شخصيته ومكانته ببطء ، حتى كاد يصل الوزارة ، ولكن الوزارة تبدل بأخرى ، فينحاز اليها أيضا ، ويحقق مطامحه ويثبت من مكانته بواسطة تقلبات عديدة « الى أن أتت الى الحكم كتلة

(٤٣) المرجع السابق . ص : ٤٤

(٤٤) المرجع السابق . ص : ٤٦

لم تعترف به اذ كانت تلك الحوادث السريعة ، والتقلبات الفجائية قد
 أظهرت ميوعة شخصيته وجبنه ، وسخف آرائه وتقلبه ، فقامت الحجة عليه
 من جميع الجهات^(٤٥) ، • ويروح يبرر لنفسه تصرفاته ، ثم يلمع البرق
 « فامتألت الغرفة بنور أزرق ساطع شديد اللمعان يبهر الابصار ، حتى ظهر
 كل شيء في الغرفة واضحا جليا ، ولمح صورة المسيح المعلقة على الحائط أمامه
 مصلوباً ، وعلى رأسه أكاليل الشوك • فعلق بصره به • انه ينظر اليه تلك
 النظرات الحزينة ، الباسمة ، نفس تلك النظرة التي كان يراها منذ
 الصغر^(٤٦) » • ويرتج المنزل ، ويسمع دويًا ضخمًا ، وصراخ أطفاله ،
 فحاول أن ينهض الا أنه لم يستطع • وتندفع الى الغرفة زوجه مولولة حاملة
 طفلها الصغير ، الذي هشم رأسه سقوط جدار عليه ، فيرتعش بدنه ، وينكب
 على طفله يقبله ، لقد خانته صبره ، وانسكبت الدموع من عينيه مرة واحدة •
 لقد قضى ثلاث سنين في مدارس الكهنوت • ولقد ظل فترة من حياته الاولى
 يحتفظ بـ « عواطف الرحمة والنصيحة التي بشر بها المسيح ، وكثيرا ما كان
 يتخيل المسيح حافيا يسير وراءه أتباعه ومريدوه ، وكلهم من الدهماء ،
 يمسح دموعهم ، ويخفف آلامهم ، ويقتل من نفوسهم الانانية والحقد ، ويعلمهم
 كيف يموتون في سبيل الايمان • ولقد ود يوما لو يستطيع أن يكون مبشرا
 بمسيحية صحيحة لتمتلئ القلوب بالحب والحنان بدلا من العداة والحقد •
 ولكنه علم استحالة ذلك^(٤٧) » • ولانه علم ذلك قرر أن يسلك سبيلا آخر
 في الحياة • فنزع مسوح الربان ، ونزع معه الايمان من قلبه « وهدم كل
 مقدساته ، ولم يبق منها غير الايمان بنفسه • لقد كفر بالله وبالمسيح وبكل
 الاديان يوم كان يصعد سلالم المجد ، ولكنه عاد فتذكرها عندما حلت به

(٤٥) المرجع السابق • ص : ٥٢ - ٥٣

(٤٦) المرجع السابق • ص : ٥٧

(٤٧) المرجع السابق • ص : ٥٩ - ٦٠

النكبة^(٤٨) ، • ولم يستطع أن يتصور غير أن ما حل به ، إنما هو ضربة من ضربات الله وعاد الى غرفة مكتبه ، وجثا أمام صورة يسوع ، بقلب مضطرب ، وأخذ يصلى ، نادما على ما بدر منه عازما على أن يسلك سبيلا جديدا فى الحياة • ويقطع استغراقه فى الصلاة ، صوت صديق له ، يخبره ان لا مصيبة هناك ، ولا ضرر ، وان ما أصاب طفله لم يكن أكثر من حجر طائش شج رأسه • وكانت العاصفة قد هدأت • والجو رائع مبهم ، والقمر بهى • وهب نسيم منعش من النافذة • استنشق مقدارا منه فخيل اليه أنه يعود الى الحياة من جديد • ورن جرس التلفون فى تلك اللحظة فتقدم منه متاقلا ، وسمع أحد أصحابه الذين وعدهم بالاجتماع فى داره يقول بان العاصفة قد أخرته ، وأنه سيكون عنده فى الصباح ، فسرت رعشة فى بدنه ، واصفر وجهه ، وأراد أن يعتذر ، ولكن صوتا خرج من حنجرتة وكأنه صوت انسان آخر همس فى التلفون « سأكون بانتظاركم » ثم رد السماعة مرتجفا • وطرق سمعه صوت همهمة من بعيد هى همهمة الرعد الذى كان يصرخ فى أذنيه قبل وقت وجيز^(٤٩) ، •

ان هذه الدقة فى التحليل ، وهذه القدرة القصصية المتمكنة ، التى تتجلى فى هذا المنلوج الطويل المتحرك دون تقييد بالزمن والذى دار فى ذهن بطل القصة توما ، وهذا الجو الروحانى المسيحى الذى أشاعه فى صفحات القصة الاخيرة ، تذكرنا باجمل صفحات الاخوة كرامازوف ، لدستوفيسكى ، وحوار اليوشا وايفان الداخلى ، وموقفهما المتناقض من المسيح • كما ان هذا المزج بين ذكريات الطفولة ورغباتها ، وبين الواقع القريب والبعيد فيه فنية دستوفيسكى • ونحسب أن « ذو النون أيوب » كان واقعا تحت تأثير هذه الرواية حين كتب قصته هذه • فان جوها ، وأسلوبها ، وتطور تقنيها ،

(٤٨) المرجع السابق • ص : ٦٠ - ٦١

(٤٩) المرجع السابق • ص : ٦٥ - ٦٦

لا ينسجم مع قصص المؤلف الأخرى • ولا يشف ، ذلك كله ، عن قدرة خاصة ، وصلت قمة نضوجها الفني • إذ لم يحقق هذا النضوج في أية قصة أخرى ، كتبها بعد ذلك • مما يدل دلالة أكيدة على أنه وقع تحت تأثير واضح لعمل روائي كبير جاد • ومهما يكن من شيء فهو تأثير مبدع ، لا نرفضه ، إذا كان يقود الكاتب الى هذا النفاذ العميق ، الذي يستشرف آفاق الدقة في تصوير المشاعر الانسانية ، وتكامل العمل القصصي من حيث فنيته • بل اننا نتمنى ، لو كان استفاد من هذه المؤثرات ، واستخدمها الاستخدام الناجح الذي استخدمها به في هذه القصة ، اذن لاعطى مضامينه غنى وافيا واجواء انسانية ، ولرفعها الى مصاف القصص الانساني الخالد •

ومجموعته السادسة « الكادحون » أوفر مجموعاته السابقة ، من حيث المادة القصصية • ولقد اختار ابطال قصص هذه المجموعة ، من الطبقات الكادحة من عمال وفلاحين ، وأفرغها في قالب قصصي انساني مؤثر ، فيه بعض ملامح التطور الفني الذي لمسناه في قصة « عاصفة وصداها » • وتبرز هذه الانسانية المؤثرة ، بشكل واضح في القصة الاولى من قصص هذه المجموعة « النوخدة »^(٥٠) التي كتبت على شكل رسائل يبعثها صديق للمؤلف ورغم ان هذه القصة تكتسب لحسها الانساني العميق وطابعها المأساوي الفاجع أهمية كبيرة الا أنها تفتقد وحدة الموضوع ، إذ صرفت همها الى نواحي أخرى غير الحديث عن مأساة بطلها ورسم ملامحه ، كنموذج انساني مستمد من الواقع المعاش • وكان على المؤلف ، أن لا يمزق عمله القصصي الى هذه الاشتات المتفرقة من المواضيع ، التي عرض في بعضها بالنقد ، لبعض مستغلي الدين ، من رجاله الذين يكثر وجودهم في النجف والكوفة ، وهما من المراكز الدينية الهامة في العراق • وفي البعض الآخر ،

(٥٠) الكادحون • ص : ٩

وصف الحياة الاجتماعية ، ونقد بعض العادات والتقاليد المنتشرة في هاتين
المدينتين مما أعطى صفحات كثيرة من القصة ، طابع المقالة ، وأضاع تأثيرها
الكلى . و « النوخذة » هذا رجل أمضى حياته في سحب السفن ، على
شواطئ نهر الفرات . تعرف عليه صديق الكاتب ، حين أنقذه يوما من
الغرق . ولقد كان له زوجة وخمسة أطفال ، يعيشون على خبز الشعير ، أو
خبز الذرة . ولا ترى عائلته هذه وجهه ، ولا يراهم الا بضعة أيام في
السنة ، حينما يمر عليهم في سفينته التي يسحبها ، أكثر مما تحمله . وكان
قنوعا ، بعيدا عن الشر والاجرام رغم أنه لا يجد ما يسد رمقه في أغلب
الاحيان . ولقد انتهت حياته أخيرا مع أفراد أسرته ، في يوم عزم فيه على
زيارة أضرحة الائمة ، فركب سفينة بخارية قديمة ، غرقت بعد أن تعطلت
آلاتها ، واصطدمت بالجسر الذي يعترض النهر ، وهكذا كانت نهاية هذا
الرجل الذي « بقى كل حياته يسحب سفينته ، وربما كانت هذه المرة الاولى
التي ركب فيها سفينة ولم يسحبها » .^(٥١) ويختتم « ذو النون أيوب »
قصته بهذه الصورة المؤثرة : « ولقد رأيت في اليوم الثاني في تابوت مصنوع
من سعف النخيل ممددا بجانب زوجته وأحد أولاده ، وقد تشبث بعضهم
ببعض وعليهم أسمالهم البالية التي غسلتها المياه فظهرت أكثر نظافة
وبياضا »^(٥٢) .

ويوفق « ذو النون أيوب » في قصة « المشنقة » من قصص هذه
المجموعة ، في تقديم نموذج آخر . ويتجلى في هذه القصة هذا الحس
الانسانى الفاجع ، على نحو تبرز فيه السخرية المشوبة بالمرارة . فحزباوى
بطل قصته ، نموذج للفلاح الذى يعيش في قريته ، وذهنه لا يمتد الى خارج
نطاق محيطه وعشيرته ، ولا يدرك خفايا الامور . ثم يحدث أن يخسر كوخه

(٥١) المرجع السابق . ص : ٢٦

(٥٢) المرجع السابق . ص : ٢٦ - ٢٧

وزوجه في حريق يلتهم معه كل شيء فيأسي ويقنط . وعندما تندلع شرارة الثورة ، ينخرط في صفوفها ، هرباً من حزنه ، وولاء لشيخه دون أن يدرك سببها . ثم يؤسر ، ويحكم عليه بالموت شنقاً . ويظل ينتظر الموت بلا خوف منه في سجنه ، الذي يراه أكثر راحة من كوخه الذي كان يسكنه . على أن ما كان يحيره ، أكثر من أي شيء آخر ، ماهية هذه المشنقة التي ستسلب منه الحياة . وعندما تنتهي الثورة ، ويعفى عنه ، ويخرج من سجنه تبقى في ذهنه عدة ألغاز لم يجد لها حلاً كل حياته . لماذا ثار ؟ ولماذا لم يعدم بالرصاص عند القبض عليه ، ولماذا حكم عليه بالشنق ؟ وما هي المشنقة ، وكيف يعدم الانسان ولا يموت^(٥٣)

وفي « النائر »^(٥٤) يحرص « ذو النون أيوب » من خلال تصوير نموذج فلاحى آخر ، فيه من البساطة والسذاجة ما فى الاول منهما ، على فضح صراع المصالح الدامى ، الذى كان يدور فى العراق بين المتحكمين ، من نيوخ وسدنة حكم فى المدينة . والذى يذهب ضحيته الكادحون من الفلاحين . بحيث يقتل أبناء العم الواحد ، هذا مع شيخه ؟ وذلك مع حكومته . ورغم ما يحققه فى هذه القصة ، من نجاح فى ، وتطور أسلوبى بدأنا نحسه فى تناجه الاخير ، بحيث تشعر أن ما تقرأه قصة ، فان طابع الشرح والتقرير يغلب عليه فى بعض صفحاتها ، فيوقف تدفق صورته ، ومسار حدثه ، ويضيع على القارىء فرصة الانسياق العفوى ، مع انسياب السرد وتدفعه . ومع هذا فسرده لا يخلو من حرارة لما فيه من صدق ، وحسن معالجة . ولعل أفضل مثال نأخذه ، من هذه القصة لتوضيح ذلك هذا المقطع « استيقظ (أوحيد)^(٥٥) من سباته العميق عصراً وقد خفت وطأة

(٥٣) المرجع السابق . ص : ٤٠ - ٤١

(٥٤) المرجع السابق . ص : ٥٥

(٥٥) اسم بطل قصته .

الحر ، وبسط عضلاته الفولاذية ثم قَلصها حتى ناء العنجريب بحمله فُقرِّع ، وانقلب على جانبه ليواجه زوجته المتمددة بينه وبين طفله ، وكان الثلاثة في ثوب آدم قبل خروجه من الجنة ، واشتهى أن يقضم حلمتى ذلك الثدى المتوثب المنتصب فوق صدرها بجانبه ، واشتهى أن يعض موضعا من ذلك الجسم الاسمر الرشيق . ولا يظنن القارىء ان (اوحيد) انما أغرم بزوجه لانها من طينته ومن بنات عشيرته ، فلست أظن القارىء الا شاعرا بشعوره لو كان فى موضعه ، ومن لم ير تلك الاجسام المشتعلة السمراء الضامرة الرشيقة لا يدرك بسهولة أى سحر وفتون فيها . أما اللون فتدفع الاوربية نصف حياتها للحصول على ظل منه ، وأما الرشاقة فلا تكسب منها بكل أنواع الرياضة والالعاب الا قدرا يسيرا لا يلبث ان يزول^(٥٦) ، فقطع على القارىء هذا الانسراح مع تدفق الصورة ، التى غني برسمها بهذا الشرح المتفعل ، فكأنه بذلك فنان أعطى اللوحة حركتها ، ثم كتب على كل لون ما يظنه جوابا على استفسار لمشاهد .

وقصصه الثلاث الاخرى^(٥٧) ، الباقية من مجموعته لا ترتفع كثيرا عن مستوى ما ألفناه من قصص يغلب فيها طابع المقالة على طابع القصة ، اللهم الا قصة « حلم المعيدى » التى نسجها على نسق قصة لمؤلف غربي لم يعد يذكر اسمه . كما يشير فى هامش الصفحة الاولى من القصة . وتتناول موضوعه الاجتماعى المفضل .

وإذا كان هناك ما يمكن أن نخرج به من هذه المجموعة الاخيرة ، فهو أن « ذو النون أيوب » بعد هذه الممارسة الطويلة للقصة ، وبعد اصداره ست مجموعات قصصية فى مدة لا تتجاوز الاعوام الثلاثة الا قليلا ، وقد وفق

(٥٦) المرجع السابق . ص ٥٧ - ٥٨

(٥٧) هذه القصص هي : آلام مزمنة ص : ٤٢ وحلم المعيدى ص : ٦٨ والاراء

الهدامة ص : ٨٧

في التعرف على الكثير من خصائص القصص الفني ، بحيث اعتمد الصورة والحركة ، يكشف بواسطتها نفسية أبطاله ، وأفكارهم الخاصة ، دون تدخل منه ، وان كان ذلك لا يستقيم له دائما ، اذ كثيرا ما يغلبه طبعه فيقرر ويشرح ، كما رأينا في المقطع الذي اقتبسناه من قصة « النائر » .

٤

أصدر « ذو النون أيوب » مجموعاته الست السابقة ، بين عامي ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ فهي بذلك تدرج ضمن الفترة المحددة تاريخيا لدراستنا . على أنه لم يتوقف عن كتابة القصة ، بعد هذه الفترة . فهو من أغزر كتاب القصة في العراق ، على الاطلاق ، نتاجا . ولعله الوحيد الذي بدأ كتابة القصة منذ فترة مبكرة تاريخياً ، واستمر في كتابتها حتى تاريخ قريب . فقد أصدر حتى عام ١٩٥٧ ثلاث عشرة مجموعة قصصية ، غير ثلاث قصص طويلة ، وبعض الترجمات ، والمقالات المختلفة . ولا نعلم ما يضمه في جعبته من نتاج الان . اذ لانحسب أنه توقف عن الكتابة .

ولنا أن نتوقع بعد الذي شاهدناه من تطور فني حققه في مجموعتيه الاخيرتين ، أن يعزز هذا التطور فيما كتبه من قصص بعد ذلك . خاصة اذا عرفنا أن فترة مابعد الحرب العالمية الثانية ، في العراق ، قد شهدت نتاجا قصصيا غزيرا ، نجح أكثره في أن يقدم قصصا ، تجمع الى مقومات الفن وأصالة التعبير ، الصدق الفني وحرارة التجربة المعاشة . ولكن « ذو النون أيوب » سرعان ما يخيب أملنا . فتناجه الذي كتبه خلال الحرب الثانية ، وبعدها ، لا يحافظ على المستوى الفني الذي لمسناه في مجموعتيه الاخيرتين فحسب ، بل يسجل تراجعاً ملموساً ، بحيث انحسر فيما كتبه الفن القصصي ، وجفت العاطفة ، وساد البرود سرده ، وأخذ يعيد نفسه ، فلا يقدم جديداً .

ويبدو أن « ذو النون أيوب » وقد شفى عليه فيما كتب ، وخفت حدة الحافز الاجتماعي ، الذي دفعه الى الكتابة ، لم يجد عنده ، مايكتبه ، لذلك نصبت عاطفته ، ففقدت قصصه ، نتيجة لذلك حرارتها وصدقها المتدفق العنيف ، فانعدم تأثيرها في نفس قارئها ، الذي كان يجد في كتاباته الاولى ، واقعه مرسوما بدقة وجرأة متناهيتين .

وهذا التراجع ، نحسه في المجموعة السابقة « العقل في محنة » التي نشرها عام ١٩٤٠ . اذ بدأ يتخلى فيها عن صراحته ، ويلتجئ الى أسلوب الرمز الساذج ، فيختار بلادا غير بلاده لتكون مسرحا لاحداث قصصه ، دون أن تكون هذه الاحداث ، أو الافكار التي يطرحها فيها أي جديد ، لم تألفه في قصصه السابقة ، أو نحسه فيها . وفي مجموعته الثامنة « حميات » التي نشرها عام ١٩٤١ يتحدث عن الامراض ، ويراهها نوعين ، امراضا نفسية وأمراضا حقيقية . و « الكارثة الشاملة » مجموعته التاسعة التي نشرها عام ١٩٤٥ ، ويعني بها الحرب يكتب قصصها بأسلوب يدفع السأم الى القارىء ، ولا يراعى أي فنية . بحيث يجول في الذهن ، عند قراءتها أن « ذو النون أيوب » قد انتهى قاصا وأديبا ، ولم يعد يستطيع أن يقدم نتاجا ذا غناء .

وتسجل مجموعته العاشرة « عظمة فارغة »^(٥٨) غاية تدهوره الفني ، اذ ليس في هذه المجموعة غير المقالات الصحفية السريعة ، وفيها من سقطات القول ، وتفاهة المضامين وسرعة التأليف ، ما في كتابات كاتب مبتدىء ، لا يملك من عدة الفن ، غير ثورته النفسية ، وسخطه الضاري على بعض ما يجري على مسرح بلاده من أحداث سياسية .

ولا يعود « ذو النون أيوب » الى مستواه السابق ، الذي حققه في مجموعته الخامسة ، والسادسة ، الا في مجموعته الحادية عشرة « قلوب

(٥٨) هذه المجموعة غير مؤرخة . وأغلب الظن ان تاريخ طبعتها عام ٤٨ أو ٤٩ . اذ أنها تتحدث عن أحداث ١٩٤٨ المعروفة في العراق .

ظمأى ، التي نشرها عام ١٩٥٠ . اذ يعود الهدوء والاستقرار الاسلوبى اليه ، فيقدم قصصا ذات مسحة حزينة ، صادقة اللهجة . ولعل ذلك يعود الى أنه كان تحت وطأة مشاعر صادقة ، دفعته الى كتابتها ، بعد خيبة أمله فى الحصول على كرسى فى مجلس النواب ، اذ رشح نفسه عام ١٩٤٨ للانتخابات العامة ولكنه خسر المعركة الانتخابية بقصور صوتين فقط . كما يشير الى ذلك فى مقدمة مجموعته الاخيرة^(٥٩) . ويحس قارىء هذه المجموعة عند أبطالها ، ضمناً قليلاً ، ورغبة فى البحث عن شىء لا يعرفون كنهه فى أغلب الاحيان . وتحس هذه الجودة التى لمسناها فى « قلوب ظمأى » فى مجموعتيه الأخيرتين « صور شتى » عام ١٩٥٤ ، و « قصص من فينا » عام ١٩٥٧ التى حاول فيها أن يسلك سبيل القصة الحديثة ، من حيث صياغتها الفنية . وهكذا نرى أن « ذو النون » لا يكتب جيداً الا اذا سخط ، وأثاره شىء ، على ان نتاجه الاخير فى القصة رغم جودته ، لا يرقى الى مستوى القصص التى أخذ يكتبها الجيل الجديد من القصاصين ، بعد الحرب العالمية الثانية ، امثال عبدالملك نورى وفؤاد التكرلى ، فلم يعد والحالة هذه ، عامل دفع للقصة العراقية ، ولا شاهد تطور عليها ، شأن نتاجه الاول فيها .

٥

وأخيراً لابد لنا من الإشارة الى ان محاولاته فى القصة ، لم تقتصر على كتابة القصة القصيرة ، بل تعدتها الى كتابة الرواية . فقد كتب فى الفترة التى نؤرخها ، رواية طويلة واحدة هى « الدكتور ابراهيم »^(٦٠) نشرها أول الامر

(٥٩) وانظر غلاف رواية : « الدكتور ابراهيم » ط ٢ ، وفيه تعريف بالمؤلف ، وذكر لهذا الخبر .

(٦٠) كتب غير هذه الرواية ، رواية أخرى هى « اليد والارض والماء » ونشرها عام ١٩٤٨ وقصة طويلة نشرها بعنوان « الرسائل المنسية » عام ١٩٥٧ كما أنه لا يمكن اعتبار قصة « مؤامرة الاغبياء » من مجموعته الرابعة « وحي الفن » قصة قصيرة ، اذ تزيد عدد صفحاتها على الخمسين .

مسلسلة في مجلة « المجلة » بالموصل ، ثم جمعها في كتاب مستقل ونشرها عام ١٩٣٩ . وقد اتصفت هذه الرواية بذات الخصائص ، التي جعلت من أغلب قصصه ، مقالات اجتماعية اتخذت الشكل القصصي اطارا يعرض بواسطته ما يريد المؤلف قوله . وكتبت أيضا نتيجة حافز اجتماعي بحث . اذ يبدو أن مجموعته الخامسة « برج بابل » قد أثارَت مشادة خاصة ، بينه وبين وزارة المعارف آنذاك^(٦١) . مما جعل الوزارة تنزل به عقوبتين ، احدهما التوبيخ ، والثانية نقله نقلا اداريا الى قضاء بعيد في شمال العراق^(٦٢) . فكتب روايته تحت وطأة الآلام التي سببتها له هاتان العقوبتان . وسبب المشادة هو قصة « نحو القمة »^(٦٣) من قصص المجموعة المشار اليها . اذ تصور البعض انها تعنى شخصا معينا ، من مسؤولي هذه الوزارة . وقد نفى المؤلف هذه التهمة وقتها . وأعاد نفيها في الطبعة الثانية من روايته اذ قال « من واجبي أن أنوه بان هذه السيرة ، المكتوبة بأسلوب قصصي ، لا تعنى فردا خاصا ، بل تعنى فئة كبيرة جدا لها أمثلة كثيرة في بلادنا ، وفي بلاد العالم الاخرى قاطبة ، وهي تصف نوعا خاصا أسميته بالانتهازية العصرية أو العلمية ، فمن يمثلها في هذه القصة يدعى الثقافة لانه حائز على أكبر شهادة علمية ، ويفرض سلطاته بها ، ويستغلها ، ويستغل العلم لمصلحته أشع استغلال ، مثال له شبيه في عدد كبير من حملة الشهادات العالية . ولقد حاول بعض هؤلاء أن يحصروا التهمة في شخصية الدكتور فاضل الجمالي يومذاك ، فنفيت الأمر ، لا خوفا من هذا الدكتور ، وهأنذا أنفيها الآن وهو في السجن محكوم عليه بالاعدام ، لأنني أعنى التعميم ، لا التخصيص ، فليس من واجب الأدب أن يتكلم عن

(٦١) اشار المؤلف الى هذه المشادة في هامش الصفحة (٦) من الرواية ط٢٠

(٦٢) تحدث عن هاتين العقوبتين في التمهيد الذي كتبه للرواية . ص: ٢٦

٢٧ - ط ٢

(٦٣) برج بابل . ص : ٨٥

الأشخاص ، بل عن النماذج وبشكل عام ولا يخفى ما فى ذلك من فائدة ، (٦٤) .
والواقع أن المؤلف لم يقدم فى « الدكتور ابراهيم » رواية بالمعنى المفهوم
للرواية الفنية ، وإنما قدم بحثاً موضوعياً ، اتخذ الشكل القصصى اطاراً له ،
كدأبه . وموضوعها كما يذكر هو : « تشریح تفصیلی للانتهازية فى العراق ،
والانتهازية فى العراق داء مستعص ، له جذور وأسس ، تستمد غذاءها من
حالة المجتمع القبلية والبدوية التى تقوى النعرة الفردية ، وتطمس الغيرة
النحنية ، والغريزة الاجتماعية » (٦٥) ولقد بنى روايته على أساس قصة « نحو
القمة » التى نشرها فى مجموعته الخامسة « برج بابل » ولم يزد غير التفاصيل .
وقد مهد للرواية بتمهيد طويل فيه كثير من الخيال ، مع أن الرواية فى جملتها
تخلو منه . فقد تخيل الدكتور ابراهيم ، بطل قصته نحو القمة ، يأتى لمقابته
فى احدى مقاهي بغداد ، ويشيد بذكائه ، لانه عرف عنه أكثر مما يعرف
هو عن نفسه ، ويخبره أنه سيمده بمعلومات جديدة عن حياته ، ليكتبها ، لانه
قرر مغادرة العراق ، والسفر الى أمريكا . وقد صاغ « ذو النون أيوب » بقية
فصول الرواية على لسان الدكتور ابراهيم ، فتحدث عن نشأته الاولى فى قرية
من قرى الموصل ، ثم سفره فى بعثة الى انكلترا ، ومن ثم رجوعه الى بلاده
العراق وهو يحمل شهادة الدكتوراه ، فى الزراعة ، مصمماً على تسنم أرفع
المراكز فى الدولة . ويتحدث « ذو النون أيوب » بعد ذلك عن الاساليب
والخطط التى اتبعها الدكتور ابراهيم لكى يحصل على مركز مدير الزراعة
العام ، بشكل مفصل ودقيق . وينهى الرواية ، بعزم الدكتور ابراهيم على
مغادرة العراق ، والسكنى فى أمريكا ، بعد أن وفر لنفسه مبالغ طائلة من
الاموال تضمن له عيشاً رغيداً هناك .

(٦٤) الدكتور ابراهيم ص: ٤ من الاهداء ط٢

(٦٥) المرجع السابق . ص ٣ من الاهداء .

وإذا كان المؤلف قد وفق في تصوير سلوك انتهازي ، لا يدين بقيم مثالية او خلقية ووفق في عرض الواقع السياسي في العراق ، في فترة من تاريخه ، فانه لم يوفق في الفصل الاول من الرواية ، حين تحدث عن نشأة الدكتور ابراهيم الاولى ، اذ صوره طفلا شاذا ، لا يشبه غيره من الاطفال ، نشأ على الحقد ، والنميمة ، حتى قبل أن يدرك للحقد والنميمة معنى ، حتى لتبدو هذه الصفات طبعا متأصلا فيه ، لم يكن للطفل من حيلة فيها . ومن أجل ذلك كان سلوكه الانتهازي الفريد ، في رجولته ، وأنانيته الخاصة ، واتباعه مختلف الوسائل الدنيئة للحصول على ما يريد ، سلوكا شاذا لانسان شاذ ، تأصل فيه الخبث ، ولا يصلح أن يكون نموذجا لحالة من الحالات الاجتماعية كما يريد المؤلف ان يكون .

ولقد أنهى المؤلف روايته ، بما كان يجب ان ينهيها به . فهذا السلوك الانتهازي الذي سلكه الدكتور ابراهيم في حياته العملية ، لا بد له أن يتكشف ويتعري أمام الآخرين ، رغم ذكاء صاحبه ، مما جعل البطل يفكر بالرحيل والهروب الى بلاد أخرى ، حيث يضمن لنفسه عيشا ، يأمن به شر العاديات ، خاصة وان حياته أصبحت في بلاده مهددة بالخطر .

من هذا نرى ان روايته تلك في الواقع ، ان هي الا تكبير لصورة ، أو اخراج جديد لقصة من قصصه . وبهذا نستطيع أن نقول أن « ذو النون أيوب » قد قدم من واقع العراق ، صورا يلهبها السخط ، لم تخل من مفارقات غير فنية ، وأساليب غير قصصية . ولكنها في جملتها مثلت أقوى قوة دفعت بالقصة العراقية ، نحو أن تكون قصة بالمعنى الفني . والفضل في ذلك كما نرى ، يرجع الى عقيدة هذا الرجل ، الذي أحدث فيه تعلم العلوم ، والتأثر بالقصص الروسي ، مزيجا صالحا لان يأخذ السخط عنده صورة قصة فنية ، أو قريبة من الفنية .

الفصل الرابع

عبدالحق فاضل

١

لقد حقق عبدالحق فاضل في قصصه ، على قتلها ، انسجاما جيدا بين الشكل والمضمون . اذ يبدو أنه قد أدرك ، خلافا لغيره من القصاصين الذين كتبوا القصة في العراق خلال الفترة التي نورخها ، أن للقصة شكلا يجب أن يسجّم مع مضمونها ، وان الكاتب غير حر ، في أن يسوق ما يريد على النحو الذي يريد ، بحيث يغلبه طبعه ، فيكتب الصفحات الطوال بما لا يغني الحدث ان لم يكن يشوهه ، ويفقده قيمته الفنية ، وأن القصة ، كأى عمل فني آخر ، يخضع لتقنية خاصة ، فيها المعانة والمكابدة ، والبناء المحكم الذي يقوم على أسس فنية متينة وليست عملا سهلا هينا ، سهل على أى انسان أن يكتبها^(١) . فمذ المحاولات الاولى ، التي كتبت في القصة ، في العراق ، والتي خضعت خضوعا كليا لتقليد نماذج القصص العربية والمترجمة بأشكالها البدائية ، ومرورا بملاحظات وخواطر محمود أحمد السيد عن القصة ، الذي أراد جادا ، أن يضع أساسا متينا للقصة العراقية ، ينطلق من فهم صحيح لها ، وانتهاء بملاحظات « ذو النون أيوب » التي كتبها في مقدمات مجاميعه

(١) يستشف ذلك ، بالاضافة الى ما يمكن استنتاجه من قصصه ، من بعض الملاحظات التي كتبها في نقد بعض المجموعات القصصية التي صدرت في الثلاثينات ، ومنها بعض مجموعات « ذو النون أيوب » وجعفر الخليلي في مجلة (المجلة) الاعداد ٤ ، ٨ ، ١٤ ، ١٦ - السنة ١ - ١٩٣٨ - ١٩٣٩ .

القصصية ، أو خلال قصصه ، يظهر جليا أن القصاصين العراقيين في هذه الفترة ، لم يفهموا أن القصة عمل فني ، يتلاحم فيه الشكل والمضمون ، تلاحما تاما ، على نحو عضوي متفاعل يخدم بعضه بعضا . وجل ما لفت نظر القصاصين في القصة هو مضمونها ، الذي كان ساذجا عاطفيا في البداية ، الى ان انتهى الى هذه النزعة الاجتماعية التي تنحو نحو واقعا ، تعرض بالتصوير والنقد لمشاكل المجتمع المتعددة .

وإذا كانت القصة العراقية ، قد حققت تطورا كبيرا في تقنياتها ، خلال فترة قصيرة نسبيا من تاريخها ، فإن هذا التطور في الواقع ، لم يأت نتيجة لمفهوم عن القصة يستوفي مقوماتها وأصولها الفنية . وإنما جاء نتيجة تأثير بقرآت خاصة لنماذج عديدة من القصص الرفيع ، حين أتيح للفكر العراقي ، الانفتاح على آفاق واسعة من الفكر أمدت الأدب العراقي الحديث بغنى وحياة جديدة ، مما شرحناه سابقا .

على أن ما مر يجب الا يقودنا الى تصور ، أن عبدالحق فاضل ، قد أدرك في هذه الفترة ، أبعاد الفن القصصي ، شكلا ومضمونا ، وطبق ذلك على قصصه . فإن ذلك ارهاق للرجل ، وتحميل له فوق طاقته . وجل ما نريد قوله ، أن قصصه قد أفصحت عن هذا الادراك ، بحيث لم يعد الشكل القصصي الذي يختاره لمضامينه رداء فضفاضا يمكن أن يدرج تحته الكاتب كل ما يريد أن يقول . وجاءت قصصه ، يتلاحم فيها السرد ، والحوار والحبكة ، والتحليل ، على نحو يبرز فيه الجهد الفكري ، والمعاناة والمكابدة ، مما قاده الى أن يكتب القصة ، التي تخضع للصنعة الفنية أكثر من خضوعها للطبع وال عفوية والسهولة والارتجال . ومن هنا كانت قصصه تبشيرا « بالجيل الجديد من الروائيين والقصاصين في العراق ، هذا الجيل الذي ملأ عروق الأدب القصصي

العراقي بدم جديد يتغذى من تربة الوطن،^(٢) • وكانت في الوقت نفسه ،
تمثل قمة ما وصل اليه الفن القصصي في العراق من تطور ، قبل الحرب
الثانية • بحيث يمكن اعتبار نتاج صاحبها حلقة وصل بين واقع القصة العراقية
فيما بين الحربين ، وما صارت اليه بعد الحرب الثانية •

وتكشف لنا قصص عبدالحق فاضل ، بالاضافة الى ما ذكرنا ، عن أن
المؤلف كان قارئاً دائماً للقصص ، ومثقفاً ثقافة عميقة ، لم تقتصر على ناحية
واحدة من نواحي الثقافة البشرية دون أخرى • مما يؤكد لنا حقيقة أنه كان
من أكثر الذين كتبوا القصة ، ثقافة ، في هذه الفترة ، ان لم يكن أكثرهم على
الاطلاق • فقصصه تظهر لنا مؤلفاً ، قد خبر بعض النوازع البشرية ، وسبر
كثيراً من أسرار الطبائع الانسانية ، وتظهر لنا حساً فلسفياً عميقاً ، يتهجج نهجاً
خاصاً ، تلوح فيه شخصية الكاتب ، وطابع تفكيره ، على نحو يتعد فيه كثيراً ،
عن هذه الدعاوى العريضة ، أو المباهاة بالمعرفة ، التي لمسنا بعض مظاهرها فيما
كتبه محمود أحمد السيد ، و « ذو النون أيوب » حين كانا يظهران في كثير
من الأحيان ، رغبة صريحة في اظهار معارفهم الخاصة ، ونزعة واضحة
لتعليم القارىء بعض بديهيات المعرفة • كما ان أسلوبه بما يتجلى فيه ، من متانة
التعبير ، وقدرة الصياغة السليمة للعبارة ، يدل على مدارس جيدة للأساليب
العربية الفصيحة ، ومعرفة بصياغتها ، مما يشير الى أن ثقافة الكاتب قد امتدت
الى التراث العربي القديم ، قراءة ودرسا • فلم يسقط أسلوبه ، من أجل
ذلك ، الى ما سقط اليه أسلوب « ذو النون أيوب » حين غلب على قصصه
الاسلوب الصحفي السريع • ولم يجهد نفسه في أن يستعين بالحوشى من
اللفظ ، لاطهار مقدرته اللغوية ، فيما أجهد نفسه محمود أحمد السيد حين

(٢) القصة العراقية الحديثة - الاداب - العدد ٣ - السنة ١ - آذار

أضطر في كثير من الأحيان الى تفسير غوامض بعض الالفاظ التي استعمالها ،
في هوامش قصصه •

ونتيجة لثقافته العميقة هذه ، رأينا يتجه في أغلب قصصه اتجاهات
جديدة ، يصور فيها حالات انسانية عامة ، أو يناقش قضايا فكرية عميقة ،
يخرج بها عن اطار القصص المحلي ، الذي يصور قضايا اجتماعية محددة ،
ويتوخى منها هدفا اصلاحيا معينا ، الى اطار انساني عالمي ، مما أكسب قصصه
صفة الديمومة ، والخلود • ولم ترتبط لذلك ، كما ارتبطت قصص « ذوالنون
أيوب » بحالات اجتماعية أو سياسية معينة ، نشأت نتيجة لظروف خاصة ،
وزالت بتطور اجتماعي معين • فنفقد قيمتها وتأثيرها في القارىء بعد ذلك •

كما أنه ، نتيجة لهذه الثقافة الواسعة ، وفق الى ما لم يوفق فيه كاتب
عراقي آخر حتى اليوم ، حين استخدم الاسطورة (سواء ما كان منها مستمدا
من التراث العالمي ، واليوناني بصورة خاصة ، أم ما كان مستمدا منها من
التراث العربي القديم) واسطة لعرض أفكاره على نحو تبرز فيه مقدرته
الفنية ، وخصب مخيلته ، وموهبته القصصية ، بما يذكرنا بمحاولات توفيق
الحكيم الناجحة ، في استخدام الاسطورة في هذا المضمار •

٢

وتتجلى موهبة الكاتب القصصية ، وقدرته الفنية في مجموعته الاولى
« مزاح وما أشبه » التي أصدرها عام ١٩٤٠ ، وهذا التاريخ لا يشير الى تاريخ
كتابة هذه القصص • فمما يحمد للمؤلف أنه أرخ في ذيل كل قصة من
قصصه تاريخ كتابتها ، ومن هنا فان قصص هذه المجموعة ، كما
تشير هذه التواريخ ، كتبت بين عامي ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ • وتضم
هذه المجموعة أربع قصص ، تبرز فيها خصائص فن عبدالحق فاضل

القصصية ، التي أحلتها مكانة ممتازة في تاريخ القصة العراقية . فالجبكة القصصية محكمة والكتاب يرسم حدثه بمهارة ، وبأسلوب لا لغو فيه ولا فضول ، حتى عادت لكل عبارة تقريبا قيمتها في تطوير الحدث ، على نحو يبرز فيه الحس القصص بأجلى صورة . كما أن الكاتب يتيح لهذا الحدث فرصة نموه وتطوره دون تدخل منه ، بشرح أو تقرير . لذا كان مسار سرده طبيعيا متدفقا ، لا وقفة فيه ولا فجوات أو اضطرابات .

وتحس تمكن الكاتب من فنه في تعابيره . فلغته لغة قصصية أصيلة . فيها سهولة العبارة القصصية الاصيلة ومرونتها . ذات نفحات شعرية أخاذة . تدفق بسهولة وليونة كبيرتين تشد القارىء اليها ، وتنقله الى أجواء القصة على نحو عفوي ربما لا يحققه الا عمل مغرق في أصالته الفنية . مما يؤكد ما أشرنا اليه ، من أن المؤلف قارىء جيد للقصص ، ومطلع على نماذج قصصية عديدة ، بحيث ترسبت ، في أسلوبه هذه القدرة على صياغة العبارة القصصية واستقرت . كل ذلك ، مع قدرة على التحليل جيدة . والكاتب يحفل بالتحليل كثيرا ، وهو تحليل يتعمق النوازع الانسانية ويحاول أن يلمس أعماقها ، على نحو يشف عن قدرته الخاصة في فهمها ، واستطلاع أسبابها ، وحوافرها الذاتية الدفينة .

يعاضد ذلك كله حوار يدار بمهارة أكبر . ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ، ان عبد الحق فاضل أمهر من أدار الحوار في القصة العراقية في كل تاريخها . فهذا الحوار جزء أصيل في بناء أحداث قصصه ، يسهم في تطويرها ، وفي انارة كثير من جوانبها المعتمة . وهو بذلك على الضد من حوار « ذو النون أيوب » رغم تدفقه وطلاوته ، حين كان حوار صدى لافكاره الخاصة ، يسوقه على لسان أبطاله ، بالطريقة التي تمن له لكي يقول ما يريد قوله . ويحتل الحوار في أية قصة من قصص عبدالحق فاضل ، مكانة هامة ، قد

يستغرق معظم صفحاتها • بل انه كتب قصة كاملة على شكل حوار أداره بين شخصيتين^(٣) • واكتفى بالحوار وسيلة لرسم حدث هذه القصة ، فوفق أيما توفيق • مما يدل على أن المؤلف صاحب موهبة مسرحية لا تنكر ، والواقع أن المؤلف لم يكن يجهل قدرته ، وموهبته هذه كما يبدو • فقد استخدمها في كتابة مسرحية ، يمكن اعتبارها من أجمل المسرحيات ، التي كتبت في الادب العراقي الحديث ، وأكثرها فنية^(٤) • فقد بنيت على نحو أخاذ رائع • فمن حبكة محكمة ، الى حس فكاهي ساخر فيه من رهاقة الاحساس ما فيه ، الى قدرة كبيرة على ادارة الحوار ، مما يجعلنا نرى أنه تأثر بتوفيق الحكيم وأفاد منه فائدة كبيرة •

وبالاضافة الى تأثير توفيق الحكيم في نتاجه القصصي ، يمكن أن نتلمس تأثير كاتب آخر هو ابراهيم المازني ، ويتجلى في الحس الفكاهي الساخر وفي الروح الفكهة ، التي تشرب صياغته للبارات ، فتأتي عفوية مؤثرة ، تنتزع الابتسامة من النفوس • ونستطيع أن نعثر بسهولة ، على أمثلة لهذا التأثير في عبارات عديدة من قصصه ، منها على سبيل المثال ، هذه العبارات التي تحدث فيها عن بطله غياث في قصته « نصيب^(٥) » : « عندما تزوج غياث أدخلت ناهدة على حياته جملة خصال منها أنه كان في أيام العزوبة يخطط بنفسه ما ينقطع من أزرار ثيابه ، أما الان فلم يعد يخططها بنفسه ، ولا تخطيطها له

(٣) قصة « لماذا انتحر » من مجموعته « مزاح وما أشبه » ص: ١١٢ • وكذلك قصته التي تشبه العمل المسرحي « بين وزيرين » التي نشرها في مجموعته الثانية « طواغيت » ص: ٥ فليس فيها غير حوار تليفوني بين شخصين •

(٤) المسرحية نشرت في مجموعته « طواغيت » وهي بعنوان « قاضي الواقواق » ص: ٥٧ • سخر بها من الاوضاع السياسية في العراق ، على نحو غير مباشر •

(٥) حائرون • ص: ٢٥

زوجته ، ولأسيما بعد أن كثر عدد الاولاد . والواقع أن الاناقة أصبحت في
عداد الذكريات^(٦) ، ومنها السخرية التي تتجلى في عباراته التي يختم بها
قصة « بيك^(٧) » التي تتحدث عن رجل أبله لا يحسن عملا ، أراد بيع
حمامه ، ليشتري بئمه بعض ما يحتاجه من فحم وطعام ، للشتاء القادم .
فالتقاء أحد الشطار وأقنعه ببيع حمامه اليه ، مقابل لقب بيك ، يمنحه اياه .
وقد قبل ، وعاد الى بيته ، دون أن يشتري شيئا ، مسرورا بلقبه هذا ، الذي
لا يقدر بئمن . وقد ختم المؤلف القصة بهذه العبارات الساخرة : « ومضت
أيام . . . وتقدم الشتاء واشتد البرد . وكان شاهين جالسا القرفصاء في الحجرة
الوحيدة ، الباردة العارية ، التي يعيشون فيها ، ومن حوله زوجته وأطفاله ،
يقضقضون من البرد . فنظر اليهم وقد برح به القر حتى باتت أطرافه تهتز
كلها اهتزازا متصلا كأنما هو آله لولبية التركيب تحركها الكهرباء ، فقال
لزوجه :

– ما أشد البرد يا هذه ، تأملی اذا كانت هذه حال البيكات فوارحمة
للفقراء^(٨) والامثلة كثيرة على هذا .

على أن ما يؤسف له ، أن المؤلف لم يستخدم مواهبه هذه في
الاستمرار في الكتابة القصصية أو المسرحية . فحرم الادب العراقي
الحديث ، من أدب كاتب فذ هو في أمس الحاجة اليه . ويبدو أن حياة
الوظيفة ، ومشاغل الحياة ، قد صرفته عن الاهتمام الجاد بالادب ، بحيث
عادت دنيا الادب والادباء عنده ، كحلم بعيد ، يعود بذاكرته اليه بخنان .
على أنه قد يخرج عن صمته بين الحين والآخر فيكتب القليل من الفكر

(٦) المرجع السابق . ص: ٣٧

(٧) المرجع السابق . ص: ١٢٠

(٨) المرجع السابق . ص: ١٢٥ - ١٢٦

الجاد ، مقالة أو بحثا ، أو قصيدة شعرية في أوقات متباعدة . وهذا هو الذي يفسر لنا قلة نتاجه القصصي ، وندرته ، اذا قارناه بنتاج « ذو النون أيوب » أو غيره من القصاصيين^(٩) .

٣

من ذلك يظهر أن تلخيص قصصه امر ، يفقد هذه القصص كثيرا من قيمتها وأهميتها . واذا كان العرض السريع أمرا لازما ، لكي تكون الفكرة التي نريد اعطاها عن فن عبدالحق فاضل ، كاملة مستوفية الجوانب ، فاننا سنحاول أن نلمس الخصائص والصفات ، التي تحدثنا عنها في قصصه سابقا ، على نحو يبرز قيمة هذه القصص وأهميتها قدر الامكان . فالقصة الاولى « مزاح »^(١٠) من مجموعته الاولى « مزاح وما أشبه » تتناول مشكلة انسانية عامة لا ترتبط بزمان أو مكان ، وتصور زوجا متعلقا بزوجه تعلقا كبيرا ، بحيث لا يستطيع على فراقها صبورا . وقد سمح لها أخيرا ، بان تزور صديقة لها مريضة ، وأذن لها بالمبيت عندها اذا شاءت . ولكنه يجد نفسه مغادرتها اياه ، كئيبا مضطربا ، يقلب وجهه في السماء ، يلتمس في

(٩) من أسباب انصراف المؤلف عن الكتابة في القصة والادب ، هو احساسه بعقم الكتابة في الادب ، والانشغال في الامور الفكرية في العراق ، ففي قصته « ابراهيم وسندية ونبيل » التي كتبها عام ١٩٥٧ ، يتحدث عن فترة من فترات شبابه الاولى ، ويذكر نبوءة صديق له عنه بأنه سيكون فيلسوفا كبيرا ، ويعقب على هذه النبوءة بقوله بمرارة ظاهرة « فيها هي الايام تفضح خطأ فراسته في ، وها أنا أبعد ما أكون عن الفيلسوف الذي زعم أنني سأكونه . وهل يمكن أن يظهر فيلسوف في هذا العراق ، أين قراؤه . وأين من يفهمه ، ويأبه به ؟ وأين المنبر يحاضر من فوقه ، والمجلات تتخاطف نتاج ذهنه ، والمفكرين يناقشون آراءه ويخاصمونهم فيها ؟ وأين الناشرون يتولون مشاكل الطبع والنشر ؟ وأين . . . وألف أين ؟ » حائرون ص: ٧

(١٠) مزاح وما أشبه ص: ٣

كواكبها المتألقة راحة لنفسه وعزاء ، لقلبه المتهاؤت الحزين ، فلا يفلح ،
وتسوقه هواجسه الى تصور أنها ربما تخونه ، أو انها ربما لاتجبه كما يحبها .
ويروح يؤنب نفسه ، اذ يتصور أن سلوكه معها لم يكن بالجملة حكيما ،
ولا صادرا عن روية ولا عن حسن تدبير . ولكنه سرعان ما يعود لنفسه
يؤنبها من جديد على شكه فيها . ويستمر المؤلف في تحليل مشاعر بطله ،
وعواطفه المتناقضة المتنافرة ، التي تتضارب بين الشك القاتل ، الى الايمان
الثابت ومن الحيرة المقلقة والهم المقيم الى فرح طاغ وشوق ملتهب ومن
الغضب الى .. ما أشبه (١١) . ويأخذ منه التعب مأخذه ، فيداهمه نوم ثقيل
يجثم على صدره كالكابوس ويحلم خلاله بان زوجه قد هجرته ، ومضى على
هجرها ستة أيام ، ثم يلتقيها فى الشارع متأبطة ذراع حبيبها الجديد .
فيتجنبها . لكنها تندفع اليه متوسلة به أن يعفو عنها ، ويغفر لها . وتخبره
أنها تجبه وحده ، ولم يكن لعشيقها الا جسدها ، أما روحها فهي له وحده .
وتبرز مقدرة المؤلف هنا على ادارة الحوار ، الذى يجريه بينهما ، والذى
يستغرق من القصة صفحات طويلة (١٢) . والذى نحتاج الان ، نموذجا منه
لكى يتضح معنى ما قلناه سابقا عن أهمية الحوار فى بناء قصصه ، وعن قدرته
على ادارته ، فالبطل يخاطب زوجه يا عشيقتي العتيقة ، فغضب وتخبره ان
عليه أن يعود الى صوابه لانها زوجته ، فيقول :

« - أرجع الى صوابي ، حقا لقد فقدته فيما يظهر ! وماذا اعتبر هذه
الايام ، التي انفقتها مع صاحبك ، الشاب الرائع الذي ينبعث من عينيه النور

(١١) تراجع الملاحظات القيمة التى كتبها جرجيس فتح الله عن هذه
المجموعة فى مجلة (المجلة) العدد ٢ - السنة ٣ - نيسان ١٩٤١
ص: ٧٧/٣٧ .

(١٢) من ص: ٣١ الى ص: ٤٩

الهادى ، اللطيف الشبيه بما ينبعث من عيون الافاعي ؟

- ماذا تعتبرها ؟ اعتبرها مزاحا ؟ لقد كنت أمزح يا محمود ! ثق بى أنا
سهاد التى أحببتي وستحبني الى الابد ان الامر مزاح محض !

- حقا يا له من مزاح طريف ! انى لاصدقك مغتبطا يا سهادى الحلوة .
ان الامر مزاح محض ليس الا ! وان مغادرتك بيتي وتركسى وحيدا
تعذبني الهواجس ويلهيني الوجد ويحز في قلبى الاندحار مؤرقا ملوعا لم
يكن الا مزاحا . . . وان غدوك ورواحك مع ذلك الشاب لم يكن الا مزاحا
أيضا . وما تمتع بك ولا تمتعت به ، ولا تجردت من ثيايك وانتصبت أمامه
عارية ، فرآك مقبلة وراك مدبرة ، وملا عينيه من بدائع الخلقه وسحر
التكوين الا مزاحا أيضا . من المؤسف حقا يا هذه ان الرجل مقدور عليه
أن يستودع المرأة أعز وأغلى ما لديه ، قلبه وشرفه ! .

- ويلاه ! كيف عرفت هذا ؟ ومن أنباك بهذه التفاصيل .

- هكذا أتخيلك وأنا مؤرق ساهد . على أن هذا لا يهم كما تعلمين ،
وانما المهم حقا أنك كنت تمزحين معى لا غير ! ولكنى قد سبقتك فى هذا
يا سهاد ، فلم يكن حبي وغرامى ولم تكن أيا منا التى سعدنا فيها . ولا زواجنا
الا مزاحا أيضا . ولقد أحسنت كل الاحسان بالهرب قبل أن ينقلب الامر
الى الجد ويستحيل الخيال حقيقة واللعب حبا ووجدا . لقد انتهينا اذن
يا سيدتى كما لا حاجة بى الى أن أقول .

فأطرقت برأسها الصغير الى الارض وأسبلت أهدابها الناعمة الطويلة
فحجبت نصف عينيها على نحو مؤثر فاتن . . . ثم رفعت رأسها وصوبت الي
عينيها النجلاوين كأنها تريد أن تمهد بهما الطريق الى قلبى لما ستقوله :

- انى اعترف يا محمود . اعترف بكل خطيئتي وبكل ما ترمينى به من
ائم وعار . ولم يعد ييدى حيلة الا أن ألوذ بمروءتك وأطلب عفوك .

- هذا ممتع ياسهاد ! ان مشكلتنا لم يكن يعوزها الا أن تعترفي فتنحل !
وتستقر الأمور ويصفو الجو ، وتعود حياتنا الى مجاريها (١٣)

ويستمر بادارة حوار ، بهذا التمكن الى أن يقول لها وداعا ، فتمسك
به وتصيح :

« لا أريد • لا أريد ! خذني معك !

وقبلتي ! قبلتي على قارعة الطريق ، وعلى مرأى الناس غادين ورائحين ،
فصحت بها :

- اليك عني يا ذبابة •

وصحوت من نومي مذعورا طائر اللب • خائر القوى مرتعد
الواصل ، (١٤) ويجد زوجه أمامه تلومه « • • • أردت أن أقبلك ، بيد أنني لم
أكد افعل حتى دفعتني عنك وقلت لي لا تقبليني يا ذبابة • لماذا تسميني ذبابة !
هل أنا نجسة ؟

فأخذتها بين ذراعي وغمرت وجهها بالقبلات ، ورحت أضمرها بشدة الى
صدري ، حتى هدأت أنفاسها واطمأنت أعطافها اللدنة في أحضاني ، وحتى
سكن روحي أنا الآخر ، فقالت :

- لقد أخفتني ! • • • ثم زادت بعد قليل :

- ماذا أردت بازعاجي يامحمود ، لماذا دفعتني عنك ؟
فأجبتها ضاحكا متحامقا :

- ماذا تظنين ياسهاد ؟ لقد كنت أمزح ، (١٥) •

(١٣) المرجع السابق • ص : ٣٧-٤٠

(١٤) المرجع السابق • ص : ٤٩ •

(١٥) المرجع السابق • ص : ٥١-٥٢

وهكذا يختم قصته التي سردها بأسلوب الترجمة الذاتية ، إذ أن راويها هو بطلها •

وفي قصته الثانية « ايلا »^(١٦) يتناول الموضوع الانساني ذاته ، الذي تناوله في قصته الأولى « مزاح » • ولكن الغيرة ، التي رسمها رسماً دقيقاً ، وحللها تحليلاً بارعاً ، في نفسية رجل مدنف بحب زوجته ، في القصة الأولى ، يتابعها في القصة الثانية ، في نفسية طفلة صغيرة لا يتجاوز عمرها الخامسة على نحو يؤكد فيه المؤلف براعته في التحليل ، ويتجلى فيه طبعه القصصي واضحاً ، وهي طفلة جميلة غاية الجمال ، ذكية لبقة • ولقد قادتها غيرتها من أخيها الوليد ، الذي فاجأها وجوده يوماً الى تصور أن أبويها يفقدان الحنان على هذا الطفل ، ويحرمانها منه ، مما أدى بها الى ضمور وهزال ، ثم مرض قادها الى حتفها • وفي القصة حس انساني رائع ، يتشرب كلماتها ، وينساب انسياباً رقيقاً ، وتصوير دقيق لنفسية هذه الطفلة وتبع أدق لمشاعرها التي أدت بها الى نهايتها الفاجعة •

وفي القصتين الباقيتين من قصص مجموعته (مزاح وما أشبه) نرى المؤلف يناقش مشكلة فلسفية عميقة ، ذات طابع انساني شامل • ففي قصته الأخيرة « لماذا انتحر »^(١٧) ، التي كتبها على شكل حوار مجرد ، يجريه بين صديقين ، للمنتحر • يصور هذا الروح القلق المذبذبة ، الذي لا يجد في الحياة ما يبرر الاستمرار في الوجود • ان كل شيء باطل ، وسميح لا يحتمل • وحياة الناس معدومة الشرف • لقد فكرت في كثير من أعمالى واعمال الناس الشرفاء فوجدتها دنيئة سافلة • • كلنا أنذال أراذل ! ولا يعوز أحدنا ليوقن بذلك الا أن يفكر تفكيراً جدياً محايداً في نفسه وأعماله • وكلنا مضطرون بعد ذلك الى التظاهر بأننا شرفاء • •^(١٨) ، لقد كان رجلاً مثاليًا

(١٦) المرجع السابق • ص : ٥٣

(١٧) المرجع السابق • ص : ١١٢

(١٨) المرجع السابق • ص : ١١٧

مفرقا بمثاليته ولذلك « كانت أعماله شاذة بالقياس إلينا والى تقاليدنا ونمط تفكيرنا ، أما هو فكان يرى من الحياة ما تعودنا الا نراه ويحس منها ما لا نحسه . كان كالنسر المحلق يرى الحياة بمجموعها وسعتها ونحن كالخلد لا نرى غير التراب وغير أنفسنا^(١٩) » . ولذلك كان فى نظر الكثيرين مجنوناً . فآثر أن يحتزل حياته ، حين أيقن أنه لا يستطيع أن يعيش شريفاً فى حياة لا تطاق . فيها كل ما تشمئز منه النفس ، ويستسخفه العقل * ولم يترك وراءه « غير ورقة صغيرة فيها هذه الكلمات : ألا بعدا لحياة يعجز المرء عن أن يحيها شريفاً^(٢٠) » .

لقد كان روحاً قلقاً ، لم يجد فى الحياة والعالم ، ما يعوضه ويملاؤه وهذا الروح هو ذاته ، روح «جانيس» بطل قصته الثالثة «اله الحكمة^(٢١)» ، التى استمد موضوعها من الاساطير ، وصاغها بأسلوب فيه من روح الاسطورة شاعريتها وبساطتها ، وسذاجة أفكارها العميقة * وجانيس هذا شاب « رقيق القلب دمث الطباع » وكان أيضاً ذكياً الفؤاد غزير المعرفة ، عالماً بأسرار الحياة والموت خبيراً بسرائر النفوس * نفوس البشر والآلهة على السواء * الا أنه كان دميماً جداً وجهماً مخيفاً * وكانت تقاطع وجهه بذئبة سخيفة ! حتى ان قبح صورته الخارق غطى على كل مزايا قلبه وعقله الخارقة . فلا جرم ان كان منبوذاً من كل الناس ، خصوصاً منهم النساء^(٢٢) ، على أنه كان يقابل ، مقابلة الناس اياه ، لحكمته ، بنظرة ساخرة * الى أن أحس يوماً فتاة حسناء ، فأحس ازديادها ونفورها * وعندئذ حل الحزن فى قلبه ، وأحس لأول مرة فى حياته ، طعم الشقاء والتعاسة * ولم يكن يدرك سبباً

(١٩) المرجع السابق . ص : ١١٤

(٢٠) المرجع السابق . ص : ١١٩

(٢١) المرجع السابق . ص : ٧٣

(٢٢) المرجع السابق . نفس الصفحة .

لنفور الناس منه ، حتى كان يوم ، رأى فيه وجهه فى بركة ماء راكدة ، فأجفل
من الخوف والذهول .

لقد عرف جانيس بعد هذا ، داءه ، وعرف سر بلائه ، فاعتزم أن يدخل
على الآلهة ، فى اجتماعهم ، لكى يعلن ظلامته . اذ ما فائدة الحكمة أمام قبح
على مثل هذه الدمامة . وحين اجتمع الآلهة فى موعدهم المقرر ، دخل
جانيس عليهم . ولقد استغرب الآلهة فعلته ، التي لم يتجرأ أحد من البشر
على القيام بمثلها من قبل وطرده من مجلسهم ، وبعثوا تصرفه هذا بالحماقة ،
ووصفوه لانه من البشر بالحقارة (ولكنه أجاب) :

« - أريد أن يعلم الآلهة أنهم ليسوا أقل حقارة من هذا البشرى
الحقير (٢٣) » .

وحين استغرب الآلهة منه ، هذا القول ، وخصوصا اله الحكمة الذى قال
له بلجهة تأنيب: أين غابت حكمتك يا هذا؟ أجاب جانيس مبررا قوله « اذا كانت
حقارة الفعل تدل على حقارة الفاعل ، فانظروا . . وأشار الى وجهه ، هل
رأيتم أحقر من هذا الفعل ؟ ان الأمم البشر لا يجروا ضميره على أن يخلق
انسانا بهذا الوجه ويتركه يعيش بين الناس (٢٤) » . فترق ، حينئذ ، قلوب
الآلهة قليلا ، وتقرر الاستجابة الى طلبه فتحوله الى شاب وسيم على أن يتخلى
عن حكمته ، مما أثار غضب اله الحكمة عليه ، ولكن جانيس يجيبه بقوله :
« ماذا تنفعني الحكمة اذ قضيت حياتي معذبا بائسا ؟ اى اله الحكمة ، يامولاي
المقدس . انى أقول بصفتي بشرا حكيما مجربا ، ان الحكمة لآخر ما يحتاج
اليه الانسان ليكون سعيدا ! بل أقول انى لو كنت اقل حكمة وأكثر سخفا
لكنت أقل ألما وأوفر راحة بال (٢٥) » .

ولكن تجربته الجديدة ، فى حياته الثانية كانت فاشلة أيضا . لقد غدا

(٢٣) المرجع السابق . ص : ٨١

(٢٤) المرجع السابق . ص : ٨٢

(٢٥) المرجع السابق . ص : ٨٣

شبابا جميلا ، تطمع فيه الفتيات • وعاش في احضانهن عامه القابل كله ،
ولكن هذه الحياة الرتيبة ، سرعان ما سئمتها ، وعاد الى الالهة بطلب جديد •
لقد ظن أنه لو أصبح حيوانا ، حمارا مثلا ، لوجد راحة البال واستقرار
النفس ، بعدما أسأمته الحياة البشرية • لكنه وجد في الحيوانية ، بعد ما حققت
له الالهة طلبه ، ما وجدته في البشرية ، من قلق وملاحقة الاخرين له بالعذاب •
فعاد الى مجلس الالهة في عام جديد ، وبعد هذه التجارب المتعددة ، يطلب
طلبا أخيرا ، انه يريد أن يكون الها ذلك أنه أدرك أنه لو طلب أن يكون اى
شيء آخر ، لعاد بالنتيجة نفسها • لذلك أراد أن يختصر الطريق • وقد
كان له ما أراد فأصبح الها •

تلك هي تجربة جانيس ، ذى النفس القلقة التي يرضيها عذابها
الخاص ، اذ لا تجد في حياتها التي تحياها ما يحقق لها رضاها ، واستقرارها •
وهل هناك فرق بين انتحار بطل قصته (لماذا انتحر) وبين اختيار جانيس لأن
يكون الها ؟ لقد آثر كلاهما أن يغادر الحياة بعد أن أسأمته ، ذاك الى عالم
الاموات ، وهذا الى عالم الالهة ، وكلا العالمين ابتعاد عن البشر والارض •
وبعد ، فلسنا نملك الا أن نشيد بهذا النجاح العظيم ، الذى حققه
عبدالحق فاضل في قصته (اله الحكمة) حين استخدم ثقافته العميقة ، في
هذه الاسطورة ، التى لخيال الكاتب الاثر الاكبر فى خلقها ، فكشف لنا
بعمق فلسفى انساني عطش الروح ، وتوقها الى المثل الأعلى ، الذى لا يمكن
أن تطيقه ارض بشرية تدين لقيم وتقاليد ، منحدره اليها من تاريخ طويل
بعيد ، وتخضع لقوى طارئة ، من أجنبية أو طامعة ، فتغلها بألف قيد وقيد ،
وتحيل الحياة فيها الى حياة مادية ، لا تعرف أن تروى ظمأ لروح مثالية
حائرة •

وعبدالحق فاضل كما قلنا ، كاتب مقل في كتابته • ونتاجه في القصة محدود ، فقد نشر بعد مجموعته الاولى (مزاح وما أشبه) مجموعتين أخيرين ، تضم أولاهما (طواغيت) قصة قصيرة واحدة بعنوان «الموظف النزيه»^(٢٦) ، ومسرحية طويلة تقع في ثلاثة فصول^(٢٧) ، وحواراً تليفونيا أجراه بين وزيرين^(٢٨) • أما الثانية (حائرون) «فهى تضم ثمانى قصص كتب معظمها في وقت متأخر تاريخياً بالنسبة لبحثنا فالقصة الاولى من هذه المجموعة «ابراهيم وسنديه ونييد»^(٢٩) ، التى حكى فيها بعض ذكريات شبابه الباكر ، كتبها عام ١٩٥٧ ، ويبدو انها آخر ما كتب فى القصة ، اذ لم ينشر بعدها شيئاً • وقصة «نصيب»^(٣٠) ، التى تحكى قصة عائلة ، أمضت فترة طويلة من حياتها فى شراء بطاقات اليانصيب ، وعندما تبيع أخيراً الجائزة الاولى ، تكتشف ان البطاقة ضائعة ، كتبها عام ١٩٥٤ • و«مشروع طلاق»^(٣١) ، التى تصور نموذجاً انسانياً واقعياً ، لشاب لا يحسن ان يعيش حياته ، كأغلب الشباب فى العراق ، كتبها عام ١٩٤٠ • و«الرائد»^(٣٢) التى نسجها على نسق أيام العرب وحكاياتهم ، وطبعها بطابع أسطورى جميل ، كتبها عام ١٩٤١ • وكل من هذه القصص يحتاج لأهميته ، دراسة منفصلة خاصة • ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ، ان قصة (نصيب) من أجود القصص العراقي الذى كتب فى جميع تاريخه الحديث • لما فيها من حس انسانى ، ودقة تصوير باهرة ،

(٢٦) طواغيت • ص : ٤٣

(٢٧) المرجع السابق • قاضى الواقواق • ص ٥٧

(٢٨) المرجع السابق • بين وزيرين • ص : ٥

(٢٩) حائرون • ص : ٥

(٣٠) المرجع السابق • ص : ٢٥

(٣١) المرجع السابق • ص : ٥٩

(٣٢) المرجع السابق • ص : ١٠٣

وتدقق في الأسلوب اخاذ ورسم لواقع معاش لافراد الطبقة الوسطى من الناس في مشاكلهم اليومية وآمالهم الصغيرة كما ان قصة (مشروع طلاق) تصور ناحية هامة أخرى ، اذ تصور هذه الاحلام الفارغة في أكثرها ، التي تملأ أذهان الشباب في فترة معينة من فجر حياتهم ، فتتنصص عليهم العيش ، فيبدون كغرباء في وطنهم . ولكنهم وتحت تأثير وطأة ظروفهم الاجتماعية القاهرة ، ينساقون الى الاستسلام التدريجي ، والى قطع كل ما يمت بصلة الى أحلامهم الماضية . وهكذا يفقدون سماتهم ، وحيويتهم التي كانت تدفعهم لتحقيق أفضل الاعمال . كما ان قصة (الرائد) بدلالاتها الرمزية ، وجبكتها الجميلة المحكمة ، وطابعها الساخر ، ترتفع الى مستوى انساني رفيع . وتؤكد هذه القصص ، التي كتبها بين فترات متباعدة ، تمتد بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٥٧ أن المؤلف رغم تركه الادب ، وانصرافه الى شؤون أخرى في الحياة ، فانه لا يزال يملك رهافة حس القاص الموهوب ، وتمكنه الأدبي .

وأما قصصه الأخرى ، فهي لا تقل عن القصص السابقة ، قيمة وأهمية ، وتدل على أن اتجاه عبدالحق فاضل في القصة ، لم يكن مقتصرًا على اتجاه واحد دون غيره . فقصة « الموظف النزيه^(٣٣) » من مجموعته (طواغيت) ، تعرض للمشاكل الاجتماعية ، ذات الارتباط الوثيق بالقضايا السياسية . مما يذكرنا بمواضيع « ذو النون أيوب » . ويتناول مضمونه هذا بفتية عالية ، فلا يسوقها للنصيحة والارشاد ، وانما يتيح للحدث أن يقول ما يريد قوله دون أن يعلنه صراحة . فالمؤلف في هذه القصة ، يتحدث عن موظف اسمه نديم مصطفى ، كان من طبعه أن يحتكر الكلام لنفسه دائما ، فهو من ذلك النوع من الرجال الذين لا يستطيع أن تسرد له رأيك كاملا ، الا ووجد له مجالا لمقاطعتك بتعليق أو استفهام ، يحتلس منك بها زمام الحديث . ويحدثه هذا عن فضله في دراسته ، وعن سفرته لاوروبا ، وعن النساء ، وعن أبيه الذي لولا نزاهته في الوظيفة

(٣٣) كتبت هذه القصة عام ١٩٣٧ ، تلاحظ طواغيت ص : ٥٥

لاستطاع أن يوفر له من المال ، ما يجعله يتم دراسته بنجاح • ثم تشاء الصدق
للمؤلف ، أن يلتقى فى اليوم نفسه ، بجاره الذى كان والد نديم رئيسه فى
العمل ، فيما مضى من الايام • وجاره هذا رجل بسيط ، يأخذ بقص حكايته
وتجربته مع والد نديم هذا • فقد جاءه أول اشتغاله معه ، بايصال صرف مبلغ
من النقود ، انفقته فى شأن من شؤون الدائرة فرفض والد نديم - الذى
كان أميناً للصندوق - صرفه • فظن ان المبلغ الذى سجله كبير ، فتألم ، وظل
حائراً لايعرف ماذا يعمل ، حتى يأتيه صديقه فيخبره عن الطريقة التى يجب
أن يتصرف بها معه ، قال له : « أكتب عوضاً عنه وصلاً بثلاثين وقدمه الى
مصطفى أفندى وقل له : « أعطنى خمسة عشر (٣٤) » ، وقد فعل • فرحب به
مصطفى أفندى فى المرة الثانية ، ويعلق جاره على الحادثة بقوله « فلما
عرفت الاصول ورأيت الامور تدرج على هذا المنوال صرت أنا أيضاً اذا
صرفت خمسة عشر اكتب الوصل بستين • ثلاثون لمصطفى أفندى ، وخمسة
عشر لى •• وخمسة عشر للمصرف (٣٥) •• ويختم عبدالحق فاضل قصته
بقوله : « واخرج سكاراً فأشعلها ، ومص منها نفساً وافياً ، ثم قال :

- أما هكذا خربوا دولة العثماني ! (الدولة العثمانية) •

فاعجبتني هذه النظرة التحليلية ، وقلت له باسم :

- الحق انهم هكذا خربوها •

فقال وهو يهز رأسه فى هيئة الحكيم المحنك :

- هيه •• لاتخف يا أفندى ، لاتخف • هذه الدولة أيضاً

سيخربوها (٣٦) ،

وتجلى نزعتة الانسانية فى قصة « حسرة أم ميخائيل » من

(٣٤) طواغيت • ص : ٥٣

(٣٥) المرجع السابق • ص : ٥٤

(٣٦) المرجع السابق • ص : ٥٤-٥٥

قصص مجموعته الثالثة « حائرون » (٣٧) ، والقصة عبارة عن حديث (٣٨) بين المؤلف وامرأة بائسة ، تدل ملامحها على جمال غابر ، ابتليت بزواج كان يبدد ما يحصل عليه من مال في الخمر . والحوار الذي يدور بينهما ذكي لبق ، يكشف عن نفسية هذه المرأة وسذاجتها . فهي بعد أن تشكى له حالها البائسة ، تسمع صوت مغنية يبثه صوت مذياع من بيت مجاور ، فتسأل عن اسم المغنية ، فيخبرها انه نبيهة راجي . ثم تسأله ، هل يحصل المغنون على أجور ؟ ، فيجيب بالايجاب ، ويذكر لها المبلغ الذي تأخذه ، فتدهش من جسامته ، وتزداد دهشتها ، حين يخبرها أنها تأخذ من المال أكثر مما يأخذه عالم على محاضرة علمية يلقيها فتقول له : »

- ولكن الحكومة . . ما بالها تدفع ثلاثة دنانير عن الغناء وتدفع دينارا للعلماء .

- هذا ليس من شأن الحكومة ، بل هم المستمعون . فلو خلت الاذاعة عاما كاملا من المحاضرات لما اعترض أحد يؤبه له ، ولكن الناس كلهم يضحجون اذ خلت من هذه الاغاني التي تسمعيها (٣٩) . فتحس الحسرة في نفسها ، ولكنها تواسي نفسها بقولها ، ساقطة لا شرف ولا اعتبار . فيبين لها ان الشرف والاعتبار نسيان ، فهناك كثير من الناس يحس بالفخر حين تقصده

(٣٧) حائرون ص : ٩١ ، وكتبها عام ١٩٣٨ . تلاحظ ص : ١٠٢ من الكتاب

(٣٨) يلاحظ ادراك المؤلف للفن القصصي حين وصف قصته هذه بقوله :

« ليست هذه القصة بالقصة ذات الحوادث والابطال ، وانما هو

حديث بسيط دار بين روضة أم ميخائيل وبينى من نحو عام . وقد رأيت

يومها أن أسجله لما فيه من عبثة ، ولكنى تكاسلت أول الأمر

وقلت لنفسي : حديث عادي يجرى مثله في كل يوم وفي كل مكان . غير

أن ما أراه وأسمعه في كل يوم وفي كل مكان حفزني الى تدوينه لعلني

أستفيد منه في احدى القصص يوما ، ثم أهملته بين أوراقى . وقد

وجدته أخيرا فوجدت أنه لا يخلو من طرافة ، ولعله يصلح للنشر

وحده . ولو لم يكن قصة بذاته . المرجع السابق ص : ٩١ .

(٣٩) المرجع السابق ص : ٩٨

مثل هذه المرأة فى حاجة ، وبعد ذلك يلح عليها الامر أكثر فتسأل :

« - هل هى جميلة .. جدا ؟

وخيل لى أنها تسألنى :

- أتراها أجمل منى ؟

فأجبتها وأعترف بذلك نادما :

- هناك كثيرات أجمل منها قابعات فى بيوتهن لا يصببن من الحياة غير المتاعب والاحزان •

فاستغرقت هذه المرة فى صمت طويل .. طويل جدا ، حتى ظننت أنها نسيت وجودى فى دارها • وأكبر ظنى أنها كانت تتصور نفسها راقصة مثل نبيهة راجى تنهال عليها الدنانير من كل جانب ، وتحوم حولها القلوب والابصار ، وتقضى المصالح وتحبط المساعى • فتسبح فى الثروة والحب والاعجاب .. والشرف والاعتبار! .. بدلا من عشرة ذلك العليج رزوقى الخنزير القذر • ولكن أواه ! لقد ضاع الشباب وتلف الجمال • لقد فات الاوان (٤٠) ، ولم يشعر تجاهها ، من أجل تصوراتها هذه بشىء من الاحتقار • فقد كانت حياتها تعاسة ونصبا • ثم قالت «اذن فما بال النساء لا يصبحن كلهن راقصات مغنيات ما الذى يمنعهن ؟

قالت ذلك بلهجة مريرة ملؤها السخط والاحتجاج فلم أجبها هذه المرة • وبماذا أجيبها ؟ على أنها كفتى هذه المؤونة فقالت بلهجة اليأس والاستسلام ، كأنها تجيب نفسها :

- هذه البغي • ستال عقابها فى الآخرة • سوف يتبرأ منها المسيح •
أما أنا فلا أكذبك ، لقد غالبت نفسى حتى استطعت ضبطها فلم أناقشها فى هذا مخافة أن أقضى لها على هذا العزاء اليسير (٤١) •

(٤٠) المرجع السابق • ص : ١٠٠ - ١٠١

(٤١) المرجع السابق • ص : ١٠١ - ١٠٢

وتشير قصتان من قصص هذه المجموعة «البيك»^(٤٢) و «الانتقاد»^(٤٣) الى اتجاه آخر للكاتب . فهو يختار مادته ، من التراث العربي القديم ، فيما ورد من نوادر وأخبار ، ويصوغها صياغة جديدة ، حديثة ، متينة . يخلص منها بالفكرة التي يريد ، على نحو فيه السخرية ، والمهارة ، والتمكن .

وأطول قصص مجموعته «حائرون» قصة «زواج عصري»^(٤٤) يتحدث فيها ، عن تجربة زواج عصري ، أقدم عليها شاب مثقف ، حين اختار له فتاة تزوجها ، دون أن يكون لذويه رأى في الامر ، على خلاف عادة المجتمع آنذاك . وفي القصة حس فكاهي ساخر ، ومقدرة كتابية باهرة ، ونفس طويل ، يؤكد لنا موهبة المؤلف وقدرته على كتابة الرواية أيضا .

٥

ولقد استغل عبد الحق فاضل ، هذه القدرة فعلا في كتابة روايته «مجنونان» وهي من افضل الروايات التي كتبت في الأدب العراقي الحديث . فلقد تضافرت لانجاح هذه الرواية ، كل الخصائص الفنية التي لمسناها في قصصه القصيرة . فالحبكة المحكمة ، والسرد المتدفق ، والتحليل النفسي العميق الذي ينفذ الى دخائل الابطال ، والنفس الطويل ، والحوار الذي يدار بقدره مسرحية باهرة ، والذي اعتمد عليه المؤلف اعتمادا كبيرا في تطوير أحداث روايته وفي بنائها ، كل ذلك قاده الى أن يكتب عملا روائيا بديعا .

ورغم أن الحركة تبدو بطيئة ، في بداية الرواية ، مما يثير السأم والملل ، فإن المؤلف سرعان ما يعود الى طبعه ، وتدفقه الاسلوبى الذي يشد

(٤٢) المرجع السابق ص : ١٢٠ وكتبها عام ١٩٣٩ تلاحظ ص : ١٦٢

(٤٣) المرجع السابق ص : ١٢٧ . وكتبها عام ١٩٣٨ تلاحظ ص : ١٣٠

(٤٤) المرجع السابق ص : ١٣١ وكتبها عام ١٩٣٩ تلاحظ ص : ١٨٣ وعدد صفحاتها تتجاوز الخمسين .

القارىء ، بعد صفحات قلائل من بدء الرواية ، لكى يتابع مضمونه حتى يصل به الى ذروته .

ومضمون الرواية يستند الى فكرة ذهنية ذات طابع فلسفى عميق ، مما يذكرنا بالروايات الذهنية فى الادب الاوربي الحديث ، وبأدب توفيق الحكيم ، الذى أقامه على قضايا ذهنية . فبطله صادق شكرى محام وأديب ، يكتب القصة ، شاذ فى سلوكه ، صريح فى أقواله ، غنيف مع من يحس عنده الغباء ، ولا ينجز أمرا مالم يقتنع بصواب انجازه . أحب يوما فتاة ، و لكنه فشل فى حبه ، ولم يفشل . وفهم الرواية يقوم على تفسير هذه العبارة . فهو قد أعجب مرة « بفتاة تدعى صفية سعدى لم يرها ، ولكنه كان يقرأ لها فى الصحف فصولا ممتعة تم عن ذكاء شديد وجرأة نادرة ، وروح نائفة متمردة^(٤٥) » . فأرسل لها رسائل أبدى فيها اعجابه بها ، فنهرته فى جواب لها على رسالته الاخيرة . . فتألم ألما عميقا ، وراح يؤنب نفسه على انسياقه مع عواطفه ، وحاول أن ينسى الامر . ثم حدث أن التقاها ، فى يوم كانت فيه قد كتبت مقالا تشى فيه عليه ، مما جعله يعتبر هذا المقال بمثابة اعتذار له على ما بدر منها . وكان لقاؤه بها عن طريق الصدفة ، نادى عربية ، فى شارع وأراد أن يستقلها ، فسبقته هى اليها ، ثم اتفقا على ان يستقلها معا . وقد عرفها بعد أن كشفت له عن اسمها ، ولكنه لم يشأ أن يخبرها باسمه الصريح ، حين سألته عنه ، وانما انتحل له اسما آخر ، هو صدقى . ولقد جرى بينهما حوار طويل ، أحست الفتاة بعده ، بانجذاب غريب نحوه . فأجبت وأحبها . وكان جبا غنيفا قاهرا ، فاراد بعده أن يعرفها بشخصيته الحقيقية . ولكنه لم يشأ ان يسلك الى ذلك الطريق المباشر ، فذكر أسم صادق شكرى ، وذكر لها أنه يعرفه . فظنت أنه يعرف رسائله اليها ، وظنت أنه يتصور انها ربما تجبه ، خصوصا بعد كتابتها لمقالها الاخير الذى تشى فيه عليه . فكان ان

(٤٥) مجنونان . ص : ٣٨ .

سخرت منه • وأغلظت في القول ، فتألم • ولقد نبعت مشكلته من هنا ، وهي
المشكلة التي بنى المؤلف روايته عليها • لقد أراد ان يمنحها نفسه كلها •
بشخصيته الحاضرة أمامها ، التي أطلق عليها اسم صدقي ، وبما يقبح
وراءها ، صادق شكري الاديب والمفكر المعروف ، لكي يكون جبه كاملا •
فقال لها :

« صفة • هناك شخص تعرفينه بعض المعرفة وأريد ان تعرفينه جيدا •
انه صادق شكري الذي كتبت عنه ذلك المقال ، والذي •••
فصدمها كلامه ، ولكنها امتلكت نفسها بمشقة وقالت تقاطعه :

- صدقي • لست أحب سواك •
- ليس هذا قصدي • ولكني أريد ان تعرفه لسبب آخر (وزاد
باسما) يجب أن تعرفه يا صفة فسعادتنا تتوقف على ذلك •
- أقسم لك اني لا أكثر له • فاطمن ! لا تستتج شيئا من ذلك
المقال الذي كتبه عنه ، فهو لا يعني شيئا •
- أواه ، أسكني يا صفة ، انك تعذبيني فلا تزيدني •
- هل تريد أن أفهم انك لا تصدقني ؟
- توشكين يا صفة ان قلبي سعادتي بوسا • فلندع هذا الحديث الى
فرصة أخرى •

- فرصة أخرى : يا الهي ! أفلا تزال تسيء الظن ؟
- اذا كنت تريدني بي خيرا فأرجئي هذا الحديث الى فرصة أخرى •
- بل أريد ان نفرغ منه الآن يا صديقي • ان هذا المخلوق الذي

تسميه صادق شكري ••

- كفى •• كفى •• كفى بربك •
- ماذا دهاك ؟

- لا تذكره أمامي بسوء • أرجوك •• (وأراد أن يخفف وقع لهجته الجافة فزاد بفتور) : انه يجبك على الأقل •

- يجبني ؟ انى احتقره وأمقت حبه !

- قلت لك لا تذكره أمامي بسوء • ألم تفهمي ؟ انى ذاهب ، (٤٦) •
ونركها فعلا ، بعد ان نعتت صادق شكري بالندالة ، اذ تصورت انه ربما حدثه عن رسائله لها • « وغامت عيناه وازدحم الدم فى رأسه ، وانتصب فجأة على قدميه ، وقال بلهجة خطيرة كأنه ينطق بالحكم على أحد بالاعدام :

- لقد انتهى بيننا كل شيء يا آنسة •

ثم قال محتدا :

- لقد فهمت المرأة الآن • آه يا بنت حواء ! تحيين صدقى هذا الجسد • أما صادق شكري •• وتريد منى أن أكون أديبا ! نعم ، نعم ، صادق شكري نذل •

ايه أيها الفردوس المسموم • انى أرفضك الى الأبد • وخرج يعدو كمن علقت بأذياله النار ، وهو يدمدم ويلكم الهواء كأنه أصيب بمس ، (٤٧) • ولم يجمعهما المؤلف الا فى آخر الرواية • فى بيت صديقه ، الذى لا يعرف أنه أخوها • ويجرى بينهما الحوار ذاته ، فيحاول مرة ثانية أن يجعلها تعرف صادق شكري لتجبه ، كما تحب صدقى الجسد المائل أمامها • فلا تفهم قصده • وتعود الى مهاجمة صادق شكري من جديد • فيغادرها مرة ثانية ، قائلا لها ، لقد طردته من الفردوس مرتين ، اذ رفضت أن تعرف صادق شكري • وحين يعود أخوها ، ويخبرها ان الشخص الذى غادر المنزل

(٤٦) مجنونان • ط ٢ • ص : ٦٣-٦٥

(٤٧) المرجع السابق • ص : ٦٩

قبل قليل كان صادق شكري نفسه ، تدرك الحقيقة فجأة ، فنهار باكياً وتقول :
« أراد أن يعرفني بصادق شكري • أراد أن يعرفني بنفسه ليهبني
نفسه كلها كما وهبته نفسي كلها ، فرفضته وأهنته ، حطمته ، جعلته صفراً •
طرده من الفردوس مرتين • آه لم أدعه يعرفني بصادق شكري... » (٤٨) ،
وتقرر زيارته في منزله ، وتقول حين يخبرها أخوها • « ان صادقا اذا اعتزم
شيئا لم يستطع أن يثنيه انسان •

— هذا لا يعينك سأذهب اليه •• انى أحبه ، أعبده • انه لا يستطيع
أن يعيش بدوني ، (٤٩) ويختم المؤلف روايته هنا دون أن يضيف شيئا آخر •
وهذه الفكرة الذهنية التي جعلها عقدة روايته ، هي التي جعلت من
أحداث هذه الرواية ، غير ممكنة الوقوع في العراق • فالفتاة مستقلة
استقلالاً كاملاً وتنصرف بحرية مطلقة ، بحيث تستقبل حبیبها في غرفتها ،
على نحو لم تتجرأ عليه الفتاة العراقية لحد اليوم • وحين يلتقيها في الشارع ،
حين استقلا عربية واحدة ، في أول لقاء لهما ، تكون هي التي تقترح عليه ان
يشاركها العربية • كما أن في الرواية أحداثاً طارئة وشخصاً لا ضرورة لها
في مجرى الحدث ، وحذفها لن يضير الرواية في شيء • ومن ذلك ما حرص
عليه المؤلف ، من ان يجعل بطله صادق شكري نائباً في مجلس النواب • ثم
يسوق على لسانه خطباً وطنية رنانة ، بحيث استغرقت من الرواية الصفحات
الطوال (٥٠) • وهي صفحات تذكرنا بمضامين قصص « ذو النون أيوب »
المعروفة • كما ان حشره لبطله ثانية ، تحب البطل وهي سميرة فائق ،
لا ضرورة له اطلاقاً ، اذ ليس لها من دور في بناء أحداث الرواية أو في
توضيح عقدها الذهنية •

(٤٨) المرجع السابق • ص : ١٥٢

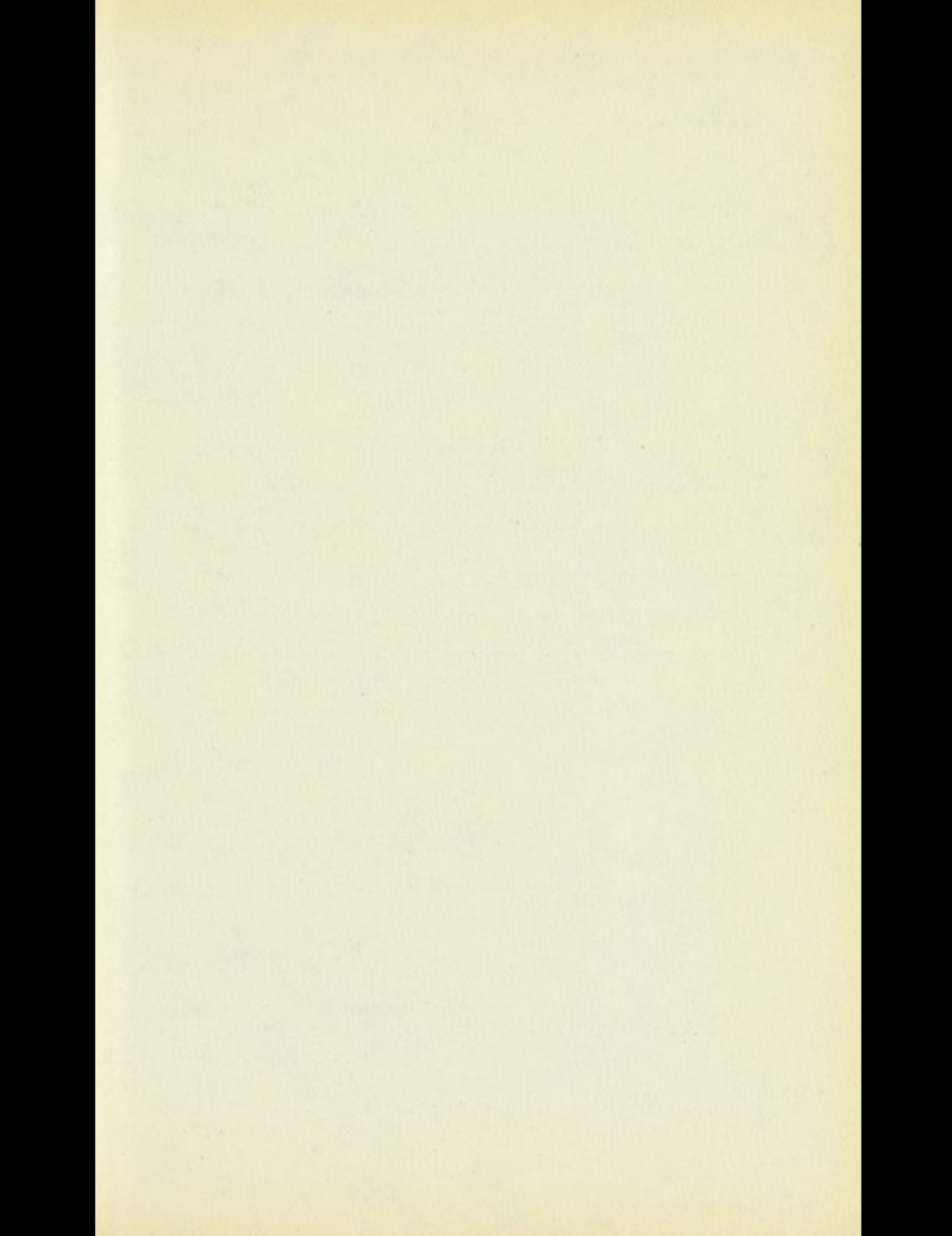
(٤٩) المرجع السابق • ص : ١٥٤

(٥٠) من ص : ٧٩ الى ص : ١١١

كما ان هذه الصدفة التي تجعل من الحبيبة أختا ، لاخلص أصدقائه ،
تبدو أمرا مفتحلا لا يمكن قبوله ، مهما حاول المؤلف ان يقدم من تبريرات •
ومهما يكن من شيء ، فان حوار هذه الرواية الذي يديره بلغة فصيحة ،
كما هو شأنه في قصصه الأخرى ، يبلغ ذروته في هذه الرواية • ولقد وفق
في أن يخلق عملا روائيا كبيرا ، يناقش فيه فكرة ذهنية عميقة ، طرافتها
تخفف من هذه الهنات التي شوهدت بناءها • مما أحل هذه الرواية مكانة
رفيعة في الأدب العراقي الحديث ، ان لم نقل في الأدب العربي الحديث ،
خصوصا اذا لاحظنا زمن كتابتها (٥١) •

وبجهود عبدالحق فاضل في القصة القصيرة والرواية ، تختم الجهود
المبدولة ، في كتابة القصة العراقية بين الحربين • والتي كرسها الكتاب
العراقيون البارزون في هذا الميدان ، لتطوير القصة العراقية فاذا تستشرف
عصرا جديدا ، بعد الحرب الثانية ، يستحق وحده دراسة مستفيضة ، لانه
كان عصر ازدهار القصة والرواية في العالم العربي كله • ولم يتخلف
العراق ، وانما شارك بعمق في صنع هذا الذخر العظيم من القصص العربي
الحديث •

(٥١) يشير المؤلف انه أتم كتابتها في ١٣ آذار سنة ١٩٣٦ • تلاحظ ص :
١٥٤ من الرواية ط ٢



الخلاصة

وهكذا ينتهي بحثنا ، بعد أن سرنا طويلا في متاهاته ، وواكبنا فيه نشأة القصة العراقية الحديثة وتطورها ، منذ أوائل القرن العشرين ، حتى انتهى المطاف بنا أخيرا عند عام ١٩٣٩ • وإذا كان لا بد لنا من عرض موجز ، يحدد النتائج التي توصل إليها البحث ، ويشير الى خطوطه العامة ، فإن أبرز ما يلفت نظر الباحث في القصة العراقية ، أن هذا الشكل من الفن ، قد نشأ في العراق مع اشراق فجر النهضة فيه ، وسائر النهضة الفكرية العامة للمجتمع مسaire دقيقة متلازمة • بحيث أمكن القول ان دراسة القصة العراقية ودراسة تطورها هي في الوقت ذاته دراسة للفكر العراقي وتطوره • فحين كان اتجاه الفكر العراقي ، بعد اعلان الدستور العثماني ، اتجاها اجتماعيا اصلاحيا جادا ، اتجهت القصة العراقية هذا الاتجاه الاجتماعي الاصلاحى الجاد ، فأفصححت عن هذه المطامح والآمال ، التي كانت تختلج في نفوس الواعين آنذاك ، لاصلاح بلادهم وانهاضها ، في نمط قصصى معين هو قصص الرؤيا • كما كان ضعف هذا الفكر ، وعدم استناده الى ممهديات من التطورات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، في الفترة الاولى من العشرينات ، سببا رئيسا لضعف القصص التي كتبت في هذه الفترة ولا فيتها • كما كان تطور الفكر العراقي ، في الثلاثينات ، بعد النهضة الاجتماعية التي شهدتها المجتمع العراقي ، وفتحه على روافد فكرية جديدة ، وسعت من آفاقه ، عاملا مباشرا ، قاد القصاصين الى التعرف على الأشكال الفنية للقصة الاوربية الحديثة ، في اتجاهاتها المختلفة ، وعلى القصة التركية والمصرية • مما أدى أخيرا ، الى أن توفق القصة العراقية الحديثة في صنع فجرها ، وان لم تتجاوز هذا الفجر الى

اشراق كامل ، بسبب أن الفكر العراقي لم يرق ، الا الى حدود معينة بحكم ظروف تطور المجتمع العراقي ، التي لم يمض عليها زمن طويل لكي تصل الى أبعد مما وصلت اليه من تطور .

والظاهرة الثانية التي يلمسها الباحث في القصة العراقية الحديثة ، التي تلخص بحثنا ، وتشير الى خطوطه الرئيسة ، هي أن هذا الشكل الأدبي ، قد خضع في نشأته وتطوره لمؤثرات أجنبية وعربية ، حددت طابعه وخصائصه وصفاته العامة واتجاهاته في مراحل المختلفة . وسبب ذلك يعود الى أن هذا الشكل من الادب ، كان شكلا جديدا في الادب العربي ، والادب العراقي بصورة خاصة . ويظهر هذا التأثير بالانماط الأجنبية من القصص ، وتقليدها ، منذ المحاولات البدائية الاولى التي كتبت في القصة العراقية . فقد جرت هذه المحاولات في الميدان ، الذي حددته رواية « الرؤيا » للشاعر التركي نامق كمال . كما برز هذا التأثير والخضوع للانماط القصصية الأجنبية والعربية ، في القصص التي كتبت في الفترة الاولى من العشرينات اذ اتجهت اتجاهها رومانسيا لم تتعد فقلدت روايات الغرام والمغامرات وأدب جبران والمنفلوطي ، باعتبارها النماذج الوحيدة التي تعرف عليها القصاصون في هذه الفترة .

وحين تنوعت الروافد الفكرية ، التي أخذت تصب في الفكر العراقي ، وتعرف الادباء على أشكال قصصية متنوعة ، ذات اتجاهات متعددة ، ابتداء من أوائل الثلاثينات ، سواء أكان ذلك عن طريق الترجمة ، أو عن طريق مباشر ، رأينا ذلك ينعكس انعكاسا واضحا على القصة العراقية . فتعددت أشكالها ، وتنوعت اتجاهاتها ومضامينها ، واكسبت كثيرا من مقومات القصة الفنية الحديثة . فانهسر أسلوب السرد التقريرى عنها ، وحل محله أسلوب قصصي ، في الاكثر ، يعتمد الصورة والحركة للكشف عن غرض القاص .

وبرزت فيها نتيجة لتأثير القصص الروسي خاصة ، نزعة تحليلية تحاول أن تنفذ الى دوائر الاشياء . ولم يقتصر اتجاهها على هذا الاتجاه الرومانسي ، بنزعتيه العاطفية التي تدور حول الحب ، والاجتماعية التي تحاول أن تعزو الكثير من عيوب المجتمع ومآسيه ، الى سوء النظام الاجتماعي . بل أخذت تتجه اتجاهها اجتماعيا واقعيا ، فصورت الواقع الاجتماعي بخيره وشره ، وانتقت شخوصها من الحياة ، بحيث أصبحت هذه الشخوص نماذج قصصية ، لقوم يوجدون فعلا في واقع القاص . وبرز فيها الى جانب ذلك ، اتجاهات أخرى . كالاتجاه الفردي الذاتي ، والاتجاه الانساني الذي يسعى الى تصوير المشاعر الانسانية في موقف انساني معين ، والاتجاه الرمزي ، والاتجاه الفكاهي الساخر . الخ .

ولعل هذه المؤثرات الاجنبية والعربية التي حددت خصائص القصة العراقية ، وصفاتها واتجاهاتها ، تبرز بشكل اوضح عند دراسة أبرز القاصين العراقيين بين الحربين . فمحمود أحمد السيد ، كانت قصصه الاولى صدى لروايات المغامرات والغرام وأدب جبران والمنفلوطي . وقصصه الاخيرة تعبير عن هذا التنوع في أشكال ، واتجاهات القصص التي تعرف عليها بعد تطوره الفكري ، بل كان بعضها تقليدا محضا لها ، يعترف به القاص ويصرح . وأنور شاؤول رغم ضعف قصصه من الناحية الفنية يبرز فيها تأثير موبسان على أوضح صورته . ويتجلى في قصص « ذو النون أيوب » تأثير القصص الروسي ، وخاصة قصص دوستوفيسكي ، في نزعتها الواقعية والتحليلية . ولا يشذ تاج عبدالحق فاضل القصصي عن هذا .

وبالاضافة الى هاتين الظاهرتين التي تلخص نتائج بحثنا وتشير الى خطوطه الرئيسية ، يمكن ان نلمس نتائج أخرى خلص اليها البحث . فهو حين ركز دراسته على القصة العراقية القصيرة ، بين الحربين ، لم يغفل

الرواية • وانما أشار إليها بما يضعها في مكانها الملائم من حقب التطور • كما أنه حين قرر ان الرواية في العراق بين الحربين لم يتسع نطاقها ، واقتصرت على محاولات محدودة متفرقة متباعدة ، كتبت نتيجة لحوافز فردية خاصة ، انما يكون قد قرر في الوقت ذاته ، واقع الرواية العراقية بعد الحرب الثانية أيضا ، (وهي الفترة التي شهدت تطور القصة القصيرة في العراق ، تطورا جعل بعض نتاجها يقف في صف واحد مع أحسن ما كتب منها في العالم العربي) فقد ظل واقع الرواية هذا مائلا بعد الحرب الثانية • وظل الأدب العراقي الحديث ، يفتقد الرواية كما ونوعا •

كما ان هذا البحث ، في محاولته رصد المؤثرات الاجنبية في القصة العراقية بين الحربين ، وتتبع اتجاهاتها ومضامينها ، يكون في الوقت نفسه ، قد أشار الى اتجاهات ومضامين القصة العراقية بعد الفترة التي يقف عندها البحث ، والى الخطوط الرئيسة التي حددت خصائصها وصفاتها • اذ لم تكن اتجاهات ومضامين القصة العراقية ، بعد الحرب الثانية ، سوى امتداد متطور لاتجاهاتها ومضامينها بين الحربين • فالاتجاه الاجتماعي الواقعي ، الذي رأينا ترسخ مفهومه ، قد أصبح يمثل القصة العراقية ، أو أحد ملامحها البارزة بعد الحرب الثانية • وهذا الاتجاه الفردي الذاتي ، الذي بدأت بوادره تظهر في القصص التي كتبها بعض القصاصين بين الحربين ، والتي صورت محنة الفئة المثقفة ، وضياعها الفكرى ، بسبب عدم انسجامها مع واقعها ، قد عمق منه القصاصون ، بعد الحرب الثانية ، بحيث أصبح تيارا يستند الى أسس فكرية معمقة ، ويعبر عن واقع فئة أصبحت ، لاتساعها ، ذات تأثير فعلى في الواقع الاجتماعي في العراق • وكان لوضوح سمات وملامح هذه الفئة ، وعمق احساسها بمأساتها الخاصة ، ما ساعدها على ان تكتب ، في القصة ، نتاجا يعكس هذه السمات والملامح على نحو أصيل صادق • ولا تخلو هذه

القصص التي كتبت بعد الحرب الثانية ، من النزعة الرومانسية التي صبغت
النتاج القصصي العراقي بين الحربين ، بصبغة عاطفية ساذجة • ويتجلى ذلك
بصورة واضحة في قصص العديد من صغار الكتاب ، وانعكس أثرها على
قصص غيرهم من الكتاب ، حين كان أدبهم يفصح ، في أكثر الأحيان ، عن
نزعة رومانسية مشوبة بواقعية لم تستكمل جوانبها •

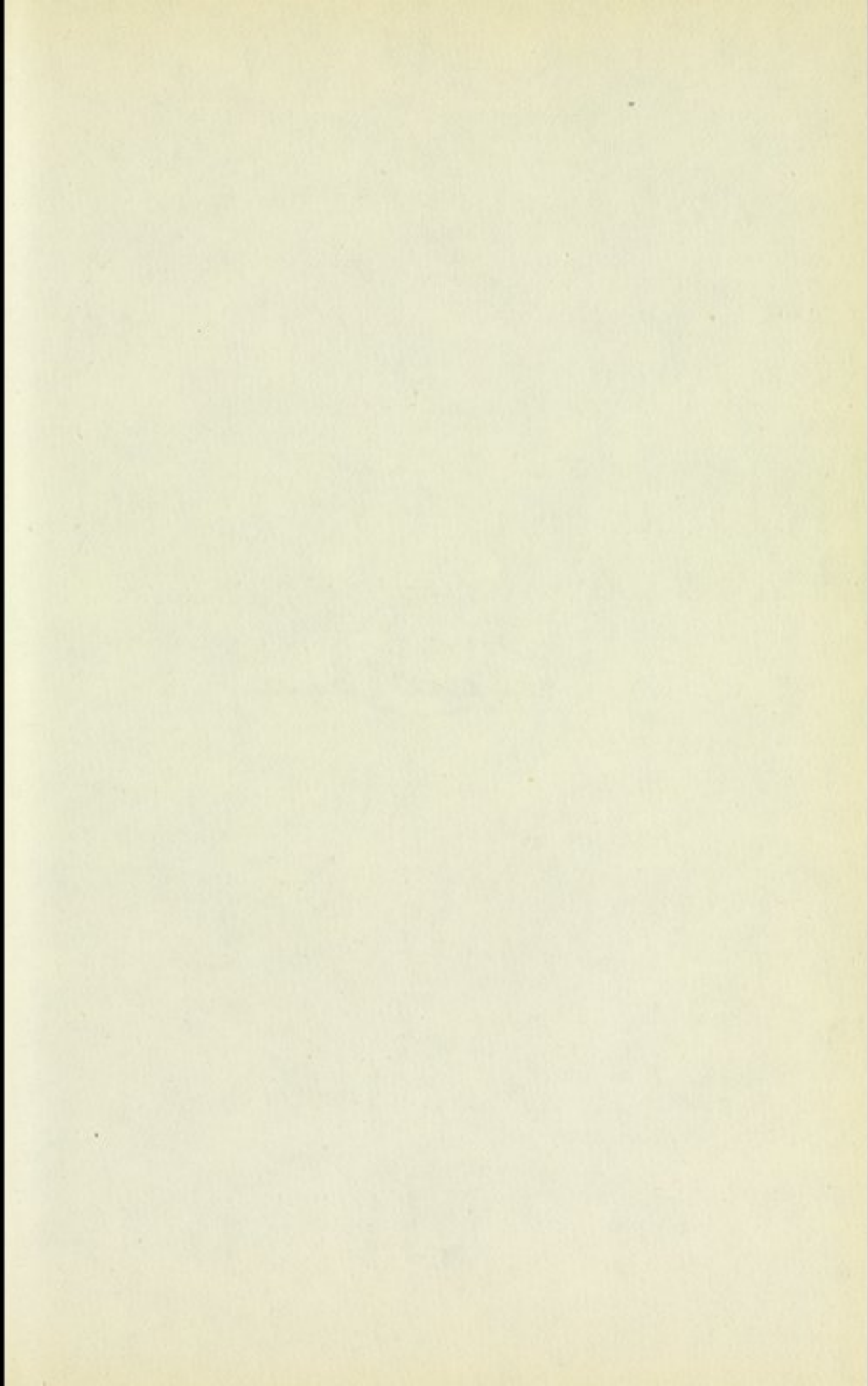
وظل لهذه الظاهرة التي حددت طابع القصص العراقي وخصائصه
واتجاهاته بين الحربين ، والتي تمثلت في خضوع هذا الشكل الأدبي ، في
نشأته وتطوره ، لمؤثرات أجنبية وعربية ، أثرها • بل ظلت تمثل الظاهرة
الرئيسية ، التي حددت خصائص القصص العراقي وصفاته ، بعد الحرب
الثانية وحتى وقتنا الحاضر • فالقاص العراقي بقي يبحث عن أشكال ملائمة
لقصصه ، في هذه الانماط الأجنبية من القصص ، التي كثرت ترجمتها في
هذه الفترة • فبرزت نتيجة لذلك ، في كتابات الكتاب هذه الاتجاهات
الحديثة ، التي تتأثر كامي ، وسارتر ، وبروست ، وجويس ، وكاثرين
مانسفيلد ، وهذا الاهتمام المبالغ فيه ، بالمنلوج الداخلي ، وتداعيات الابطال
الذهنية ، كما يتضح ذلك في قصص عبدالملك نوري ، وهذا الاعتناء ببناء
القصة الفني بحيث وقع في تصور بعض القصاصين ، ان القصة القصيرة يجب
أن تبني بناء هندسيا ، يخضع للصنعة الفنية أكثر من خضوعه للطبع ، بحيث
تتجلى فيها (الوحدات الثلاث) من مقدمة تمهد للحدث ، الى ذروة يصل
فيها الحدث قمة تطوره ، الى لحظة تنوير تختم بها القصة بما يكشف أبعادها
ويوضح غوامضها ، كما يتمثل ذلك في نتاج فؤاد التكرلي •

تلك بالاجمال هي الخطوط الرئيسية لبحثنا ونتأجه العامة • وفيه
كما رأينا ، يشير الى اتجاهات في القصة العراقية ، كتب فيها الكتاب بعد

الحرب العالمية الثانية • والذي نرجوه ان يكون هذا البحث ، قد أدى غرضه
الذي كرس من أجله • وهو أن ينفذ بعض ما تراكم من غبار النسيان ،
على نتاج أدبي طوته الايام • فاذا فاته الصواب في نتائجه ، فلعله يكون حافظاً
لغيرنا ، على أن يدرس القصة العراقية دراسة اوفى أو أفضل • ولعل في
هذا الفهرست الملحق بهذا البحث الذي جمع المتناثر المشتت من القصص
العراقية المنشورة في الصحف والمجلات على مدى عشرين عاماً ، ما يمهّد
للباحث ذلك • حين يجد مادة بحثه ميسرة فلا يصرف جهوده ، كما صرفنا
جهودنا ، في محاولة جمع هذا النتاج الضائع في أكداس ضخمة من الصحف
والمجلات ، فيأخذ من وقته وجهده ما أخذ من وقتنا وجهدنا •

ملحق

نصوص قصصية



تَوَطُّعَةٌ

يضم هذا الملحق قصصا نُشرت في الصحف والمجلات في فترات متباعدة بين عامي ١٩٠٨ - ١٩٣٩ ، لم يضمها كتاب " يوماً ، لذلك كتب عليها الضياع . فلم ينتبه الى أهميتها وقيمتها احد " من الباحثين ، رغم ما تحمله من دلائل ترشد الباحث وتعرفه على كثير من جوانب تاريخ هذا الفن الغامضة . ومن هنا فان هذا الملحق لا يستهدف تقديم نماذج للقصة العراقية في الفترة التي يتناولها البحث بالدراسة ، وليس ذلك غرضه . ولذلك أهمل قصصا كثيرة لقصاصين مشهورين ، تعد قصصهم نماذج جيدة تعكس صورة واضحة للقصة العراقية في فترة البحث ، من أمثال محمود أحمد السيد ، وانور شاول ، وذو النون ايوب ، وعبدالحق فاضل ، وشالوم درويش ، وعبدالوهاب الامين ، وما ذلك الا لان قصص هؤلاء قد ضمتها مجاميع قصصية ، صانتها ، وبرزتها ، بحيث صار في الوسع الرجوع اليها يسر ، لا يكلف الباحث عناء تقليب اكдاس الصحف الهائلة ، التي صدرت في هذه الفترة .

والامر في اختيار قصص هذا الملحق خضع لاعتبارات علمية ، وتاريخية وافية يمكن أن ندل عليها فيما يلي :

اولا : حرص الملحق على ان يضم جميع القصص البدائية التي تناولها البحث في الباب الاول . وذلك لان هذا الباب قد قام اساسا على دراستها ، ولان هذه القصص لم تكن معروفة للباحثين ولم يشر الى اهميتها في تاريخ هذا الفن باحث . كما أنها تكرر للقصة العراقية رائدا لم ينتبه اليه احد هو عطاء امين ، يحرص الباحث على ان يشاركه آخرون في رأيه حول اهميته في تاريخ القصة العراقية .

ثانيا : ولان قيمة محمود أحمد السيد في تاريخ هذا الفن لا يختلف فيها
اثنان ، وهو امر حرص البحث على ان يؤكد ، كان من الضروري ان تجمّع
قصص له لم يضمها الى مجموعة من مجموعاته القصصية ، وانما نشرها
متفرقة في الصحف والمجلات لسبب من الاسباب ، انقاذها لها من الضياع
لاهميتها التاريخية .

ثالثا : وبالإضافة الى ذلك فان هذا الملحق لم يفضل قصصا نشرت
في الصحف والمجلات في فترات متباعدة ، اعتمد عليها البحث اعتمادا كبيرا في
تقرير كثير من احكامه ، وفهمه لواقع القصة العراقية مما قد يخالفه فيه القراء
بالإضافة الى قصص اخري تصلح ان تكون نماذج جيدة للقصة العراقية بين
الحربين وتدل دلالة واضحة على تطورها ، لما توفر لها من فنية . كقصص
يوسف متى التي تكرر صاحبها علما من اعلام هذا الفن في الثلاثينات ، لا يقل
شأنا عن اعلامه الذين عرفوا في تاريخه لانهم نشروا قصصهم ضمن مجاميع
واخيرا ، فان في قصص هذا الملحق اخطاء نحوية واملائية ومطبعية لم
نصححها حرصا على الشكل الذي نشرت به اولا .

أ - قصص الرؤيا*

١ - رؤيا العربية**

في ليلة الحادية والعشرين من رمضان المبارك بعد ما صلينا التراويح وتوسدت الوسادة رأيت رؤيا تميل لبهجتها الجلاميد طربا وتهتز لشذا عبيرها الرواسي عجبا كادت تذهب بجمالها لبي ويطير من اشعة انوارها عقلي ولكن الحمد لله الذي ثبت بالقول الثابت قلبي فهي لعمر الله مما تكتب بالنور على جباه الحور .

رأيت نورا لطم وجه الارض وكاد ان تندك له الشامخات في الطول والعرض اعقبته مزنة تنثر رذاذ العنبر والمسك يتخللها نسمات انفاس اطيب من طيب العود والذ من نشق الورود ولما كان الزمن العشر الاواخر من رمضان فلم أشك بان ابواب السماء فتحت وهذه ليلة القدر التي على الف شهر فضلت ، فرفعت بصرى للسماء وبسطت يدي للدعاء فاذا قد ضللتني عرش لا يحيط به البصر ، قوائمه من الزبرجد الاخضر مرصع بالدر والجوهر مسبوك بسبائك الذهب يحمله عدة من الاملاك يخدمه غلمان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لوءا منشورا مع حور عين كأمثال اللوء المكنون محيطة به فرسان يصعق الغضنفر لروءيتهم ويندهش العقل من محيا طلعتهم مضروب في وسطه خيمة من لوء لوء واحدة مجوفة طولها اميالا ولها عدة ابواب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخا داخلها سرر موضونة وازائك بطائنها من استبرق متكئة عليها شمس يضيء من وجنتيها ما بين الخافقين جبينها هلال فهي المعنية بقول صاحب حادي الارواح حيث قال :

فيا نظرة اهدت الى الوجه نضرة	امن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله كم من خبرة ان تبسمت	اضاء لها نور من الفجر اعظم
فيا لذة الابصار ان هي اقبلت	ويا لذة الاسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب اذا انثنت	ويا خجلة الفجرين حين تبسم

(*) مرتبة حسب تاريخ نشرها .

(**) مجلة تنوير الافكار . ج ٢ مج ١ - السنة ١ - ٢٨ رمضان ١٣٢٨ / ١٩
ايلول ١٣٢٦ (١٩١٠م) ص : ٦٨ واتمها في ج ٣ ص : ١١٩ و ج ٤ ص :
١٦٨ و ج ٥ - ٦ ص : ٢٢٢ . ولم تشر المجلة الى اسم المؤلف وتتجسد
في هذه الرؤيا كثرة الاخطاء اللغوية والنحوية والمطبعة بشكل كدنا له
ان نحذفها لولا حرصنا على ان يأخذ القارىء صورة واضحة عن تطور
قصص الرؤيا خاصة وان هذه اول (رؤيا) نشرت .

تفككه فيها العين عند اجتلائها
عناقيد من كرم وتفاح جنّة
وللورد ما قد البسته خدورها
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها
فواكه شتى طلعتها ليس يعدم
ورمان اغصان به القلب مغرم
وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تولى على أعقابها الجيش يهزم

فلما رأيت ما رأيت صرت أقدم رجلا وأوخر أخرى فشجعت نفسي
وقلت لا بد أن افحص عن هذه الدرّة اليتيمة ولو كان فيه حتفى فتقدمت الى
بعض الخدم فحييته بالسّلام فحى بأحسن واجاد بالكلام فطمعت لما رأيت لين
جانبه فقلت أيها الاخ الكريم انى سائلك عن هذه الشمس المشرقة أهى مريم
العندرا ام خديجة الكبرى ام فاطمة الزهرا ام الصديقة زوج المصطفى ام
ذات النطاقين ام ام . ام . فقال كل ما ذكرت من بناتها ويتقربن الى الله
بخدمتها هذه التى حبها ايمان وبغضها كفران غدوبة الغاظها السحر الحلال
واستعارات كنهاياتها كمطر لوء لوء من نرجس الهلال اكنافها اوسع من (القاموس)
ودرر فرائدها لا يحيط بها الف (جاسوس) تقرب الاقصى بلفظ موجز
وتبسط البذل بوعد منجز ، المذاهب بأسرهم كالباقر والصادق والشافعى
مع النعمان وابن حنبل ومالك والثورى والبصرى ومن ضاهاهما لها خدموا
واقبال الائمة كالخلفاء الاربعة مع جميع الامراء الاجناد لمحافظة حما حماها
التزموا الزهاد بأسرهم تمسكوا باذيالها وتووسلو بها كى تخرطهم فى سجل
ديوانها ، ولدها هم الذين ابادوا كسرى وقصر واذعنوا للانقياد لها الاسود
والاحمر والاصفر فقلت اى اخ صرح لى واترك الكنى ففكرتى فى صدا من
العنا فقال لى هذه (العربية) وقد أتت موبخة صادعة لبنيتها على توانيهم بتكثير سواد
الحكومة الاسلامية العثمانية بعدم تسجيل نفوسهم وتكثير نوابهم وان
لا يصغوا لا راجيف المرجفين ونعق الناعقين ، النابذيين بين الوحدة العثمانية
عصى التفرقة بوساوس هذا تركى وهذا عربى مبينة لهم ان التنازع مقرون
بالفشل (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) مبرهنة لهم ثمرة الاتفاق والاتحاد
بالبراهين القطعية موضحة لهم طرق نيل المقاصد بجعل المدارس يدرس فيها
لغة القرآن قائلة ينبغى أن يأتوا البيوت من أبوابها بتكثير نوابهم وان كل
من القى لهم وساوس القيام والخروج والشقاق فهو العدو الاكبر يريد أن
يجعلهم طعمة لغيرهم فلينظر الى تاريخ احوال من ادعى الانانية كالاندلسيين
وغيرهم حين ما صاروا ملوك طوائف كيف صاروا شذروا منذر وقد امت بثوب
عز تلبسه اولاد ما يلبي دعوتها فبينما نحن فى الكلام واذا باهل (سورية)
اقبلوا وفى مقدمتهم اسد همام صارخين ما قد لبينا دعوة امنا فمنها الامر
وعلينا الطاعة نحن نكون بريدة اوامرنا فلما سمعت ندائهم خرجت من
المضرب واستقبلت اهل سورية بالسّلام شاكرة سرعة انتباههم قائلة ليس

الان وقت العتاب بل وقت جمع بقية بنى فهنالک يوبخ من يوبخ عن بينة ويشكر من يشكر عن بينة وعلى كل حال انى شاكرة سرعة تبادركم فاذهبوا الى تقييض بقية بنى وكونوا رسلا مبشرين ومنذرين لثلا يكون لهم حجة على يوم تكون زمجرتى عليهم حسرة وندامة عندما اتبرؤ من احسابهم واطعن فى انسابهم يوم تدوسهم سنابك اقبالى فى ميدان مطاردة الامم فى ساحة التقدم والترقى الفائز فيه السابقون الاولون ممن لبانى فى ساعة العسرة يوم تحزبت الاحزاب على الكواكب والهلال قاصدين الحيلولة بينى وبينه ليخسف ولم يعلموا ان الله مصيره بدرا باهل سيوف ذات الشفرتين حين ما يتناولوا ندى العلوم والمعارف المنتجة للعز والاتحاد المقرون بكل خير وسعادة فاذا شرقت شمس اهل هذه اللغة واستيقضوا من رقدتهم وصارت غايات الاسل بايدى كل قسورة على عاديات معقود بنواصيها الخير فويل للذين كفروا ولجوا فى طغيانهم من مشهد يوم يجعل الوالدان شييا عندما تتجهر اهل الضاد لنصر راية الهلال قبالة من يوم لايسعهم نور الهلال فيجرونه بسلاسل مغناطيسية العلم والمعرفة الى المشرق فهنالک يكمل الهلال بدرا مشيرا لقرب غروب شمس المغرب يوم يكتفى المشرق بصناعته وتجارته وزراعته القاطعة لامتصاص الغربيين دماء الشرقيين المرديية باى هل المغرب فى مسغبة الغاقه عندما ياخذ بدر الشرق فى الارتفاع وينقلب الكوكب باذن من كل يوم هو فى شأن شمسا فالشمس تصلح برهم والبدر يمدهم بسبعة ابحر مملوثة بالموحدين ملبين على كل ما خر مسربل بالحديد قاذفا من فيه دخان لهيب قلبه الموقد من كهربائية الحسرة والندامة على تفريطه فى تلك الرقده شاهقا بزفرات بخار على ما نقص من محيط دائرة اهل التنزيل .

يا بنى اذهبوا من طريق (بعلبك) باكين اعناق من لم يتحمس من اهل (حمص) على محافظة (حما) حمايى فويل يومئذ لكل (حلبى) ان لم يوصلوا صدا شهبائهم لزور (الدير) كى تزور عيون الغيورين لتأبين طرف (العراق) فاذا حللتم ساحة (دار الخلافة) العباسية وبكيتم على جامع خلفائى ونظاميه نظامى ومستنصرية المستنصر صارخين البدار البدار قبل البوار قائلين السلام عليك يا أم هارون وجدة المأمون ياكعبة العلوم والمعارف طال ما نبغ فيك اهل الفواضل والعوارف من معدن فضلك شحذ المغرب المدنية واقتبس ولفلسفة حكمة معقولك درس كيف وصلت ربوتك الى هذه المحنة بعد ما قال فيك بن حنبل رح من مات فى بغداد على السنة يخرج من جنة الى جنة اين ذهبت جنانك أم كيف يبست انهارك نهر عيسى وبيطر ورفييل ودجيل وطابق والصرات فوحق من سل من علمائك الاتفاق على محافظة اوقاف مدارسهم المصروفة على خلاف شرط واقفها القاضى على العلم بالانمحاق لابد وان ترعد عليكم الام بصوت يندهش منه كل لبيب على تفريطكم فى اهمال حقوق

مدارسكم ولغتككم ولسنا مبعوثين الان مسيطرين عليكم وانما ارسلتنا الام
قائلة نادوا بنى من اهل دار السلام مؤذنين على منائرهما بحى على القيام الى
خدمة من حبها ايمان وبغضها كفران فسينتبه لكم (الرقيب) الاغر (بالزورا)
من جانب (الرصافة) حين ما يسمع ندائكم قائلا ياله من (مصباح مشرق)
دب فيه (التعاون) صارخا ان لا يخفى (الصائب) نفسه عن معاونة
(العلم) الذى هو (كزهور) (الرياض) فاهم ما يلزمنا (تنوير افكار)
الناشئة الجديدة من اشبال من كانت قبلة المعارف والعوارف وان كان (صدق)
بابل) لم يبرهن بمقدمات يقينية منتجة للناس ما فعل بببدا بابل جعلها
اخذودا وعقبات لا تصلح لشيء وتدمير كنوزها باسم الآثار القديمة فليقل آه
على كل ركاز خطفته اليد الآثمة وليقتطف من المقتطف ما تنفطر له قلوب اهل
(نينوى) لانهم الموصوفون بالغيرة والحمية يوم هز الهزائز فمرحبا (بنى
بكر بن وائل) جوزوا بجزيرة بنى عمكم من كل عنزى متوكلنا على عنزته لطررد
شياطين الانس صارخين باعامنا (العبيد) ان جدوا بمسيركم كى نجعل
قضاء (الديلم) رمادا فى عين كل (عاني) لم يعن للسلام على (درة النجف)
يوم تكون (كربلاء) كربا على اهالى (العمارة) (والاحساء) حيث لم يكثروا
سواد بنى بارسال مبعوثيهم لمطاردة افكار ، قاعدتها الكلية فاز فيها
الاكثرون وبلاء كبلاء (الحلة) قد اصبح مائها غورا فلن تستطيع له طلب
فعدت تستشخذ جرعة ماء من الهندية المضروب قلبها بمدفع التبذير يثقل
كاهل الامة العثمانية وبلاء على كل من لم ينتخب الخالص من اهل الضاد فيا
(ديوانية) (السماوة) خصى امراء (المنتفك) ، بالسلام والملام على توانيهم
بتكثير مبعوثيهم الخالص فلا اخال ان (البصرة) الفيحاء تصبر على جزر علمهم
وخفض كلمتهم واستعلاء قول (الكوفيين) عليهم فحى الله (الايقاض)
لايقاضه صاحب (المحمرة) خزعل الهمام بان يحمر عينيه سالا ماضيه على
كل أشقر افعى فى صورت جبل عند التقلب فى انيابها العطب ولا يسىء
(مبارك) صباح المسلمين بكسره باب الفتنة وعدم انخراطه فى خريطة
الكوكب الهادى من سار عليه فالمؤمول منه ان يرفع الحاجزين (البحرين)
ويحل فى (قطر) عند الشيخ الكريم (مقتظفا) ثمار (عمان) ظافرا
(بالظفير) باعجا لبطون (العجمان) فبخ بخ بسلطان مسقط بتشميمه
كتشمير امير (المكلا) (والشحر) راقيا سلسلة جباله مستنشقا ربح شمال
نجد مستقبلا للبشير الآتى بقميص الالف اتحاد الاميرين سيد شمر نجل الرشيد
سعود صاحب الجيش العرمم على اعوجيات يرون الموت فخرا فى خدمة
حكومتنا الدستورية .

فيا له من يوم مسعود اذا نهض الامير (ابن سعود)
بالصافنات الجياد مستصرخا اهل (القصيم) ان هلموا لقضم ظهور المرجفين

لدار الخلافة الاسلامية العظمى جاغلا كل قفر (رياض) علم وتوحيد مذ قد
(ايس الشيطان ان يعبد في جزيرة العرب) مناديا لاهل (اليمامة) ونجران
« ووادي » الدواسر لارعدن بلوامع ذوابلي من غدا على كل ميهضم هضم
حقوق حكومتنا العثمانية متجاسرا فيا اهل (الرس) اياكم والتكذيب برسلي
بل شمروا كاهل (سديرة) في استنهاضهم اهل (الاحقاف) اذ جاؤهم من
بين أيديهم ومن خلفهم ان لا تخدعوا لاراجيف الدجانين القاصدين تفرقة
الوحدة العثمانية اكرم (بقحطان) الفخام عند مبارزة الاقران بمقدمتها (ناب
العرب حمير) حينما تهز (زبيد) صمصامة سيدهم (عمرو بن معد يكرب)
على كل من قصد حامي المسلمين ويكون امير (لحج) (كحديدة) من سجيل
في رأس متخلف عن نصر كلمة الله من اهل (بيت الفقيه) و (مخا) (التريم)
بل كجلد (قنغزة) في عين كل من لم ينتدب لتحكيم (باب المندب) بمذافع
ترمي بقنابل (كانها جمالة صفر فويل يومئذ للمكذبين) يكون الايمان ليس
بيمان منادين السلام عليك أيها الامام يحيى الشريف مذ قد رقيت على شواحق
(صعدة) تنادي (العسير) هلم بان نجعل يومنا يوما عسيرا على المعادين
لدولتنا العلية العثمانية بعدما منحتنا الشريعة الاسلامية معترفين بقطعة
ارض من جبل عدن (مرفأ) للفحم لا غير . وان لجوا في طغيانهم جعلنا
أرواحهم في بئر برهوت حين ما تدمدم على صهوات اعوجياتها (حضرموت)
صانعين في صنعاء مجلس عقد اليمين خاطين بدمائنا على قرطاس جباهنا نحن
الفدائيون لحكومتنا الاسلامية العثمانية فهناك يقوم الطائف طائفا (بام
القرى) ومن حولها راقصا على نعمات لبيك اللهم لبيك . لبيك الى مقاومة اعداء
دينك ومن غدا عاويأ كالكلب على نواميس وحيك مترو يوم التروية علم
معرفة سر مسيره الى ساحة مجتمع العالم الاسلامي لتحكيم الروابط فيما بين
الموحدين ان متى هدد جانب من اهل التنزيل حفز كل من في قلبه حبة خردل
من ايمان وغيره وحمية وانسانية وناموس فاديا النفس والنفيس لاعلاء كلمة
التوحيد فاهما معنى (ليشهدوا منافع لهم) مستنبطاً ان لا شرف للدين
والدنيا اعلا من تحكيم هذه الرابطة فيما بين المسلمين صاغيا الى الخطيب
الراقي على ذروة (عرفة) اشارة الى ان امام الموحدين لا يسوغ لاهل الفرقان
ان يجعلوا موقف سلطانهم منخفضاً بين الملوك بل يزمجروا زمجرة الاسد حتى
يجعلوا (القسطنطينية) كعبة للملوك شاخصة ابصارهم لتعظيمها فيا
لساحة (عرفة) من يوم تمايلت فيه سلسلة جبالها طربا على ما أبداه اهل
الفرقان من الحماسة بالذود عن حياض محيط دائرة اهل الشريعة العمرانية
قائلين نحن أولى من الصقالبة الذين احكموا عرى اتحاد المذهب ويدعون انهم
براء من عصابة الدين ، يا بني اسكبوا من أعينكم عبرات الندم على ما جهل
المسلمون من سر هذا الاجتماع وركونهم الى النزاع في فروع المسائل

واصفائهم لكل دجال مفسد يأمر هذا بتبديع هذا ويأمر هذا بتكفير هذا مع أن قرآنهم ودينهم ونبيهم واصولهم وصلاتهم وصومهم وزكواتهم وحجهم وإيمانهم واحد نعم انتج الاختلاف ان تسلط عليهم الاعداء يذبحون ابنائهم ويستحيون نسائهم ويأمرونهم بالسجود لصورة قيصرهم وقيصرتهم بعدما علموا ان السجود لا يجوز ولو الى نبيهم .

يا بني اذهبوا عند غروب الشمس (المغرب) لتحكم تلك الروابط بعدما تحلون قلوبكم بذكر الله (عند المشعر الحرام) ذاكرين الله وحماية بيضة الاسلام كذاكركم آبائكم أو أشد ذكرا ملتقطين (جمرات) رمى شياطين الانس والجن ناحرين قلوبكم اسفا على ركون الموصدين الى عدم الاتحاد والاتفاق متجاوزين جمرة العقبة قاصدين طواف بيت قد ربط باركانه اربعمائة مليون لائذين باستاره كعبة ترفرف القلوب الى جاذبية مغناطيسية متمسكين بعروته الوثقى عند الملتزم تحت باب بيت الرحمن هاطلين انهار دموع المسرات الوافرات غاسلين قلوبكم متمررين الغفلة وخمول الكسل بماء زمزم فارين الى الله بهرولة بين الصفا والمروة متطوعين بانفسكم واموالكم ببيعها الى باريككم بجنة عرضها السموات والارض لمن القى نحره على محافظة حمى المسلمين مودعين البيت الحرام مسلمين على سيدنا الشريف حينما جمع (بنى سفيان) وناداهم ان لا عدوان على (حرب) اذا انقادوا للمسلم (كبنى سليم) .

فحي الله (جهينة) لتكذبها حديث عند جهينة الخبر اليقين وندائها بل انا اول الفارين الى الله البائعين انفسهم واموالهم بجنة عرضها السموات والارض اعدت لمن القى نفسه فى ميدان مطاردة من قصد تمزيق الحكومة الاسلامية وابلى فى خدمة الدين بلاء حسنا كشيخ (بلى) نجل رفادة المنادى بشراكم (يا بنى عوف) كبشارة بن عوف (ذا المجمع عندكم فى (رابغ) حتى تاتى (جدتنا) للسلام على بنينا لعل ينبع) من ينبع دمع الندم فيأتى على (مطر) مطر الهداية فتشمد (الحوازم) حزم صواهاتها لتأمين البقعة المفضلة على روضات الجنان فاذا حللتم وادى (العقيق) ولاحت لكم اعلام طيبة واستنشقتهم عبير تربتها وذفير حصباها وتفجرت تلك العيون تمطر لؤلؤا على وجنات تحاكى العندم حياء وخجلا من قمر ذلك الفلك وهالته المحيطة به على خمول أهل الضاد وصبرهم على ضير العدو لهم وتنكيس رايتهم بين أعدائهم وهم لا حراك لهم على شرف مجدهم الذى صار بسبب خمولهم على شفا جرف هار .

فاذا جزتم سلعا وجذبتكم مغناطيسية اشعة تلك الشمس المضئية وكواكبها المتجاذبة بها وحلتم بيت اشرف خلق الله وخيره ورتعتم بتلك الروضة بصلواة تحية افضل مسجد بعد مكة فسلموا على من بعث لتتميم

مكارم الاخلاق وبشروه بان مسيركم لجمع شمل انجب امة لتحكيم الروابط
على حفظ عهودك والذب عن كلمة التوحيد التي هي سبب رسالتك فسينشرح
خاطره ويطيب قلبه ويدعوا لكم بالنصر فانه حي في قبره يسره اجتماعكم
كما يؤله نزاعكم فودعوه آسفين على فراقه وسيروا على طريق احد فاذا حللتهم
الحجر فنادوا اهله هلموا الى مقارعة اعداء الدين والا يحل بكم ما حل بمن
سكنتم في مساكنهم ويدمدم عليكم ربكم بدمدمة تتصدع منها شامخات
مدائن صالح فسيلبوكم تلبية رجل واحد وسيقسموا (بو الطور) وكتاب
سطور لا تنسى فضل (مصر) على خدمتها اللغة العربية فقد خدمت العربية
خدمة لم نرجاها الا وصيتنا للحزب الوطني ان يصبروا ويصابروا ويبشروا
بنصر من الله وفتح قريب ويعلموا ان اخوانهم الزنكبار كل منهم كالصومال
والسودان لندائهم يجيب يوم يجتازون الفيافي والصحرا لوعظ وتوبيخ
طرابلس الغرب وتونس والجزائر والمغرب الاقصى (١) .

(١) لم تكمل المجلة نشرها .

٢ - رؤى أدبية*

محمد فائق الكيلاني

أرقت ذات ليلة أرقا شديدا كاد يضر بجسمي فتناولت احد كتب
الاداب وشرعت اسرح طائر الطرف في اطرافه وصفحاته فاقتطف ما طاب
لى من ثماره اللذيذة وفوائده الجليلة واكرع شيئا لا يقدر من ينابيع العذبة
التي ترتاح اليها نفس كل فاضل اديب مشجون ٠٠٠ وبقيت على تلك الحالة
الى أن حكم على سلطان النوم فغمضت عيني فرأيت فى الكرى كانى فى فضاء
واسع ليس له انتهاء وانا اسير فيه سيرا حثيثا واقطع ما فيه من الفيافي
والقفار من وعرة وسهلة لا ياوى اليها الا الوحوش ، ثم وجدتني كأننى تحت
جبل شاهق فرقيته حتى علوت ظهره فوجدت هنالك غارا فكمنت فيه منتظرا
ما يفعل بى الدهر الخؤون ٠٠٠

فبينما انا أترقب تلك الساعة الهائلة اذ بصرت نقعا عظيما نار من
جوف الغلاة وما لبث ان انقشع فرأيت حيدرا وخيتعورا وخنوصا تتواكب حتى
صارت عند أسفل الوتد وأنا اتبعها بعيني لارى نتيجة توائبها . ولما انهكها
التعب واللعب اخذ الخنوص يتهمك من هذين الحيوانين كما يتهمك الجاهل
من الرجل العاقل وهو يتهم عليهما تارة من اليمين وطورا من الشمال وهما
يتذللان له خوفا من جوره واعتسافه كما يتذلل المظلوم بين ايدي الظالمين ٠٠٠

فلم تمض بضعة دقائق الا وساعدت التقادير ذلك الغشوم المارق اى
الخنوص فوثب وثبة على الاسد واذقه كاس المنون بان بقر بطنه بنابه الحاد .
فلما رأى الخيتعور ما حل برفيقه المحبوب وما صار اليه وتحقق انه قدصرع
على الارض يتخبط بدمه اطرق هنيهة ثم رفع رأسه ونادى صارخا بملء
فيه : واحزنه وا أسفاه عليك أيها الشجاع الباسل ! وا ويلاه كيف خانك
هذا اللعين الفظ الطباع ! وما قال هذه الكلمات الا وتساقطت الدموع منحدره
من ماقيه كأنها الغيث من الجون ٠٠٠

ولما رأى ان الامر قد مضى وان لا رجوع لرفيقه الى الحياة دنا رويدا
رويدا من القاتل الطاغى الباغى ثم وقف بازائه وشرع يخاطبه بكلام تقشعر
له الجلود ويلين الجلود .

وهذا بعض ما حفظته : أيها المغرور بنفسك المعجب بقوتك وفعلك ،
انك لقد فتكت فتكا ذريعا بسيدنا المبجل وفجعتنا بتلك الفاجعة المدلهمة .

(*) لغة العرب ٠ ج ٤ - السنة ٣ - ت ١-١٩١٣ ٠ ص ١٩٨

فوالله انك لم تفعل فعلتك هذه الشنعاء الا لتقبض على زمام الامور وتستولى
على مقام ذلك الغضنفر ولكن يا بى الله ان يجعلك بدلا منه لانك من عنصر
الادنياء الاوغاد الغدارين ..

فلما سمع الخنوص هذا الكلام وما ضاهاه وكله قارص او جارح اخذ
الحنق منه ماخذه وحاول ان يبطش به كما يبطش بصاحبه القتيل ظلما وزورا
فلم يفلح ساعتئذ وقال له : ويلك ! انى لم آت ما آتيت الا لانال منصبا
جليلا . واستعبد قوما ذليلا . واذرهم من شدة سطوتى فى سكرتهم
يعمهنون ..

اقول : فلما رأيت ذلك الموقف الهائل وما عمل الخبيث الكنود بالاسد
الجليل اضطربت النار فى قلبى اى اضطرام . فوثبت حنقا مفادرا الغار .
لا اعى شيئا من شدة ما تولانى من الغضب المستطار . قاصدا الدنو من
الخنوص المستبد لآخذ منه ثار الضرغام . وبينما انا اسير اليه اذا بصوت
ايقظنى من نومتى تلك والدموع تنحدر من عينى تحدر القطر من السحب من
هول ما رأيت ومن شدة ما تأثرت منه ولما نظرت الى ما حوالى وجدت الغزاة
قد ارتفعت سافرة الوجه عالية الجبين فقلت انا لله وانا اليه راجعون ..
ثم لما ثابت الى نفسى وانعمت النظر فى حالتنا الاجتماعية التى نحن
عليها فهمت ان ما رأيت فى الخيال ، هو تصوير ما يجرى فى عالم المثال .
وتحقت ان ما وقعنا فيه من البلاء المبين . هو نتيجة ما سعيينا اليه فى ماضى
السنين . ولكن « سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون » ..

٣ - سياحة في النوم*

بينما كنت مضطجعا على فراشي اردد في فكري محاسن صنع الله تبارك وتعالى ، الذي اتقن كل شيء فبراه بمقتضى حكمته الربانية ، اذ اخذتني سنة الكرى فرأيت في منامي كأنني اتجول في بستان اشجاره فنوا ، وأزهاره غراء ، واطيابه بديعة الغناء ، وانهاره متدفقة الماء ، فأخذت اسير الهوينى لالتمتع بمشاهد تلك الطبيعة البديعة ، وكنت التفت يمنة ويسرة لكي لا يفوتني قل ولاجل . ثم ما ابطأت ان وقع طائر بصرى على قصر شامخ رفيع العماد مزين بانواع القناديل والمصابيح وكل ضياء ساطع حتى ظننت انه سابح في بحر من نور ، والمياه المتألقة تنساب في جوانبه ، كما تنساب الافاعي في الفلوات الناعمة الرمال ، السريعة الانهيار ، فدار في خلدي ان اتأثر هذا الماء الزلال ، لارى مقره أو مصبه أو مندفقه ، وبقيت اتتبع منعطفاته ، حتى أدى بي المسير الى غدير كبير ، ماؤه عذب نيمر ، واقع في وسط بقعة تقابل القصر المشيد ، وفي جنباتها مجلس نضيد ، وبين يديه أسرة متخذة من العاج ، المرصع بالجواهر الوهاج ، فلما شاهدت ذلك ، دفعني حب الاطلاع على الغرائب ، والاستكشاف عن الخفايا ان استريح هنيهة مما لحقني من العناء ، وكابدته من البرحاء ، وكانت عيناى شاخصتين شطر القصر ، مفكرا ألف فكر .

فبينما أنا على تلك الحال ، اذ فتح الرتاج ، وخرج منه شاب مقنع بقناع موج ، وعلى رأسه تاج ، ولابس حلة من الديباج ، يناهز عمره الحادية والعشرين ، كأنه منحدر من عليين ، ويحيط به مئات من الحور العين ، وفئات من أجمل البنين ، وهم يمشون كلهم مشيا وثيدا . ويكرمونه اكراما حميدا . وما زالوا على تلك الحال ، حتى بلغوا محلا مرتفع المنال ، فرقى السلم ، ووقف ليتكلم ، وامر احد حجابيه ان يميظ النقاب عن وجهه الوضاء ، وطلعت الحسناء ، فلما فعل الحاجب ما امر به ، ظهرت عليه جميع محاسن ربه ، وبدا وجهه الوسيم ، يتلألأ بنور اهل النعيم ، ولاح جبينه الوضاح ، أبهى من ضياء الصباح ، تقول حواجبه دم عاشقى مباح ، وهو ذو عيون كأنها عيون الجاذر الملاح ، ووجنات تزرى بالجلنار ، تنوهج توهج النار . وخال كأنه قيراط عنبر ، او مسك اذفر ، وقد كفضيب البان أو كاملود الخيزران . وبعد ان تكلم كلاما يونس الغزلان ، ويوقظ الوسنان ، اخذ يلتفت

(*) لغة العرب ج ٥ - السنة ٣ - ت ٢ - ١٩١٣ . ص ٢٦٤ ولم تشر
المجلة الى اسم المؤلف . ويساورنا شك انه الاب انستاس مارى
الكرملى . وخاصة انه صاحب المجلة .

ذات اليمين وذات اليسار ، منزها الطرف بين الاشجار والازهار ، مستأنسا
مع أعوانه وهو فى أحسن مقام ، وأطيب اقوام ، فوقع بصره على فوجدنى
جالسا لا أتمكن من القيام ، لما اعترانى من شدة الغرام ، وكثرة الهيام ،
فأشار الي بالنزول ، وان لا ابقى فى محلى كالسجين أو كالمغلول ، ثم رأيت
مقبلا الي ، مراقبا ما حوالى . فقلت فى نفسى : انك لقد وقعت فى بلاء عظيم ،
لدخولك فى موطن خاص بهذا الامير الكريم .

وبينما كان الهلع قد أخذ منى كل مأخذ ، تقدم الي وحيانى أحسن تحية ،
ورحب بى كل الترحيب ، فرددت عليه السلام ، مجيبا اياه بعبارات الاجلال
والاكرام ، ثم قال لى : لا تخف يا بنى ، واراك لا تعرفنى ، فقلت : لا ياسيدى ،
فقال : أنا الذى طبق اسمى الخافقين ، وسمع به سكان ديار القطبين ، أنا
الذى اسمه العفاف ، أنا الذى اقع من القلب فى الشغاف . أنا مزكى
النفوس ، أنا زينة كل عروس ، أنا سر السعادة ، أنا مرقي الصلحاء الى أوج
الامامة والعبادة . فلما سمعت هذه الكلمات ، وما حوت من المعانى الطيبات ،
سكن روعى ، واطمأن قلبى ، وانقشعت من سماه افكارى ، سحب الخوف
والفزع ، وتذكرت هذه الايات :

لك منزل فى القلب ليس يحله	الا هواك وعن سواك اجله
يا من اذا جليت محاسن وجهه	علم العنول بان ظلما عدله
الوجه بدر دجى عذارك ليله	والقد غصن ثرى وشعرك ظله
هذه جفونك اعربت عن سحرها	وعذار خدك كاد ينطق نمله
عار لمثلى ان يرى متسلليا	وجمال وجهك ليس يوجد مثله
هل فى الورى حسن اهيم بحبه	هيهاضحى الحسن عندك كله

وما كدت افرغ من انشاد هذه الايات ، الا وفرغت فى نومى واستيقظت
وقد انطبعت صورة « العفاف » فى مخيلتى فقلت فى نفسى : لادعون الناس
الى حب هذا الخلق البديع ، ذى الحسن المنيع ، لما يورث النفس من المناقب
السامية ، والفضائل العالية . ان ربك لرقيب ، وهو المجزى المثيب .
فاجعلنا اللهم ممن يخافك ويتقرب منك ، ولا تجعلنا ان نصرف وجهنا عنك ،
اللهم آمين .

٤ - المال حاكم*

وجدت ذات ليلة في مجلس كان فيه جماعة من الاحباب ، يسحر كلامهم الالباب ، فأخذنا نتجاذب أطراف أحاديث الاسبوع ، حتى أدى بنا الموضوع الى ما أحدثته يد الدهر ، من المصائب والاهوال التي يشيب لها الاطفال .

ثم انتثر عقد الجمع فانطلق كل واحد الى بيته ورجعت انا أيضا الى منزلي منزعج النفس مكدر ماء خاطر ، فاضطجعت على فراشي وافكارى فى اضطراب عظيم ولا اضطراب البحر المتلاطم بالامواج ، فبينما انا خائض عباب ذلك البحر والوساوس تتقاذفنى وتلعب بى كل ملعب أقبل على قاضى الوسن فحكمت على بالنوم ولم أعد أشعر بعدئذ بشيء من الهم والغم .

وبينما انا فى تلك الحالة رأيتنى كأننى احوم حول بلد لم ار مثله فى عالم اليقظة ثم دخلته فرأيت على غاية من الرقى والتمدن . فأخذت اطوف فى أزقته وأسرح طائر النظر فى معاهده وابنيته وما حوته من النفائس والمائر والحلل والامتعة والخيل المسومة والانعام الحسنة حتى سدر بصرى وطاش سهم فكرى وذلك لانى رأيت بجانبى قصرا شامخا رفيع البناء مزينا بأنواع الرياش الفاخرة تنيره الكهربائية الساطعة الضياء . وهناك رايات وأعلام مختلفة الاشكال تخفق على مرتفعات القصر . وكانت جدرانها من الداخل مفروشة بمنسوجات الحرير واعمدته مغطاة بالبز الوهاج . يطوف حوله حرس من الجند موكلين بحفظه فأتيت احدهم وخاطبته برفق وقلت له : لمن يا اخى هذه الدار المشيدة ؟ قال انها لسيد هذا البلد الاكبر . وان انت اختفيت فى موضع لا يراك منه أحد تشهد حضور هذا السلطان العظيم . ففعلت بما أشار به على وكمنت فى غار كان هنالك يبعد عن القصر نحو قيد غلوة .

وبينما انا اترقب تلك الساعة العظيمة اذ سمعت انغاما عجيبة تلتذ بها الاسماع وتألّفها القلوب النافرة . فاقبل جند لا يحصى عددهم وعلى اكتافهم البنادق وفوق رؤوسهم تخفق الاعلام . ولما قربوا من القصر انقسموا شطرين كل شطر على جانب وقد اجرؤا ذلك بانتظام عجيب واسلوب غريب . ولما دنا الملك صدحت آلات الطرب كأنها تسلم عليه واجرى الجند مراسيم الاحترام لسيدهم الهمام حينما رأوه يخرج من القصر فاذا هو رجل جليل واسع الصدر صبيح الوجه ذو هيبه ووقار على رأسه اكليل مرصع

(*) لغة العرب ج ٨ - السنة ٣ شباط ١٩١٤ . ص : ٤١٥ ولم تشر المجلة الى اسم المؤلف . ولعله الاب انستاس مارى الكرملى .

بأنواع الجواهر ومن حوله عدة رجال كل منهم كالضرغام وقد شهروا
بأيديهم البواتر وهم يمشون امامه وخلفه يسرة ويمنة . فلما رأى تلك
الصفوف المعبأة رفع يده فسلم عليهم وهو يمر امامهم ويشجعهم بالفاظ تتقد
حماسة . ولما رأته يمعن في السير خرجت من مكمنى . وما زلت اتبعه عن
بعد حتى رأته أتى ضاحية المدينة فأتى له بكرسى فاخر وضعوه على اشرف
مكان هناك وشرع يتكلم بكلام جهورى ترتعد له فرائص الارض ومن جملة
ما سمعته وحفظته قوله :

أنا الحاكم الاكبر ، انا الذى تطاطى لسطوتى رؤوس العوالم ، انا
الذى أقيم الدنيا واقعدما . أنا زينة النفوس الدنيوية التى جعلت هذه الحياة
أقصى منها ورغائبها ، انا الذى قيل عنى :

من كان يملك درهمين تعلمت	شفتاه انواع العلوم فقلا
لولا دراهمه التى يزهو بها	لوجدته فى الناس اسوأ حالا
ان الغنى اذا تكلم بالخطأ	قالوا صدقت وما نطقت محالا
اما الفقير اذا تكلم كلمة	قالوا كذبت وانكروا ما قالا
ان الدراهم فى المواطن كلها	تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهى العلوم لمن اراد فصاحة	وهى السلاح لمن اراد قتالا

فلما اتم كلامه هرولت اليه ودنوت منه ومثلت بين يديه فقلت له :
وما الذى يبعث فى البلاد الرقى والعمران ويزيد فيها النماء والثروة قال
هذه الامور هى :

- (١) توفير النفقات وتدبير أمر المعيشة .
- (٢) السعى وراء شق الانهار وتحسين أمور الزراعة وتوسيع
أبواب التجارة .
- (٣) بث العلوم بين اكابر الناس واصاغرهم لانها أساس الصناعة التى هى
مجلبة المال .
- (٤) مساعدة الاهالى المعوزين بالمال وبجميع الذرائع التى تمهد لهم سبل
السعادة .
- (٥) نشر الوية الاداب الصحيحة والفضائل القويمة وقطع دابر
اهل الفساد .

فلما رآنى متظالا الى سماع اقواله الدريه قال : ومن أى قطر انت ؟
قلت له : سيدى انى من ديار العراق من بلدة دار السلام ، دار الحضارة
والعمران فى سالف الايام - فلما سمع هذه الكلمات اطرق ساعة ثم قال :

نعم كانت الزوراء ام العلوم والمدنية ، ام الحضارة والعمران ، مقر الخلفاء
العباسيين ، مصدر انوار العلماء العاملين . نفقت فيها التجارة ، وتقدمت
فيها الزراعة ، واشتهرت فيها ارقى الصناعة وانبتقت منها انوار العلوم
والفنون ، بيد ان دخول (هلاكو) فيها تداعى ذلك البناء فضلا عن انه هدم
دور صنائعها وقوض معاهدها ودرس مدارسها وردم انهرها ، فأخذت منذ
ذاك الحين بالهوى العجيب يوما فيوما . فلما نظرت ماحل بتلك الحاضرة من
الرزايا والبلايا وخيانة الدهر لها ظعننت عنها فنزلت ديار الافرنج واتخذتها
لى مقرا لانى ايقنت حق اليقين انها لاتعود الى ما كانت ، طالما يكون بيت المال
فارغا ، ومادام فيها !.....!

ولما وصل الى هذه الالفاظ الاخيرة التفت الى حاشيته وبدأ يخاطبهم
بصوت خافت وانا انظر اليه حائرا باثرا . ثم نهض من مكانه فقام له الجند
بالسلام كما فعلوا حينما قدم ورجع الى البلد بتعظيم وتبجيل وارادت الدخول
معه لكن حال بينى وبينه جماعات الناس وبينما كنت احاول الانسلال بينهم
شعرت كان واحدا دفعنى فصحوت من نشوة الكرى وقد انطبعت فى مخيلتى
الرؤيا التى رايتها فى عالم الخيال فوجدته مطابقا لعالم المثال فاغرورقت
عيناي بالدموع وقلت : رحماك يا رب رحماك ! اسالك بان تلتطف بعبادك وتقيم
لهم رجالا ذوى حزم وعزم ينظرون فى الامور على ما هى ويتبصرون فى العواقب
لكى يعود الينا طائر العمران ، فيخفق بجناحيه على جميع هؤلاء السكان ،
فأنت الرحيم وأنت الرحمان .

٥ - كيف ير تقي العراق*

« رؤيا صادقة »

عطاء أمين

ليلة صافية الاديم لامعة الكواكب ، ترسل الى الكون النائم اشعة القمر الذائب ، صبح الربيع وشمسه الذهبية على الفرش الزمردية في الحدائق والحقول ، الحان الطيور وروائح الزهور ، والنسيم العليل ، شعر معجز شاعره الخالق الجليل .

السماء ذات الابراج مزركشة بالنجوم والاقمار ، والارض ذات الفجاج مستورة بالحشائش والاشجار ، والبحار المائجات والانهر الجارية والجبال الراسيات والبحيرات والغابات ، فيها من الحسن والبلاغة ما يأخذ بمجامع القلوب !

كنت ارنم « قصيدة الكائنات » على دجلة في نصف الليل ، فكانت تشاركني في الترنيمة . كنت اتغنى « بابياتها » الجميلة فتجيبني بخيرير مياها اللطيف ، كان الكون نائما والطبيعة في سكون ، الا ان فكرى كان يجول في ميادين الهموم ! فكرت كثيرا حتى شعرت بأن الفكر قد تعب والنعاس قد استولى على وعلائم النوم قد بدت . اسندت رأسى الى يدي ناظرا الى النهر وما وراءه من الاشجار والنخيل حتى داهمنى النوم .

فرايت نفسى على ضفاف نهر يجرى الهويانا بين حدائق الورد وبساتين النخيل وقد كان السكون سائدا والماء عذبا والنسيم عليلا والجو صافيا والليلة مقمرة ! نظرت الى خلفى فرايت شارعا عاما واسعا مستقيما يخترق الحدائق والبساتين فمشيت فيه مستضيئا بنور القمر ، متمتعا بأريج الازهار ، متنقلا بين النجوم والاشجار حتى استدلت من تقرب المصابيح انى سائر الى مدينة عامرة ! وصلت الى سورها وتقربت من احد ابوابها فقرأت كتابة بالقلم العريض معناها « هذه ملكة آسية » فعلمت انى داخل فى اشهر مدن العالم !

دخلت الباب ومررت من السور فشاهدت بالقرب منه سورا آخر فعلمت ان للمدينة سورين وعند اجتيازي السور الثانى رايت رجلا وطنيا داخلا معى فتقربت منه وسلمت عليه وسألته عن هذه الاسوار فقال : « ان السور الذى يحيط بالمدينة مربع الشكل يبلغ طول كل ضلع منه ١٥ كيلو

(*) مجلة دار السلام . العدد ١٧ مج ٢ - السنة ٢ - ٢٤ آب ١٩١٩ ص : ٣٧١

وانتها فى العدد ١٨ ص : ٣٨٨

مترا . وقد رأيت ذلك الخندق عند دخولك الباب الاول ، فقد حفر لمنع
الاعداء من التقرب الى الاسوار وصنع من ترابه قدر عظيم من الآجر « أى
الطابوق » فبنيت به تلك الاسوار حتى بلغ ارتفاعها ٩٥ مترا وعرضها ٢٥ ،
فلو مرت عجلتان واسعتان على اعلى السور لما ضاق بهما ذرعا وقد تجد الآن
على الاسوار ما ينوف على ٢٥٠ حصنا و ١٠٠ باب مصنوع من الشببه
(المعروف بالنحاس الاصفر) « ٠٠٠

دخلنا المدينة فرأينا النهر يخترقها اختراقا والمسنيات المحكمة مبنية
على جانبيه بالطابوق . ثم أخذنا نمشى فى شوارع المدينة ناظرين الى الجانبين
حتى وصلنا الى جسر حجرى أو قنطرة متينة توصل ضفتى النهر فاردنا
الاجتياز الا ان حارسا منعنا قائلا : « لا يجوز العبور فى الليل ، لان الحاكم
نهى عن ذلك لتقل السرقات . » فتعرف به صاحبي حالا واطهر له انا
مرسلون لشغل مهم من قبل الحاكم ولا بد من العبور هذه الليلة لاسيما
والوقت كان اذ ذاك قبل نصف الليل .

عبرنا الجسر فرأينا بيوت تلك المدينة ذات طبقتين أو ثلاث وكانت
الشوارع مستقيمة ومنظمة جدا . وقد اخبرنى صاحبي ان فى المدينة ٢٥
شارعا موازيا للنهر و ٢٥ شارعا آخر قائما عليه . وجميع هذه الشوارع
تنتهى بأبواب السور . قال : « وليست المدينة كناية عن هذه الشوارع
والبيوت فقط ، بل فيها عرصة للحدائق والبساتين ، وارض لزراع الحنطة
وذلك لثلا تجوع المدينة وقت مضايقة العدو لها وحصاره » فكانت المدينة
حسب وصف الرجل معسكرا محكما وحصنا حصينا .

كان صديقى الوطنى قد استعذب منطقى واشفق على غربتى فاشتاق
الى اطالة الصحبة معى ووافق على ارشادى الى جميع ماتهم رؤيته من أقسام
المدينة العامرة . فظللنا نسير فيها وهو يصف لى البناءات العامرة والقصور
الشامخة والحدائق العجيبة وكان مما أرايه قصر شاهق مبنى على ضفة
النهر اليسرى فقال « هذا قصر فخم بناه احد ملوك هذه البلاد لنفسه » ثم
رأينا بجانبه « حدائق معلقة » تشبه الحدائق الجبلية فاستغربت من
وجودها وسألت صاحبي عنها فقال « هذه حدائق معلقة بناها الملك المذكور
لزوجته الماذية وكانت قد حنت الى جبال بلادها والبساتين المزروعة على تلك
الجبال فامر بصنع هذه العجيبة ارضاء ل خاطرها ورفعها لحزنها والمها ! وقد
ايقنت حينئذ ان النساء محترمات فى تلك المدن ايضا ولم استطع ايقاف
دمعتين سقطتا على وجنتى عندما تذكرت حالة نساتنا وما هن عليه من الجهل
والذل والرق والبلاء !

سألت صاحبي عن هذا الملك العظيم الذى سمعت عن عظيمته وشدة

بأسه وحبه للتعيمير والاصلاح ما أدهشنى وسلب لى . وقد مر على قصوره
وحدائقه ما يقارب القرنين ولم يظهر عليها اثر القدم والانحطاط فقال « هو
الملك المعظم والحاكم المفخم ، مالك رقاب الامم وصاحب السيف والقلم بانى
أزيدا (برج بابل) وأساجيل « معبد مردوك احد الآلهه » نبوكد نصر بن
نبو بولاصر الجليل « فعلمت حينئذ انى فى بابل أم العجائب ثم قلت : ما
أسعدنى الليلة وما أسرنى ، لانى سآزور فيها المنجم الكلدانى الكبير والمؤرخ
البابلى الشهير الاستاذ بيروس « بيروسوس » كاهن الاله « بل » فى بابل .
وكان عائشا فى اواسط القرن الثالث قبل الميلاد « فقد طالما سمعت عنه انه
ترجم الى اليونانية كتابا بابليا فى علم النجوم وعلم التنجيم والى تاريخ
بلاد مستندا على الوثائق القديمة والآثار التاريخية فقلت لصاحبى : « هل
الكاهن بيروس حى الآن ؟ » قال : « نعم ، وهو يقيم فى معبد الآله بل . أتريد
أن تزوره الليلة ، فانه رجل كريم » قلت : « نعم . واين هو معبد بل ؟ »
فقال : « الم تسمع ببرج بابل ؟ » قلت : « بلى ! » قال : « ذاك هو .
فاتبعنى لارشدك اليه واقدمك الى حضرة الاستاذ فانى من اخص احبائه ،
فشكرته على افضاله وتبعته حتى رأينا برجا عظيما شامخا فى الهواء مدورا
ذا سبع طبقات تتناقص سمعتها تدريجيا كلما ارتفع البناء ، وقد بنى على
بقعة من الارض يبلغ ارتفاعها ٢٥ مترا . وكانت الطبقة العليا منه هى
المخصصة بعبادة الاله . ولذلك وجدنا ابوابها مزينة بالعاج واعمدتها مستورة
بالذهب الابريز . وقفت انظر الى ذلك البرج العظيم قبل ان ادخل فيه لارى
عظمة اهل تلك العصور . فقلت : لىت بلادى فى القرن العشرين بعد الميلاد
كبابل فى القرن الثالث قبله ! . . . ما اعظم هذا البناء واكملة ، وما اجمله
واحسنه ! ترى العظمة والقوة والجبروت تشع من طبقاته والحسن والجمال
يظهر من نوافذه وابوابه .

دخلنا الطبقة الاولى وسألنا الواقفين عن الاستاذ فقالوا : « هو فى
الطبقة العليا يصلي . فانتظروه فى الطبقة السادسة حتى يتم صلاته ! »
صعدنا وكنا كلما رقينا الى طبقة من الطبقات السبع رأينا الافق يتسع فى
نظرنا ويظهر ما كان مخفيا عن ابصارنا . وصلنا الى الطبقة السادسة فدخلنا
فى غرفة الانتظار واخذنا نقضى الوقت بالنظر الى السماء وصفائها والنجوم
ولمعانها والطبيعة وجمالها .

كنا - ونحن فى هذه الحالة - اذ سمعنا اجهاشا وشهيقا تتبعهما
الحشرات والزفرات فأصخنا بسمعنا والتفتنا الى جهة الصوت فرأينا فوقنا
على شرفة المعبد رجلا جائيا على ركبتيه يذرف دموعا حارة على وجنتيه ،
يخاطب ربه بصوت رخيم وقلب كسير !

فقرأت اسمها ، فإذا هو « باب ايلو » أى « باب الله » وعلمت انها « بابل »
التي انا فيها . وقد رأيت من الصور التي مرت أمامي ، كيف تم ارتقاؤها
عصرا بعد عصر وكيف بدأ انحطاطها في اواخر الايام .

ثم انقلبت الادوار التاريخية حتى رأيت اناسا يخططون مدينة على
شاطئ نهر قريب من الفرات . فانتظرت قليلا حتى رأيتها قامت فإذا هي مدورة
الشكل فصرخت : « سيدى ، سيدى ! هذه هي مدينتى وهذه هي مدينة
المنصور ، قد عرفتھا وانا اعلم بماضيها فهل تخبرنى عن تاريخها المستقبل ،
لانك أعرف بشؤونه من كل انسان ؟ » فقال : « تفضل معى » . وقادنى الى
غرفة أخرى فيها طابوق مكتوب . فقلت فى نفسى : « لعل هذه خزانه كتبه ! »
فاخرج قطعة من الطابوق المرتب وقرأ فيها مدة طويلة وحسب حسابا دقيقا
وهو تارة ينظر الى الحجارة وطورا الى السماء وآونة الى آلة كانت بيده فقال
وعلى شفتيه ابتسامة الالم : « مسكينة انت يا بغداد ! كم قد ذقت آلاما
وتجرعت سموما وصبرت تحت المعاول والسيوف ! كم قد دار عليك الزمان
فأراك من مصائبه ومتاعبه ما جعلك تثنين تحت أثقاله وتستغيثين تحت
آلامه ! لقد تلاعب بك الدهر تلاعب السبع بفريسته ، ومزقتك الايام تمزيق
الجاهل أعظم كتاب ، وحطمتك الزمان تحطيم المتعصب اجمل تمثال ، وكسرك
سوء الحظ كسر المتوحش آلات العلم الحديث !

ارى نجمك فى السماء سعيدا وحظك على الارض حسنا ومستقبلك فى
عالم الغيب زاهرا . ستعود اليك أيامك الزاهية وستنالين شدتك السالفة
وستكونين كما تريدن . ستعود اليك الثروة والشرف والسلطان ويزول
الفقر والذل والخسران وينتشر العلم والادب والعرفان وتكون بغداد لندن
الثانية ! .. » ثم سكت وصاح : « ولكن بشرط ، .. نعم بشرط ان تسمعوا
يا أهل بغداد نصيحتى ! » فقلت له : « وما هي نصيحتك يا سيدى ؟ » قال :
« تفضل » ونزل بى الى غرفة فى احدى الطبقات واخذ من روزنة فيها بعض
الاشياء فقال :

« اسمع يا ولدى ! هذه علبة فيها « بنور » باركتها الآلهة . وهذه كأس
فيها « ماء » من مياه المعابد . وهذه قطعة ثوب فيها « تراب » من ردهات
الهياكل وهذه « آلة تأمر الرياح بتسيير السفائن والمراكب » وهذا كتاب فيه
علوم الاولين والآخرين ! خذها بيدك ، واهدھا لاهل بلدك وقل لهم (هذا
هو دواؤكم) والسلام (١) !

(١) كل ما فى هذه القصة من الاخبار والاصاف والصلوات حقيقية لا دخل
فيها للخيال .. « مؤلف القصة »

٦ - سياحة الفكر*

م . ش

بينما ذات ليلة من ليالى الشتاء كنت داخل غرفتى مستغرقا فى بحر مخيلتى اذ نهضت وقفلت النوافذ من شدة البرد القارس فساد السكون ، واشعلت لفاقة تبغ وجعلت ادخن حيث كنت مضطجعا على سريرى كان امام مكتبتى ، وكانت السماء متلبدة بالغيوم وعواصف الرياح لها دوى شديد والرعد يقصف والبرق يلعب من خلال الاثير .

فتناولت كتابا واخذت اطالع فيه فاخذتنى سنة من النوم فاطبقت اجفانى وعمت سابحا فى بحر عالم الخيال .

رايت كانى فى مدينة عظيمة ، ذات ابنية فخمة من الرخام الابيض كانها مرآت مصقولة وشوارع أرضها مبلطة ولها ارضفة ذات اليمين وذات الشمال ، والى جانب كل رصيف منها اشجار شامخة مفروسة على شكل مستقيم ، ولا زلت انتقل من شارع الى آخر حتى انتهيت الى خارج المدينة ، واذا بحقول غضة واعشاب سندسية ، وانهار جارية وغدران طافحة ، فانعطفت الى حدائق بهية . وقصور شاهقة ، وجبال راسية ، مكسوة بالجليد الناصع بسهولة ووديان واسعة ، وتلال جميلة البسها العشب حلة خضراء ، طيور محلقة بالجو ، زهور ورياحين والى جانبها ارض مفروشة بالحصى المختلف الالوان ، كانها رصعت بعقيان او بالدر والمرجان هو اعذب مسكر للالباب ، كانها الجنة التى وعد الله بها عباده ، حياة لم يسبق لها مثل ! . .

جلست تحت ظل شجرة هناك ضخمة متدللية اغصانها على نهر عظيم ، وما سرحت نظرى بتلك المناظر الطبيعية ، حتى شعرت باننى بدلت نفسى بنفس غيرها ، وما ذلك الا من مؤثرات تلك المحاسن الطبيعية التى تملأ العين سحرا والقلب طربا وحبورا ، فاطرقت مليا مفكرا بعظمة مبدع تلك الهبات السننية ، وكنت اسمع خرير المياه وحفيف الاوراق ونغماتها ، وتفريد الطيور بالحانها الموسيقية وتقسيماتها الشجية ، لما تزيد القلب بهجة وسرورا ! . . ولما اخذت الشمس بالافول وتلالات اشعتها الذهبية على قمم الجبال ، وانعكس الجليد ذهبيا وهاجا كان للاء اشعته بريق المساس ، وقد تجمعت السحب حول الشمس لتودعها عندما اقتربت من الافق حتى افلت تماما ،

(*) مجلة اللسان ج ٥ مج ١ صفر سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠) ص ١٣٩ وليس هناك ما يشير الى ان كاتب هذه الرؤيا ، والذى رمز له بحرفى (م.ش) كاتب نعرفه ويبدو ان مضمون الرؤيا السياسى ، هو الذى جعله لا يذكر اسمه الصريح . ويلاحظ ان فى هذه الرؤيا اخطاء املائية ونحوية كثيرة .

وجن الليل وأرخی سدوله وهوى بأجنحته الحالكة السواد الى الارض ، رفعت رأسى نحو السماء الصافية ونجومها الزاهية ، فرأيت أشعتها الفضية مائلة على الكون ، والقمر قد بزغ كملك عظيم تجلى فوق عرشه والشهب محدقة به كأنهن اللؤلؤ المكنون ، فرأيت شعاعة كأنما يهم أن ينبسط حتى يقبض على البائس والضعيف لكى يهتدى بنوره وصفاء اديمه ، فخیل الي بما ارى اننى ارى شيئا عجيبا ومنظرا غريبا ! ..

- الرجوع نحو المدينة -

نهضت من مكانى وقفلت راجعا نحو المدينة ، وبينما انا سائر ابصرت خيمة على سفح رابية مشرفة من الجهات الاربع على متسع من الارض ، فقصدت تلك الرابية لارى من فى تلك الخيمة ، واذا بشيخ جالس على كرسى عظيم ومرتد برداء اسود ، وهو كئيب ونحيف الجسم مطرق برأسه الى الارض فكأنه يفكر فى سر غامض ، واصفرار القنوط المحزن باد على وجهه ، فأجلت طرفى يمينا وشمالا فلم أجد أحدا سواه ، فدنوت منه واحنيت رأسى اجلالا لهيبته ، فلم يجبنى ولم ينبس ببنت شفة ، وعلمت من ذلك انه غير مرتاح لقدمى عليه ، فاخذ منى اليأس والجزع ، وعندما رآنى على هذه الحالة ، رفع رأسه وحيانى ومد يده وصافحنى وسألنى الجلوس فجلست الى جنبه ، واخذت أجادبه أطراف الحديث واليك ما يلى :

- من أى البلاد يا حضرت الشيخ ؟
- ألم تعلم بانى من هذه البلاد ؟
- عفوا سيدي انى لا اعلم ذلك .
- اظنك لست من هذه البلاد ؟
- نعم - نعم سيدي ، وارى صحتك غير معتدلة ، اليس كذلك ؟
- ولماذا انت وحيد ها هنا؟ ألك اهل ؟ واين هم عنك ، أحياء أم أموات ؟
- ثم لاحظت على وجهه علامات الانقباض المقرونة بالحزن وقال :
- نعم مات اغلب اهلى بالهواء الاصفر .
- اتظن ببقاء أحد منهم فى الحيات ؟
- نعم اظن ولكن لا اعلم اين هم !
- ويهلنى ما ينويه الدهر نحوى ، فقد اتضح لى كل شىء ، وارجو ان تدرك ما قاسيته من الالم والعذاب ، وستر عيناه بيديه فانسجمت منهما دموع غزيرة وقال : أما المرض الذى فى جسمى لا أظنه يزول بالمرّة اذا بقيت على هذه الحال .

- ألم يعدك طبيب ؟

- بل اعياء الاطباء هذا المرض الذى اصابنى : وكنت اود من الدهر فى امرى ان ينفرج لى عن الطريق ويتركنى وشأنى .
وكان التأثر قد بلغ من الشيخ غايته ، حتى ان كلماته الاخيرة وقعت من قلبى موقع السهام من الغرض .

- وداع الشيخ التعيس -

- عافاك الله انى ظللت الطريق فهل لك ان ترشدنى ؟
فأشار بيده الى احد الجهات وقال : هذه الطريق توصلك الى المدينة ، فتقدمت نحوه وبسطت يدى لاودعه فقبض عليها قبضة وهزها بعنف حتى شعرت ان تيارا كهربائيا سرى فى جسمى وصرت مرتعشا من القوة التى دهمتني وقال : رافقتك السلامة الى الملتقى فشكرته ودعوت له بالشفاء ، فانطلقت من عنده وسرت قاصدا الجهة التى رسمها لى وانا لا الوى على شىء ، وكنت طورا اتسلق شامخا ، وتارة أهبط الى واد عميق وانا لا أعلم الى أين المصير ولا زلت اجتاز العقبات الخطرة ، حتى اقعدينى التعب عن المسير ، وبيننا انا غريق فى بحر افكارى سمعت دويا مرعبا فى جوف ذلك الليل ، وأبصرت على ضياء القمر واذا بمركبة هناك تسير بسرعة فائقة متجهة نحو الشمال ، وكان نجاحى عظيما عندما رأيتها ، فأسرعت مهرولا نحوها وانا استغيث بمن فيها واذا بهاتف من جانب المركبة يقول : قف . قف . مكانك ، وقر عينا نحن اتينا الآن لننقذك ، فعندما سمعت ذلك الهاتف سقطت الى الارض مغمى على فما كدت افيق من اغمائي ، الا ورأيت نفسى فى داخل مركبة فخمة ، وقد جلس فيها رجلان عظيمان قائد كبير مع حاجبه عرفت ذلك من بزتهما الرسمية .

وفى صدر المركبة علما يتموج ذو ألوان جميلة ، فادهشتنى رؤيته ، وتلثم لسانى عندما رأيت نفسى بينهما واعتذرت لهما فلاطفنى الحاجب وقال : لا تخف ولا تحزن فانك الان سعيد حيث أصبحت فى مركبتنا وهنأنى بالسلامة فشكرته على هذا المعروف وو . . .

فالتفت القائد الي وقال :

- من اى البلاد يا حضرة الشاب ؟
- من العراق العربى يا سيدى .
- فى اى مدينة تسكن من بلاد العراق ؟
- فى مدينة دار السلام يا سيدى .

- فى دار السلام ! فسلام على دار السلام لانها عاصمة الشرق وكعبة العلم والامال .

وبعد برهة دار الحديث بين القائد والحاجب من اجل . .
أما أنا فخرجت من داخل المركبة وجلست خارجا الى جانب السائق
وأخذ السائق يترنم بهذه الكلمات وهى : جئت الفتاة ، فالتحى الفتاة !
فعجبت منه وسألته : من تكن هذه الفتاة !؟

- ألم تعلم بتلك الحادثة ؟ ولا اظن ان احدا لا يعرفها
- كلا يا سيدى انى لا اعرف عن هذه الحادثة شيئا .
- احقا ما تقول ، نعم نعم ، اعرنى سمعا .

- المربية والفتاة -

منذ أيام حدثت حادثة فصارى هى الشغل الشاغل ، وهى - ان فتاة
وحيدة ذات شرف ومجد باذخ ، وقد فقدت امها وكان لها من العمر ستة
مراحل وبعد وفاة امها بقيت تحت وصاية ادارة مربيتهى برهة من الزمن
تنصرف بها كيفما شئت وكثيرا ما كانت تشكو جورها واستبدادها وكلما
شكت حالها الى اهلها كانوا يحبون لها مربيتهى وينصحون لها بكل نصح
وما كانوا يظنون ان تلك المربية تعبت بها الى هذه الدرجة وذلك ان المربية
والفتاة وبعض الخدم ذهبوا معا للتنزه الى إحدى القرى البعيدة اذ سمعوا
ضوضاء هناك فاسرعوا الى مصدر تلك الضوضاء فرأوا بين حزبين كبيرين معركة
هائلة فما كان من المربية حتى اسرعت وانحازت لفريق منهم دون أن تعلم ما
هو الموقف ورأت الفتاة ان لا بد لها من الانحياز الى فريق مربيتهى فواقفتها
ونصحت لها ان لا تتداخل فى الامر ولكن المربية مشهورة بميلها للخصام
وظنت بدخولها قد نصبت شركا للفتاة لتقع فيه لتقضى عليها القضاء المبرم
طمعا بسلب حليها .

ولكن طاش سهمها عندما رأت سلامة قلب الفتاة ونصحها وتحننها
وميلها اليها اسفقت كثيرا ولكن كيف لم تعرها اذنا ورفضت طلبها وبيننا
الفتاة مفكرة فى ذلك الموقف الحرج وغائصة فى بحر التأملات فحانت منها
التفاته واذا بالمربية صريعة فاسرعت الفتاة نحوها لكي تحملها فلم تفلح
وعلمت انها لا تبقى بضعة ثوان فاخذت رأسها وضمتها الى صدرها وهى تعالج
سكرات الموت اذ فتحت عينها وقالت لها : عزيزتى نصحتى الى فابيت .
اسأت اليك فى الماضى وعاملتك معاملة وحشية وانت الآن تجازينى بهذا
المعروف جزاك الله خيرا ونجاك وقبل ان تتم دعائها واذا برصاصة حسست
الفتاة فى يدها فجرحتها جرحا بليغا فاعمى عليها واذا بفارس من اهلها

أقبل مسرعا نحوها وترجل عن جواده فانكب عليها كأنه الليث وانتشلها من تلك الهوة وحملها الى المستشفى ورجع الى ساحة المعركة آخذا بثأرها فانتصر انتصارا عظيما ورجع نحوها مكللا باكليل الظفر فرآها وقد شغيت جراحها تماما .

- برقية السرور -

فارسل برقية لحضرة مولانا شيخ هذه البلاد يعرفه عن سلامتها
وقدومها الى الوطن المحبوب . .

فما كادت تنشر تلك البرقية في انحاء البلاد حتى عم الفرح والسرور القاصي والداني وتسارع اهلها واقاربها مع جمع غفير من وجهاء الشعب الى محطة القطار وكان موعد قدوم القطار الساعة الثانية ونصف فما ازفت الساعة الثانية ونصف الا وبان القطار للجمهور فارتفعت اصوات الابتهاج من كل مكان وضج الجميع وهتفوا له بصوت واحد :

ليعيش منقذها الاكبر . . . ولتحى الفتاة الحرة . . .

وقد علا الهتاف فكاد يشق الغضاء ، وما كاد يقف القطار وتطا قدميها الارض حتى حملوها على الاكف ، واحاطوا بها من كل جانب ليصافحوها وأخذوا ينثرون عليها باقات الزهور !

واعلنت الصحف مهنئة قدومها وسلامتها مطمئنة على بسالة وشجاعة منقذها ، مسهبة في تاريخ حياته وجعلت تنشر الفصول الطوال مظهره مقدرته العجيبة وكان الوافدون يأتون للتهنئة من جميع انحاء البلاد زرافات زرافات وحينئذ انضم رايان رأى الصحف ورأى الشعب في الثناء والاعجاب كما اشرنا ، فاشتهر الفتى بالرجولية واصبح فعله مشكورا وسعيه مبرورا ونجاحه باهرا .

واذا بالفجر لاح بياضه واخذ يزيل كرب الظلام وبزغت الشمس وعلت في كبد السماء وارسلت اشعتها المحرقة على جسدي من احد النوافذ التي كانت مفتوحة من شدة رياح تلك الليلة ، فانتبهت فزعا مرعوبا لا أدري من شدة حريق الشمس أم من هول تلك الرؤيا .

٧ - وقفة على ديالى *

(وحديث مع فنوس)

عراقي امين

(العراق) : « رغبتنا ان نفكه القراء ببعض الاقاصيص الادبية ذات المغزى الجميل ، مما ترتاح له قلوب المطالعين ، فطلبنا الى احد ادبائنا الافاضل ، وهو الذي نشر عدة قصص قيمة من هذا الطراز ، ان يتحفنا بشيء من هذا القبيل . ففضل علينا بالقصة التالية ننشرها شاكرين » .

اوشكت الشمس ان تغرب من افق ديالى امام قرية من قرى خراسان فى يوم من ايام نيسان ، وكان السكون قد بدأ ووقت الشغل قد ادبر وزمن الراحة والخيال قد تجلى ٠٠٠ هناك بين النهر والنخيل كان يتمشى احد الشبان ناظرا الى النهر المتلألئ وهو يجرى الهويينا متأملا فى الشمس الغاربة وعليها حمرة الغروب ، غير ساه عما فى شماليه من الحدائق والبساتين .

سكون سائد فى تلك الاطراف لا يخل به الا صوت الدراج الذى كان يمثل الشكوى الاليمة والاستغاثة الكبرى كان وهو يتطاير بين الزهور والاعشاب يرى السكون سائدا والنسيم عليلا والماء جاريا ومنظر الطبيعة كئيبا مريبا فيتفقد عشيقته الاولى ورفيقة صباه ليتسلى برؤيتها ويلتذ باهازيج ترنمها فيتلفت يمينا وشمالا امام وخلف فلا يجد لها اثرا ٠٠ هنالك يتذكر ان المنية قد اختطفتها من بين جناحيه فيبكي الما ويصرخ تشكيا من ظلم الطبيعة وقساوة الزمان . كانت رفيقته العزيزة تؤنسه بلطافة اطوارها وتنسيه مرارة العيش باناشيد غرامها ، فلما سقطت من رصاصة وجهها اليها « الانسان » ولت السعادة وادبرت الحياة ! . . .

وفى اليوم الثانى بينما كانت عزيزته قد شويت ووضعت فى صحن العشاء امام اهل ذلك الانسان كان رفيقها المسكين يندب سوء حظه ويبتشكواه من فراق لم يتعود ولن يستطيع عليه صبورا . كان الطائر يصيح

(*) جريدة العراق : الاعداد ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ - السنة ١ -
آيار ١٩٢١ . ويغلب على الظن ان عراقي امين هذا هو عطاء امين ،
انظر ص : ٥٣ من البحث .

بصوته هذا ولكن الناس لا يفهمونه . هو يشكو بهذا الصوت ويستغيث فلا يجد من يغيثه في هذه الاكوان !

كان ينادى بصوته المعروف : « آه على ربح من الزمن كنا نمثل فيه الحب الحقيقي والسعادة التي يتطلبها أهل الارض جميعا فلم يجدوا شيئا منها حتى الآن . وقد آن لنا ان نعيد الى الطبيعة كل الافراح التي منحتها لنا في ذلك الزمن القصير . اليك ايتها الطبيعة القاسية تلك الافراح، واليك ايها الدهر الماكر تلك السعادة ! » . . .

ثم صرخ ثانية وطار الى الضفة الاخرى ، فرجع الشاب نظره اليه ورآه قد اختفى وراء الافق حيث الشمس قد غاب نصفها وبقي النصف الآخر محتجبا بغيوم خفيفة زادت في جماله وجمال ذلك الغروب . . .

ظل الشاب يمشى وهو تارة يفكر بما سمع ورأى وطورا يتلاعب بزهرة اقتطفها في طريقه ، حتى وجد حجرا ملقى على الشاطئ بين الزروع الطبيعية والبشرية فاحس بالتعب ورام القعود . . . فقعده على الحجر ونظر الى الشمس فاذا هي تسلم عليه باخر شعاع من اشعتها . . .

سلام عليك ايها الانسان ، وسلام عليك ايها النصف الشرقي من الارض ! . . .

كلمات رسمها الشعاع على مياه النهر وهي تضطرب بهبات النسيم ، وقد ظل شابنا يفسرها ويستخرج منها معاني لم تخطر على بال الشمس !

كان يفكر ذلك الشاب ، وبماذا كان يفكر . . . كان يفكر بالغروب ويتصور الغنى أو القوى وهو خارج الى الصحراء بسيارته ليتمتع بلذة الغروب ويتنفس نسيم الحقول ويرتاح من شغل يعده العامل المسكين راحة الراحات . نعم ، كان يفكر في الغروب ويتصور الفلاح عائدا الى كوخه بعد عمل بدأ به قبل شروق الشمس وانتهى منه بعد غروبها . فالشمس في حيرة من أمر ذلك البائس اذ لم تكده تتجلى على الارض صباحا الا وراته مشتغلا ولا تأفل مساء الا وتراه لم ينفك عن الشغل فهي تظن ان هذا المسكين يشتغل امد الدهر ! فوا حر قلباه على جنس لا يشفق أفراده على أفراده ، ووا أسفاه على أمة لا يفكر أفرادها في أفرادها . كان ذلك الشاب المتحسر قد نسي الطبيعة وأخذ ينصت الى انين روحه وحسرات فؤاده وبقي يترجم ما توحيه اليه تلك الانات والحسرات : « يا اهل قومي رحماكم شفقة على من لا يتمكن من بث شكواه ! »

رجع بفكره الى الغروب فاثرت فيه مناظره الهادئة الكثيرة فعذر الانسان لاهتمامه بهذا الوقت الجليل ! كان يقول في نفسه : « انى لاعلم ان مصابيح الكعبة لتتار الآن فيتوجه اليها ثلاثمائة مليون من المسلمين وان نواقيس الكنائس في أقطار الارض لترن الآن في الفضاء فيسرع اليها المؤمنون من النصرارى وان المجوس ليلتفون حول نارهم فيهتفون قائلين :

(أيها النار المقدسة باركي مزارعنا واكثري من اصدقائنا ليكون لنا
تحت ظلك العلوى ثروة كافية واسرة حسنة .) وكذلك اغلب الناس على
اختلاف الملل والاديان . . .

فيا ايها الشمس التى تحزن الكائنات على فراقك وتستبشر بظلمتك ،
الك علم بما كان يقوله لك عبادك وقت اذ كانوا يعبدونك ؟ . الك علم بما
كانوا يضحونه لك من الاضاحى تقربا اليك وهل كنت تفرحين بتلك الدماء
التي كانت تسيل فى سبيل مرضاتك أم كنت تشمئزين منها اشمئزازك من
الاوهام ؟ يا شمس ، ياسيدة الكون الك سلطان على بنى آدم لتصرحى لهم
بانهم مخدوعون وغافلون ؟ . انهم يعتقدون بانهم مهتدون وما هم
بمهتدين .

يا الهة الماضى ويا سكان اولنيس ، رحماكم ! ها هو ذا الجنس البشرى
يأكل بعضه بعضا وها هو ذا الجنس البشرى الذى فضلموه على خلق
السموات والارض معتصم بجبل القوة والجبروت مبتعد عن ملكوت الحق
والسلام . ان قدرتكم يجب ان تتعلق باصلاح الناس وتهذيبهم وتزيدهم
وتحسينهم ، فاذا انقضوا واندهروا من يعبدكم ويسبح بحمدكم ويعطركم
معابدم بالبخور ! اجيبونى فان احزاني اضعفت بدنى وحولت حمرة وجهى
للاصفرار ! . . .

هنالك تناقلت اجفانه فاغمض عينيه ورأى ان الارض التى يقف عليها
تسير به الى الامام سيرا حثيثا فاستغرب ذلك وبقي ينتظر العاقبة فرأى انها
وقفت امام بحر عظيم هائج يتلاعب الريح العاصف بامواجه فيهبها هزا عنيفا
يدهش الناظر ويرعب السامع فتحير قليلا ثم تأمل ، وتذكر انه فى شهر
نيسان وان هذا الشهر هو شهر الآلهة التى يسميها اليونان آفروديتى
والرومان فنوس والعرب الزهرة فقال فى نفسه : « الا يمكن ان ادعوها
لتكلمنى وتذهب قليلا من وحشتى وشقاى » . فنادى زبد البحر قائلا بصوت
خافت وقلب ضعيف : « يا زبد البحر ، يامن خرجت منه الالهة فنوس فسحرت
عقول الالهة وسلبت الباب الناس فهل تنادىها بحاجتى وتطلب اليها الحضور
امامى اذ ليس لى اليها سواك من سبيل ! » . هنالك تكاثر زبد البحر
واصططت الامواج فتلاطمت وخرج من بينها شبح نورانى اضاء الكون بنور
لا تشبهه الانوار .

تقدم الشبح فتقدم النور ثم وقف امام ذلك الشاب فاذا هو ذات فنوس
وقد خرجت من زبد البحر عارية من ثيابها تتجلى بجمالها وجلالها ، تختال
بين سنائها وسناها !! لقد رآها شابنا فتحفظ للوقوف الا ان رجليه خانتاه
فركع وقال : « تباركت من لم يزل حسننها تخر له الجبابرة والابطال سجدا .
انت الهه الجمال فكيف لا اركع امامك واصلى اليك جاثيا على ركبتى لاثما

هذه التربة المقدسة التي تشرفت بقدميك ! انت أم كوبيدون (اله العشق
والمحبة) ذلك الطفل الاله المجنح « الذي يحمل قوسا وجعبة سهام » وكثيرا
ما اصابت سهامه قلوبا منكسرة فجرحتها ونفوسا رقيقة فمزقتها وانت
تذكرين قصته وقت اذ اتاك باكيا من نحلة لسعته وقد كانت مختفية في زهرة
من اجمل الازهار فقلت له باسمه :

ان كنت يا ولدى من نحلة لذعتك اليوم قد جئت تشكو باكيا جزعا
فأى شكوى لقلب واله دنف بنار عشقك يامحبيب قدلذعا(١)

فابتسمت له ابتسامة سماوية وطوقت عنقه بذراعيها الالهيتين فخر
صعقا ولم يفق حتى رشت عليه من طيب حسنها وعرق جمالها فافاق ونظر
اليها نظرات قابلتها بابتسامة لايقدر على وصفها الواصفون . . ثم قالت بشعر
باسم وصوت موسيقى رددته الطبيعة الهادئة وقابله بالتهليل والتكبير :
« لقد ازعجتنا بنداك ايها الطفل الصغير ! اليس للآلهة شغل الا التدخل
فى شؤونكم ؟ . أتريد ان تصلح الناس وقد عجز عن ذلك الانبياء ؟! عليك
بعملك ولا تتصد لما لا يعينك ! » فنظر اليها نظر المبهوت ولم يبد حراكا وقد
أوشك ان يقع على الارض فامسكته بيديها وقالت له : « مسكين انت ايها
الطفل وشقى ايضا ! تفكر فى الناس ولا يفكرون فيك ، تحزن عليهم ولا
يحزنون عليك ، تطلب من الآله اصلاحهم فلا يطلبون لك الا ما يؤذيك !
مسكين انت ايها الطفل كم قد اراك مخدوعا ؟ » فاجابها بلسان متلعثم من
الضعف : « أيتها الالهة الجميلة ، نعم ، انى مخدوع ولكنى راض بهذا
الانخداع وانى شقى ولكنى راض بهذا الشقاء ، الهتى ! انى احب البشر على
علاقتهم واحب قومي على بؤسهم وشقائهم . الهتى انا احبهم فاشفقى عليهم
وخلصيهم مما هم فيه ! . . » فدنت منه ووضعت على جبينه قبلة سماوية
وقالت وهى تبتسم له رحمة وشفقة : « ابنى ما هذا البكاء وانت فى مقتبل
عمرك . . . لقد خلقنا الهموم والاحزان بارادتنا وارسلنا بها الى بنى آدم لنعلم
ايهم احسن صبيرا ولكننا لم نشأ ان نبعث بتلك الكروب والآلام الى من لم
يتجاوز العشرين ! اراك تذرف دموعا تجرى من عينيك المحمرتين على وجنتيك
الذابلتين . ان هى الا حسرات سائلة وآلام ذائبة يصدرها القلب المنكسر
والروح المتأللة قل لى ما الذى كسر قلبك وآلم روحك وانت لم تزل فى شرح
الشباب ؟ . . » فقال لها وهو باك : « ايتها الالهة الشفيقة على ، الرحيمة بى
اعذرينى ! فانى لو اقص عليك خبر حزنى وانقل لك سبب شقائى لتألمت على

(١) هذان البيتان من قصيدة غزلية للشاعر اليونانى الشهير
انكريون عربها نظما معرب رواية (الاميرة المصرية) وتجد بقية الابيات
فى الصفحة ٧٩ من الرواية .
المؤلف

ولو كانت الآلام بعيدة عنك بعد الآلهة عن الناس . « فقالت : « تكلم يا ولدى
ولا تخف شيئا فى قلبك فانى لاسمعك بكل جوارحى واعدك بالمساعدة ما
استطعت اليها سبيلا » فقال فى نفسه « اللهم قونى على بث شكواى . »
ثم رفع رأسه الى فنوس فرأها تنظر اليه نظر المشفق المتألم . فقال :
« الهتى ! ... »

* * *

لم ابلغ العشرين بعد وهمتى ملت بميدان الحياة جهادا
وسواد شعرى ما تغير لونه وبياض آمالى استحال سودا

* * *

سامر يا روض الشبيبة تاركاً بعدى غصونك فى الهوى تنهادى
لم تجن منك يداى يوما وردة الا وصيرها الشقاء قتادا
نار يجدها الرجاء باضلى فيعيدها اليأس الجديد رمادا (١)

اعرف فتاة جميلة بل اميرة حسناء اشتهرت باصالة الراى وشرف
المحتد وكثرة الادب حتى احبها الناس جميعا وتمنى كل واحد من شبان
عصرها ان يجد له محلا فى فؤادها . كانت تسكن فى بيت اب يغاز عليها من
لمس النسيم ونظرات الزهر فلم يكن ليرضى ان يدخل عليها احد لم ينل منها
رضاء ومودة . قضت مع اسرتها شطرا من عمرها وعى لم تعرف من الالم
الا اسمه ولم تتذكر ان الدموع انهمرت من عينيها يوما من الايام . كانت
تخرج الى شاطئ النهر للنزهة فتتقعد على كرسي بسيط بين الزهور والرياحين
فتنظر الى الماء اللامع الجارى بين الحدائق والبساتين الى ان تنهيا الطبيعة
لفراق الشمس . حينئذ ترفع نظرها الى الافق الغربى فترى الشمس وقد
كبر حجمها تتراجع وراء النخيل وترسل اشعتها الضئيلة المحمرة من بين
خوصها وسعفها هنالك تتكلم فتاتنا وتخطب نفسها وتقول : « يا لله ما اجمل
هذا الكون وما ارحم هذه الطبيعة ! انى لا ستبعد الآن وجود بانس متألم
يشكو قساوة الدهر وظلم الحدثان ؟ . . » كأنها لا تدري ان فى العالم فى كل
وقت ملايين من النفوس تذرف الدموع وتشكو الالم وترفع رؤوسها الى السماء
صارخة من ظلم من فى هذه الاكوان . .

كانت فتاتنا لا تكاد تصدق بما يقال لها من هذا القبيل حتى مضت
الايام وتدهورت السنون فشاخ ابوها وضعف امر اسرتها فاستفاد من هذه
الفرص رجل (فارسى) هجم على البيت فاختطفها بعد ان تغلب على افراد

(١) للدكتور نيقولا فياض عن خطابه (المرأة والشعر) .

اسرتها جميعا فقتلهم واحدا بعد واحد ، ثم ساقها الى بيته عنوة فسارت وهي تمثل ادوار منتهى البؤس والشقاء ! ٠٠٠ في ذلك اليوم سقطت اول دمة من دموع الالم على وجنتها الذابلة المصفرة فصاحت الاكوان : وا اسفاه !! ٠٠٠

تقرب منها ذلك الفارسي فابتعدت ، وتقدم اليها فتأخرت ، واسترضاهما فنفرت ، وجاملها فغضبت وركع بين يديها فوثبت ، واسترحمها نظرة فسببت وشتمت . هنالك عمد الى العنف والقوة فرأى منها من الصبر والمتانة والنفور والمقاومة ما لم يره من الابطال والشجعان ! ٠٠ تركها مدة في سجن مظلم ليس في جدرانها غير نافذة صغيرة تشرف على دجلة ، فكانت تفتحها عند الشروق والغروب وتنظر منها الى النهر الجميل لتتسلى بمنظره عما الم بها من المصائب بعد تلك الايام التي لم تكن تعرف قدرها . كانت تذكر تلك الايام فتنهمر الدموع من عينيها ساقطة على دجلة وهي تجرى الهويينا حاملة الى البحر دموع البائسين والبائسات والمنقطعين والمنقطعات . كانت تقول لتلك الدموع : « ايتها الدموع المنهمرة انقلى خبر شقاوتى الى آلهة البر والبحر وقولى لهم ان زهرة بابل واشور لتذبل الآن في بيت شاب فارسي اهان شرفها وابتغى التجاوز عليها فهي تستصرخكم الآن باكية وتستغيث بكم صاغرة فكيف لا تغيثونها ؟ ٠٠ ان كنتم وانتم آلهة لا تلبون دعوتها ولا تقيلون عثرتها ولا تطلقون سراحها وقد دعتكم بقلبي المنكسر ودموعها الحارة وحسراتها المحرقة ، فمن يجيب دعوتها ؟ ٠٠ ان كنتم وانتم آلهة لا تنظرون اليها بعين الرحمة والانصاف فمن الذين ينظرون اليها بعدكم ؟ ٠٠ ، هنالك تخر لك صعقة من وطأة الهجوم فلا تفيق الا بعد ساعات ٠٠٠ »

ولكن هذا الاسر لم تطل مدته اذ هجم على بيت ذلك الفارسي شاب (مقدوني) اطلق الفتاة من سجنها وفكها من اسرها ولكنه رأى جمالها فافتتن بها ورام وصلها فامتنعت عنه وأخذ فى استمالتها حتى وافاه اجله فمات غير مأسوف عليه (١) ٠٠٠

هنالك استردها الفارسي وأخذ فى مجاملتها أولا وتعذيبها ثانيا لانه لم ير منها بعد المجاملة غير النفرة والتباعد والامتناع . دخلت السجن القديم باسمه وفتحت تلك النافذة الصغيرة فى نصف الليل ، فرأت السماء صافية والنجوم زاهرة ، والنهر متلألئا والقمر نيرا . هنالك تذكرت الماضى فانقبض صدرها وانهمرت دموعها . فلو كنت ايتها الالهة الجميلة ، يا أم كوبيدون ، حاضرة تصغين اليها ذلك الوقت لسمعتها تقول : « اواه ثم اواه ! ايدرى الناس وهم ينامون الآن على اسرة السعادة والهناء بان اميرة بريئة تعاني

(١) ان الاسكندر مات فى بابل كما هو معروف . المؤلف

آلام السجن ظلما وعدوانا ؟ فاين عدالتكم ورافتكم يا آلهة بابل واشور ؟
الا تعلمون انى لم اقترف ذنبا ولم اجن جناية فكيف استحق مثل هذا
العذاب ؟ ترون تعذيبى باعينكم وتسمعون انينى باذانكم وتشعرون بثقل
الوطأه على وانتم لا تبالون ، كانكم راضون بما يصنعه القوى بالضعيف ،
قالت ذلك وقد أخذ منها التعب والسهر ماخذا عظيما . فالقت نفسها
على سريرها الحقيقر فنامت وراأت فى منامها شابا (عربيا) جميلا يخطب ودها
ويبشرها بدين جديد فانتهت وفتحت نافذة الغرفة فاذا الشمس طالعة والنهر
يضطرب بهبات النسيم نظرت الى الضفة المقابلة فرأت شابا عربيا مسلما على
جواد من خيرة الجياد واقفا ينظر اليها فتفرست فيه فاذا هو ذلك الشاب
الذى رأته فى منامها هو ذلك الشاب الذى خطب ودها . هو ذلك الشاب
الذى احبته دون جميع الشبان . هو ذلك الشاب الذى بشرها بدينه
الجديد ! . . .

لقد حياها عن بعد فحيته بابتسامة طارت لها قلوب ملائكة السما فرحا
. . ثم فتحت ذراعها مستغيثة به وقائلة : « الي يارسول النجاة ويا حبيب
القلوب ! » فهمز جواده همزا شديدا وساقه الى النهر عنوة فعبره سابحا
وهجم على البيت فخلص الفتاة بعد ان قتل كل من كان سببا فى اسرها
وسجنها . فلا تسأل يافنوس ! عن سرورها وانتعاشها وذهاب كل تلك
التعاسة باقترانها بذلك الشاب العربى الجميل . . .

لقد تزوجت به عن حب قلبى فعاشت معه زمنا طويلا حسبت منه
السنة لحظة والقرن دقيقة فنسيت تلك الآلام التى ارتتها النور ظلما والوجود
عدما والحياة حماما وعادت اليها المسرات التى لم تر مثلها ولا فى بيت أبيها
الشفيق ! كيف لا ، وارض والدها كانت تدر عليهم خيرا وبركة ، واولادها
كانوا يذهبون عنها الحزن بعلمهم وأدبهم وصحة أجسامهم وعقولهم . وكان
رفيقها يزداد لها حبا كلما مرت السنون وتعاقبت القرون ! ولكن . . .
ولكن الزمان لا يبقى على حال واحد . فقد شاخ حبيبها وضعف أمره فهجم
على الاسرة كهل (مغولى) اختطف الفتاة واحرق الحرث والنسل ! ثم أراد
أن يتمتع بجمالها الذى كان قد ظهر عليه شئ من الضعف والوهن فامتنعت
ونفرت وخاصمت وجادلت كما هو شأنها مع غير حبيبها .

فلما رأى الفارسى ضعف المغولى وعدم ميل الفتاة اليه زحف اليها خاطبا
ودها وراجيا قبولها اياه ، فلم تجبه الا بتلك النفرة التى اعتادتها . وهكذا
ظلت تقاسى الآلام الشديدة معه حتى هجم عليها رجل (تركى) حافظ
عليها مدة من الزمن فلم يستفد شيئا

لقد نراها الآن صامتا تتذكر أيام صباوتها وحياتها الاولى مع ابيها ،
ثم أيام بؤسها وشقائها مع أعدائها ، ثم أيام حبها وسعادتها مع « حبيبها
الوحيد ! » ثم أيام بؤسها وشقائها الثانية مع غرماؤها الآخرين ، فتصرخ
من شدة الحزن وتحاول ان ترمى بنفسها الى دجلة لعلها تتخلص من آلام هذه
الحياة ! الا انها كانت تسمع هاتفا في ظلمة الليل يهتف في اذنيها قائلا :
« احفظي حياتك « لحبيبك » فانه ملائكتك ! » . . . هنالك تغمض جفنيها
فتتخيل حبيبها واقفا امامها وقفة المحب الواله ، فاتحا ذراعيه لها ، عاما
بالاسراع اليها لولا أن في ركبتيه ضعفا يمنعه من جد المسير . كانت تناديه
بأعلى صوتها وتقول : « حبيبي اننى الآن حزينة فاذهب حزنى ، حبيبي اننى
الآن متألمة فلطف الى ، حبيبي اننى اكلمك الآن بدموعى فامسحها بشفتيك !
حبيبي اننى كنت أعالج سكرات الموت حينما اتنى نفحة من شذا
ريحك ! . . . »



على الضفة الاخرى من النهر نرى حبيبها صامتا باكيا وجائيا . نعم ،
هو جاث امام الطبيعة ليبت لها شكواه ! هو جاث على تربة بلاد حبيبته امام
القمر الذى يراها الآن كما يراه ! . . هو جاث على التراب المقدس الذى
يحوى عظام آباؤها واجدادها ! . . هو جاث تحت السماء التى رأت بعيونها
الساهرة مجد ابنائها واحفادها .

حبيبتي كيف الوصول الى عتبة بابك ؟ . . حبيبتي كيف تخليصك
من آلامك واحزانك حبيبتي كيف الحصول على قبلة من فيك ؟ . . حبيبتي
ليس فى الكون من يقدر على جمعنا بعد ان فترقتنا الايام ؟ . .
كان يرى الطبيعة هادئة والاشجار ساكنة والنجوم لامعة والقمر واقفا
والليل لا ينصرم والنوم لا يأتى فينادى بأعلى صوته « يا ليل الصب متى
غده . . . » !!

حينئذ تململت (فنوس) ونظرت الى الشاب نظرة رحمة وشفقة ،
فقالت :

« يا ولدى قد سمعت قصتك بحذافيرها فماذا قصدت من سردها ؟ »
فقال : « أريد أن ترحمى بحال تلك الفتاة فتردى اليها حبيبها ! كيف لا
وانت آلهة الجمال وابنك اله الحب والغرام » . فابتسمت له ابتسامة
سماوية واخذت تمسد رأسه الزكى تمسيدا خفيفا وقالت له : لا تياس
يا ولدى ، اننى الآن ذاهبة لاقابل ولدى كوييدون وهو اله الحب كما تعلم ،
وانى أعدك بانى سألج عليه فى أن يأمر بوصال هذين الحبيين ! » ففرح

الشباب بذلك فرحا شديدا ولم يعرف كيف يشكر (فتوس) على لطفها فأحنى
رأسه شكرا وثناء ولم ينبس ببنت شفة ، فدنت منه عند ذلك وضمته الى
صدرها وقبلته قبله دامت بضع ثوان فطارت بين الغيوم .. هنالك رجع
الشباب الى نفسه ونظر الى ما حوله فرأى المنظر القديم بعينه الا هلال
شعبان ، فقال : « يا ليت قومي يعلمون ... » .

(ب) القصص البدائية

(١) لوحة من الواح الدهر

أو

فصل من رواية الحياة

عطاء أمين

توطئة : ننشر بهذا العنوان الواحا من مناظر الدهر وفصولا من رواية الحياة وقفنا عليها بالمشاهدة والسماع ، والقصد من عرضها على مسامح القراء - مع ما فيها من الآلام والاحزان - هو الاطلاع على ما فى زوايا القلوب من الصور المختلفة والحوادث المضحكة أو المبكية والعبث التي يتطلبها الناس فى بطون الكتب فلا يجدونها الا فى الاختلاط بجميع طبقات الناس ودرس احوالهم وأفكارهم . وانى ليحزننى ان أرى الناس جميعا يهتمون بتواريخ العظماء والحروب - مما لا يهم الكثير منهم - ولا يهتمون بما فى القلوب من الحوادث والاحبار - مما يهم جميعهم ، فهذا هو (الفصل الاول) منها وسيتلوه غيره من الفصول ، ان سمحت الظروف بنشرها واتسع لها صدر الوضيعة .

غرفة واسعة فى قصر شاهق، مبلطة بالرخام الابيض اللماع ومصبوغة بالاصباغ الحديثة الزاهرة . . . ثلة من المرضى على أسرتهم مستلقون ، وهم يئنون أو يتأوهون منهم من يصرخ ويستغيث ، ومنهم من يتقلب على جمر المرض وما له من ولى ولا نصير !

بدا الليل واطلمت الارحاء ، فانيرت الكهربائية وسقتهم من دموعها وابلا من النور ! . . . نام بعضهم وبقي الآخرون سهارى ينتظرون الموت ! . . . ترى أحدهم بقربك قد هزل جسمه وضعفت قوته واصفر جلده وبرد جسده ولم يبق بينه وبين الردى سوى ساعات ! وآخر قد وضع يده على رأسه يستغيث من الصداع ، وثالثا يشكو من وجع القلب ، ورابعا تعتريه نوبات يتململ منها على فراشه ويتلوى فوق سريره كالمسوع ! . . . وهناك ممرضات فاضلات واخوات شفيقات يجلن بين المرضى فيبسدن من مكارم الاخلاق

(١) دار السلام - العدد ١ - مج ٣ - السنة ٣ - ١١ ذ ٢٠ - ١٩٢٠

ص : ٣ .

وحسن الخدمة ما يجعل الانسان شاكرا لهن أبدا ٠٠٠

تقربت احداهن الى سرير احدهم فرائته يسكب دموعا حارة على خديني
ذابلين ، فجست نبضه ثم كلمته باسمه فقالت : « لماذا تبكي ، يا اخي ،
وانت تعلم ان المرض رفيق الانسان يأتى ليزوره ثم يذهب بسلام ، لا تحزن
فان مرضك ليس بشديد وان داءك ليس بعضال ؛ فستبرأ قريبا وتعود الى
بلادك سالما قويا ! ٠٠٠ ألا تحب ان تشرب هذا الدواء ؟ فانه عذب كأن
مزاجه من تسنيم ! ٠٠ اشرب ، اشرب ، فان فى القطرة منه ألف شفء
يدفع عنك ألف بلاء ! ٠٠٠ » فأجابها بصوت خافت ونفس متقطع : « انى
أيتها الاخ الشفيقة ، لا أبكى خوفا من الموت ولا خشية فراق الحياة ، لانى
أعلم أن ذلك لا بد منه لكل انسان ، اذ لا يولد المرء الا ويقرأ على ناصيته :
« هذا يموت ! » ولكنى أبكى لانى لا أريد أن أموت فى ديار الغربة وأدفن
فى مقابر الغرباء فأبقى هناك مجهول الاسم والحال الى ابد الآباد ! ٠٠٠
نعم أموت واقبر فلا يسأل عنى أحد ، ولا يحتفل بموتى قريب ، ولا يذكرنى
صديق ! ٠ فلو أقص عليك قصتى واخبرك بخبرى لاشتركت معى فى
الاحزان ٠٠٠ ولكن سأصبر حتى يحكم الله بينى وبين مريضى انه احكم
الحاكمين ٠٠ »

فقالت : « انى جالسة بجانبك ، اى عزيزى ، فاسرد على قصتك بطولها
وانى لاعدك بانى سأعمل بوصيتك حرفيا واساعدك بكل ما لدى من القوى
والوسائل لو كانت من الممكنات فهل تحسن الي بقصتها ، أيها الاخ النجيب!
فقال : « نعم ، نعم ! هذا ما أردته منك أيتها الاخ العزيزة فأسالك
بمن تحبين وتعبدين ان لا تنسيها أبدا وان تخبرى اصديقاك ومن تعرفينه
بها ، وان أردت فانشرها فى الجرائد والمجلات ! ٠٠٠ اسمعى ولكن تجلدى :
« انى ولدت فى بغداد من بيت فضل فتربيت احسن تربية ، وتعلمت
شطرا من العلوم وعددا من اللغات وقرأت ما تيسر لى من الكتب والمجلات
فى لغات مختلفة حتى تمكنت من النظم والتأليف فألفت بعض الرسائل
ونظمت بعض القصائد ، ثم قرأت سير العظماء ونوادير المشاهير فملت الى
التشبه بهم كما قد قيل :

ان لم تكونوا مثلهم فتشبهوا ان التشبه بالكرام فلاح

وكلما اكثرت من القراءة عنهم زاد اعجابى بهم وشوقى الى تقليدهم
والدخول فى زمرتهم ٠ وكنت كلما قرأت فى احدى الصحف حفاوة بعظيم
كانت دقات قلبى تزداد ونظراتى تنعطف على المستقبل فأرى فيه اياما بيضاء
تنتظرنى وسعادة حقيقية تستعجلنى وشهرة عظيمة تستقدمنى فأقول فى

نفسى : (سياأتى يوم أقف به موقف هذا العظيم فتجتمع الناس حولى وتلقى
الخطب فى بيان مائرى ومناقبى !) ، ثم درست التاريخ فوجدت بعض
العلماء لم يمت منذ آلاف السنين فعجبت من ذلك وكادت روحى تطير ! لانى
كنت أحسب انى سوف أخلد لنفسى ذكرا لا ينسانى عليه أهل القرن
التسعين .

وكنت كلما مررت من سوق ورأيت الناس تبيع فيه وتشترى كنت
أقول : « أواه ، ثم أواه الى أين هؤلاء يسيرون ؟ وماذا ينتظرون ؟ هل الساعة
الاخيرة التى يدخلون فيها الى الفناء ؟ ام التى يذوقون فيها سكرات الموت ؟
••• لماذا ينفع المال يا ترى ؟ ليخلص المرء من الموت أم يخلد له ذكرا حسنا
ألم يصرف فى وجوه البر والمنافع العامة ؟) كلا ! ثم كلا !

ولما كنت أخرج للنزهة على ضفتى دجلة وارى القوارب تمخر عباب
النهر وتحمل اناسا يسكرون فيطربون ويغنون فيتمايلون ، كنت أصيح :
(وا أسفاه عليكم أيها الغافلون ! أتذهبون بهذه الحفلة لاستقبال ملك
الموت ؟ ام للبحث عن باب الفناء ؟ ماذا ينفعكم انسكم وطربكم وغايتكم هى
الزوال ؟ هل انتم الا كالهوام التى تصوت فى الصيف وتموت فى
الشتاء ؟ •••)

ولما كنت أرى الفقراء والضعفاء ، كنت أقول : (ولماذا هؤلاء يعيشون ؟
انهم يهلكون تعباً ولا يكسبون الا القليل ، فلماذا يجدون ويتعبون ، الكى
يتخلصوا من الحياة سريعا ؟ ••• لو ماتوا من الآن لانتهدت هذه الآلام) ثم
أقول لنفسى : (وانت لماذا تعيشين ؟) فأراها تجيبنى : (انى أعيش لاكتب
آثارا أخلد بها ذكرى واعمل أعمالا أنفع بها أمتى فهذه هى الحياة !)

ولما كنت أرى الاغنياء والشرفاء يعيشون برفاه ورخاء فلا يودون شيئا
الا ويجدونه حاضرا كنت أقول : (ولم هؤلاء يعيشون ؟ الأكل والشرب
والملذات ؟ وهل الحياة عبارة عن هذه الامور ؟ ما اغفلهم واجهلهم بنتيجة
الحياة !)

* * *

هكذا كنت أعشق حب الوطن والذكر الحسن والمؤلفات فما قرأت
كتابا اعجبنى الا وتمنيت لو كنت أنا سابقا لمؤلفه ! وما رأيت رواية جميلة
الا وتأسفت على انى لم اسبق كاتبها اليها ! وما اشتهر رجل بين المؤلفين
الا وقلت : (وما المانع عن وصولى الى درجته ؟ اترى وصل اليه العلم بالوحي
والالهام ام تعلمه بالسعى والاقدام ؟ وهلا أستطيع أن أسعى مثله فاحصل
على ما حصل عليه ؟) فأكاد أقول : (بلى) لولا انى فى بغداد ، حيث لا

خزائن كتب ولا مطابع ولا مجلات !
بلى ، هكذا كنت ارجو الرقى فى المستقبل ، ولكن وا اسفاه ! لقد
خاب ظنى وذهبت آمالى ادراج الرياح ! لانى قاربت الممات ٠٠٠
بلى ، انى كنت حريصا على الشهرة والعظمة واظننى كنت مبتلى بداء
النبوغ وعلة التفوق ، لانى كنت اريد أن أنبغ رغم كل ممانع وأروم ان ارقى
لاسبق كل مغرض ومعاند !

انى لاذكر الآن شدة رجفتى وارتعادى وقتما كنت اصادف نعشا فى
الطريق لانى كنت اعرف ان المنية لا تحاذر ولا تخشى ! فأخاف على نفسى
أن أموت قبل أن أدرك المنى ! ٠٠٠

ولما كنت فى المدرسة ويفتح بحضورى بحث النبوغ كنت أقول :
(يا سيدى ، انى لااعترف انيك بانى اريد أن أكون نابغة فذا . اريد أن
يبحث الناس عن أصلى ومسقط رأسى فيكتبوا حياتى بماء الذهب على تويج
الازهار ثم يعتنوا بقبرى وآثارى ، فترقى اسرتى بشرفى وتعرف باسمى !)
يقول لى الاستاذ : (ابنى ، ان هذا ليس بيد احد ، بل هو منوط
بالمصادفات . الرجل العظيم لا ينبغ بنفسه ولكن الزمان هو الفاعل المختار!
فكم على وجه الارض من عظيم مات قبل ان يعرف نفسه عظيما ، وكم على
سطح الغبراء من حكيم مات ولم يجد وقتا لتدوين حكمته ! وكم من عالم
تسلطت النيران على آثاره فامحى اسمه وذهبت افعابه سدى . وما هؤلاء
النابغون الذين تراهم او تسمع . الا رجالا قد قام فضلهم بحسن الحظ
وعناية الزمان . فلا يكون العظيم عظيما بارادته ولا الداهية داهية بكلامه
ولكنك أيها التلميذ النجيب ما دمت تود ان تتعلق بأذيال الدهاة فاعمل
واجبك حيث تكون واطلب من الدهر رحمة ونصرا !)

كنت اسمع هذه الكلمات وانا افرح تارة واحزن أخرى . لان قصور
الآمال كانت تتشيد مرة وتهدم أخرى . كنت أقول فى نفسى : (من هو هذا
الزمان لاذهب اليه فاسأله المعونة والتوفيق ؟)

ولقد بقيت على هذه الافكار ، عاثشا فى عالم الخيال والاوهام حتى
عزمت على السفر الى هذه الديار طلبا للعلم والعظمة والالهام ، وكنت قد
أخرت الزواج لانى أردت أن يشترك العالم بعرسى ويتناقل حديث زواجى .
ويصور مراسمه « بالصور المتحركة » !

ولما وقفنا للوداع مع الخلان ووقع ما كنا نتخيله من النوى ، قلت
لاصحابى : الى ذلك اليوم ، الى يوم العظمة والنبوغ ! ٠٠٠

ولكن واحر قلباه ! لقد خاب ظنى وذهبت آمالى ادراج الرياح ! فما
وضعت رجلى فى هذه المدينة الا واستقبلنى المرض والقانى فى (مستشفى

الغرباء) واني لعلى علم بانى ساموت ! ولكنى ارجوك ، أيتها الأنسة ، الا
تنسى حديثى وامالى ، وان تكتبها تحت صورتى التى تجدينها بين اوراقى ،
ثم انشرها فى الجرائد والمجلات ! وقولى للناس : (اقرأوا قصته واسمعوا
حديثه وابكوا على شبابه وجماله !) فلما اتم الحديث ، رفعت الممرضة
رأسها اليه ، فرأته قد فارق الحياة ، فقالت : رحمة الله عليه ! . . .

ان كان القراء قد تأسفوا على نتيجة حياة هذا الشاب فقد بكيناه
قبلهم ، وتأكد لدينا اعتساف الدهر وجور الزمان ، فعلى العاقل
البصير أن لا يضيع وقته سدى بل يعجل فى أداء واجبه وقضاء حاجته
واتمام عمله خوفا من سطوة الموت وهجوم الاقدار !

٢ - عاقبة الحياة*

عطاء امين

هذه قصة اجملناها في اربعة مناظر عسى ان تمثل
دورا من ادوار هذه الحياة الدنيا وتبقى في نفوس
القراء اثرا لا يزول بعد قراءتها ، او يمحي بعد
طيبها والقائها في زوايا النسيان ! . .

- ١ -

— ما ألطف هذه الزهرة يا آمنة؟ . . .

— نعم يا اختاه ! انها لالطف من هذا الغروب والذ من الاحلام على
هذا النهر اللامع ، امام تلك النخيل الباسقة ! . . .

اختان متحابتان على كرسيين متقابلين في شرفة امام دجلة وقت
الغروب ، قالت الكبرى للصغرى هذه الكلمات ، وقد رأتها تنظر الى زهرة
كانت في اصيص بجانبها وهي غارقة في ابحر الفكر والخيال .
— أواه ، يا اختاه ! افى العالم سعيد !؟

قالت ذلك الصغرى ونظرت الى اختها الكبيرة فرأتها تبتسم لها
وتحاول صرفها عن هواجسها وآلامها ، فهي لم تزل شابة لا يتجاوز سنها
الثامنة عشرة والكبرى قد تجاوزت الثلاثين ! كانت الصغرى قد تذكرت
هنالك أمها وقد تركتها في الثامنة من عمرها فحاولت البكاء الا ان الكبرى
منعتها عن ذلك واخذت تسليها وتبني لها القصور الشامخة من الآمال
فتعدها تارة بمستقبلها الزاهر وطورا بمستقبل اخيها اللامع . . وقد كانت
تخاطبها بلهجة الأم وتحنو عليها حنوها ، لانها قد احبتها حبا زائدا - بعد
وفاة ابويهما - وقامت بتربيتها احسن قيام حتى نشأت صحيحة الجسم
سليمة العقل وافرة القوى . فلم تعد اختها الكبيرة تهتم الا بأمر مستقبلها
الذي بلغ حرصها عليه انها كانت ترضى ببيع نفسها ونقد روحها لشرايه
ولكن المستقبل والأسفاه وقف لايباع ولا يشترى مغلوق الابواب مفاتيحه عند
علام الغيوب ! .

(*) دار السلام - العدد ٨ - مج ٣ - السنة ٣ - نيسان ١٩٢٠ ص: ١١٣
واتمها في العدد ٩ ، ص: ١٢٩ ، ١٠ ص: ١٤٩

- ٠٠ - فأظري ، أي حبيبتي ، الى هذا النهر الذي يتلوى امامنا ، كيف يسطع النور فيه ويهب النسيم من فوقه فيحدث امواجاً دقيقة تتلاطم على الساحل وتهجم على الازهار ، ثم تحجم عنها كأن منظر الزهر الجميل راعها ، وانعمى النظر في انعكاس خضرة الاشجار واللوان الازهار على مرآة الماء واعتزاز هذه الاشكال اهتزازاً مطرداً يوافق حركة الامواج ! لله ما ابدع هذا العالم وما أجمل هذا الكون ! الماء والخضرة والورد والزهور ، الشمس والقمر والسماء والنجوم . أليست ، يا عزيزتي ، آيات محكمات تدل على عظمة مبدع الكائنات ؟ ٠٠٠ ثم انى اراك ، يا آمنة ، تنظرين الى ذلك الزهر كأنك تودين ان تكونى وردة من الوردات متمسكة بذلك الغصن فيقبلك النسيم البارد وتمر من تحتك « السواقي » فتارة تنظرين الى نفسك وانت فى أجمل حلة ، وطورا تسرحين الطرف فى ما يحيط بك فترين ما يذهب حزنك ويلطف لك الحياة ٠٠٠!

فابتسمت الصغرى لكلام اختها الكبيرة ابتسامة ملك زكى ونظرت اليها نظيرة محب شفيق ثم اجابت بصوت رخيم واسلوب رقيق :
- ولكن من يقول ان الورد اسعد منى ؟ هكذا يظن الناس ولكنهم مخطئون !

فاجبت الكبرى بكلامها واحبت ان تستمر على حديثها فطلت قائلة : « ذلك لان الورد مع نضارته وجماله لا يفلت من مخالب الذبول والموت فيسقط على الارض ضائعا بين التراب ومسحوقا بالاقدام . فكما ان للانسان ادوارا عديدة - كدور شباب ودور كهولة ودور شيخوخة تنتهى بالفناء - كذلك للورد ايضا ادوار - كدور برعمة ودور نضارة ودور ذبول وسقوط . فاذا كان هذا حال الزهرة التى يقبلها النحل ويعانقها الفراش ويقتطفها المرء فيهدئها الى اعز اصحابه او يحملها بيده او يعلقها على صدره متحليا بها وملتذاً بأريجها ، لاريب فى انها ليست اسعد منى ! ولكن ماذا نعمل وهذا هو ناموس الوجود وسنة الحياة : نضارة فذبول وحياء ففناء ! لله ما اظلم هذا الكون وما اقساه ! قرأت كتابا الفه فليكس لودانتك عن « الجدال الكونى » وقد صدره بقوله : « الوجود جدال والحياة هى الغلبة » فما الذى ترجينه يا اختى من وجود لا يتم الا بالجدال وحياء لا تبقى الا بالغلبة . ما هذا الجدال ؟ اننى لاكره هذه الكلمة وابغض جميع مشتقاتها . ومع ذلك فاننى مضطرة الى العمل بموجبها : اجادل المكروب بواسطة الدكتور لحفظ حياتى ، واجادل الباطل بالقوانين لحفظ حقوقى واجادل الحسود المفرض لادفعه من امامى ! نعم ، اننى اجادل العالم ويجادلنى لاحيا ويحيا ، ما هذه الحياة ؟ اهى جديرة بكل هذا النصب وهذا الغناء ؟

تعب كلها الحياة فما اعجب
جب الا من راغب فى ازدياد

هذا هو المشكل الذي كلما تصورته اعترفت بعجزى عن حل عقده ؛
فكل من بنى آدم يرى قساوة هذه الحياة وجورها ويشكو من سوء حفظه
ونكد طالعه ؛ وقد يحبها حبا جما مع ما فيها من الآلام والاحزان . فما اصدق
الفيلسوف (اسبينوزا) اذ قال : « كل موجود يود البقاء على وجوده ! » لله
من مسألة مهمة مدهشة ! . . . قالت ذلك ورفعت نظرها الى اختها الكبيرة
فاذا هي تنظر الى محياها نظر الشفقة وتبتسم اليها ابتسامة الاخوت فعلمت
انها مسرورة بسماع حديثها والاصغاء اليها فاستمرت قائلة :

- « ولكنى اراك ، ايتها الاخوت الشفيقة تنظرين الى باسمه فلا ادري
استحسنين قولى ام تهزئين به » .

فاجابت الكبرى :

- « كيف اهزأ بك وما قلت الا الحق ! انى لانظر اليك وقت تكلمت
فاتمنى لو كانت امناء فتراك بهذا الكمال ! آه يا اماء . . . » قالت ذلك
وارفضت دموعها ثم كففتها سريعا ونظرت الى اختها فاذا الدمع ينبجس من
عينيها ويتحدر على وجنتيها المحمرتين ، فقالت لها : « لا تبكى يا آمنة واسمعى
نصيحة اختك الشفيقة عليك ! فيا ايتها الاخوت العزيزة هل تعرفين انك
اعظم عضو فى بدن امتك وجامعتك ؛ وانك لو هزرت بيدك اليمنى مهد ابنك
تهزين باليسرى اسس العالم ! وانك ان انشدت نشيدا مطربا لولدك فكانك
امرت العالم بالرقى والانحطاط ! وانك ان اردت ان تدكى العالم دكا او ان
تفنى الناس افناء يكفيك تلقين ولدك الصغير ! فالامة باجمعها تتربى فى
شفقة حضنك وتأخذ درسها الاول الثابت منك ! . . . انت قائدة العالم
ومدبرة الكون فهل تجهلين نفسك ؟ انت سيدة العالم واميرة الكون فهلا
تعرفين ذلك ؟ بيدك وحدك مقادير الامم ومستقبل الاقوام ! تقدرين على ان
تنفذى بنظرك الوقاد الى ظلمات الغد فتعملين فيه ما تشائين وتستطيعين ان
تغوصى فى لجج بحاره فتأخذين من درره واصدافه ما تحبين ! . . . فلا تنسى
ذلك ، واستعدى لتكونى اهلا لاداء هذا الواجب العظيم . هذا الواجب الذى
ابت السموات والارض والجبال ان يحملنه واشفقن منه فحملته الفتاة ! . . .
« فانبذى ، اى اخيتى ، اوهام هذه الدنيا وزخارفها واسعى جهد طاقتك لتعلم
ما يفيدك من العلوم ويزينك من الآداب ، واجتهدى لتكونى عضوا نافعا وفردا
مهما ، فقد تعلمين ان الدنيا منزل الغرباء والمقام فيها قصير ، فخير الناس من
ينفع الناس . ومن ينفع الناس ينل ذكرا جميلا وشهرة حسنة ونفعا ماديا
وادبيا ! . . . وليست جميع ملاذ الدنيا وحطامها بالشىء الخالد ولكن الذكر
الحسن الذى يسببه نفع الناس ، اصل السعادة ومنشأها . فاجتهدى وسع
اقتدارك وكونى ذات قلب طاهر وروح لطيف ليحبك الناس ويذكروك بالحسن
ان ذلك من عزم الامور ! »

فقال الصغرى : « صدقت يا اخيتى ولكن ما الذى يستطيع الانسان ان يعمل فى هذا الزمن الوجيز زمن حياته وقد يصرف مقدارا عظيما منه فى النوم والراحة والاشغال الخاصة بنفسه وبيته ؟ » .

فقالت : « وهذا بعد احسن ! لانك تنظرين الى قصر الزمان وعاقبة الحياة فلا تصرفين دقيقة بدون عمل مفيد ! اتريدين اى حبيبتي ان تعيشى عشرات من السنين وانت مجهولة الاسم والحال ؟ تعيشين فلا يستفيد منك غير اهلك وتموتين فلا يأسف عليك غيرهم ! الا تريدين ان تكونى ، اذا ما اصابك عارض وقتى قامت لك البشرية وقعدت ؟ واذا ما ذهبت انفاسك ودخلت جنات التاريخ بكت عليك الانسانية وانتحبت ؟ ستقولين : ان الناس فى بلادنا لا يستحقون الخدمة ولا يليقون بان يخاطر المرء بنفسه فى انقاذهم وجلب النفع لهم ودرء الضرر عنهم لانهم كافرون بالنعمة ناكرون للمعروف ! يهديهم الانسان ثمرة سعيه ونتيجة عمله وزبدة عقله ونور بصره فلا يهدونه الا التعاسة والشقاء ! » .

فقال الصغرى : « نعم يا عزيزتى ، فقد يأسف المرء على حياته بين من لا يقدره حق قدره ولا يعترف له بمعروف واحسان ! فيا ايها الامة الكنود اسمعي وعي ! ليست طريقتك هذه بموصلة الى الحياة الطيبة وانما هى تسير بك الى حيث سارت بمن دفنوا فى لحود الدهر ومقابر التاريخ !! انظري الى الامم الراقية التى تعيش معك على هذه الارض تربيها تمجد النافعين وتسبح بحمد النابغين وتعلي قدر العلماء وترفع منزلة الشعراء حتى يكاد المطلع على ما يصنعونه فى تكريم عظيم من اعظامهم يندهش ويغشى عليه ! »

فقال الكبرى : « ولكن اصبرى يا اختى على هذه الاحوال وتجلدى ! فانها نتيجة الجهل وثمره الاستبداد الطويل والفوضى التى كانت سائدة علينا منذ بضعة قرون ولعلها بهمتك وهمة امثالك تزول ! »

يجب ان تحاسبى نفسك كل يوم عما صنعت فيه . فقد اعترفت بنفسك ان الحياة قصيرة ونتيجتها الفناء ! افترمين ان تفنى وتكونى نسيا منسيا ؟ اتريدين ان تعيشى مقدارا من السنين فلا يسمع بك احد او يعلم بوجودك مخلوق ؟ من دون التاريخ اسمه لا يموت ولو اصبح ترابا ، ومن نفع امته لا يموت ولو مضت القرون تباعا ، من اكتسب ذكرا جميلا لا يموت ولو تغيرت بعده الامور . فاصغى لذلك حبيبتي ، واعلمى « ان الحياة بحيرة فى ارض حدائق الورد تارة ينحسر ماؤها جازرا وطورا يطفو مادا متلاطما ، ومرة يكون طعمه حلوا كالعسل واخرى مرا كالحنظل » (١) فلا مستقر له ولا راحة .

(١) جاءت فى الاساطير القديمة .

من الممكن ان تصادفني ابان شبابك قليلا من السعادة والملذات فتفرحى بها وتعتمدى عليها فلا تلبث الاحوال ان تتقلب « اذ الدهر قلب ! » فيكفهر سماء طلعتك بعد ان كان صافيا وتغرب شمس سعادتك بعد ان كانت نيرة وتعودين لا تعرفين اين الطريق ؟ .. هنالك تجلدى اى عزيزتى ، وقاومى هجمات الحياة ولا تياسى من عجزك عن ردها وكونى باسلة قانعة صبوراً ! .. نعم ، تحملى مرارة الحياة حتى تجدى حلاوتها ، فمن لم يلسعه النحل لا يأكل العسل ومن لم يصبر على اذية الشوك لا يقتطف الورد ! اذن اسعى ما استطعت لتخلدى لك ذكرا حسنا وتعيشى بسعادة وسلام . ولا تنسى سهرك على قلبك وجوهرك فلا تسلميها الى من لا يعرف قدرهما وكونى من الصدق والاخلاص على جانب عظيم ! هذه هى وصيتى اليك والى اخينا الوحيد ، وستريان فوائدها فى المستقبل ان شاء الله . ثم نظرت الى الارض وقالت فى نفسها :

« آه ، ما أخوفنى منه ومن تقلبات الزمان » .

- ٢ -

فى غرفة على دجلة قبيل الضحى ، قالت الصغرى للكبرى وكانتا جالستين وحدهما تنظران دجلة وهى تجرى الهوينا بين حدائق الورد وبساتين النخيل : « اتريدين ان اقرأ لك ، اخيتى ، شيئا من اشعار امين الريحانى المنشورة ، فانها اعجبتنى كثيرا ؟ » فقالت : « نعم ، يا حبيبتى ! » قالت :

« فاستمعى هذه الشذرات من احدى قصائده بعنوان (ريح سموم) :

« .. صوت صارخ من وراء النجوم . ما الذى تظنه يدوم ؟
من اسراب منورة تحت الانهار . من ارتال فيها يدفعها الكهرباء او يجرها البخار . من بوارج ماخرات فى البحار . من اساطيل تنذر بالدمار . من معالم ومعاهد فى الامصار . ما الذى تظنه يدوم ؟ » ثم قال بعد ذلك :

« من جسور فوق المياه جسيمة . من جزائر على المياه عظيمة . من جبال تحت المياه قديمة . ما الذى تظنه يدوم ؟ .. » ثم قال : « من قصور مكتنفة برياض خضراء . من صروح الملوك والامراء . من دور الرؤساء والاعنياء . من اكواخ البؤساء والفقراء . ما الذى تظنه يدوم ؟ »

« من شرائع وديساتير ونظامات . من تقاليد وعادات وخرافات . من اديان وعقائد وخرعبلات . من دول وممالك وحكومات . من احزاب وطوائف وجماعات . ما الذى تظنه يدوم ؟ »

« صوت صارخ من وراء الغيوم . صوت ريح سموم . أى شىء يدوم ؟ » فقالت الكبرى : « لله ما الطف هذا الشعر وبلغه ، وما أحقه وأصدقه ! ولكنك لو قرأته ، يا آمنة ، على من لا يفهم من الشعر الا الوزن والقافية ، لقال

لك : ان وصف هراة فى الكشكول لابلغ من هذه الكلمات ! ٠٠٠ سامحهم الله انى يجهلون ! هو نثر يأخذ بمجامع القلوب ، ولكنهم بالشعر لا يفقهون ! ثم قالت فى نفسها : « ونعمتنا هذه أيضا لا تدوم : فمن النعم والملذات ، والنزه والمسرات ، واللطائف والمسامرات ، وكل نعيم فى هذه الحياة . أى شىء يدوم ؟ صوت صارخ من وراء النجوم ، صوت طيف كثير الهموم : ما الذى تظنه يدوم ؟ ٠٠٠ » ثم رفعت رأسها فرأت اختها الصغيرة تقول لها « هذه احدى القصائد ، وفى الكتاب كثير منها فهل تريدان ان تسمعى غيرها ؟ » قالت : « نعم ، ياعزيزتى » فقرأت : « على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها بل تنتظر الاحباب ارواحها . آه على المحبين المودعين والراحلين) ٠٠٠٠ »

* * *

فى اثناء تلاوة هذه الاشعار دخلت الخادمة تخبرهما بقدم اخيهما (سلمان) فوضعت آمنة الكتاب على كرسى بجانبها وأخذت تنتظر اخاها ناظرة الى زهرة كانت فى يمينها ، وخرجت الكبرى لتستقبله من الباب ، لانها استغربت رجوعه قبل ميعاده ، فدخل الاخ وقعد على كرسى بجانب الكبرى وخرج مندبلا مسح به رأسه ووجهه - لان الوقت كان فى منتهى الربيع وهو حار فى بغداد فلما استقر به الجلوس سأل : « ما هذا الكتاب ؟ » فأجابته الكبرى : « انه الريحانيات ! » فقال : « نعم ، هى مجموعة لطيفة ، فهل قرأت مني شيئا الآن ؟ » قالت : « نعم ، قرأت آمنة منشورة (ربح سموم) و (النفس الراحلة) فوجدتهما جميلتين جدا فقال : « لقد احسنتم فى انتخابكم هذا المحل لتلاوة الاشعار ، لانه شعر وما قرأتوه أيضا شعر وال ٠٠٠٠٠ » فقطعت كلامه الكبرى قائلة : « والقارئة أيضا شعر ! » فضحكوا ٠٠٠

ثم قالت الكبرى : « قد اتيت يا اخى قبل ميعادك ، فما سبب ذلك يا ترى ؟ » فقال : « لاشىء ، ولكن هيشى حوائج السفر يا اختاه ! » فدعرت الاختان وسألناه بلسان واحد : « الى اين ؟ الى اين ؟ ٠٠ » فقال : « لا تجفلا ولا يجدن الرعب محلا فى قلبيكما ! انى مسافر الى حيث يأمرنى الواجب والقانون ! ٠٠٠ انى قد دعيت الى التجند فهلا اجيب دعوة الداعى ؟ وسيزحف الجيش الى العدو فهل اتخلف عن اخوانى ؟ وعشنا مدة من الزمن متمتعين بافراح امتنا ومستفيدين من اتعابها فوائد كثيرة فهلا نشترك بالآلها وندافع عنها بارواحنا وأموالنا ؟ أترضيان ان يكون اخوكما من المتخلفين القاعدىن ؟ أو أن يشتهر عنه انه من الخائنين ؟ أتريدان ألا اجيب دعوة الواجب وقد بنيت أخلاقى عليه ، او ان اعارض القانون وقد سننته انا - او نوابى ! - أتحبان ان انقص عيشى وعيش اسرتى فاعيش مهانا وأموت غير مأسوف على ؟ »

فتنفست الكبرى الصعداء وقالت : « يعز علينا فراقك يا أخى لان سعادتنا قائمة بك وراحتنا متوقفة عليك . فماذا يحل بنا بعد فراقك ؟ ولكن اواه ! أى شىء يدوم ؟ .. » فاجهشت بالبكاء الا انها تجلدت وقالت « سر الى اداء واجبك واطاعة قانونك يا أخى محروسا بعناية الرب الرحيم . »

- ٣ -

فى يوم من أيام الخريف كانت السحب متكاثفة والامطار غزيرة والرياح عاصفة والاشجار متكسرة ومياه الانهار عائدة الى منابعها
أنصت قليلا ، لتسمع فى الفضاء رعود المدافع تسبح بحمد القوة والجبروت وهزيم البنادق يدوى فى عنان السماء !
ارفع نظرك فوق رأسك ، لترى الطيارات المحلقات و (الابابيل) المكبرات ترمى بدل (السجيل) القنابر المدمرات والادخنة السامات فتحتمى الملائكة بالعرش من رهبتها ، وتهبط الجن الى اعماق الارض لدهشتها .
والتفت الى ذلك اليم الهائج الذى يحمل على امواجه السفن المدرعة ، والغواصات المنوعة التى تقذف على الاعداء نواصف فيها جميع أسباب الموت !

وادر طرفك الى تلك السهول التى تتراعى لك بلون الشفق القانىء تر الخنادق محفورة والجنود مختفية والبنادق مستعدة والحراب بارقة والنفوس جائشة والى الموت حاضرة ومن العدو خاشية وعلى العدو حانقة ومن الحياة قانطة يائسة !

اختلط بهم وتحققهم واسترق ما يشغل بالهم ويشغل به دماغهم ، تر قسما قد ثارت الحمية فى رأسه فنسى الحياة ومسراتها والطبيعة وجمالها وامه وبكاءها فحرق الارم على اعدائه قاصدا سقى الارض من دمائهم البريئة .
ومنهم من اشفق على الانسان فصار يلوم الانسان ويقول : « ما هذا الجنون وكيف تجاهدون وتقتلون وانتم فى النهاية فانون ؟ » ومنهم من ترك امراة عزيزة واخوات مخدرات واطفالا كاللؤلؤ المنثور لا يمكن لهم ان يحافظوا على حياتهم بما ابقاه من المال ومنهم من ترك كتبنا ومؤلفات وقراطيس مسودات كلها حكم وعلوم يستفيد منها الانسان فأتى الى ساحة الوغى وهو لا يدري اصارت وقودا للنار أم طعاما للفار ؟ ومنهم من ترك متجرا غنيا ومعملا شهيرا صرف عمره وراحتة فى جمعه وترتيبه وقد حضر المعارك وهو جاهل مصيره اصار قسمة اللصوص ام نصيب المغتصبين ؟

تزايد الرصاص وكثر الموت ، فسقط ههنا رجل من بندقة خرقت قلبه ، وصاح آخر من اخرى ثقت رأسه ، واستلقى ثالث من واحدة دخلت صدره !

- ٣٧١ -

وطارت هنالك جمجمة قلعته قنبرة ثم تبعته يد بذراعها ، ورجل بفخذها ثم
صرخ صارخ : « ويل للانسان من الانسان .. »

هجم الفريق الاول على الثاني والريصاص ماطر وشرر الموت متطاير ،
فاشتبك الجندان و « خطبت السيوف على منابر الرقاب واقدمت الرماح على
الخطط الصعاب ، وتلاصقت القنا والقنابل وتعانقت الصوارم والمناصل وبلغت
القلوب الحناجر وادركت السيوف المناحر وضاق المجال وتحكمت الآجال فلا
ترى الا رؤوسا تندر ودماء تهدر واعضاء تتطاير وتتناثر واجساما تتزاييل
حتى ثملت الرماح من الدماء فتعثرت في النحور وتكسرت في الصدور (١) » .
ودام هذا الحال حتى انهزم احد الفريقين وابتعد عن البقعة التي ارتوت من
دماء الطرفين .

سكن روع الحرب ورجعت بقية السيوف الى معسكرها ، فقامت جماعة
تتمشى في ساحة الوغى لاسعاف الجريح ودفن القتيل . فجذبت نظر احدهم
كتابة بالدم المسفوح قرأها لاصحابه مغرورق العينين قائلا : « اسمعوا ماكتب
هذا السعيد : (بلغ اختي اني شهيد !) .. »

- ٤ -

في غرفة كلها سواد بنتان في ثياب الحداد . بايديهما صورة وكتاب .
تقرآن فتبكيان . وتنظران الى الصورة فتنتحبان قالت الكبرى باكية :
« اسمعت يا آمنة ماذا قال لي عندما مضى : (اختاه لا تنسيني !) اواه ! كيف
انساك يا اخي أم كيف يمكن ان تذهب خواطرك من ذاكرتي رجوت الشمس
ان ترعاك في سفرك نهارا وتوصي بك النجوم والقمر ليلا ، وتحافظ عليك من
جميع الآفات ؛ فلم تجب رجائي . ولكنها استنحت فاخفت وراء السحب
اياما ، بكت عليك بها معي ، وصرخت كصراخي وشقت جيبها كما شققت عليك
الجيوب ! .. أرى الاشجار تنثر اوراقها اسفا والاطيار تلازم اوكارها لهفا .
فيا ايها الحبيب ! قد ذهبت من بيننا الآن فتركنا في حالة لا يعرفها الا من
جرى عليه ما قد جرى علينا ! .. فالى اللقاء ، الى اللقاء .. في جنان الخلد
على الارائك ، في السعادة الحقيقية والنعيم الدائم ، حيث لا هموم ولا
احزان ! .. ننتظر الابدية ونحن بانسنا لاهون وعن مصائب دنيانا ساهون !
لا تنسني هناك أخي وابحث عني بعد النشور وانتظرنى على ابواب
الجنان ! .. »

تمت

(١) من وصف حرب للشعالي ..

ج - قصص محمود احمد السيد*

١ - الشبح**

شبح بين الهياكل - خطيب على منبر القبور - ميت لكنه يتكلم - ينصح
الاحياء الاموات .

يحسب الناس من بنى قومي انهم فى حياة « الحياة » بكل ما فى
الكلمة من المعانى والمغازى والرموز ، أما انا فلا احسبهم كذلك .

يرى الناس من بنى قومي ان عيشهم هذا هو « العيش الرغيد » ملؤه
الم لذات والمسرات ، أما انا فلا احسبه الا عيشا جهنميا ليس فيه الا الآلام
والاحزان .

هم يعتقدون انهم يمشون رويدا رويدا الى الامام ، أما انا فلا اراهم الا
مهرولين الى الورا .

هم يحسبون خلاف ما احسب ، ويرون غير ما ارى ، ويعتقدون لا كما
اعتقد ، وهكذا فقد اختلفت المذاهب وتباينت المشارب فصرت كأنى لست
منهم ابدا .

هم يقضون اوقاتهم فى النوادى والقهوات ، أما انا فليس لى ناد ولا
قهوة غير دارى دار الوحدة والانفراد .

هم يخرجون الى المنتزهات ثملين بنشوة الحميا ، راتعين بين الاغصان
والاشجار مع الكواعب الرود مطربين على اصوات الطبول والمزامير ، أما انا
فممتزهي مقبرة الاموات اخرج اليها عند اصفرار الشمس وقد اسكرتنى
التأملات ، فأجلس تحت ظلال خيمة السكون مطربا على انات الارواح من
حين لآخر .

امام قبر رخامى سور عال جلست ساكنا مطرقا برأسى الى الارض ، وما
هى الا برهة حتى هتف بى هاتف خفى قائلا : النذير ! النذير ! جاء الشبح
الكبير ، نذير الاموات !!!

وبينا انا افكر فيما سمعت اذ اظلم المكان ، وسمعت صرخة من مكان
قريب هلعت لها نفسى ، وضاق بى الارض الفضاء ، ثم انشق القبر امامى
فقمتم مرعوبا ، واختبأت وراء قبر آخر عن بعد ، فنظرت واذا شبح خارج منه

(*) وهى قصصه التى لم تنشر ضمن مجاميعه القصصية الأخرى .
(**) العراق المسائى (ملحق العراق فى سنته الرابعة) العدد ٤١٦ . ١٩٢٢ -
١٩٢٣ وذكر اسمه على انه (محمود افندى احمد) .

وبيده بوق طويل فولى وجهه شطر المشرق ، وبصوت كقصف الرعد قال :

• أيها الناس •

انى ارى وجودا اهون من عدم ، ونعما اكبر من نقم ، ورؤسا تحت قدم ،
والويل من دهمة السيل •

ارى وجوها ناعمة ، وثغورا باسمة ، وصدورا رحبة ، ولم ادر ما علة
النقمة وماكنه الابتسام ، والى من يكون الترحاب •

ارى أمما لا يقضى عليها فتموت ، ولا يقضى لها فتعيش •

• أيها الناس •

اتى الامد على لبد واخلف لقمان ما وعد ، واستأسد الكلب حين استكلب
الاسد وكلكم جاهل فى علمه سفيه فى حكمه يعانق الامل ويفارق العمل ،
كانكم فى جهالة تختبطون •

لا وحدة بينكم ولا صلة عندكم ، اذا فشلتم وتخاذلتم ، ولقد غرتكم احلام
الحياة وما انتم فى حياة •

ما كل احمر خد ، ولا كل اسود ند ، ولا كل اصفر دينار ، ولا كل يوم
يساعد على العمل • فاغنموا الايام وهى مقبلة فلن تدركوها اذا ادبرت ، واربحوا
ثمن اليوم لغد فما ابعدهم من امس وما اقربكم من غد ، وما اسرع انتقالكم عن
حال تصافحون ماضيا ويصافحكم المستقبل •

* * *

اكمل خطابته ، ثم سكت مليا ، وغاص فى الارض ، فخرجت لا الوى على
شىء ، وانا احسب ان صوته البالغ عنان السماء لا يد وان سمعه الناس •

٢ - ثورة على ابيه*

- هدية من الكاتب العراقي الى صديقه القاص

المصري الكبير محمود تيمور -

ياوالدي !

لعلك عدت الآن الى بيتك فاستقبلتك - قبل ان تتناول كتابي هذا -
زوجك « العروس » التي احببتها الحب الاعمى اذ حسبتها ، وهي الفتاة
الرقيقة الحسناء ، تميل اليك وانت الشيخ الواني المنرف على الخمسين
وتتقبلك عن حب كذلك . وهذا منتهى « الغباوة » واسمح لي بان اقول كلمتي
هذه ، اقولها وانا مدرك مافيها من « سوء الادب » ولكنى مدرك - كذلك -
انها جزاؤك .

يا والدي !

لقد كنت - حين اخذت هذه السيدة - جاهلا طباع الانسانية - واطماع
النفس البشرية ، وكثيرا من تجاريب الحياة ، رغم كبر سنك ، وياللاسف .
ولا أدري ، فلعل الامر يرجع الى تدينك واقتناعك بما في تضاعيف كتبك
الشمينة . . . من حكم وتعاليم ، تعتقد بصحتها وفائدتها في كل عصر ومصر .
وهي بعيدة كل البعد عن الواقع والحقيقة والتجارب التي يحصل عليها
الانسان الذكي اليقظ ، في حياته ، اليوم .

كنت جاهلا . . . فلم تفهم الداعي الذي دعا والد هذه السيدة الى ان
يبيعك اياها ، نعم « يبيعك اياها » على حد تعبيرى ، فالقضية كانت قضية بيع
وشراء لا قضية زواج مشروع .

كنت جاهلا . . . فلم تدر ان الرجل افلس اخيرا فتراكمت عليه الديون ،
وانه قد رأى في مالك الذي تحرص عليه ، وما تملك غيره من دور وحوانيت
خير مطمع له . فخدعك ، وكان يخفى عنك « افلاسه » ، ثم استدرجك فابتدع
لك ، المشروع الذي تعرف : مشروع زرع القطن في اراضى اليوسفية .
فاعطيته ذلك المبلغ الكبير : (٥٠٠) ليرة عثمانية ، عن طيبة خاطر ، امامى ،
وانا انظر اليها واسأل نفسى متحيرا : اين كان هذا الذهب يوم اعتزمت
الشخص الى جامعة استانبول قبل سنتين لاكتساب شىء من العلم استعين

(*) الحاصد . العدد ١٥ - السنة ١ - ٣٠ آيار - ١٩٢٩ ص : ٦

به على تذليل مصاعب الحياة في مستقبلي المجهول ، فمنعتني معتذرا انك
لا تملك لي النفقة ، وانك غارق في بحور الديون !؟ . .

و كنت باديء الرأي برىء الوجدان ساذجا احسن بك الظن يا واندى ،
فصدقتك ، وأطعتك رغم سماعي - بعد ذلك - من بعض المتصلين بك من
صحبك الفانين البله على رأيي ، الصالحين الاتقياء على رأيك « انك حلت بيني
وبين السفر حرصا على ديني وحفظا له من الضياع في اجواء تلك الجامعة التي
لا تعلم الناس الا « اللادينيات » ولاخلاقى من التهدم في احياء (بك اوغلي)
واماكن اللهو والفسق والفجور » .

ولو كنت نافذ النظر خيرا بالاخلاق والطباع ، لعلمت ان العقيدة
الراسخة في قلب المرء « ووجدانه الباطن » لا يزعزعها مزعزع ما دامت
صحيحة لا يداخلها غش أو تدليس ، وان « النفس » التي تميل الى الفسوق
بطبيعتها تميل اليه ههنا في بغداد كما تميل اليه في استانبول ،
أو في أية بقعة أخرى من بقاع الارض لا يصدها عن ذلك صاد من حياء أو
دين ولست أدري كيف غفلت عن اكنان الفحش في بغدادك الشريفة
هذه ؟ ويظهر لي انك ما تزال تحسب القوم ، قومك على الفطرة !؟

* * *

ولاعد الى حديثي الاول ، فقد كدت انحرف عنه وانا معذور لكثرة
ما يحتشد في رأسي من الآراء ، آرائي فيك . وكي رغبة في ان أقذفك بها
صبرة واحدة ، عسى ان تنتبه فترى ما أنت فيه من غفلة وجهالة كانتا سبب
ظلمك آياي ، ودفعي دفعا عنيفا الى الخروج عليك .

كنت ساذجا ، أحسن بك الظن في باديء الرأي فصدقتك ، صدقت أنك
مدين ، وانك لم تتسلم من ايجارات املاكك الا مبلغا قليلا من المال لا يكفي
مطبخ بيتك وتعمير بعض الحوانيت التي لعبت بها يد الخراب فلما ان رأيت
- عقب بضعة أشهر - كيس الذهب تناوله ذلك الرجل سيدنا عبد الله المتولي
صاحبك الحميم أولا ، ووالد زوجك الحسناء من بعد ، ادركت ان حسن ظني
لم يكن في محله ، وانني كنت الضحية لاعتقادك الباطل وكرهك للعلم الذي
تستمره بشعار الحرص على ديانتى واخلاقى .

ثم حنقت . . بيد اننى اخفيت حنقى وكتمته . واستيقظت في نفسى
حاسة النقد والتجسس والاستطلاع توصلا الى معرفة خفاياك ، فعرفت في
مدة قصيرة ، رغبتك في ابنة السيد . وما كانت الرغبة شريفة . لانك قد
فضلت شهوتك الجامعة على مصلحتي واهنت والدتي وهي في مرقدها ،
فاحللت محلها هذه - السيدة - ولا القبها بلقب يثير منك عاطفة الغضب علي

— فدفعت لها ثمنا ، او مهرا كما يقولون : (١٠٠) ليرة وكنت تتظاهر بانك تريدها ضابطا لشؤون البيت وخادما لك ، ليس غير . وهكذا انطلقت الحيلة على الناس كما حسبت . على ان الناس ما كانوا ولله الحمد فى هذه الدركة من الغباوة كانوا يسخرون منك كثيرا يا والدى . وكانت سخريتهم تؤلمنى ايلاما شديدا ، لانك والدى الشيخ وكفى . وما كنت مستطيعا ان افعل شيئا ، لاسيما بعد ان تم الامر فى سرعة غريبة .

ثم جاءت عروسك البيت ، وانقضى شهر العسل ، فالفيتنى غريبا فى البيت ، ولم اعد ارى لى مقاما بينك وبينها . وكانت هذه السيدة المحترمة — وانت لا تدرى طبعا — لا تخجل ولا تتردد عن ان تشير للسيدات فى مجالسها الى انها حبلى ، وان الوليد الذى تحمل فى بطنها سوف يكون الوارث لك . ولا اعلم كيف تناست بنوتى

ثم كنت اتأخر عمدا عن مواعيد الطعام فلا أجد منكما اى اهتمام او مبالاة . ولم تعد تسألنى كما كنت تسألنى من قبل اذا ما تأخرت عن موعد الطعام ظهرا أو مساء : اين كنت فقد عطلتنا . ثم عزلتمانى عن المائدة ورحت فى غير حياء تمشى وراء سيدتك — ولا تستغرب منى هذا التعبير لانها سيدتك بحق — فى كافة شؤونك حتى اصلاح الاملاك وتأجيرها واستغلالها واهملت الخمسمائة ليرة التى اعطيت والداها اياها ليزرع لك بها القطن . وكنت اتمنى ان تذهب — ولو مرة واحدة — الى حيث المزرعة لترى اى شىء همى ، و اى زرع يزرع لك صاحبك فيها .

ثم كان يزهب روحى تبرج هذه السيدة المحترمة — المحترمة جدا ولاشك — واكثرها من التزين أمامى ، وانا — كما تعلم — فتى جميل ! وهذه الزينة كانت لك طبعا كذلك كنت تعتقد ولكن . . . ولكن

ثم كان البيت دار ضيافة لمختلف السيدات ، ومستقرا لبعض منهن لا تشرفه سمعة حسنة . وهن يترددن عليها صباح مساء . وانت لاه ببطنك وصلاتك وضيوفك فى الديوان ، والنوم . وكنت احاول ان اكتب وان اطالع ، فى غرفتى ، فكان ضجيج النساء فى اعز اوقات العمل من النهار يقلقنى ويمنعنى حتى من المطالعة البسيطة ، مطالعة الصحف .

وكنت تحسبني من هؤلاء ابناء الاغنياء غاية امانى الاكل والشرب وارتداء الثياب المختلفة ، وقضاء الوقت فى ظلال الراحة والكسل . وكنت تعتقد اننى سعيد بما تمن به على ، بين الحين والحين ، من نفقات عادية . ولكننى كنت شقيا بحرمانى من العلوم العالية وتحصيلها ، وانت السبب ، شقيا بغبواتك وغفلتك ، وشقيا بهذه السيدة التى جثتنى بها فى اخريات

ايامك لتكون ربة للبيت ، تعكر على وظيفاتها صفوي ، وتسلب منى الراحة
والهناء .

ثم كان الحادث الفظيع الذى أفرغ صبرى . ولا أريد ان ارحم شيخوختك
الآن . فاننى لمهتاج ناثر صار يخزىنى انتسابى اليك . أتدرى ماذا كان ذلكم
الحادث ؟ أتدرى ؟ أتريد شرحا ؟ أو أنت مستطيع الصبر على الطعنة التى
سأطعنك ؟

اذن فاسمع ، اننى موضحه لك وشارحه . . . جئت ذات يوم ولكن . . .
كلا . فما من حاجة الى شرح والى ايضاح . واننى والله ليخجلنى ويديبنى
حياء ان افصل لك حكاية الحادث الفظيع ، الذى أفرغ صبرى كله واثارنى
عليك ؛ ما من حاجة الى شرح ، فان ابيت الا ان تعرف فكن يقظا حذرا ، وافتح
عينيك ، والتجىء الى كل حيلة ووسيلة يلتجىء اليها انسان شهم ذكى خبير
فى مثل هذه الامور . ولسوف ترى - ان وفقت الى اليقظة وانتبهت حقا -
ان للسيدة المحترمة (!) فى البيت زوجين واحدا من الجنس الخشن ، وواحدا
من الجنس اللطيف . والاول هو أنت وستعرف الثانى .
وانظر الى سخريه القدر البليغة عنك ، يا ايها الوالد المرزوء ، ولا كانت
لك الحياة بعد اليوم ! . . .

اما انا فقد عينتنى احدى الشركات كاتباً فى فرع لها فى البصرة . وغدا
سوف اكون فى الباخرة ، حيال الكوت ، وسأعيش هناك حرا شريفا قانعسا
براتبى الزهيد . ولن أسأل عنك ، وعمما تملك ، فلتطمئن زوجك ولن احمل
اسمك حتى يلاشيينى الفناء .

التاريخ : ١٠ نيسان . . .

الامضاء : جمال الدين

طبق الاصل :

٣ - شكوى*

زرت صديقي المحامي عبدالعزيز قبل خمسة ايام . وكان الوقت عصرا .
لم أجده في مكتبه . وفهمت من خادمه انه سوف يعود بعد نصف ساعة من
الزمن أو اقل . كنت في حاجة الى لقائه ، فاقتعدت كرسيها من الخيزران كان
موضوعا في الطنف المظل على الشارع ، امام باب الغرفة ، ورحت انظر الى
المارة واحادث الخادم ، وهو شيخ لطيف المعشر ، بين دقائق وأخرى .

وانقضى نصف الساعة ولم يعد صاحبي . فرجحت مزايلة محله على
الاستمرار في انتظاره . قلت للخادم : يا عبود او لم يقل لك الى اين هو
ذاهب ؟ قال : كلا . واحسبك ياسيد ضجرا . او انت معتزم الذهاب ؟ قلت :
بلى . قال : والله لا أدري لماذا تأخر . انتظر اذا شئت قليلا من الوقت . . .

وبينما انا انهض واحاول مزايلة الطنف ظهر من السلم القريب منا
رأس كبير يلتف حوله عقال من الوبر ، وبين العقال . واللحية الكثة العفراء
التي استرسلت على صدر القادم وجه لا هو بالقبيح ولا هو بالجميل قد امتد
فيه انف اقنى ، وبرز منه حاجبان كبيران . اما عيننا الرجل فقد كانتا صغيرتين
والنظرات المنبعثة تدل على الحيرة والحزن كذلك .

قال القادم وهو ينظر الى الخادم تارة والي تارة :

- « جناب المحامي هنا ؟ ! » ثم اقبل علي فترك الخادم جوابه لي . قلت :
- اهلا وسهلا . ان المحامي غائب تفضل وانتظره في الغرفة اذا كان
لديك حاجة تريد ان يقضيها لك .

قال :

نعم يا افندي . ان حاجتي اليه شديدة عندي شكوى ، عندي دعوى
حقوقية . وكان صوته كالنبيح ، ولم يدخل الغرفة . وكان يسد على طريقي ،
ثم اخرج من جيبه اوراقا ملفوفة بمنديل احمر كبير ومضى يكلمني . وانا معتزم
المضي لطيتي ، فلم يكن امامي الا الاصغاء اليه .

قال ، وكأنه يكلم المحامي نفسه :

يا افندي هذه هي اوراق الدعوى . الزوج اسمه غلام بن رسول ، تاجر
من سكان طهران وابنتي الآن عندنا . . انا الذي استقدمتها من طهران بعد
ان طلقها وآذاها . تفضل هذه هي اوراق القضية . . .

(*) البلاد العدد ١ - السنة ١ - ٢٥ ت ١ - ١٩٢٩ .

وفك عنها المنديل . ثم ناولني اياها . على انه لم يدع لي وقتا للنظر فيها . بل مضى في حديثه قلقا فارغا صبره :

قال : قدم هذا الرجل ، سامحه الله ، بغداد منذ اربع سنين . وساقه القدر الينا فتزوج ابنتي وغادرت واياه بغداد عقب الزواج . وعاشت في بيته في العجم كما كانت تكتب الي في رسائلها ، عيشة راضية . وكان لها منه ولد واحد . وكان يعزها ويكرم مثواها من اجل ذلك الولد . وسماه (الكاظم) . وقبل ستة اشهر جاءني كتاب منها تستدعيني به . وتقول انها مريضة مشرفة على الهلاك . ولم يكن بيدي مال زائد عن حاجتي لانفقه في السفر . فلجأت الى صديق

وهنا كان الحزن يعلو وجهه . . . وشعرت بان الوقوف والحديث الموجه قد اتعباه ولم ار من الانصاف افهامه بانه يستطيع ان ينتظر قليلا حتى يعود المحامي الى المكتب فيفضي اليه بحديثه . فانقلبت الى كرسي الاول وقدمته اليه فابي ان يقتعده وهو يقول : تفضل يا افندي لابأس . اجلس جنابك . ولكنني الححت عليه فجلس وجاءني الخادم بكرسي غيره . قلت وانا (اولع) سيغارة واناولة أخرى :

ثم ماذا كانت العقبي ياعم ؟ قال وقد هدأت نفسه يا حبيبي لافائدة من الاطالة . وقد كلفتك سماع القضية ، وهي وان كانت مؤلمة لنا ، لاتعنى غيرنا العفو . متى يأتي جناب المحامي ؟ فاستغربت منه هذا التغير وقبل ان اعود الى مكالمته مد يده فتناول الاوراق مني . وقال وهو يلقيها بمنديله الاحمر آتى غدا ؟ قلت وانا في حيرة من امره : نعم ، صباحا . واعاد الاوراق الى جيبه ثم اطرق دقيقة وكان يفكر ويمسح لحيته بيمينه . واذ كنت في اشد الاشتياق لسماع بقية القصة منه ، نهض يودعني

* * *

وفي اصيل اليوم التالي . لقيت صاحبي المحامي . فسألته عن الرجل . فقال لي : انه جاءني الضحى . وان قضية ابنته جد مؤلمة . فقد كان للتاجر خادم ظلمه واكل مشاهراته المتراكمة لديه منذ سنتين . فكان انتقام الخادم منه فظيما . سرق الطفل وهرب الى محل غير معروف .

فاما الام فقد اضاعت رشدها . ومرضت . واما الزوج فقد طلقها لانه لم يعد يطيق رؤياها بعد ذهاب طفله . واخذ منها كل ما كان اعطاها اياه من حلي واثاث . والاب - هذا الذي رايت - يريد ان يقيم عليه الدعوى ، مطالباً بمهرها المتأخر وبالحلي والاثاث

٤ - عبداللطيف بك*

- ١ -

عبداللطيف بك طبيب عراقي ، متفرنج : يرتدى القبعة الافرنجية ، ويتكلم باللغة الفرنسية فى معظم الاحيان . غير وطنى فى مبدئه الاجتماعى . نفسى ، فردى مادى . مثله الاعلى المال . وقد اثرى بعد املاق .

يتردد هذا الطبيب على أسرة رومية مهاجرة الى بغداد من أزميز . وهو مولع بالسيدة الارملة (س) البنت الكبرى لرب الأسرة . يحبها حبا كالعبادة ، فلجمالها عليه سلطان عظيم . وهى ذات أخلاق شديدة ، صعبة المراس . تدرك مالها عليه من سلطان ، فتتحكم به ، وتذله ، ولم تمنحه طيلة مدة الحب - وقد زادت على السننتين - ما كان يطمح اليه منها : وهو يسألها ذات يوم ، وهو منفرد بها فى ثوى البيت بجانب (البيانو) :

أو انها عازمة على المضى فى طريقها التى رسمتها لنفسها فى «حياة الحب»؟
وإذا كانت قد حرمته - حتى حينهما ذلك - من اقتطاف « ثمرة الحب » فلتمنحه
القبل على الأقل ؟

تقول فى شىء من الاباء ممزوج باللطف والرقه والصراحة العصرية :
- كلا . ولن تقبلنى ابدا . فان كنت راضيا منى بالنظر ، وبالمحادثة ،
والمجالسة ، والمسامرة ، فذاك ، والا فانصرف عنى الى غيرى
وكان اباؤها هذا يعذب صاحبها ويلذذه كذلك . ولم يكن امامه الا التزام
الصبر الجميل .

- ٢ -

دعى الطبيب الى حفلة راقصة ، شاء ان يقيمها صديق له من سـرارة
الأجانب النازحين الى بغداد بعد الحرب الكبرى . وكان الرقص بالاقنعة . وقد
اقيم فى قصر كبير مظل على دجلة فى ليلة قمرآء . وكان الطبيب يراقص غادة
حسبها أجمل غادة وقعت عليها عيناه فى حياته . كذلك كانت تظهر له ،
بقامتها المديدة ، وقدها الرشيق ، وخصرها الدقيق الذى طوقه بذراعه الأيمن ،
حين كان يمشيها فى ماشى حديقة القصر فى فترات الرقص ، وذراعيها
الناعمين ، ونهديها ، وصدرها الناصع العاجى . .

(*) البلاد . العدد ٢ - السنة ١ - ٢٧ ت ١ - ١٩٢٩

وكان يراها مشابهاة للسيدة التي أحب . وكان يحسبها هي لولا انه كان يعلم منها قبل اقامة الحفلة بيوم انها لن تذهب اليها . وان الذي يمنعها عن الذهاب مرض من الامراض الصدرية ألم بها . .

وكانت كثيرة الصمت . لا تكلمه الا جمل مقطعة بين دقائق ودقائق . ولم يكن صوتها طبيعيا . وهذا ما كان يستغربه الرجل أشد استغراب . ولم يجراً أن يسألها : من هي ولكنه خلى بها في جانب من جوانب الحديقة فسي الفترة الاخيرة من الفترات التي كانت تتخلل الرقص . فارادها على رفع قناعها عن وجهها ليعرفها . فاجابته بالرفض . وكان ثملا . وكانت روائح العطور الزكية تنبعث منها فتملا خياشيمه وتزيده سكرًا على سكر . وقد غالبها وحاول ان يرفع عنها قناعها قسرا فافلتت منه . وعادت الى البهو مسرعة ، فتبعها ولكنه أخطأ فدخل غرفة الشراب ولما ان عاد الى البهو لم يجدها . . .

- ٣ -

كان في اليوم التالي ، في غرفة استقبال صاحبتة (س .) يحدثها عن ليلة الرقص . وهي تساله عما شهده فيها متظاهرة بعدم الاكتراث . حتى اذا اتم الحديث ؛ والتفت اليها يسألها : أو لم تكن تلك السيدة غريبة في سلوكها معي ؟ رفعت رأسها فنظرت اليه في شيء من العطف والاسف . وانفرجت شفاتها عن ابتسامة صغيرة ذات معنى .

وكان الرجل اذ ذاك تخامرهُ الشكوك ، يقول في سره : من يدري فلعلها كانت هي . ولكنها على ما فهمت من امها والخادم ومنها كذلك ، لم تغادر البيت في الليلة الماضية . وانها كانت عازمة على عدم الذهاب الى الحفلة ، فهل في المسألة سر . وشيء واحد كان يزيد في شكوكه ذلك انه كان يشم في تلك اللحظة منها رائحة زكية من نوع الرائحة التي شمها من رفيقته في الرقص . ولم يستطع - بعد تفكير طويل - ان يعتقد بأن السيدتين « شخص واحد » .

قالت وقد اعتدلت في مجلسها ولهجتها لهجة التقريع والتأنيب والسخرية :

- وهكذا الرجل المسكين ، فانه يعشق بعينيه لا بقلبه ، انه ليضطر الى النظر الى وجه التي يحبها لكي يعرفها . فما أغباه ! أما المرأة فتعشق بقلبها . .

وبهت « المسكين » ! واربد لونه . . .

« أقصوصة عراقية » مهداة من كاتبها الى
القاص المصرى المجيد الاستاذ/محمود
تيمور بك . .

- ١ -

فى حانة (لندن) الكائنة فى الشارع العام .

الوقت : العشاء

ثلاثة كانوا حول المائدة . الاول : سائق سيارة لاحد النواب . جميل
الطلعة فى الرابعة والعشرين ، يرتدى الثياب الافرنجية ، وحذاء ابيض من
الكتان ، وطربوشا مصريا ، وربطة عنق رصاصية اللون ، حليق الذقن ، يعنى
بنفسه وبثيابه كثيرا لانه عشيق امرأة فى « المحل العام » ، اسمه عبدالكريم .
الثانى : نجار ، فى الثلاثين من العمر ، يضع على رأسه « اليشماغ » العراقى ،
يلفه كعمامة صغيرة « عصفورية » الشكل مولع بالغناء ، لاسيما غناء محمد
القبانى . وهو يقلده فى التغنى ببعض مقاماته . يحمل فى جيبه مديّة المائنة
من هذا النوع الذى اشتهر فى عالم الجريمة - فى بغداد - بأبى (الياي) .

فاما عباءته فخفيفة رقيقة كأنها نقاب سيدة عصرية ، لاتخفى شيئا مما
يرتدى تحتها من ثياب من الحرير شامية ، ومنطقة مزركشة ، وسترة من
(الشعري) . والرجل اريحي ، يدعى الحاج علوان . كبير الشاربين ، اعتاد
فى صدر شبابه ان يحلق لحيته كل يوم ، بيد انه صار يهملها اخيرا . ولا يهمل
اهماله اياها لانه يعجب بنفسه وبجماله الطبيعى اكثر مما يعجب بجماله
المصطنع . وهو فى غنى عن السيدة التى لاتطبق حبه الا اذا كان نظيفا حليق
اللحية . . يحمل بيده اليمنى سبحة من الكهرمان يسبح ، أو يعبث بها حين
يتجول متنزها فى الباب الشرقى من العاصمة ، وحين يكون فى احدى قهواتها ،
أو فى تلك الحانة التى كان وصاحباها جالسين فيها وما اليها من حانات أو
مطاعم ومراقص ينتابونها . الثالث : افندى من الموظفين الذين قضوا سنين
عديدة فى مراكز الالوية والاقضية . فى الثالثة والثلاثين من العمر ، قبيح
المنظر وسخة ثيابه . سكير ينفق معظم امواله على موائد الخمير . ليس له
أصل معروف ، فهو منحدر من اصلاّب غربية ، غير عربية . استوطنت اسرته
بغداد مدة طويلة فتخلقت باخلاق اهلها ، واصطنعت بعض عاداتهم وتقاليدهم ،

(*) البلاد . العدد ١٥ - السنة ١ - ٢٦ ت ٢ - ١٩٢٩ .

وتكلمت بلغتهم • وقد ادعى ابان الاحتلال البريطاني العسكري انه كردي من الخالدين ، ثم عاد فانكرهم بعد ان طالبه احدهم باثبات نسبه الكردي فعجز عن ذلك • ثم ادعى انه من اصل ايراني (آري) اذ ادهشته النهضة الجديدة التي نهضتها فارس • ثم عاد فانكر هذا الاصل بعد شهر واحد من الزمن • ورأى خير طريق امامه انتسابه الى العراقية الاولى ، الى الكلدانية مثلا ، اقتداء ببعض المصريين الجدد النازعين الى المصرية الفرعونية القديمة •
اسمه صفوة ، ويدعونه صفوة بك •

- ٢ -

كان شرب عبدالكريم وصاحبه النجار معتدلا • اما صفوة بك فقد استساغ خمر التمر ، وكان صرفا ، كما يستسيغ احدنا الماء القراح • وحين كان صاحبه يتناول الكوب الثالث ، كان صفوة يتناول الكوب الخامس أو السادس • واحمرت عيناه • وبلغت الحميا منه موضع الاسرار او كادت • وكان الحديث بين الصاحب دائرا على شتى المواضيع • فمن المغنية المعروفة جلييلة ، الى السيارات الكبيرة (الاوتوبوس) التي طفقت تحمل الركاب بين طرفي العاصمة في شارعها الكبير ، باجر بنخس ، ومن السياسة في البلد وهم فيها أجهل من دابة ، الى اخبار الكرخي شاعر العامة والثناء عليه وعلى قصائده • وكان صفوة بك مرجع صاحبه الوحيد - في بادئ الرأي - لتصحيح الحوار وصرفه عن مواطن الضعف والخطأ • بيد انه لم يعد - بعد ان سكر - يعنى بذلك كل العناية •

وقال الحاج علوان ملتفتا الى صفوة :

- « أقرأت الجريدة اليوم ؟ » •

والقى سؤاله هذا في شيء من الاهتمام والجد •

- « لا » •

قال صفوة ، ولهجته لهجة المتظاهر بعدم المبالاة ، وهو يعبت بسكين المائدة وسكت بضع ثوان قبل ان يسأل الحاج علوان سؤاله الدال على الاستهزاء بالصحف :

- « ماذا كان في الجرائد اليوم ؟ أو سمعت شيئا ؟ » •

أجاب الحاج وهو يرخي منطقتيه ويصق في الأرض :

- « لا والله • لم أسمع شيئا مهما • لكنني سمعت أحدهم يقرأ خبرا غريبا

من اخبار بغداد » •

قال عبدالكريم ، وهو يمضغ قطعة من الخيار :
- « انا ايضا سمعت الخبر يا حاج ! او ليس هو خير قتل نعمان امه اذ
رآها ورجلا غريبا عنها في (المسافر خانة) بالميدان ؟ » .
- « نعم . هذا هو الخبر المهم الغريب . عفرم ! لله درك يا نعمان ..
لا نامت أعين الجبناء ! ... »

وأخذه الاعجاب الشديد . ثم مضى يزهو مفتخرا بشجاعة البغدادي
نعمان ، وان كانت ملته غير ملته .

قال صفوة ، وقد تملكه الحسد :

- « وماذا في الامر من شجاعة ؟ »

وهم بالضحك .. قال الحاج مستغربا :

- « شلون ؟ .. عيني صفوة ! عمره ١٥ سنة ١٥٠٠ سنة كما كتبت
الجريدة .. صدق الشاعر القائل « لانامت اعين الجبناء » الجبناء الديوثين
الذين يغمضون اعينهم ، والنار في بيوتهم تضطرم ! »
والقى كلماته الاخيرة ، بلهجة الغيور الباسل المعتد بنفسه ، وضرب
المائدة بيده اليمنى ..

ولم ينبس صفوة ببنت شفة ، ولم يتحرك . وكان موجعا طعن الحاج ،
بل طالما سحق قلبه سحقا . الا لقد حسب الرجل ان صاحبه يشير من طرف
خفي الى ابنة اخته الارملة التي تقطن محلة (الطوب) وهو بعيد عنها يقطن محلة
(الفضل) لا يدري كيف تسعى فتذلل مصاعب الحياة ، لا يدري من أى مورد
تعيش عيشتها الراضية التي كان يحسدها عليها ، ومشاهرة (تقاعد) زوجها
المتوفى لاتتجاوز الثمانين ربية .

وكانت زوجه تتهمها قبل يومين - يومين اثنين ليس غير - بان لها موردا
خفيا ، وكان غير عابىء بقول زوجه ساعة سمعه منها ، ولكنه ادرك الان انه
كان مخطئا . ومن ذا الذى يعلم فربما كان الامر واضحا للناس وضوح الشمس
فى رابعة النهار . وان صاحبه الغيور الذى يخلص له الود لم يسمعه ما اسحقه
من كلم الا ليثير منه نخوته وشهامته الراقدة ؟ اجل . ذلك هو الصحيح الواقع
الذى لاشبهة فيه .. وليساله !

وكان مطرقا يفكر والسكر يزيده اعتقادا بانه طعن فى ساعته تلك طعنة
نجلاء وكان عنده ان توجيه السؤال الى صاحبه لابس به . وكاد ينطق به .
ورفع رأسه ينظر اليه نظرة مستطيلة . كانت نظرة المستطلع المستنطق الوجهه ،
وجه المجرم وما يبدو عليه من دلائل وعلامات .

واستغرب الحاج نظرتة . فقال له وهو يعبت بسببحته الفاقع لونها :

- « أو قد سكرت » -

ثم ضحك ضحكة عالية الرنين . ضحكة رآها صفوة في غير محلها ان لم تكن الدليل القاطع على انه يسخر منه عقيب ان هتك له الستار !

عض على شفته عضه قاسية . وانكشف لديه الشك المخامر . فعبس وجهه . ثم قام يقصد الى بيت الماء مترنحا . وسمع وهو على قيد اربع أو خمس خطوات من مائدتهم الحاج علوان يقول محاورا عبدالكريم : والله سأذهبن غدا الى دائرة الملا الشاعر . وانه لصديقي الذي لا يرد لي سؤالا وسأرجوه ان يمدح الشهم البطل نعمان الماحي وصمة عاره بالخنجر بقصيدة

وعاد صفوة اليهما وقد تغيرت سحنته ولم يعد يطبق الصبر على المكث في الحانة أو النظر الى الحاج . وقال يخاطب صاحبه الثاني :

« العفو يا عبدالكريم . لن اذهب واياكم الى جليلة هذه الليلة . اشعر بصداع يحطم رأسي . . . »

وتناول سدارته . وزايل المجلس كالغضبان . وناداه الحاج يستوقفه . فما وقف . وما أعاره التفاتا . وأسرع عبدالكريم مبادرا الى مساعدته على المشي متجنبيا الاستمرار في مكالمته . فوقف صفوة يرجعه قائلا : « أنا سكران ؟ . . . »

ولحق الحاج بهما - على اثر ادائه الى صاحب الحانة الثمن - شاعرا بتغير صفوة تغيرا لم يكن يتوقعه . ومعتزما مرافقته في مركبة الى داره . . . وانطلق صفوة يعربد بين صاحبيه ميمما الباب .

- ٣ -

في دار صفوة بك . بعد نصف ساعة .

الصريخ - صريخ الزوجه - بالغ عنان السماء . وهو حاسر الرأس . وبيده سكين كبير من سكاكين المطبخ . والزوج ممسكة بشيابه لدى باب المطبخ تخاطبه :

« ماذا جرى لك في هذه الليلة ؟ يا ويلتاه ! أوتريد ان تدخل السجن ؟ » اية سكرة ! . . . اية فعلة تريد ان تفعل ؟ ويك ارم السكين أوقد جننت ؟ يا الهى ما هذا النصيب الاغبر الذي كتبت لي ! وهو يقول كالمجنون :

« دعيني ويلك دعيني ! آه ! انا صفوة . . . انا الشهم صفوة ! لانامت أعين الجبناء . كفى اليوم . . . كفاني الخزي والعار . والله لاسكننها القبر في هذه الليلة »

- ٣٨٦ -

وهي تزداد تمسكا به ، وتزداد صريخا . وهنا كان الجيران يهرعون اليهما ، وفيهم اربعة رجال سمحت لهم بالدخول ، وانسحبت الى مخدعها تبكى ويوشك أن يمزق قلبها الالم المكتوم .

وباسرع من الملح اختطف احدهم السكين من يده ، ووقف الباكون هازئين به ، وقد أدركوا ما وراء الاكمة . وكانوا يعلمون من سيرة ابنة شقيقة جارهم الشيء الكثير .

وما زالوا به حتى أصعدوه السلم ، ثم أرقدوه في فراشه . وكان آخر الامر مستسلما لهم ، على انه لم يكف عن قوله :

— « أنا (خس ، يازغ علي) أ الى هذه الحالة وصلت ؟ صبيرا صبيرا فالايام بيننا يا »

والقى على زوجه « مقدارا كبيرا » من مثل هذا الهذيان قبل أن يسكن

وينام .

* * *

واذ حل اليوم التالي لم يذكر صفوة بك مما حدث له في الليلة الماضية ، في الحانة وداره ، الا رسوما مبهمه كالظلال راحت تمحوها يد النهار المسفر شيئا فشيئا .

٦ - رسائل *

هو فتى فى العام الخامس والعشرين من العمر . مرهف القوام .
أسمر اللون نحيف . شاحب الوجه . عرفته قبل سبعة أعوام فقيراً ذا
عقيدة « اسلامية » قوية يؤدى الفرائض كما يؤديها مؤمن مخلص فى حبه
لله ورسوله . وكنت فى « الديوانية » آنئذ مديراً لديوان التحرير فى صرح
« سراى » حكومتها . وكان الفتى خادماً أو عاملاً فى احدى دوائر القطار .
ثم أخرجوه من معمله فاستخدمته . وكان يجيد الطبخ وطريقته فيه الطريقة
العربية المعروفة فى دور العراق التى مازالت على نظامها القديم . ثم تزوجت
فاضطررت الى فصله من عمله فى بيتى . وبعد بضعة أشهر عين « فراشاً »
فى صرح الحكومة .

* * *

كان خلق الفتى حسناً . فكنت اعجب بما كان يتحلى به من فضائل
منها الصدق فى القول وكان قليل الكلام يؤدى اعماله هادئاً . على انه كان
عصبى المزاج . ويكثر من التدخين واحتساء الشاي . وبدألى فى آخر ايامه
من عاداته ما استغربته . فقد أنشأ يصلى صلاة العشاء فى السرداب حين
كنت أرقد فى سطح الدار . وكان السرداب مظلماً عميقاً موحشاً ، وراح
يمتنع عن تناول الطعام ، فيصوم يوماً أو يومين من كل اسبوع . ويخلو
بنفسه احياناً عقيب ادائه صلاة الفجر فيناجى الله ويهتف باسماء اهل
البيت المطهرين ويبكى .

* * *

وزوجه ابوه بفتاة من ذوى قرياه . كان راغباً فيها . ولكنه نازعها فى
أواخر الشهر الاول الذى مر على زواجه . وتركت الديوانية بعد سنة أو
سنتين وأنا أعلم من أمره انه كاره زوجه . وانه مخالف أباه فى كثير من
شؤون الحياة اليومية والبيت .

وتلقيت منه فى عيد من أعيادنا الماضية بطاقة تهنئة . اعقبتها رسالة
مطولة يشكو فيها ظلم الفراشين انداده اياه . وانه يخشى ان يتهموه بما
يجعله فى نظر اولى الامر مجرماً أو مقصراً فى تأدية الواجب . واجبتته
ببساطة شكر على بطاقة تهنئته .

(*) نداء الشعب (بدل البلاد) العدد ٢٩٨ - السنة ٢ - ٧ ت ٢ -

١٩٣٠

واهملت رسالته . ومرت بعد ذلك سنة وبعض سنة ولم اظفر من
انبائه بما يطلعنى على ما صار اليه . وفى اليوم الثانى من الشهر الماضى .
بينما كنت الصبح فى مكتبى دخل على ساعى البريد فناولنى رسالتين .
ففضضت الاولى فوجدت توقيعه فيها « السيد كاظم بن على » وفضضت
الثانية فوجدت فيها توقيعه كذلك واليك فاتحة رسالته الاولى :

الى سيد محمود احمد دام عزه

« فاما منظر العشائر نخبركم عن ملبوسهم جاكيت افرنجية .
جوارب ابريسم قندرة كلاصى قلم باندان . وماكولهم أيضا على افرنجية .
والثانية نخبركم عن الحنطة والشعير الذى فى كل يوم يأخذ بنقيصة والان
ما ينباع . ودائما رؤساء العشائر يشكون احوالهم عندى الذى ٧٠٠٠
و ٨٠٠٠ و ٦٠٠٠ روبية مديون . وأخذوا سيارات بالدين وعودوا ارواحهم
على تمن عنبر ولحم دجاج ومشروب ٠٠٠ ومن الرؤساء واحد يقول لصاحب
« الكانتين » ابعث لى اربع بطالة بيبره ابعث لك اربع وزنات شعير عوضهن ٠٠
« عن اقرار السيد كاظم » .

وتحت التوقيع هذه الاشارة التى لم اهتم الى معرفة ما يرمز بها اليه
(م-٧) ثم يقول فى ذيل الكتاب انه « رزقه الله تعالى بمولود انثى فى يوم
وفاة الامام على عليه السلام فأراد أن يقتلها فقالت له أمه لا تكن مثل
عبدالرحمن بن ملجم . فاستغفر ربه وتاب اليه واستحيا ابنته » . واغرب
من هذه الرسالة رسالته الثانية فانها تنطوى على نظام للقبائل ورؤسائها قد
« سنه » بغية منع السرقات وتأمين السبل ورفع الفساد من الارض .
ويقول فى خاتمتها « سيدى وانت انظره - اى النظام » برأيك فان وافق
انفذه . هذا ما اجتهده . فلان الخ ٠٠ »

* * *

وفى اليوم التالى تلقيت منه كتابا ثالثا . فاتحته قصيدة فيها انه من
جند الله . وان سيفه قاطع وان فى يوم الاخرة لا ينفع صديق ولا شقيق ولا
أم ولا أب سوى الله . وانه لذلك سوف يتبرأ منهم أجمعين وفى ضمن
الكتاب هدية هى مجموع صغير من طوابع البريد « المستعملة » .

* * *

ما رأيك أيها القارىء ؟

لقد بلغنى بعد ذلك ان المسكين هجر بيته وزوجته . وانه خولط
فى عقله .

د - قصص اخرى *

قصة الملا القديم

١ - الفلقة *

خلف شوقي أمين الداوي

واذا ما خانتها ذاكرته ونسى بعض الحوادث والذكريات التي مرت عليه في ثلث جيل من عمره فانه لن ينسى ذكريات الطفولة ذكري عهد الصبا ، وذكري الصبي هي أحلى ذكري يحفظها الانسان في سويداء قلبه . اما صاحبنا فاذا ما ذكر الصبا فانه يتذكر بكل ما لديه من قوة خيال ذلك اليوم الذي مسكه فيه والده من يده وذهب به الى مكتب الملا محمد علي . الواقع في غرفة من غرف جامع المدينة . ولم يكن في البلد يومذاك مكتب حكومي أو أهلي اخر غير مدرسة او بالاحرى مكتب « الملا محمد علي » ولم يكن بد من ادخاله في هذا المعهد او ان شئت فادعه « بالروضة » سواء أراد أو لم يرد . وكان اذ ذاك في الثانية عشر من عمره .

— « لك اللحم ولي العظم يا ملا ! »

كان هذا أول كلام صدر من والده الى الملا ولم يكن والده بالرجل المتعلم أو المتوسط سوية ولا بالامى البحت وانما كان بين هذا وذاك كان يحسن ترتيب القرآن على القراءات السبعة ويحفظ الادعية الماثورة في (دلائل الخيرات) ويجيد قراءة الرسائل التي كانت على نسق واحد يومئذ تلك الكتب أو الرسائل التي تبدأ « الى جناب عالي جناب لب الالباب وسلالة الاطياب الداخلى بالجود والمعرفة من كل باب » أما اذا انحرف الكاتب وافتتح رسالته بمقدمة غير هذه فكان يضطر والده الى أن يتعلم لكي يجد وقتاً ليتهجأ الكلمات !!

جلس (ش) حيث أمر وتربع على حصير كان الفراش الوحيد الذي يعلو أرض الغرفة !! واقترح الملا على والده ان يجهزه بصندوق من خشب ودواة من زجاج وتنكة للمشق مع خرقة بالية ولم تمض ساعة من الزمن الا و (ش) يتصدر صندوقاً جديداً وعليه « تنكه » تلمع وامامه قلم ودواة اما القرطاس فلن تمسه يده الا بعد سنة بعد أن يتقن الكتابة « على التنكة »

(*) وهي قصص اعتمد عليها البحث وقد رتب حسب تاريخ نشرها .

(**) النشء الجديد ج ٢ - السنة ٢ - ١٩٢٨ . ص : ٩٩ واتمها في العدد

٥-٤ - السنة ٢ - ايلول ١٩٢٨ .

ويجيد مشق « اذا جادت بك الدنيا » و « من تذكر جيران بنى سلم » بعد
« رب يسر ولا تعسر » ١١ .

كان يشكر الله لانه كان « خاتما » القرآن وكثيرا ما كان يبتهج في سره
وجهره كلما تذكر (الختمة) لانه كان يتذكر انه انما ختم القرآن في ستة
اشهر وقل من يختم (القرآن) في ستة اشهر الا الذكى ! وكيف (صرف)
التلامذة عندما وصل « لم يكن » وكذلك لما وصل « والفجر وليال عشر »
فكانت في الاولى « حلوى بكن » (١) وفي الثانية (دهن يجرى) اما عندما
لفظ قوله تعالى « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » من سورة البقرة ازدان
بيتهم ذلك اليوم بافخر ما عندهم من زينة وضج بزغرودة النساء وكيف احاط
به التلامذة وهم ينشدون نشيد (الختمة) :

« الحمد لله الذى نحمدا • آمين • حمدا كثيرا ليس يحصى عددا • آمين •
يا امى قومى وافرشى الحريرا • آمين • وهلى وكبرى تكبيرا • آمين • الخ »
تمنى فى تلك الساعة ان لو كانت الاقدار ساعدته على ان يختم (القرآن)
عند هذا الملا لا فى بلده الاول لكان فى وسعه ان يجلب رضاء الملا بالهدايا
والولائم ولكان الصبية يتحدثون بعظمة زفته !

- جيب تنكتك !

قطع أمر الملا هذا عليه سلسلة افكاره فقام وهو يرتعد خوفا ووجلا
وذهب نحو الملا ويدها ترتجفان من الرعب وناولته التنكة .

تناول الملا التنكة من يده بشدة ونظر اليه بغضب • ولم يكن غضب
الملا ناشئا عن سبب وانما هى « خطة » الملا يتبعها دوما مع التلميذ الجديد
ليرسل الخوف والرعب الى قلبه ولكى يهاب جانبه ويخشى بطشه وليعلم ان
بطش الملا لشديد •

وقف (ش) امام الملا كتمثال قد من صخر ينتظر كتابة « السطر » له •
لكن الملا لم يبدأ فى الكتابة •

تناول الملا علبة سكاثره وكانت من خشب اسود عليها نقوش عادية
بماء فضى • ولف من التبغ الذى فيها سيكارة و (ش) واقف ينتظر •

رفع بصره لكى يشغل نفسه من النظر فى وجه الملا فرأى تلك «العصاة»
الضخمة ذات «الثقبين» يصل بينهما حبل من قنب فعرف لساعته انها «الفلقة»
الملعونة عدوة الصبيان ! أى نعم هذه « المربية » وهذه احدى العاب « روضة
اطفالنا » فى الكتاتيب فى اوائل القرن العشرين بل وفى هذا اليوم !

اقرأ ولك حمزة ملعون ابن الملعون ! تلك كانت صيحة خرجت من فم
(مربي النشى) الملا محمد على يخاطب بها تلميذا تجاسر على محادثة رفيق

(١) بكن كلمة فارسية معناها • عمل • جنت عليها القافية (المؤلف) •

له بجانبه ! و (ش) واقف ينظر وأخيرا مسك الملا القلم بين اصابعه وكان قلما ممتازا . يمتاز عن سائر أقلام الصبية بخطوطه وتقاطيعه وكان من الخيزران لا القصب وكان محذور على الصبية استعمال قلم من ذلكم النوع تشبها بالملا لان في ذلك تجاوزا على كرامة الملا والتجاوز على كرامة الملا أمر دونه الخروج على طاعة القانون . شرع الملا يكتب . ولكن لم يسمع لقلم صرير . الا ان ذلك لم يكن بناشئ من عجز الملا وانما سببه التنكة وصرير القلم انما يسمع من درب ساعة اذا ما كتب على القرطاس لا على التنكة وهذا أمر هام يجب ان يدركه التلامذة وفي مقدمتهم - ش - لانه تلميذ جديد !

- اقرأ سطرک يا ولد ۱۰۰ -

صد الحبيب ولج في هجراني وجنى علي وقال انت الجاني هذا ما كتبه الملا له ، ولكن اني ل - ش - ان يقرأ هذا السطر قراءة صحيحة وقد تداخلت احرفه بعضها ببعض تداخلا تعمدته الملا لكي يظهر مقدرته في المشق الى تلميذه الجديد !! ولم يكن لديه متسع من الوقت ليفتكر فيه فقرا سطره هكذا :

صد الحبيب ولج في هجراني وجنى علي وقال ابن الجاني - شنو ؟ ما شاء الله . من هالمال حمل جمال !!! هم ابوك فرحان وعنده ولد في الملا !!

وعلى هذا النحو بدأ الملا يشجع تلميذه الجديد . اما تعليمه قراءة السطر ومعنى الكلمات فلا ، وهنا نادى الملا على - كليكل - الخلفه وامره بان يدرس - ش - مشقه .

ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي انتفخت فيها اوداج (الخلفة) في مثل هذه المواقف ، فلقد سحب « ش » من ردايه بكل كبرياء ، وبدأ يقرأ له السطر كلمة فكلمة و - ش - يكرر ما يقوله الخلفة .

« صد صد . الحبيب الحبيب . ولج ولج . »

- اياك واياك تنسى مشقك تره الفلقه حاضرة ولما سمع بذكر « الفلقه » ارتعدت فرائضه رعبا وشرع يترنح ذات اليمين وذات الشمال فالى الخلف والامام وهو يردد (صد الحبيب ولج في هجراني) حتى حفظه على ظهر قلبه واذا ما حفظه فانه لم يحفظه حبا ب « الحبيب » ولا طمعا في تعلم سطر المشق او جلبا لرضاء الوالدين وانما من هول الفلقه .

وكان في مكتب الملا رموز وعلامات واصطلاحات تعلمها - ش - في يومه فكان اذا اراد الاستئذان لشرب ماء . يرفع سبابته او اذا شاء قضاء حاجته يرفع ابهامه اذ ان التلامذة كانوا مضطرين الى الجلوس في مقاعدهم من الصباح حتى الظهر ومنه حتى العصر فلا فرصة ولا ضحكة ولا كلام غير

الترنج من اليمن الى الشمال ومشرق ولحس تنكات بالالسن وابهام يرفع
وسبابة تنتصب . . وكان قد علق الملا لوحة صغيرة على باب الغرفة كتب على
صفحتها الاولى (راح) وعلى الثانية (جاء) حتى اذا ما خرج تلميذ الى خارج
الغرفة يحتم عليه ان يتأكد من عدم وجود احد غيره فى الخارج بواسطة النظر
الى اللوحة فان كانت على صفحة (راح) فعليه ان ينتظر اما اذا كانت الثانية
(جاء) فله ان يستأذن كما مر اما الملا فانه يجيب على الطلب بميل عنقه نحو
الباب أى يعنى « اخرج » وكم كان الملا فخورا باختراعه هذا وكم كان يتبجح
ببدعته هذه اذ انه كان يظن بانه توفى الى ضبط التلامذه وعدم السماح لوجود
اثنين فى الخارج فى وقت واحد وفاته ان التلامذة قد سبقوه « باختراع مضاد »
لبدعته تلك . فقد تواطؤ فيما بينهم على ان لا يقبلوا اللوحة على صفحة (راح)
وانما يكتفون بمجرد لمسها وتركها على حالتها (جاء) ان خرجوا وان عادوا
وبذلك تمكنوا من الاجتماع خارجا زمرا زمرا ومن الضحك على ذقن الملا وعلى
عقلية الملا !!!

واختراعات الملا ليست هذه وحدها فله اختراع آخر لا يقل اهمية من
الاول ذلكم هو « التمغة » الخشبية ذات النجمة والطلاسم . وكان لكتاب
- بدائع الزهور - الفضل الاكبر على الملا فى اختراعه هذا فان نقوش تمغته
كانت صورة طبق الاصل لطلسم من طلاس الكتاب الكثيرة وفوائد هذه
« التمغة » هى : طبعها بالمداد على ساق التلامذة لمنعهم من السبح فى الشط
أيام الصيف ! ولا فرق بين من يحسن العوم ومن لا يحسن فالكل امام التمغة
سواء ! والشئ الوحيد الذى يؤاخذ عليه الملا هو انه لم يسجل مخترعاته عند
كاتب العدل ، لذلك ترى ان التمغة كانت ملكا مشاعا عند كل ملا فى كل
بلد !! ولكن تمغة الملا محمد علي كانت تمتاز على غيرها بالطلسم الموجود فيها
ولو كانت المطبعة تحوى رموزا سحرية لنقشتها لك ولرايتها جديرة بكل
تقدير ومنتاسبة مع عقلية الملا محمد علي !!!

ازفت ساعة الانصراف وضرب الملا بعصاه الارض فاخفت الاجزاء
ورفعت الرحلات ووضعت التنكات فى الصناديق .

- يالله اصطفوا واحد واحد !!

وكان هذا الامر من كليكل الخلفه وكان على التلامذة الاطاعة العمياء .
فوقفوا جميعا كل فى مكانه . ورفعوا الاثواب وكشفوا عن سيقانهم ونزل
كليكل بالتمغة على ساق كل واحد منهم .

يبس المداد وانزلت الاثواب وتقدموا واحدا واحدا بعد واحد نحو الملالشم
يده لانها يد الملا ويده الملا مباركه لسببين : الاول لانها مشعره كان عليها من
الشعر مايندر ان تراه فى شخص آخر والرجل المشعر قد بارك الله فيه على
لسان نبيه ، والسبب الثانى لان يد الملا تحمل « العصا » تلك العصا المباركة

التي «خرجت» من الجنة! .. ودع هذا وذاك ليست هي يد مولى! واذا كان من يعلم حرفاً يملك المعلم - بضم الميم وفتح اللام - عبداً فكيف بالملا وهو يعلم احرفاً كل يوم!

ولم تكذبوا اقدمهم أرض فناء المسجد حتى ضج بصياحهم فكانوا يقفزون ويهرولون وكانوا جذلين فرحين فرح السجين المنطلق من سجن طويل .

عاد «ش» الى داره حيث وجد والده وقد ادى فريضة الصلاة ليتعهد حديثه قضاء للوقت وقبل يده كما هي عادته!

- كيف قضيت نهارك يا بنى .

بأى شيء يجيب والده يا ترى!! يقول له بانه لا يحب هذا الملا ولا يميل الى سطره ومشقه! فالويل له ساعتئذ . وأخيراً رأى ان احسن طريقة له هي ان يتظاهر بالرضاء فاجاب والده بما كان يؤمله :

- كتبت مشقاً على التنكة خمس مرات .

- ما كان سطرک؟

وكان «ش» حافظاً سطر مشقه فكان سريعاً في تلاوته على مسامع والده:

« صد الحبيب ولج في هجراني » الخ ..

وكان المداد الموجود على انامل «ش» ولطخات المداد التي على ثيابه احسن شاهد على صدق قوله وطرب والده عندما سمع ابنه يقرأ له سطرأ غريباً في معانيه وكلماته فلم يتمالك من الابتسام ومن ان يقول له « آفریم ابني » .

وكان الليل قد انتصف عندما قام والده من فراشه على اثر ضجيج طرق سمعه فانصت فاذا به يسمع ابنه يهذي في نومه ويقرأ سطر مشقه وهو غارق في سبات عميق صد الحبيب ولج في هجراني - واذا يسمعه والده يقرأ هذا البيت يطير فرحاً ويوقظ زوجه لكي تنصت الى ابنها وهو يتلو سطره فتنتبه امه مذعورة ويهذي ابوه روعها ويخبرها بجلية الامر واذا بهما مسروران لا يملكان انفسيهما من ان يقبلوا فلذة كبديهما وهو غارق في نومه قبلاه قبلة اودعا فيها كل معاني الحنو الوالدي . ولو علما بانه انما كان يهذي في نومه خوفاً من الفلقة لاشفقاً على ولدهما ولفضلاً تركه جاهلاً امياً - ان لم يكن في استطاعتها ارساله الى مدارس بغداد - من ان يتصور «الفلقة» وهو نائم!

وقام «ش» على نداء امه وارتدى ملابسه على عجل وتوارى عن الابصار، بدون تناول فطوره . ولم يفده صياح ابيه أو امه وانما راح يعدو نحو الباب لا يلوى على شيء لان الشمس كانت قد اشرقت وارتفعت نحو رمح من الارض وهذا هو ميعاد الدوام في الملا .. اما ابواه فقد ظنوا بان قلب ابنتهما قد تعلق ب « الملا » بدرجة انه يفضل الدوام في الوقت المعين على راحته وطعامه ومن اين لهما ان يعلموا بانه راح يعدو الى الملا لا حبا بالدوام ولا طمعاً في تعلم الكتابة

وانما خوفاً من أن يأخذ الملا اللحم ويترك العظم لأبيه !! ولم يكن عند «الخلفة» سجل دوام يثبت فيه الحاضر والغائب وهكذا لم تكن ساعة الدوام معينة وحتى الملا نفسه فانه كان يجهل ساعة الدوام . ولم جدول دوام وساعة دوام . وسجل دوام ، طالما الامر كله بيد الملا !؟

وأخيراً بانث طلعة الملا البهية فكان سكوت عميق دونه سكوت القبور .
جلس الملا حيث محله وامر الخلفة بأن يفتش على « التمغة » فرفعت الاثواب عن السيقان ، واذا باحد التلامذة بلا « تمغة » فتوسل بالخلفة ولكن من غير جدوى فاسرع الى اخبار الملا بالامر فامر هذا بتفليقه فجذبه كليكل وجدله على الارض ونادى على اثنين من التلامذة كانا معاونين له .
ادخلت رجلا التلميذ في العود ولف الحبل عليهما وقامت الخيزرانة بواجبها حق قيام !!

– والله ملا لعبت وعرقت ومحيت التمغة !

دخيل ملا !! التوبة ملا !! الله يحفظ لك جاسم يا ملا – وجاسم هذا ابن الملا ولم يكن جواب الملا غير التشديد في الضرب . .

وأخيراً عجزت يد الملا وانفلقت الخيزرانة فتركها الملا وكف عن الضرب ! وحل وثاق قدميه وقام التلميذ المسكين وهو في اسوأ حال من الألم وراح الى مكانه وهو يعرج لانه لم يطق تحكيم قدميه على الارض وحبس دموعه في الحال .
اما – ش – فكان يرتعد في محله من الخوف . كان يرتعد خوفاً لانه كان يخشى ان يناله يوماً من الايام ما نال زميله المسكين من ضرب شديد وعاد التلامذة الى حالتهم الاولى كان لم يكن هنالك حادث يذكر .

وفي حقيقة الامر لم يكن ذلك بالشيء الغير اعتيادي فلطالما رأوا امثالها بل ونالوا امثالها !! الا – ش – فانه كان حزينا من هذا الحادث وكان يستنكر في سره هذا العمل وكان استنكاره هذا من ضعف الايمان فانه يرى مكروها ولكن لا يستطيع أن يغيره بيده او لسانه سوى قلبه ومن اين له تلك القوة والسلطة لتفليق الملا يوماً من الايام لكى يوف هول الضرب . . ولكنه لا يملك غير قلب صغير الحجم كبير الشعور . .

– ٢ –

شرع «ش» يمشق في تنكته على سطره الذي كتبه الملا له بالامس وكلمة سود التنكة بكتابتة المعوجة كان يعرضها على الخلفة فكان ينظر اليها شزرا ومن وراء انفه دلالة على ان المشق لم يعجبه اما ارشاده الى الخطأ فلا ! ومن اين للخلفة تلك المعلومات حتى يرشد التلميذ الى مواطن الضعف ؟

« شوية زينه !! اكتب احسن نوبه الخ !! »

هذا ما كان يقوله « كليكل » للتلامذة ، ومن بينهم صاحبنا «ش» ويعود هذا الى مكانه ويشرع بمسح مشقه بالخرقة البالية . واذا ما اعوزها البلب فكان فمه يجهزه بالماء من ريقه وكلما اشتد سواد اللسان دل ذلك على اعتناء الصبى المسكين بالنظافة ، وعلى حسن مسحه التنكة .

ولم ينتصف النهار الا و (ش) قد سود التنكة سبع مرات متواليات ولم يسود تنكته حبا بتعلم الكتابة ولا ارضاء للخلفة او استجلابا لتوجه الملا وانما خوفا من الفلقة .

اذن الظهر وكان ذلك دليلا على موعد الانصراف الى الغذاء فشخصت الابصار نحو الملا ينتظرون اول اشارة تبدو منه . فضرب بعصاه الارض وقام التلامذة حسب عادتهم وانصرفوا مشى وثلاث ورباع حسب عادتهم بعد ان تشرفوا بلمس يد الملا الكريمة .

وكان التلامذة يتسابقون الى العودة الى (الملا) - المكتب - لكي يجتمعوا هناك قبل حضور الملا والخلفة لا ليدرسوا او يمشقوا وانما لكي يتكلموا مع بعضهم البعض ويتدلّموا بصراحة وبصوت عال لاهمسا ولا وجلين . وكان (ش) يعرف هذه القاعدة فما كاد يصل البيت الا وركض نحو « السلة » فرأى تحتها الخبز وبعض « المدكوكة » فوضع الاثني تحت ابطه وعاد ادراجه من حيث أتى وكم سر هذا العمل امه ظنا منها بان ابنها تعلق بالملا بدرجة انه يكره المكث في البيت ولو لخمس دقائق من الزمن اما «ش» فلم يذهب رأسا الى الملا وانما ذهب الى جاره احد التلامذة لكي يستصحبه ويذهب سويه الى الملا كما اتفقا على ذلك . والتلميذ الشاطر من جاء الى الآخر ينتظره على باب دارهم ليأخذه الى الملا . . .

* * *

قضى (ش) شهرا من الزمن على هذا الحال لا يهدأ له بال ولا يستقر له قرار يبكر في الصباح وعند الظهر لا يسبح في الشط ولا يتخاصم في الملا مع أحد ولا يلعب في الطريق مع اقترانه لا لانه كان صبيا هادئا يخلد الى السكينة وانما خوفا من « الملا » واذا خاف بطش الملا فانما كان يخاف الفلقة . . .

كان يتجنب التأخر في الحضور خوفا من وشاية الخلفة وكان يمتنع من السبح في الشط خوفا من الفلقة . وكان يخشى الخصام مع التلامذة خوفا من العصا ولا يلعب في الطريق خوفا من شكاية ابيه الى الملا . اذ طالما هدده بالشكاية الى الملا اذا تعدى على احد أو شتم صبيا أو كدر أمه أو تعدى على أخيه أو شقيقته . واذا ما شكاه الى الملا فانما يذكره بمقاولته التي عقدها معه يوم دخل (ش) في مكتبه (لك اللحم ولي العظم) .

اجتمعت هذه العوامل على (ش) فجعلته كئيبا لا يأنس بشيء من هذه الدنيا وصيرته صبيا خجولا ساكنا هادئا يذهب في طريقه ويعود منه بدون أن يلتفت ذات يمين أو ذات الشمال وأصبح لذلك مضرب الامثال في الوداعة حتى أنهم كانوا يقولون عنه انه (وديع) بدرجة « تموت الذبابة بحللكه » !!

أما « الملا » فلم تفتت هذه « الوداعة » من «ش» فلقد أعلن عنه أمام التلامذة بأنه راضى عنه وكم كان «ش» مسرورا بهذا التصريح الخطير اذ قلما ينطق الملا بكلمة الرضا . شجع هذا الاعلان صاحبنا «ش» فحمله على ان يستزيد من بضاعته تلك فقام يصحب اياه في الذهاب الى المسجد لاداء الفرائض الخمس وفي حضور الوعظ وجلب عمله هذا نظر فضيلة المدرس (ق) مدرس القضاء يومئذ ولم تمض بضعة ايام الا وفضيلة الشيخ يكلف ابا «ش» ان يشتري (الاجرومية) الى «ش» ليدرسه الصرف والنحو في كل صباح قبل الذهاب الى المدرسة . وهكذا كان فلم تمض بضعة ايام الا و «ش» يتأبط (الاجرومية) ويحضر اول درسه .

دخل «ش» غرفة المدرس فرأى أمامه ثلاثة من التلامذة في سنه معممين جالسين جلسة خاصة أمام المدرس فعلم لساعته ان هذا النوع من الجلوس خاص في الجلوس أمام المدرس فثنى ركبتيه وجلس جلسة المصلي عندما يقعد لتلاوة (التحيات) وكانت القاعدة التي يمشى عليها الاستاذ الشيخ هي « المدرس لمن سبق » وحيث ان «ش» كان آخر من حضر لذلك بقى آخرهم « الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع واقسامه ثلاثة » كان هذا اول جملة قراها (ش) من اجروميته ولكن المدرس لم يكتف بالمتن وانما شرح له معنى الكلام في اللغة ومعناه في الاصطلاح فعلم (ش) ان معنى الكلام في اللغة هو ما تكلم به الانسان قليلا كان أو كثيرا مهملًا أو مستعملا واما معناه في الاصطلاح فهو الكلام المركب المفيد بالوضع واقسامه ثلاثة : اسم وفعل وحرف الخ . .

وراح (ش) الى الملا وقلبه يطفح سرورا لانه كان يتأبط خيرا ! كان يحمل الاجرومية بين ابطنه والتلامذة لا يقرأون الاجرومية وكان (ش) فخورا باجروميته لان الملا نفسه لم يدرس الاجرومية ولكنه لم ينس كتمان ذلك وعدم التفاخر بكتابه ذاك خوفا من (الفلقة) .

وأخيرا قرر الشيخ المدرس أن يطلب الى والد (ش) ان يلبسه العمامة والجبّة لما رأى فيه من الكفاءة . ولم يكذب يعلن والده ذالكم الخبر السار أمام امه الا وقامت تزغرد من الفرحة وشاع الخبر في المدينة فجاأ الاصدقاء يهنئون والديه ويدعون لهما بطول عمر «ش» وان يوفقه الله الى طاعته ويجنبه عن معصيته .

وما كادت شمس اليوم الثاني تشرق الا ويروح والده الى احد البزازين ويشتري له (طولاً من الشعرى) لعمل الجبة وبضعة اذرع من الخام المعروف

بالمبزر ، ولا تسئل عن السرور الذى اصاب (ش) عندما تردى العمامة
وتجلبب بالجبة فى ذلك اليوم ولم يكن سروره ناشئا من انتسابه الى مسلك
العلماء ولا لانه سوف يدرس الصرف والنحو والفقہ وانما لانه سوف
يتخلص من (الفلقة) حسب اعتقاده .

وفعلا أثرت الجبة والعمامة على نفسية (ش) فأصبح شابا فى العمر
كهلا فى العمل يصوم رمضان ويؤدى الفرائض الخمس ويصلى التراويح
والتسابيح وكان يعتلى « المحفل » كل جمعة ويتلو القرآن من وقت التمجيد
حتى الأذان .

ومن احدى التغيرات التى طرأت على نفسية «ش» انه أدرك بعقله بانه
لم يصبح ذلك الصبى الذى كان يجلس وراء صندوقه الخشبي وهو يرتعد
خوفا ووجلا ، ولم يعد ذلك التلميذ الذى يتمخ بالتمغا ، او توضع رجلاه فى
الفلقة ولم ير الملا بدا من نصبه « خلفه » على التلامذة لا لان « كليكل »
ترك المدرسة فقط وانما لان « ش » أصبح طالب علم واكمل الاجرومية وشرع
يدرس مجموعة الصرف من (شافى) و (مراح) و (مقصود) و (البناء) والامثلة ،
ومن النحو (ملححة الاعراب) و (شرح خالد) و (الازهرية) و (شرح القطر)
وكم كان الملا يخشى الفشل عندما يسمع «ش» يقرأ عن ظهر قلبه من ملححة
الاعراب .

اقول من بعد افتتاح القول بحمد ذى الطول شديد الحول
أن يسأله عن معنى كلمة أو عن مسألة نحوية ويحط من قدره فى نظر
التلامذة !! لذلك قرر أن لا يترك فرصة تمر دون ان يظهر امتنانه من آداب
«ش» ومن ذكاء «ش» . ولكن كان فى باطنه يفتش عن طريقة يخلص بها من
هذا التلميذ الثقيل الوطأة . لانه لو بقى عنده سنة أخرى وحتى بضعة
أشهر آخر فلا بد ان يقرأ الفاتحة على شهرة الملا وعلى مقدره الملا وخط الملا .
الا أن الرياح جرت بما لا تشتهى سفينة الملا حيث ان والده قرر تركه
فى المدرسة بالرغم من تقدمه فى دروس الصرف والنحو لكى يحول بينه وبين
قضاء (ش) اوقاته فى الاسواق او مع زملائه المعممين فى منازلهم . ولم يكن
والده مخطئا فى نظريته هذه لانه رأى زملاء (ش) بام رأسه يقضون اوقاتهم
فى اللعب بالورق قتلا للوقت ؟ واللعب بالورق من المحرمات ومن الكبائر
التي لا تفتفر .

ولقد حدث ما توقعه الملا اذ سأله «ش» ذات يوم عن الفرق بين
(سألتمونيها) و (اليوم تنسأه) و (هويت السمان) و (اتاه سليمان)
وهى كما تعلم الحروف الزوائد فى الصرف وهى عشرة ، الا أن الملا لم ينتبه
الى النكتة ومن اين له ان ينتبه اليها وهو لا يعرف غير قراءة القرآن وكتابة
اسطر مشق محدودة فاجابه بحددة : ارجوك يا ابنى (ش) ان لا تلهى الولد
بالشعر هنا مدرسة علمية . . اسأل من جناب المدرس . .

٢ - قاتل يتألم *

وديع جويده

كل شيء هادئ ، بين آونة وأخرى يسمع نباح كلب أو نهيق حمار أو صفير العسس وفي بعض الاحيان يصادف ان تجتمع هذه الاصوات فتشكل ضوضاء هادئة في صميم الليل الساكن !

في أحد الاذقة الضيقة حانة صغيرة يلتجئ إليها في الليالي الممطرة الباردة بعض الحوذية والحمالين . وعلى نور المصباح الزيتي الاحمر كان جماعة من الصعاليك يلعبون القمار فكانت خيالاتهم وخيالات مقاعدهم تقع مكبرة على الحائط من جراء النور المرتعش .

دخل الحانة رجل وسط القامة متدثر بعباءة سوداء فلم يثر دخوله اى اهتمام ، كان كهلا غير ان ملامح وجهه كانت تدل على انه اكبر سنا ، جلس الرجل في احدى زوايا الحانة وطلب شايا فبانث عيناه الغائرتان في وجهه المغضن الاسمر .

اشعل الرجل لفافته وكان يرفعها الى شفثيه بيده المرتعشة ويمتصها بشدة ثم ينظر الى الدخان وهو يتلاشى في فضاء الحانة .

دفع الفضول صاحب الحانة الذى كان يراقبه منذ دخوله لمعرفة امره فسأله وهو يجلس بجانبه : « يظهر انك غريب يا صاحبي وحزين أيضا ؟ » فأجاب الرجل بعد أن ألقى اللغافة من فمه : « نعم اننى غريب وحزين أيضا كما قلت ! » ، قال ذلك ثم اتكأ على المقعد كأنه يستعد لسرد قصة ثم استأنف كلامه بعد ما افرغ فمه من الدخان وتأوه : « قصتى طويلة وحياتى برمتها مأساة ، نعم قصة حياتى التى مر عليها الآن ثلاثون سنة نغصت عيشتى بل سممتها تسميما فمنذ ذلك اليوم لم يزر الكرى عيني ولم اذق طعم الراحة بل بقيت معذبا تطاردنى صور واشباح مخيمة اولدها فكرى المضطرب المريض » قال ذلك ثم توقف قليلا كأنه يتذكر الماضى ثم استأنف كلامه بعد أن رأى انتباها كليا من صاحب الحانة :

« ولدت فى دىالى ونشأت هناك وكان لى اخوان واخت وكنا عاشرين مع والدينا بسعة بالنسبة الى باقى الفلاحين ، سمعت يوما اخوى يتكلمان عن محاولة قتل اختى فتلصصت لاسمع الخبر ، وليتسنى لم اسمع ، فمنذ ذلك اليوم تبتدىء مأساتى نعم منذ ذلك اليوم جعلت الاشباح تطاردنى » قال ذلك بشدة وجعل يدير عينيه الداميتين فى المكان « سمعت أخى الاكبر يقول :

(*) الحاصد - العدد ٢٩ - السنة ٣ - ١٨ شباط ١٩٣٢ ص: ١٨

« لقد رأها جارنا جاسم تقبله ، ولا شك في ذلك فقد أصبحت قصة غرامها حديث أهل القرية ، فأجابه أخى الاوسط : سأقتلها الساعة فالموت وحده يكفيننا شر الفضيحة ! قال ذلك وهم بالذهاب فسحبه أخى الاكبر من ملبسه قائلا :

اجلس لا تكن متهورا ، لقد فكرت فى الامر مليا فرأيت ان نكمن لها عندما تكون ذاهبة لجلب الماء ثم نقتلها ونطرح جثتها فى النهر .
ولما هم أخوای بالذهاب خرجت من مخبأى وجاهرت بمشاركتهم فلم يمانعا .

مرت الايام وأنا أتشوق الى اليوم الذى نقتل فيه اختنا كما فعل أحد رجال قرية قريبة منا منذ سنة .

خرجنا من البيت أحد أيام الربيع وكانت الشمس تظهر بين آونة وأخرى من بين الغيوم المنتشرة فى عرض السماء وكان النسيم يهب مشبعا برائحة التراب التى احدثها نزول قطرات المطر الكبيرة . كان يوم جميل يبعث النشاط فى النفوس ، فالنسيم البارد ورائحة الازهار والتراب والغيوم والشمس كل هذه كانت أثرها فى النفوس ، وكانت تسرى فى رعشة قوية يمازجها الخوف عندما كان الهواء يلامس جسمى شأن كل انسان عندما يقدم على أمر خطير . مشينا قليلا ، وكانت العصافير تتطاير حولنا مذعورة والحشائش تتمايل لهبوب النسيم وقطرات المطر تلمع فى الهواء وعلى المروج الخضراء فى ضوء الشمس الدافىء .

كان أخى الاكبر كئيبا ولم ينبس ببنت شفة كل الطريق غير انه كان لا ينفك ينظر الى كل شىء كأنه كان يريد أن يخفف الحزن عن قلبه الحزين المنسحق الذى كان مسرحا يتصارع فيه حبه لاخته وخوفه من رأى العام .
وكان الغضب باديا والقسوة متجسمة فى عيني أخى الاوسط اللتين انقلب بياضهما حمارا ، وكان يلتفت بين آن واخر ويلقى حوله نظرة جافة خاصة به .

أما أنا فكنت أتبع أخوى فى صمت وشوق ، وكنت أضرب الحصو بقدمى العاريتين واتلهى بالنظر الى خيالاتنا نحن الثلاثة تقع على العشب ثم تتلاشى عندما تختفى الشمس .

« اتت !! » قال احد اخوى فانتبهت وجعل قلبى يدق بسرعة فائقة ، سمعت صوتا ضعيفا يأتى من بعيد هو صوتها الشجى الحنون الذى كنت أرتاح لسماعه دائما ، هى تغنى احدى أغنية الحصاد التى هى كسائر الاغنية العربية محزنة ، امتلا قلبى حزنا وشعرت وانا اتنفس الهواء الذى جلب الي صوتها ، ان كل شىء حزين ، اختفينا بين الحشائش وعندما شعرنا

باقترابها انقضضنا عليها ثلاثتنا كل يريد ان يبتدىء ، وقعت اختى على الارض تتخبط وتخرج اصوات كالشاة المذبوحة ولما رأتنى ابتسمت بشجاعة وقالت : « انت حسن ايضا ؟ هذه كانت كلماتها الاخيرة . »

برزت الشمس من وراء الغيوم وألقت اشعتها على الكون فارتسمت خيالاتنا من جديد على العشب ، واهتزت الاشجار وابتسم كل شيء ، حولت نظرى فرأيت اختى منطرحة على الارض لا روح فيها ، حينئذ بكيت !

رفعتها اخى الاكبر ثم وقف على جرف النهر يريد رميها فلم يستطع وبقي هكذا قليلا ثم استجمع قواه وارخى يديه فهوت ولا ازال اذكرها وهى هابطة والدم يصبغ جثتها فوقفت هناك بعد ان ذهب اخواى ارقب جثة اختى وهى تنحدر مع الماء الجارى ، جعلت الجثة تغطس شيئا فشيئا فهرولت لارها لآخر مرة ثم غطست بين امواج النهر الذى كان الهوا قد بدأ يداعب وجهه تاركة دما طافيا فوق الماء كأنه بقى ليشهد على سافكيه ، هرولت بعد ذلك الى البيت واخبرت والدى فبكيا على اختى التى راوا جثتها طافية فوق الماء بعد أيام فى مكان بعيد .

اما اخواى فلم يعثر لهما على اثر فممنهم من قال سافرا ومنهم من قال انتحرا .

اما انا فسجنت ستة أشهر وبعد ان خرجت من السجن وجدت ابى وامى قد لحقا اختى فسافرت وها انى قد رجعت بعد سفر ثلاثين سنة ، لكن مشاهد المأساة لا تزال تلاحقنى فاذا اختليت ظهرت امامى بقعة الدم الطافية وخرج منها وجه اختى ضاحكا مستهزئا فاخرج مذعورا .

ثلاثون سنة ما انفكت الاشباح تطاردنى فيها وتترامى لى فى يقظتى ومنامى . ولكم رأيت فى أحلامى اننى نائم الى جنب جثة اختى فاهب من نومي مذعورا وأفتش الغرفة فلا أرى شيئا فاهيم على وجهى بعيدا عن الناس الذين كنت أخاف نظراتهم ، وكثيرا ما كان يجول بخاطرى ان أقتل نفسى واضع حدا لعذابى لكنى لا اعلم ما كان يردعنى عن تنفيذ فكرتى هذه! ، قال الرجل ذلك ثم توقف وجعل ينظر خارج الحانة فقال الآخر فى نفسه لعله يرى اشباح اخته !!

٣ - سخرية الموت *

يوسف متى

وكانت ليلة سوداء متراكبة الظلمة حالكة الجلباب غاب في سمانها
النجم واحتلتها غيوم قاتمة متراكضة تجمعت وتلبدت وراحت جنبات الفضاء
الواسع تتجاوب في رعود داوية وأومض البرق نورا قويا باهرا غاب
لتوه . . . وهطلت الامطار هطولا غزيرا وعصفت ريح شديدة بليلة هزت
النوافذ والابواب

. . . وارتد . . . وكان قد الصق وجهه الجامد بزجاج النافذة وهو يرقب
نزول قطرات الغيث المنهمر على صفحة الزجاج ولم يدرك لها مغزى ولكنه كان
يحس لوقع صداها في اذنه الخاوية طنيننا مزعجا استحال الى دوى صارخ
واخذت عيناه المحملقتان قطرات الماء المتتابعة وهي تزل على بلورة النافذة . . .
ولمع البرق . . . فارتد ثانية الى الوراء بخطوات مضطربة ومد يده يمسح
جبينه المبترد واغمض عينيه وفتحهما وزفر النفس الطويل كأنه صياحة ثم
عاد يرنو الى نزول قطرات المطر واصطدامها بالزجاج وهي تختفي الواحدة
تلو الاخرى كالاحياء لا تظهر الا لتختفي وليطويها الفناء والعدم . . .

رفع رأسه وقطب جبينه والقى احدى يديه في جيبه وتحرك . . . وكان
كالخيال الغامض وتحرك ظل المشوه الكبير على الجدار كشبح طويل ومشى
وكان هناك سرير في جانب من الغرفة الواسعة ومد يده وكشف الغطاء عن
وجه نحيل كانت رؤيته تثير الشفقة والحنان وتولد فكرة الموت بعد عذاب
يطول . . .

ولوى شفثيه الغليظتين وهو يتطلع نحو الوجه الصغير الاربد وكانت
انفاس الطفل العليل تعلو كزفرات لينه هادئة مثل ترنيمة الارواح في راحتها
الابدية . . .

واختلجت عواطف الرجل بشجن وانحنى على الطفل . . . الا انه رفع
رأسه قبل أن يبلغ وجه المريض كأنه اشفق ان يوقظ طفله بالقبلة أو انه
اشفق على تلك القبلة ان تكون رمزا الى ضعفه

حقا . . . هل يدركه الضعف البشري ليشفق على (هذا) المريض ؟
وهل تتضخم فيه انسانيته ليكون فيها موضعا للحنان والرحمة . . . كان يدعو
الطبيب - مثلا - لمعالجته أو رؤيته على الاقل ؟؟ . . .

كلا . . . ليس ثمة شيء من هذا أبدا والطبيب ؟؟ ولكن هو نفسه كان

(*) الحاصد . العدد ٤٢ - السنة ٣ - ١٩ ايار ١٩٣٢ ص : ١٨

لا يعتقد بالطب . ثم ما حاجة هؤلاء البشر المساكين الى طب والى كل ما يمت الى الطب بواشجة ؟؟ فليمت كل من ليس له قوة ومناعة لمقابلة الحياة . . . واذا كان الانسان لا يريد ان يعيش وان يحيا فعلام ياترى هذا الاقसार والقحم؟؟ هؤلاء الناس ما اشد ادعائهم وما هذا الذى انتجه الذهن البشرى الا امور طبيعية . . . طبيعية ليس فيها شىء خارق او غير ملائم او معقول . . . امور مجهولة اكتشفوها . . . ومن يدري فقد يكون هناك اشياء كثيرة غير معروفة فاذا ما عرفت الان او بعد الان تشدق عارفوها (باختراعاتهم) . .

ولوى شفتيه الغليظتين وسار نحو النافذة وكان المطر قد بطل سقوطه او كاد وحول رأسه الى المصباح حيث كانت ذبابة كبيرة تصطدم بزجاجته وهي تطن طنيننا عاليا وعاد فنظر الى النافذة وكان بعض القطرات تهطل بين برهة واخرى .

وذابت نفسه فجأة بتفكير متشائم اقترنت مدلولاته بشعور غامض نحو الطفل المريض تولد من الارزاء المتتابعة التى اصابته منذ يوم ميلاد الطفل وملازمة النحس وسوء الطالع له حتى لم يدع منه سوى هذه الجثة المرهقة المهوددة المحطمة . . .

وتناثرت افكاره وتزاحمت فى مخيلته المكدودة المتعبة .
. . . هذا الطفل . . . هذه القطعة الصغيرة من اللحم والدم . . . ما قيمتها؟؟ وما مقدار أهميتها بالنسبة الى هذه الملايين؟؟

واحتاجت اعصابه القلقة من طنين الذبابة واصطدامها بزجاجة المصباح وود لو تترك ما تقوم به هذه الحشرة الملعونة من محاولة غير مجددة . ومد يده بدون وعيه وفتح النافذة فتساقطت قطرات الماء العالقة بالخشب على يده وهب فى وجهه هواء بليل ورد النافذة ثانية وأخذ يتمشى فى الغرفة بخطوات مضطربة وظله الكبير يلاحقه .

وتولدت فى نفسه فجأة كراهية ملحة وحقد شامل غريب لطفله ذاك واستقرت فى ذهنه فكرة مباغته ايقظته وهزته .
ما حاجة البشرية بهذا العليل؟؟ . . . وهلا يفضل الموت اذا ما عاش هكذا؟

ومن سيكون المسؤول حينذاك؟ وهل يكون فظا غليظا أو وحشا اذا ما اوقف حياة هذا الطفل وهو ابوه؟؟

ولكن الناس لا « يحبون » احدا انما يحبون ما (يريدونه) فى ذلك الواحد وبديهي ايضا انه لا يحب هذا الطفل اذا تأكد من انه سيبقى مريضا عشرين سنة - مثلا - وانما يحب ما يريد في هذا الطفل وادركه اليأس من شفائه وأظلم تفكيره ولم يعد يرى شيئا فى هذه الحياة يستحق لاجله ان يعيش هذا الطفل .

وفكر .. ان ضغطة بسيطة على الرقبة الصغيرة ينهى كل شيء !!
وادركه شيء كالجنون وتمشى نحو السرير وضرب الذبابة براحة يديه
فاوقعها . وكان وجه المريض الصغير اصفر فاقع ومد الوالد يلمس جيد
ولده كأنه يجربه وشعر بقشعريرة باردة تتمشى فى مفاصله وسحب يده
بسرعة مشمئزاً وعاد فقال فى نفسه ان هذا ليس من وظيفته بل هناك (قوة)
تسيرهم وتعمل فيهم ما تشاء .

وداخله عطف على طفله ذاك وكان جبينه قيد لحظ الرجل وعينه ثابتة
الحملقة فى المريض الجامد ومد يده وامرها على جبين العليل وكان باردا
فانحنى الرجل على السرير وهو بين الدهشة والفرع وشخصت عينه الى
حدقتى الطفل .

وتساقط المطر فى تلك اللحظة تساقطاً مريعاً وكان صوت اصطدام
القطرات بزجاج النافذة كشيء غريب لا عهد له به يرن فى الغرفة الواسعة
ولمس الرجل طفله يتحسس فى انحاء جسمه
آه . . . هل هذا حقاً؟؟
ياللسخرية .. لقد كان الطفل ميتاً ! . . .

٤ - حطام*

يوسف متى

« هل أجرب ؟؟ »

وهز رأسه بعنف وهو يحدث نفسه وانعطف على جانب من الطريق
وصمم ان لا يتعب نفسه بالتردد واعمال الخاطر ، وقابله زقاق مظلم لمح فيه
رجالا تسير كالأشباح فتحامل على نفسه واستمر فى سيره ..

« قبلنى ... »

ومنحته صفحة وجهها الناصعة ورننت اليه بعين حائلة مغرية .. واستدار
ليقبلها ودهش للصوت وللطلب . ولفت ذراعها العارية حول عنقه واطبق
فمه المفتوح نوعا على ثغرها الاحمر المصبوغ .. وقبلته طويلا ..

« هيا بنا .. كيف ترانى ؟؟ »

وشدت يديها على جسمه تلمس عضلاته القوية وهى تحديق فيه برجاء
وفرح شديدين ...

وأخذ يغالط نظره فيها كما يحدث للانسان عندما يريد انكار حقيقة
واقعة يعذبه تصديقها واقرارها ، وارتعش ذهنه لحظة - كالحلم اذ تذكر
تلك التى قبلته .. فتاة صغيرة بثوب قصير ورداء احمر جميل حاملة كتبها
تحت ابطها فى طريقها الى المدرسة .. وذكر تلك المشية الحية وذلك الرأس
الدقيق بقبعته الرخيصة .. ثم ذلك الهوى - السخيف - الذى تنازل فى
سبيله عن قوته وشخصيته بغير فائدة مرجوة .. ثم عشاقها الكثيرين الذين
كانوا - كالقطيع - هل تمكن احدهم منها ؟؟

وأجاب على سؤالها بسخرية وجفاء :

« كيف أراك ؟؟ كما أنت الآن .. ماذا كنت تنتظرين ؟ »

« هاه .. تعالى معى .. »

وضحكت وهى تسحبه من يده والرجال يتدافعون بالمناكب والاكف
تعالى اصواتهم فتمتزج بضحكات النساء الخشنة والطريق لا يكاد يستقر
تحت وطأ الاقدام الثقيلة المترنحة تندفع الى موئل شهوة الرجال الذين غرب
عن بالهم وازع الحياء وسقط عن وجوههم قناع التصنع اذ رقدت فى قرارة
نفوسهم شخصية النهار القائمة على ضروب من الانظمة والاعتبارات ..
فاندفعوا رجلا اقرب الى الفطرة والبداوة .. وفهمت مدلول كلامه تماما على

(*) عطار د . العدد ١ - السنة ١ - آب ١٩٣٤ . ص : ٩

انه يكايدها متعمدا فاستطابت جوابه وزهاها معرفتها بما يذهب اليه . .
ولامر ما دفعها دافع لامتلاكه تلك الليلة غير الدافع الذي يسايرها عند اقتناص
غيره من الرجال . . وشاعت في نفسها رغبة قوية لمساعدته بالمال اذا كان
محتاجا الى شيء منه أو بأى شيء آخر يمكنها التكهّن انه يرضيه أو يقع من
نفسه موقع القبول .

ضحكت ولم تجسر على الاعلان عن خواطرها المستسرة ورجعت هي الاخرى
تكايده « من التي تقصدها من هؤلاء ؟؟ »

وكانت ملامحه القاسية الصامته هي هي مذ عرفته ليس لانسان القدرة
على استجلاء خواطر صاحبها ، وعجبت له كيف انه لم يتغير مطلقا - حتى في
سحنته - اذ كان كما رآته لاول مره وكما كانت تراه كل يوم . وسبأها ذلك
المظهر القوي المتكامل يثبت على الدهر ويسمو على ريب الزمان .

ابتسم قليلا وعقد جبينه وهو يلتفت ، يتفحص الوجوه وكانت نظراته
الشاملة تكاد تستوعب كلما يدخل ضمنها من تلك الاجسام والوجوه والاعمال
وأجاب بهدوء :

- « كلا . . ليس من واحدة تستحق هذا الاهتمام . . ولا أقصد هؤلاء
على التعيين بل أريد جميع النساء . . الكل كالكل سواء » .

- « هاه . . امشى انك تناقض نفسك يا صديقي ، علام أتيت اذن؟ »
وسارت امامه وهي ممسكة بيده تسحبه ، فابتسم ابتسامة غامضة ،
ووقع نظره على أعلى ظهرها العاري فانزله على ردفها المتماوجين وسره انها
تراوغه . وانتسخ من ذهنه اثر الفتاة العذراء التي أحبها كثيرا وخسر في
سبيلها كثيرا واستطاب هذا اللقاء وداخله فرح وحشى امتلا به صدره فانطلق
في أثرها .

* * *

« من هنا »

وضحكت ضحكة صاخبة وهي تلقي رجلها على الدرجة الواطئة تدخل
المنزل وهو وراءها وكان المجاز كابي النور ، وطنت في اذنيه ضحكات مجلجلة
وأصوات غريبة تهادت اليه من داخل المنزل . وقدرت صاحبته ما قد يصيبه
من النفرة فاستدارت على يمينها واستقبلت سلما جلست في اسفله عجوز
قبيحة تحصى دراهم في يديها وهي تقربها من عينها وتدير رأسها تتفحصها .
وهو معصوب بعصابة عريضة تغطي عينيها العشاوين ، ولم تلق اليهم بالا
وصعد السلم وراءها ولمح اكتناز ردفها واضطرابها - وكانت قد سمت
قليلا - فانتبهت احساساته الغافلة وود لو احتضنها على حالتها تلك ولكنه
هدأ نفسه وتبعها .

ووقفت بأعلى السلم وقابلته بوجهها الضاحك وقد ظهر عليها الانفعال .
« حقا انى لم أكن افكر فى هذا .. كيف اتيت ؟ »
« لك الحق وهذا ليس مهما على كل حال »
« لا .. ليس الى هذا الحد ... تعال »

ودفعت الباب وولجت الغرفة وهو وراءها فاستقبلته رائحة عطر الياسمين
القوية الشائعة فى جو الغرفة التى عهدا تفوح منها عندما كانت تمر به .
وكان الفراش معدا ، وهناك دولاى كبير بابيه مرآة ثم كرسيان ،
وصورتان ملونتان لها معلقتان على جدار الباب وعدا هذا فتوافذ ثلاث اسدلت
عليها ستائر باهتة .

وجلس هادئا ثم اشعل سيكارة واخذ يدخنها بسكون والتذاذ وقد
لقى برجليه الواحدة على الاخرى وكان جو الغرفة المشبع بعطر الياسمين
المحبوب ينم عن رائحة مخصوصة كانت تهيجه وتعصف باعصابه واختلط
هذا برائحة الطباى فتكون جو مليء بالرزيلة والاثم يبعث فى الجسم ادنى
الميل البشرية .

« اعطنى سيكارة »

فرمى العلبه وهو لا يكاد يلقي نظره اليها ، وهى جالسة على طرف
الفراش ترمقه باستغراب وتحد ظاهرين ، واشعلت هى الاخرى سيكارتها ،
ودت لو أنه بدأها بالكلام ، واستشعرت لأول مرة بمظاهر العار والذلة
والانكسار ، تتدافع فى مخيلتها تجاه الفتى الجالس وانحلت تلك العواطف
فى نفسها وحل محلها شعور متدفق بالايمان والطهارة وبرزت فيها شخصيتها
الدفينة الخالصة التى ظلت مغمورة وراء حياة عاهرة منبوذة . واعادت رؤية
ذلك الشاب شخصيتها كتلميذة نقية مزهوه بجمالها لها عدد كبير من العشاق
والمعجبين وانتبهت فيها كبرياء امرأة أصيبت فى الصميم واعتبرت صمته
الشاذ اهانة لعزتها المكسورة فداهما فيض من الالم والعذاب كاد يسوقها
الى امر البكاء .

واحسنت الحاجة الى الدموع تنفس عن نفسها ، وكانت عينها الواسعتان
محمرتين ترمقه وهو جالس يدخن كأنما عاهد نفسه ان يبقى هكذا أبدا .
وقام فجأة ... فدفق قلبها عنيفا وكنمت حسرتها البالغة وهى تتبعه
بنظرها ورفعت يدها تدفع خصلات شعرها عن وجهها واستعدت لملاقاته وسار
الى النافذة رأسا وأزاح ستارها بيده ، ووقف يطل على الطريق ، وكانت
الفتيات التعسفات جالسات بجمود تغشى وجوههن اصباغ ومساحيق كالدمى
لا تأخذ نظراتهن شيئا معلوما .

« بضاعة مزجاة »

ولوى شفثيه وهو مسمك بستار النافذة . وكانت تراقبه وقد طُغث
فى نفسها الكسيرة كل معانى النبيل والطهارة التى تفخر بها العذراء وشعرت
لاول مرة فى حياتها بضعف الانثى تجاه الرجل القوى ، وكانت مشاعرهما
تتلاطم وتتزاخم - كتلميذة صغيرة حبيه داهمها حبيبها فى خلوة وتفرست
فى ظهره العريض واكتافه القوية واحست بلذة للقبلة التى قبلها اياها فى
الطريق ونفذ صبرها فتحاملت على نفسها وقامت تقصده .

ولفت ذراعها العارية حول عنقه وخاطبته بحنان مؤثر :

« كيف انت يا صديقى ؟ »

فالتفت وكانت ملامحه الخشنة ونظرته القاسية تدعو الى الحيرة
والارتباك وخيل اليها انها تحوى معنى العتاب والتشريب ، وقذف بسيكارتها
من النافذة ووضع يديه على كتفيها المستديرين وذابت نظرتة الشديدة وهو
ينقلها برغبة واضحة بين اعضائها البارزة واستقر بصره على ملتقى نهديها
فهاج حبه المكتوم وارتعشت عواطفه - دفعة واحدة - فى لحظة من تلك
اللحظات القديمة الهائلة عندما كان يستولى عليه جنون شهوانى فيتخيلها
على أجمل صورة وأروعها وابعثها على الامتاع ، ويتخيل معها ضروبا من
الايضاع والاعمال كان يحاول ان تكون سامية مهذبة فتخرج برغمه مادية
مبتذلة تلهب دماؤه وتثير غرائزه ، وأخذ يلمس بيديه جسدها المليء المرتخى ،
واصبحت نظرتة ساحرة براقية . واستمرأ الاحساس الغامض المهيمن عليه
وود لو أن بإمكانه ان يعب به نفسه ويكظها كظاً مهلكا يطغى عليه فى يومه
كأمسه ويصبح جزءاً لزامياً من جسده وحسه لاغنى له عنه ولا محيص منه ،
ضرورة مفروضة تلازمه ويلازمها كل يوم .

« جميلة . . . »

وسرى فى اذنها صوته يلفظ اسمها برعشة وحنان ، فاغتبطت وداخلها
الزهو والامتنان ، فالتصقت به واجتهدت ان تنفث فيه سحرها الصناعى
الذى اكتسبته من حياتها وتجاربها ليقبلها بشخصيتها الراحنة ، وخامرتها
للمرة الثانية فكرة مساعدته أو عمل شىء يسره ويتقبله . . شىء غير عادى
يقرب التضحية مما تحدىس أنه يفعل فعله فى جذبه اليها كما تريد . .

وعاوده نفوره الغريزى . . ونظر الى وجهها القسيم وعينيها الجميلتين
باهداها الوحف الطويلة المحملة بالكحل . وجاهاها بما يعتلج فى ذهنه .

« كيف حصل هذا ؟ »

وكانت نظرتها ممزقة دامية . . ونكست رأسها ودفعتة سريعا . . .

« كيف حصل هذا ؟ . . بالبساطة . . ماذا تهكم الكيفية يا صديقى

والنتيجة بينة لا تحتاج سؤالا ؟ ٠٠ وانا ٠٠ انا من لى بعلم كيفية حصول هذا ؟؟ . لقد وقع حادث عادى للغاية وكان الباقي من حصة الظروف كما تعلم ولست اخادعك أو أحاول التنصل عن الجواب ٠٠ ثم انه لا يوجد فتاة تروى لك تاريخ سقوطها كما حدث تماما اذ تلجأ الى الاختلاق والمبالغـة والتهويل لتؤثر عليك وتحرك فيك عوامل الشفقة والرحمة ٠٠ ولكن ليس من شىء صحيح أو غير صحيح يقال فى هذا الموضوع لان عواطف الفتاة وعقليتها ونظرها الى الامور تختلف عنها بعد سقوطها وان ما قدرته سابقا صحيح لاشبهة فيه ينقلب كذبا ونفاقا وهذا خطأ ، والفتاة تكون صادقة فى الحالتين . ان تقرير عواطف الانسان وافكاره واعماله اعتبارى محض فالصحيح فى الحالة الاولى لا يكون - خطأ - فى الحالة الثانية الا «بالاعتبار» أى باعتبار شخصية الفتاة فى حالتها ٠٠ ماقولك ؟؟ ثم هب يا صديقى انى رضيت هذه الحياة بنفسى تنفيذاً لما كان يخامرنى عند رؤيتى هؤلاء النسوة فى العربات يقطعن الشوارع مزهوات وما قرأته فى الكتب والروايات عن حياتهن السحرية الغامضة ٠٠٠ او ان شابا اغوانى وفى ساعة من ساعات ضعف المرأة زللت وتركنى محملة بالاثم والعار ٠٠٠ او أن عائلة شريرة تؤثر الدينار وتعبده دفعتنى الى اذرع الرجال حتى وصلت الى ما ترانى عليه ٠٠٠ ما أهمية كل هذه وفكرتنا لا تتحدى النتيجة الواقعة فكل ما أقوله لا بد ان تبني فكرتك على حالتى الحاضرة ٠٠ دع هذا يا صديقى تعال ٠٠٠٠٠٠

وتهاكتك على الفراش لاهثة ٠٠ واضطرب نهذاها ومالا يدفعان الثوب الى اليمين واقترش شعرها اللامع الذهبى نصف الوسادة ومدت ذراعيها العاريين تدعوه وقد التمع فى عينها مزيج من التوسل والاعراء ٠٠ وكاد يتداعى وهو يلتهم الجسد الممدد بنظرات نهمـة ٠٠ ولكنه على حين غرة طاف بذهنه انها تسلم نفسها طائعة وبسهولة ٠٠ الان وعندما اصبحت ملكا شائعا لاي طالب يطرق بابها لافرق بين الجميع ولا ميزة بينه وبين رجل حقير يريدها . ولم يخامرہ شعور بالفوز ونشوة بالانتصار على امر منيع ٠٠ وشاع فى نفسه الالم والخذلان واكتأب على حبه الصافى العميق كيف يتساوى مع أحط رغبة يحملها أى واحد لهذه المرأة الحقيرة ٠٠ وعندما كانت عزيزة الجانب محبوبة مدللة ٠٠٠ ؟؟

هل فكرت فيه يوما وبما كان يقاسيه فى سبيلها ؟؟ لقد ماتت شخصية الصبية الصغيرة منذ بعيد وهو يعيش معها بالوهم والخيال وتلك الحياة الخيالية الحبيبة يغذيها حبه الشائق العنيف اروع واشوق مما يلقاه فى تلك اللحظة ٠٠ ومن الاسف والعار ان يحرق خيالاته الرائعة التى عاش بها مدى سنين بخورا على فراش عاهرة ٠٠

« ساقطة .. »

لفظها على اشد ما يسعه استنكارا وسخرية وغضبا وهو يحدها
بكراهية مرعبة كمن سلبت منه شيئا عزيزا لا ترجى اعادته ولا يمكن التعويض
عنه ..

ودهش للصدف كيف عملت على ان يتذوق الجوى منها سابقا وتعود
فتقوده ليلقى تمثاله المعبود حطاما من القذارة بين ديدان تعيش على الدماء ..
والتفت نحو الباب فوقع بصره على صورتها ملونة ومعلقة بلباسها القصير
وردائها الاحمر وقبعتها القشبية الرخيصة تنظر تلك النظرة الساذجة الجليلة
التي هزمته وسبته .. فهاج بلباله وهاجمه الكرب والضيق بصورة لا تحتمل
لم يكن يعترف به لنفسه .. ونال منه ضعفه المعيب فنكس رأسه ومشى ..
واستوت جالسة كمن اصببت بضربة صائبة وتحركت فيها عوامل
غيظ المرأة وضعفها وقوتها ، وهالها انه يغادرها على ذلك الوضع الزرى
المخجل وعاودتها طبيعتها الشريرة المكتسبة فرغبت ايلامه وجرحه .

« هاه .. ساقطة ؟؟ يا ضعيف . انت لست برجل ، مالك وللنساء؟ »

واستدار مدهوشا وقد صدمته كلماتها اللاذعة ولمع فى عينيه اثر
الانتقام على شفته المرتعشة وقد تغضن وجهه الخشن وهو يتنفس بسرعة ..
ورفع يده وانزلها على وجهها بلطمة شديدة ثم اخرى وثالثة ..

واستراح الى الضرب وهاجت اعصابه وغلت دماؤه فمسك كتفيها
وضغطهما بقوة وقسوة وامتدت يده على ثوبها فتمزق اعلاه وبرز نهدها
الناضجان يضطربان على صدرها العارى وقاوم حتى النهاية نظراتها الدامية
المليئة فتنة وانتحابا وتركها يشيعه نشيجها المتقطع العالى مع شذى عطر
الياسمين ! ..

٥ - ليلة كؤوس وذكريات*

عبدالمجيد لطفى

- لن استطيع ..

- جرب .

- جربت كثيرا فلم افلح ومع هذا فانا اجد لذة فى عدم الترك ، لاننى استطيع بهذه الكؤوس التى تقول عنها انها تفيض سما زعافا ، لذة وراحة فكرية لا تثنى .

وكان الضوء يرسل شعاعه الهادى الى الغرفة الهادئة فتلتصع الكؤوس البارقة وهى تترجرج بخمرة معتقة صافية . وظل الهدوء مستمرا بين الصديقين وهما ينظران الى المصطلح الذى كان يتقد بجمرات حمراء كبيرة . لكن الريح عوت فى الخارج فتلململ « لميع » قليلا وقال :

- ليلة شتاء باردة .. وكذلك كانت تلك الليلة مرة قاسية كهذه الليلة تماما .

- اية ليلة ؟

- اوه انت لا تعرف نكبتى ومع هذا فانك تلوم وتقول ان هذه الكؤوس تحمل فى رغوتها السم المميت . اننى نكبت يا صديقى الا تصدق !
وحمل الكاس بيد مرتجفة الى شفته فامتص جرعة طويلة . وحدث :

- انت تدرى بذلك الشباب الكئيب اليانس . شباب امرى بلا قريب او صديق فى الحياة . اعنى شبابى ايها الصديق ، تلك الحياة التى تعرفها انت جيدا . ورغم ذلك الجذب تفتح قلبى للحب واحببت . وانت على ما اعلم تعتقد بان الحب لايعرف الاعتبارات المالية ولا الاطماع فى الحياة .. مرت سنة وانا فى حلم ساهر ارتقب تحسن الحال ولكن الظروف كما تراها الآن راحت تعاكسنى ففقدت الحبيبة .

.. كانت ماري فتاة لعوب هادئة معا . اندفعنا فى حياة صاحبة ملذة وعشنا ردحا بهنا « برى » ثم ابتعدنا فجأة وغابت عنى فى ظرف لا ادرى كيف حدث ومن حقا ان تسأل ومن حقى ان ابقى حائرا لاننى لم ادرك كيف غابت وتركتنى وحيدا .. فرق الدهر بيننا ومضت السنوات كئيبية وكدت انسى الحبيب الاول .

(*) الحاصد . العدد ٣٨ - السنة ٦ - ١٤ ك ٢ - ١٩٣٧ ص : ١٨

وفي سنة ١٩٢٩ عندما رجعت الى بغداد بعد سفرة طويلة استجم قواي واستعيد ذكريات الماضي اللذيذ وبعد اسبوع من وصولي تسلمت رسالة قصيرة بخط يبدو عليه الاضطراب وقد جاء فيها : « لميع اذكر جيدا انسى لا ازال اتعذب » وزرتها بعد غياب سبع سنوات . وطبيعي ان بإمكانك ان تتصور بالفرق الهائل بين ماري الفتاة الساحرة وبين ماري الام المريضة . . . ومع كل حملات السنوات السبع ظلت محتفظة بجمالها ورشاقتها وهكذا رأيتها . . . جلسنا ساعة من الثوى نتحدث عن أمور ماضية فاخبرتني أن حياتها مرة شقية وانها قاست آلاما طويلة من زوجها وانها لا تفتأ تذكرني . وسكت فجأة وأخذ يسعل وبدأت امارات الالم والاسى ترتسم على محياه الهزيل وتراجع الى الوراء مغمض العينين كمن يتذكر العذاب . وعصفت الريح من جديد وبدأ المطر يتساقط على زجاج النافذة فاعتدل وقال :

– الشتاء . . . آه من الشتاء . . . ففي دنو الشتاء تدنو كل آلامى وتستفيق كل ذكرياتي النائمة .

– صحيح ولكن ماذا حصل بعد ذلك ؟

– ماذا حدث : لقد ظلت مريضة وما زال المرض فيها حتى قضت نحبها في ليلة ممطرة ولم تنس ان تدعوني قبل لفظ انفاسها الاخيرة وتشد على يدي امام زوجها وتقول في ساعة الاحتضار أنت تؤمن بخلود الارواح والبعث . حسن اذا فسنلتقى في السماء ونامت نومة طويلة بلا شعور !

أعرفت الآن لماذا أشرب بهذا النهم الوحشي . ولماذا امضى هذا الليل الطويل ببلاهة وسكر جامد . . .

اننى اريد ان انسى آلامى يا صديقى واتقى هجمات الافكار الاليمية وما دمت سمعت قصتي فلا اشك انك مدرك لماذا أقف الساعات الطويلة امام روضة الاطفال ارتقب خروج اولئك الودعاء من دراستهم . . .

وابتلع ريقه وقال : هناك طفلة تبلغ من العمر سبع سنوات تشبه ماري تماما تنزل من قلبي منزلا هادئا فاغمرها بالقبلات الوداعة ثم اعود ادراجي محطم الكيان .

وجرع نصف الكأس الباقية بلا كلام .

٦ - الاوباش*

عبدالمجيد لطفى

- الليلة هذه الليلة يمكن ان تكون من العمر ٠٠!
واقترب من موقد النار واطاف اليه قطعة من الخشب واوراقا من
سعف النخيل فحدث احتراقها صوتا ، وتصاعد اللهب الاحمر وطغى على
الضوء الباهت الذى كان ينبعث شاحبا من مصباح نفطى قديم يعلوه الصدا
والهباب ٠٠ وكان المطر ينهمر بشدة والرياح الداوية من الزقاق المظلم الرطب
تهاجم لفائف الجرائد القديمة المرتجفة على النافذة بدل الزجاج !
وكانت الغرفة قديمة تكاد تكون تاريخية لرجل اقطاعى عاث فى هذه
البقعة فساداً . فلما مات بقى مضيفه الضخم مهدما وبيته خاويا على عروش
فلا مجد ولا ابهة ولا نضارة النعيم . وانما يعيش الآن فى هذه الغرف
السوداء المنحنية الجدران فقراء تساندوا وتواكلوا على بعضهم فى الحياة ٠٠
وهذه الغرفة يشغلها لأن ثلاثة أشخاص جمع بينهم الفقر والحياة المظلمة ؛
فهم من شظف العيش سواء . الاول معلم قد طرد لسوء السلوك والخسونة ،
والثانى عامل امى كان لصا من تاريخ بعيد وقد تاب الآن وعمد الى الاستقامة
والثالث عاطل متواكل يعيش ليومه ٠٠
وارتفعت النيران تثن اثينا متصلا ، ولاح فى الجدار شق كبير اتخذته
العناكب لها ماوى ونسجت عليه خيوطها القذرة المسودة من أثر الدخان ٠٠
وكان العامل يراقب الشقوق بابتسامة ساخرة ؛ اما المعلم فكان ينظر الى
الحروف الكبيرة من الجريدة القديمة المصفرة على الجدار ٠٠ وانتبه المعلم
من غفوته وقال :

- اتدرون ايها الاوباش ان الحياة سلسلة من الاتعاب !

فنظر اليه اللص القديم وقال :

- ماذا تقول ٠٠ الاوباش ! ما معنى هذه الكلمة ؟

وقال الثانى :

- الحقيقة ان الحياة كلها اتعاب وكذب ونفاق .

فرد المعلم قائلا للأول :

- انت وانا وهدا الزميل ذو الشارب الاصفر الطويل يدعوننا

(*) مجلة (المجلة) ٠ العدد ٩ - السنة ١ - شباط ١٩٣٩ ص : ٤٤٠/٤١

بالاوباش .. وانا كنت قديما اسخر من هؤلاء الاوباش ، اى من امثالى الآن
لاننى كنت سيذا آنذاك . وعبث باصابعه فى فتيل المصباح يزيد نورا فقد
خبت اضواء النيران ، وراح يرنو بعينين بليدتين غائرتين الى الزقاق من
الزجاجة الوحيدة المعلقة فى النافذة الهرمة العريقة فى القدم والقذارة ،
وقال : لقد انظفاً آخر مصباح فى هذا الشارع الذى كان سيد الشوارع ..
اتدرون اننا نرقص ونفرح الآن على انقراض سيد مطاع ؟ فى هذه الغرفة الطويلة
رموز ونقوش لا تزال تشير الى السلطان الغابر والمجد الميت فى نواء بيت
قديم .

وسعل العاطل وقال : فى أيام المطر يعيش الكسالى فى غرف دافئة بلا
مبالاة . اما نحن فنخرج كالديدان أو كالذئاب باحثين عن الطعام هنا وهناك .
وتذكر اللص لصوصيته القديمة واسف للفضيلة والتوبة اللتين
تكبلانه الآن وقال : وانا الذى تروننى منزويا حول النار كالثقة العجوز كنت
سيذا وكنت جبار الجبال وكانت بندقيتى ازوع ما يهابه الناس .. اننى الآن
ابحث عن الخبز لاننى اصبحت فاضلا وكنت بالامس اركل الذهب بقدمى
لاننى كنت لصا .

وقال المعلم القديم : ان الفضائل رأس مال المفلسين . غيرنا يلعب
بالذهب ونحن نحمل الاحجار .. فى لهذه الفضيلة الجميلة المحترمة .
وانتبه اللص وقال : حسن . ولماذا تركت الفضيلة ؟ وما دمت قد
تركتها لماذا لا تعيش كما تريد !

ولف العاطل سجارة جديدة من دخان خشن رخيص وقربها من الموقد
وامتنص منها نفسا طويلا وقال : على كل ان العجوز فى الطابق الاسفل فى
حالة خطرة وحفيديتها الجميلة التى تمنح الحب لغيرنا جالسة الى جانبها
تعطيها الحساء البارد اما البقال الشاب فقد جلب له رفيقة جديدة وجميلة
ولكنها لا تحبه !

واعتدل المعلم المطرود قليلا وقال : لا بد من غزوة . ان ليالى الشتاء
طويلة والغيوم لا تبشر بالانقشاع السريع وهناك فى الغرفة الخامسة زوجة
المهرب .. وقد فارقتها منذ ستة أشهر فمن اين تعيش هذه المرأة !! .
وضحكوا جميعا . لقد فهموا كل شىء وعولوا جميعا على اشياء ثلاثة :
مداهمة العجوز ، وسرقة الحفيدة ، ومهاجمة زوجة المهرب وارغامها على تادية
طعام الغد وعمل الشاى والسهر معهم حتى الصباح ...
وفيما هم يفكرون بتنفيذ هذه الخطة اذ سمعوا صراخا آتيا من الطابق
الاسفل فهرعوا جميعا الى باب الدرج المهدم .
- آه لقد ماتت .. ماتت جدتى العزيزة !

وانحدر الرجال الثلاثة بسرعة حفاة الاقدام لينظروا فى شأن العجوز
الميتة .. ولما وصلوا الغرفة الباردة القذرة انسل من بينهم المعلم المطرود بهدوء
ومشى خافت الصوت الى غرفة زوجة المهرب ...

... ولاح الشفق .. ان السماء صافية .. والغيوم قد تبددت بسرعة
عجيبة والشمس ستتلاها عما قريب .. ومن خلال الضوء الباهت لاح جثمان
العجوز على حصير من القصب الاصفر وشبح فتاة تبكى بغزار الدموع واربع
نسوة صامتات وثلاثة رجال اشدها يتهامسون ..

وانتشرت الشمس .. لقد خرج جثمان العجوز على اكتاف الرجال
الثلاثة الى طريق الابدية حيث لا رجعة بعد الآن .. ولما ابتعد النعش دوت
طلقة شديدة فى الغرفة الخامسة .

ماذا جرى ! ماذا هناك ؟ ..

لقد وجد المهرب زوجته بين احضان المعلم المطرود فالهب رأسه برصاصة
وتكرم بثانية للزوجة ؛ وها هو يلهث جائعا للدماء الاخرى ..

وقبل مغيب الشمس خرج نعشان آخراى من بيت السيد الارستقراطى
المطاع المندثر .. ضحكت الجدران القديمة لانها تشهد من جديد ماآسى كانت
تراها متكررة كل اسبوع ..

٧ - اولجا*

البصرة ج . ح (**)

كان قد دخل فى دائرة اليقين . فهو منذ اليوم الذى عرفها فيه قد لاحظ معاشرتها للقوم الذين ينزلون معه فى الفندق . وهو قد تأكد من ذلك ولا سيما الآن بعد ان رآها تجالس رجلا لم يمض على تعرفها به غير يوم واحد . رآها على مائدة واحدة مع صاحبة الفندق يتناولان كوؤوس الكونياك التى كانت ولا شك على حساب الرفيق الجديد .
لم تكن اولجا ..

العفو ، فهو لا يريدنى ان اكتب عنها شيئا الا اذا عرفت كيف اعبر عن الامواج التى يحدثها اسمها فى الفضاء بالدقة ؛ ولذلك لن استطيع ان اكتب لك عنها شيئا الا اذا لفظت اسمها على الطريقة المصرية .

لم تكن اولجا بارعة الجمال ، فهو نفسه لا يرى انها جميلة ، بل لا يدري لماذا احبها ذلك الحب العنيف الذى خبط نظام حياته اجلا غير مسمى - وان لم يكن قبل ذلك فى الواقع لحياته نظام . فقد رآها منذ شهر عندما نزلت الفندق مع خليلها (الذى لا يعرف اسمه) وقد كان يظنه زوجها حتى عرفته هى بذلك فيما بعد . ولا يعلم الا الله هل هى الابتسامات التى كانت تحييه بها فى فترات متباعدة أم هو سحرها الذى لم يكن يتبينه كان السبب فى الحب الذى شعر به فجأة يتوقد بين اضلاعه . ولكنه يعلم انه احبها فى الساعة التى لم يكن يتصور فيها انه يحبها . ورغما عن هيامه بالمثل الطاهرة ، فقد شعر انه يحب هذه المرأة التى تدخل تصرفاتها فى يقينه انها ليست اهلا لى حب بل ليست اهلا حتى للبغض .

فبعد السلام - الممثل - الساكن معه فى الفندق كان من المسموح لهم بأكثر من مناورة ، ولم يكن هو يهمه كل هذا من قبل ، اما الآن فقد اصبح هذا العبد السلام بغيضا الى نفسه ، وكم تمنى لو صفعه صفعة توقف مناوراته الوقحة عند حدها . لقد اصبح قبل كل شىء ينظر اليه نظره الى شخص لا يهمه الا الركض وراء لذته البهيمية ؛ ولذلك لم تكن تثور فى نفسه تجاهه أى عاطفة سوى عاطفة النفور كلما الجأت الظروف الى الرد على تحيته .

(*) مجلة (المجلة) - العدد ٩ - السنة ١ - شباط ١٩٣٩ ص : ٤٣٧/٣٨

(**) ليس هناك ما يشير الى ان (ج . ح) هذا كاتب قصصى معروف .

وقد اصبح بعد أن احبها يحمل لعبدالسلام من الكره ما لو درى به هذا
لما فكر لافى تحيته ولا فى سبه .

وهو يظن بل يكاد يجزم ان علاقاتها بعبدالسلام قد بلغت حدا يكاد
يكون فى أقصى مداه . ولكنه مع ذلك لا يريد ان يسمح لنفسه بالتفكير فى
ذلك ، فهو يحبها ولا يعلم غير ذلك .

كان ذلك قبل انتقالها من الفندق باسبوع ، وقد تأكد من حبه لها
عندما اخبرته بعد ذلك انها منتقلة من هذا الفندق بعد ثلاثة أيام ، فقد شعر
فجأة بدافع يسوقه الى ضمها وتقبييلها ، ولكنه قاوم هذا الدافع بقدر
ما يستطيع . فهو لم يتعود مثل هذا الموقف من قبل ، وهو لا يعلم ماذا سيكون
موقفها اذا هو اندفع مع عواطفه هذا الاندفاع .

وفى اليوم السابق لرحيلها لم يتمالك ان صارحها بحبه وقرأ على وجهها
علامات التأثير العميق ، وهو لا يدري كيف يفسر هذه العلامات الصادقة أو
الخداعة . ان الظنون السيئة لتثور فى نفسه من تحت شعار ثقيل اسدله
على ثورات نفسه .

ومن يدري ؟ لعله يظلمها بظنونه . وهذا الخاطر يزيد فى النار التى
تكاد تلتهم ما فى صدره من احشاء .

وقد ودعها فى صباح اليوم الثانى قبل خروجه من الفندق بان قبل
يدها ، تاركا اياها فجأة ليصطدم بالباب . ثم هو - وقد أخذ بنزول الدرج
فزلت به القدم - ليكاد يهوى من الدور الرابع .

وفى اليوم الثالث لرحيلها كان عيد الميلاد ، وقد توقع ان تجيء ذلك
اليوم لتعايد صاحبة الفندق ولكنها لم تجيء .

ويظهر ان صاحبة الفندق عرفت شيئا مما يخالج نفسه فجاءت تسأله
مشيرة الى قلبه : « الا تزال فى تيكى تيكى تاك ؟ »

وقد أخذته الدهشة لهذا السؤال ، وما لبث ان شعر بحرارة مرتفعة
تكاد تحرق وجنتيه ولكنه سكت وابتسم .

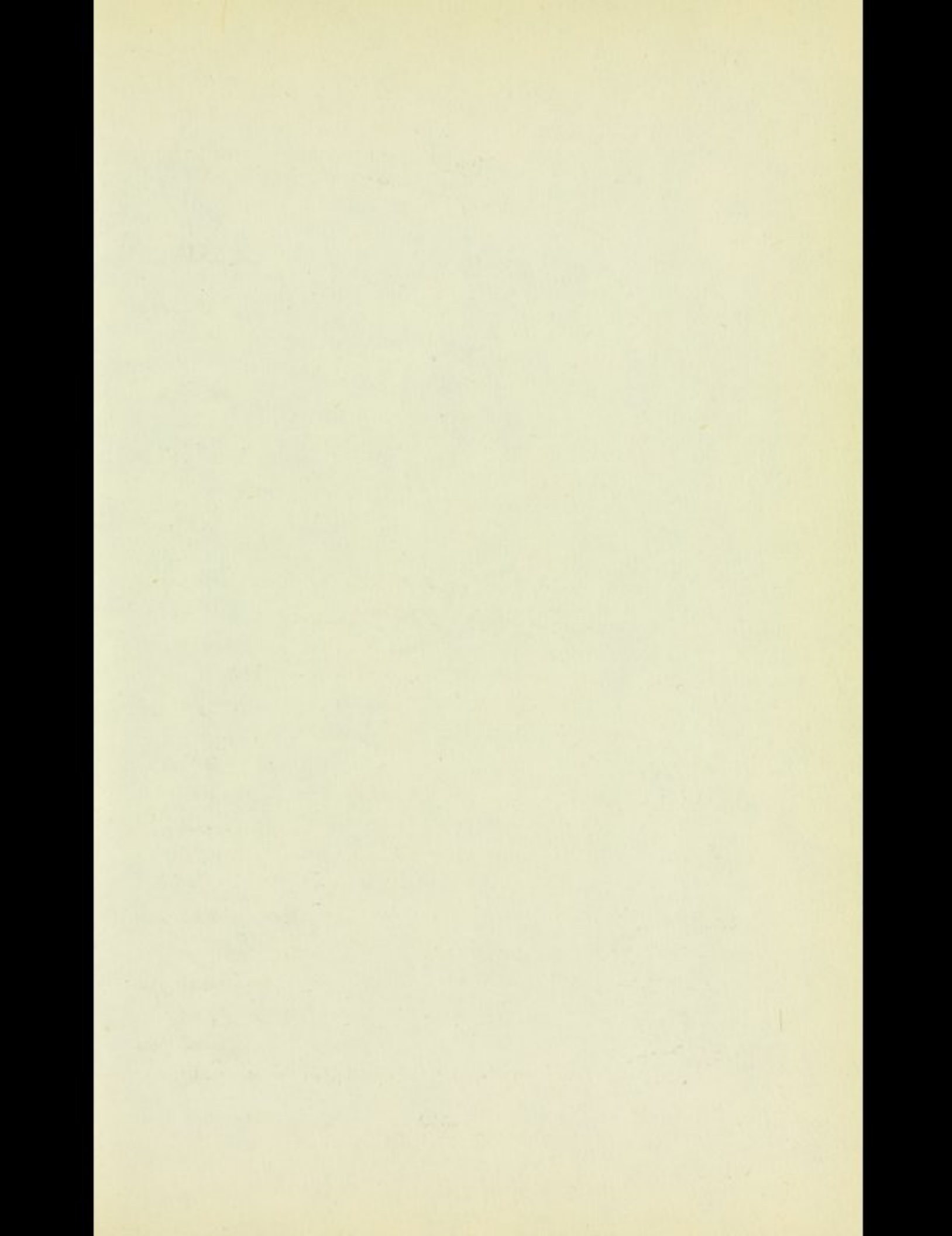
وقد ظنت المسكينة ان بإمكانها ان تسدى اليه معروفا بان تقلع من
نفسه هذا الحب الجنونى . فقادته الى حيث كانت غرفة أولجا وأرته تمثال
كلب كان موضوعا بجدار باب الغرفة واقسمت له ان هذا الكلب كان يتحرك
فى الليل يمينا ويسارا . فهو ان تحرك الى اليمين كان ذلك اشارة لعبدالسلام
بان الطريق ممهد والا فان هنالك ما يمنع الدخول .

وقد تلقى هذا الخبر أول الامر بشيء من المرارة ؛ ولكنه لم يلبث ان
شعر بالالم يسرى فى جميع بدنه .

لقد حاولت صاحبة الفندق ان تمحو من نفسه هذا الحجب بان تريه اى
امرأة أحب . ولكنه كان يعرف ويتألم ، أما الآن فقد شعر بان الاسم يكاد
يقتله .

ولم يستطع المكوث فى هذا الفندق اكثر من ذلك ، فقد انتقل منه بعد
أيام قلائل ؛ وقد ظنت صاحبة الفندق انه انتقل ليلحق باولجا . ولكنها
لا تدرى كيف آلمته ، ولا تدرى انه لم يلتق باولجا ، وانه لا يزال يحبها .

المراجع والفهارس



المراجع

أ - الكتب :

- ابراهيم الوائلي
الشعر السياسي العراقي فى القرن التاسع عشر - مطبعة العانى - بغداد
١٩٦١
- ابو الثناء الألوسى
مقامات ابى الثناء الألوسى - طبعة حجرية - كربلاء ١٨٥٦
- أحمد ابو سعد
الشعر والشعراء فى العراق (١٩٠٠ - ١٩٥٨) - دار المعارف - لبنان
- ادوين هوير
بناء الرواية - ت ابراهيم الصيرفى - القاهرة ١٩٦٥
- اسماعيل أحمد ادهم
الزهاوى الشاعر - مطبعة التعاون الاسكندري ١٩٣٧
- أ . م فورستر
اركان القصة - ت كمال عياد جاد - القاهرة ١٩٦٠
- المس بيل
فصول من تاريخ العراق القريب - ت جعفر خياط - بيروت ١٩٤٩
- أنستاس مارى الكرملى
خلاصة تاريخ العراق - البصرة ١٩١٩
- انيس الخورى المقدسى
الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث - ط ٢ - دار العلم للملايين
بيروت ١٩٦٠
- باسم عبدالحميد حمودي
فى القصة العراقية - مطبعة اتحاد الادباء - بغداد ١٩٦١
- بدوى أحمد طبانة
معروف الرصافى - ط ١ القاهرة ١٩٤٧
- جعفر الخليلي
القصة العراقية قديما وحديثا - ط ١ - مطبعة الانصاف - بيروت ١٩٦٢

- جميل سعيد
نظرات فى التيارات الادبية الحديثة فى العراق - القاهرة ١٩٥٤
- حسين القباني
فن كتابة القصة - القاهرة ١٩٦٥
- داود سلوم
تطور الفكرة والاسلوب فى الادب العراقى فى القرنين التاسع عشر
والعشرين * مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٩ .
- ذو النون ايوب
مختارات ذو النون ايوب - مطبعة اللؤلؤ - بغداد ١٩٥٨
- رشاد رشدي
فن القصة القصيرة - القاهرة ط ١ - ١٩٥٩
- رفائيل بابو اسحق
تاريخ نصارى العراق - مطبعة المنصور - بغداد ١٩٤٨
- رفائيل بطي
الادب العصرى فى العراق العربى (قسم المنظوم) - جزآن - القاهرة
١٩٢٣
الصحافة فى العراق - القاهرة - ١٩٥٥
- زكي صالح
مقدمة فى دراسة العراق المعاصر - مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٣
- ستيفن همسلى لوتكريك
اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث - ت جعفر خياط - ط ١ بيروت
١٩٤١
- سعدون الرئيس
الادباء العراقيون المعاصرون وانتاجهم - دار الجمهورية - بغداد ١٩٦٥ .
- سليمان الصائغ
تاريخ الموصل - ج ٢ المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٢٨
- سليمان فيضى
فى غمرة النضال - بغداد ١٩٥٢
- سهير القلماوى
الف ليلة وليلة - القاهرة ١٩٥٩
- سهيل ادريس
محاضرات عن القصة فى لبنان - القاهرة ١٩٥٧

شوقي ضيف

المقامة - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٥٤

عباس العزاوي

ذكرى ابي الثناء الآلوسي - بغداد ١٩٥٨

تاريخ الادب العربي في العراق - مج ٢ - مطبوعات المجمع العلمي

العراقي ١٩٦٢

عبدالرزاق الحسني

تاريخ الصحافة العراقية - ج ١ - ط ١ - مطبعة الغري - النجف

تاريخ الوزارات العراقية - ج ٢ - ط ٢ - مطبعة العرفان - صيدا -

١٩٥٣

تاريخ العراق السياسي الحديث - ج ١ - ط ٢ - مطبعة العرفان - لبنان

١٩٥٧

عبدالرزاق الهلالي

تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني - ط ١ - بغداد ١٩٥٩

عبدالقادر البراك

اعلام من الشرق - مطبعة الرجاء - بغداد ١٩٥٠

عبدالقادر حسن أمين

القصص في الادب العراقي الحديث - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥٦

عبدالمحسن طه بدر

تطور الرواية العربية في مصر - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٣

علي جواد الطاهر

مقدمة في القصة القصيرة « قصص مترجمة » ملحق المجلد العشرين

- لمجلة المعلم الجديد - بغداد ١٩٥٧

علي الراعي

دراسات في الرواية المصرية - القاهرة - ١٩٦٤

علي ظريف الاعظمي

مختصر تاريخ بغداد - مطبعة الفرات - بغداد ١٩٢٦

علي الوردى

دراسة في طبيعة المجتمع العراقي - مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٥

فان تيغم

الرومنطيقية - ت بهيج شعبان - بيروت ١٩٥٦

فردريك ج. هوفمن

القصة الحديثة - ت بكر عباس - دار الثقافة - بيروت ١٩٦١

فهى المدرس

مقالات - ج ١ - مطبعة الشعب - بغداد ١٩٣٠

مقالات - ج ٢ - مطبعة الشعب - بغداد ١٩٣٢

فيليب دى طرازى

تاريخ الصحافة العربية - ج ٤ - بيروت - المطبعة الامريكانية ١٩٣٣

فيليب ويلارد آيرلاند

العراق - دراسة فى تطوره السياسى - تجعفر خياط - بيروت ١٩٤٩

لويس شيخو

الآداب العربية فى الربع الاول من القرن العشرين - بيروت ١٩٢٦

محمد بهجة الاثرى

اعلام العراق - طبعة ١٣٤٥ هـ .

محمد حسين هيكل

ثورة الادب - مطبعة مصر - القاهرة ١٩٤٨

محمد علي كمال الدين

التطور الفكرى فى العراق - بغداد ١٩٦٠

محمد غنيمي هلال

الرومانتيكية - القاهرة .

محمد مهدي البصير

نهضة العراق الادبية فى القرن التاسع عشر - مطبعة المعارف - بغداد

١٩٤٦

محمد يوسف نجم

القصة فى الادب العربى الحديث - ط ٢ - بيروت ١٩٦١

فن القصة - ط ٢ - بيروت ١٩٥٦

محمود احمد السيد وعونى بكر صدقى

السهم المتقابلة - المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٢

محمود تيمور

فن القصص - ط ٢ - مطبعة الهلال - مصر ١٩٤٨

نشوء القصة وتطورها - المطبعة السلفية ١٩٣٦

محاضرات فى القصص فى ادب العرب ماضيه وحاضره - القاهرة ١٩٥٨

محمود العبطة المحامى

محمود احمد السيد (دراسة عنه) - مطبعة الامة - بغداد -

١٩٦١

مصطفى علي

محاضرات عن معروف الرصافي - القاهرة - ١٩٥٤

ناصرالدين الاسد

محاضرات عن خليل بيدس - القاهرة ١٩٦٣

نعمات أحمد فؤاد

أدب المازني - ط ٢ - القاهرة ١٩٦١

يحيى حقي

فجر القصة المصرية - القاهرة ١٩٦٠

خطوات في النقد - مطبعة المدني - القاهرة

يعقوب سر كيس

مباحث عراقية - القسم الثاني - بغداد ١٩٥٥

يوسف عبدالمسيح ثروة

فن الادب - ترجمة لمقالات أدبية مختلفة - دار الكاتب العربي - بيروت

يوسف عزالدين

الشعر العراقي في القرن التاسع عشر - مطبعة الزهراء - بغداد

١٩٥٨

الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه .

مطبعة أسعد - بغداد ١٩٦٠

(٠٠٠٠٠)

الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦

ب - المقالات :

١ . خالد

الحركة الفكرية في البلدان العربية قبس على ضفاف الرافدين .

الحرية ج ٥ السنة ١ - ١٩٢٤

ثلاث صور لشعر العراق المعاصر . الاستقلال العدد ٨٤١ - السنة

٧ - ١٣ ايلول ١٩٢٦ والعدد ٨٥٤ - السنة ٧ - ١٩ ايلول ١٩٢٦

ابراهيم حلمي

مقالة عن العراق . لغة العرب ج ١ السنة ٢ - حزيران ١٩١٢

الطباعة في دار السلام والنجف وكر بلاه . لغة العرب العدد ٧ -

السنة ٢ - ٢ - ١٩١٣

المرأة العراقية . لغة العرب - العدد ٢ - السنة ٤ - آب ١٩١٤

ابراهيم المدرس

صديقي لذنون ايوب (عرض وتحليل) . الاخبار (العدد الخاص)
ملحق العدد ٢/٣٦ السنة ١٩٣٨

احمد مناصفي

النهضة الادبية والاستاذ الزهاوي . الاستقلال - العدد ٢٧٣ - السنة
٤ - ٢ - ١٩٢٣

انور شاؤل

نهضة أدبية كاذبة ظهر زيفها بعد بضع سنوات . الحاصد العدد ١٣
- السنة ٣ - ١ - ١٩٣١ .
قصة جلال خالد (نقد وتحليل) . العالم العربي - العدد ١٢١٩ -
السنة ٤ - ٢ آذار - ١٩٢٨

جرجس يوسف

ادب القصة وأثره . الحاصد العدد ١٧ - السنة ٤ - ٢ - ١٩٣٢

جرجيس فتح الله

مزاح وما أشبهه . المجلة (الموصلية) العدد ٢ - السنة ٣ - ١ نيسان
١٩٤١ .

جيب (المستشرق)

القصة المصرية . الرسالة - العدد ٦ - السنة ١ - ابريل ١٩٣٣

حسين الظريفي

تطور الادب . الامل - العدد ٤٤ - السنة ١ - ٢١ - ٢ - ١٩٢٣

رزوق عيسى

تاريخ الصحافة في العراق . الحرية - الجزء ٨ - ٩ - السنة ١
١٥ شباط ١٩٢٤

رفائيل بطي

مقالة عن تاريخ الطباعة العراقية . لغة العرب الجزء ٣ - ٥ - السنة
٤ - ١٩٢٦

شكري الفضلي . لغة العرب الجزء ١ - السنة ٤ - تموز ١٩٢٦

سهيل ادريس

القصة العراقية الحديثة . الآداب (البيروتية) الاعداد ٢ ، ٣ ، ٤
- السنة ١ - ١٩٥٣

شالوم درويش

القصة والمرأة . العراق - العدد ٣٨٣٧ - السنة ١٣ - ٢ آذار ١٩٣٤
من فضلكم وسوسات ابليس . الحاصد - العدد ١ - السنة ٥ - تموز
١٩٣٥

صالح جواد الطعمة

في اصول الادب المسرحي في العراق : مسرحية لطيف وخوشابا .
الاديب - ج ٥ - السنة ٢٥ - مايو ١٩٦٦

عبدالحق فاضل

مجمع المتناقضات . المجلة (الموصلية) - العدد ٤ - السنة ١ - ١٦ ت ٢
١٩٣٨

وحي الفن . المجلة (الموصلية) العدد ٨ - السنة ١ - ١٦ ك ٢ - ١٩٣٩

الضائع . المجلة (الموصلية) العدد ١٤ - السنة ١ - نيسان ١٩٣٩

برج بابل . (المجلة الموصلية) العدد ١٦ - السنة ١ - ١٦ آذار ١٩٣٩

عبدالرزاق محي الدين

المشكلة الادبية في العراق . المعلم الجديد - الجزء ٤ - السنة ١٥
حزيران ١٩٥٢

عبدالغنى شوقي

مقام الرواية في الادب . الفضيلة - العدد ١٥/٧٥ - السنة ٣ - ٩
حزيران ١٩٢٧

عبدالمجيد لطفى

نقص في آدابنا . الزمان - العدد ١٥٨ - السنة ١ - ٧ آذار ١٩٣٧

عدنان بن فذيل

مصطلح « الرواية » - وتطور مفهومه العربي . الآداب (البيروتية)
العدد ٣ - السنة ١١ - آذار ١٩٦٣

عزالدين آل ياسين

عناصر الخلود في الادب وحظ العراق منها . الاعتدال - الاعداد - ٧ ،
٨ ، ٩ - السنة ٢ - ١٩٣٤ - ١٩٣٥ .

على الزبيدي

المسرحية العربية في العراق في العهد العثماني . الاقلام ج ٩ - السنة
١ - مايس ١٩٦٥

لطفى بكر صدقي

القصة العراقية في سبيل الخلق والتكوين . الاستقلال العدد ١٧٤٨
- السنة ١٣ - ٢٣ ت ٢ - ١٩٣٢

محمد غنيمي هلال

المؤثرات الغربية في الرواية العربية . الآداب (البيروتية) العدد ٣ -
السنة ١١ - آذار ١٩٦٣

محمد يونس السبعاولي

الجيل الجديد ومفاجآته في حياته . السياسة - العدد ٣٨١ - السنة ٢
- ١٥ شباط ١٩٣١

محمود أحمد السيد

هياكل الماضي . العراق - العدد ١٠٠٨ - السنة ٤ - ٨ ايلول ١٩٢٣
رسالة اجتماعية . المصباح - العدد ١٣٢ - السنة ١ - ٢٧ نوفمبر
١٩٢٤

قصة البعث لتولستوي . الصحيفة العدد ٣ - السنة ١ - شباط
١٩٢٥

كتاب متفوقون ولكنهم ليسوا بأصحاب مذاهب ولا رسالات . المفيد -
العدد ٤٤٠ - السنة ٣ - ٢٦ تموز ١٩٢٥

هشيم : خواطر ويوميات الجليلي . المفيد - العدد ٥٢٣ - السنة ٣ - ٩
ت ٢ - ١٩٢٥

نزعة من نزعات الادب القصصي التركي هدم للتقاليد البالية .
الاستقلال - العدد ١٠٩٥ - السنة ٧ - ٥ تموز ١٩٢٧

بومباي : فرضة الهند الكبيرة . الاستقلال - العدد ١١٠١ - السنة ٧ -
١٣ تموز ١٩٢٧

في الادب القصصي . فجر القصة في العراق . البلاد - العدد ١٧٠ -
السنة ١ - ٢ حزيران ١٩٣٠

ممتاز أكرم العمري

فن القصة والوسط العراقي . النهضة العراقية - العدد ٤٩٧ - السنة ٣
٢٣ نيسان ١٩٣٠

هنري بيرس

في الادب العربي الحديث . الامالي - العدد ١٥ - السنة ٢

وداد سكاكيني

خواطر عن القصة ، عراقي قاص . (نقلا عن مجلة «الحديث الحلبية»
بعديها ٣-٤ آذار ونيسان ١٩٣٦) البلاد العدد ٨٣٤ - السنة ٧-١٠
نيسان ١٩٣٦

وديع جويده

القصة العراقية . الانقلاب - العدد ٢٤ - السنة ١ - ٢ شباط ١٩٣٧

يوسف الحاج الياس

الحركة الثقافية في العراق . المجلة (الموصلية) العدد ١٩ - السنة
١ - ١ تموز ١٩٣٩

ي . ر . غ (١) .

نصائح أدبية للجنس اللطيف شبه رسائل . صدى بابل - العدد ٩ -
السنة ٢ - ١٩٠٩

مقالات نشرت غفلاً من أسماء كتابها (٢)

العناصر والاديان في المملكة العثمانية . صدى بابل - العدد ٢ - السنة
١ - آب ١٩٠٩

مقالة عن ما أصاب كربلاء من نكبات . صدى بابل الاعداد : ٨ ، ٩ ،
١٠ ، ١١ ، ١٢ - السنة ١ - ١٩٠٩

ما بين فيافي بغداد . صدى بابل - العدد ٦٣ - السنة ٢ - ١٩٠٩
الصحافة . تنوير الافكار - مج ١ السنة ١ - ذى الحجة ١٣٢٨
مسامرة (بين عمى منصور وجارته خالي شموه الطحانة) . صدى
بابل - العدد ٧٨ - السنة ٢ - شباط ١٩١١

محاورة بين سوق البزازين الجوخجية وسوق الخفافين . صدى بابل -
العدد ١٠٢ - السنة ٣ - ١٩١١

الصحافة في بغداد . العرب (جريدة) - العددان ٤٤ ، ٤٥ - السنة ١ -
١٩١٧

حملة الاقلام في بغداد دار السلام . الزنبقة - العدد ٢ السنة ١ -
ت ٢ - ١٩٢٢

حياتنا العلمية والادبية . الامل - العدد ٤٧ - السنة ١ - ٢٥ ت ٢ -
١٩٢٣

ادباؤنا وآدابنا . الامل - العدد ٤٧ - السنة ١ - ٢٥ ت - ١٩٢٣

ج - الحكايات المترجمة (٢)

رواية العدل اساس الملك

صدى بابل - العدد ١ وما بعده - السنة ١ - ١٩٠٩

(١) ليس لدينا ما يشير الى ان الكاتب من الكتاب العراقيين المعروفين .

(٢) مرتبة حسب تاريخ نشرها .

المحكمة السرية أو القاضي الامين

صدي بابل - العدد ١١ - وما بعده السنة ١ - ١٩٠٩

الاصبعي

الرقيب - العدد ١٦٦ - وما بعده - سنة ١٣٢٨ (ت انستاس ماري الكرملي)

ذات القناع الاحمر

الرقيب - العدد ١٧١ وما بعده - سنة ١٩٢٨

المرمده أو ذات الكوث (البابوج) الزجاجي

الرقيب - العدد ١٧٣ وما بعده - سنة ١٣٢٨

ينبوع الشفاء

لغة العرب - العدد ١ - تموز ١٩١١ - (ت انستاس ماري الكرملي)
عن كزافيه مرميه)

مريم

لغة العرب - العدد ٧ - ك ٢ - ١٩١٢ - (معربة عن الفرنسوية عن الرسائل البانية)

د - قصص الرؤيا^(١) :

رؤيا العربية

تنوير الافكار . ج ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، مج ١ - السنة ١ - ١٣٢٨

رؤية أدبية

محمد فائق الكيلاني - لغة العرب - ج ٤ - السنة ٣ - ت ١ - ١٩١٣

سياحة في النوم

لغة العرب - ج ٥ - السنة ٣ - ت ٢ - ١٩١٣

المال حاكم

لغة العرب - ج ٨ - السنة ٣ - شباط ١٩١٤

كيف يرتقى العراق « رؤيا صادقة »

عطاء أمين - دار السلام - العددان ١٧/١٨ - المجلد الثاني السنة ٢
آب وايلول ١٩١٩

سياحة الفكر

م . ش - مجلة اللسان - ج ٥ - مج ١ - سنة ١٣٢٨

(١) مرتبة حسب تاريخ نشرها .

وقفه على ديالى - وحديث مع فنوس

عراقى أمين - العراق - الاعداد ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ - السنة ١ -
آيار ١٩٢١

ه - القصص البدائية : (١)

لوحة من الواح الدهر ، أو فصل من رواية الحياة

عطاء أمين - دار السلام - العدد ١ - مج ٣ - السنة ٣ - ك ٢ - ١٩٢٠

عاقبة الحياة

عطاء أمين - دار السلام - الاعداد ٨ ، ٩ ، ١٠ - المجلد ٣ - السنة ٣ -
نيسان ١٩٢٠

(١) هناك قصتان غير قصتي عطاء أمين ، يمكن اعتبارهما من القصص البدائية بشكل أو بآخر . لم نشر اليهما في مجرى البحث لاننا عثرنا عليهما اخيرا . وقد نشرتا في مجلة « خردلة العلوم » لمنشئها رزوق عيسى . الاولى بعنوان « فتاة بغداد » . وكاتبها رزوق عيسى . نشرت في ج ١ - مج ١ - ت ٢ سنة ١٩١٠ ص : ٢٥ . والثانية بعنوان « الاوهام » وكاتبها يوسف رزق الله غنيمه ، نشرت في ج ٢ - مج ١ - ك ١ - ١٩١٠ ص : ٥٩ . وعلى أى حال فان العثور عليهما لا يغير من الاحكام العامة التى توصلنا اليها فى الباب الاول اذ انهما تؤكدان الدور الهام الذى لعبته الطوائف المسيحية فى تاريخ القصة العراقية ، والاتجاه الجاد للقصة العراقية فى مرحلتها البدائية الاولى ، وعدم التأثير بروايات الغرام والمغامرات فى هذه المرحلة على الاقل .

و - دوريات الصحف والمجلات العراقية التي كانت
تنشر قصصا وغيرها من المقالات التي تتصل
ببحثنا (١)

١ - الصحف :

اسم الصحيفة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الزوراء	رسمية	١٥ حزيران ١٨٦٩
بغداد		٦ آب ١٩٠٨
الرقيب	عبد اللطيف ثنيان	١٨ كانون الثاني ١٩٠٩
صدي بابل	داود صليوا ويوسف غنيمه	١٣ آب ١٩٠٩
الرصافة	محمد صادق الاعرجي	١٧ حزيران ١٩١٠
صدي الاسلام		٢٣ تموز ١٩١٥
العرب		٤ تموز ١٩١٧
الموصل (الموصل)		١٤ تشرين الثاني ١٩١٨
مرآة العراق		٨ شباط ١٩١٩
العراق	رزوق داود غنام	١ حزيران ١٩٢٠
الشرق	حسين افنان	٣٠ آب ١٩٢٠
الاستقلال	عبد الغفور البدرى	٢٨ ايلول ١٩٢٠
الفلاح	عبد اللطيف الفلاحى	٢٠ حزيران ١٩٢١
دجلة	داود السعدى ورشيد الهاشمى	٢٥ حزيران ١٩٢١
لسان العرب	ابراهيم حلمى العمر	١٩٢١
الرافدان	سامى خونده	٢٦ ايلول ١٩٢١
المفيد	ابراهيم حلمى العمر	١١ نيسان ١٩٢٢
العاصم	حسن وشاكر الفصيبة	٥ تشرين الثاني ١٩٢٢
الناشئة الجديدة	ابراهيم صالح شكر	٢٧ كانون الاول ١٩٢٢

(١) اغلب هذه الصحف صدر في بغداد . وما صدر في غير بغداد
فستشير اليه بجانب اسم الصحيفة . وقد رتبنا هذه الصحف
حسب تاريخ صدورها . ولا يشمل هذا الفهرست جميع الصحف
العراقية التي صدرت ، بل ما استطعنا الوقوف عليه منها .

اسم الصحيفة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الامل	معروف الرصافي	١ تشرين الاول ١٩٢٣
العراق المسائي « ملحق رزوق داود غنام العراق »		٥ تشرين الاول ١٩٢٣
شط العرب	خلف شوقي الداودي	٢ آذار ١٩٢٤
العالم العربي	سليم حسون	٢٧ آذار ١٩٢٤
المصباح	سلمان شنينه	١٠ نيسان ١٩٢٤
الحضارة	منير اللبابيدي	٥ آيار ١٩٢٤
مرآة العراق	محمد ناجي صالح	١٧ ت ٢ ١٩٢٤
الصحيفة	حسين الرحال	٢٨ كانون الاول ١٩٢٤
السياسة	يوسف غنيمه	٣ آذار ١٩٢٥
النجف (النجف)	يوسف رجب	١٧ نيسان ١٩٢٥
الفضيلة	عبدالرزاق الحسنى	١ ايلول ١٩٢٥
نداء الشعب	ابراهيم بك كمال	٢٠ كانون الثاني ١٩٢٦
الاخاء (البصرة)	عبدالرحمن السيد	١٥ آب ١٩٢٦
المعارف	عبدالملك حافظ وسلمان الصفواني	١٩٢٦ ايلول
الارشاد	عبدالجليل آل جميل	٥ تشرين الثاني ١٩٢٦
الاخلاق	عبدالرحمن البناء	٢٤ كانون الاول ١٩٢٦
الفيحاء (الحلة)	عبدالرزاق الحسنى	٢٧ كانون الثاني ١٩٢٧
الخيرية (النجف)	عبدالمولي الطريحي	٢٩ كانون الثاني ١٩٢٧
صدى الجمهور (الموصل)	عيسى محفوظ	٢١ شباط ١٩٢٧
الزمان	ابراهيم صالح شكر	١١ تموز ١٩٢٧
النهضة العراقية	امين الخراز	١٠ آب ١٩٢٧
النظام	توفيق الفكيكي	٢٢ آب ١٩٢٧
الصراحة	هاشم الرفاعي	١٦ شباط ١٩٢٨
اللواء	محمد سعيد العزاوي	٢٠ آيار ١٩٢٨
البرهان	سلمان كوهين	١٩٢٨
التقدم	سلمان الشيخ داود	١٦ ت ٢ ١٩٢٨
الوطن (بدل الاستقلال)	عبدالغفور البدرى	٢٢ آيار ١٩٢٩
الناقد	سلمان الشيخ داود	١٣ حزيران ١٩٢٩
العور	عبدالرحمن البناء	٢٣ حزيران ١٩٢٩
المزمار	احمد عزت	١٦ تموز ١٩٢٩

اسم الصحيفة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الشباب	سعيد السامرائي	١٦ آب ١٩٢٩
صوت العراق (بدل على محمود النهضة)		٨ ايلول ١٩٢٩
نداء الشعب (بدل عبدالغفور البدرى الاستقلال)		٨ ايلول ١٩٢٩
البرهان	شاؤل حداد	١٧ تشرين الاول ١٩٢٩
البلاد	رفائيل بطي	٢٥ تشرين الاول ١٩٢٩
الحارس (بدل الاستقلال)	عبدالغفور البدرى	١ كانون الاول ١٩٢٩
صدى المزمارة	احمد عزت	٣ كانون الاول ١٩٢٩
المستقبل	ابراهيم صالح شكر	٢٩ كانون الاول ١٩٢٩
الايام	عبدالرزاق الناصري وعبدالجليل برتو	٤ كانون الثاني ١٩٣٠
الرافدان (بدل الاستقلال)	عبدالغفور البدرى	١٨ شباط ١٩٣٠
صوت العراق (بدل الاستقلال)	عبدالغفور البدرى	٢ تموز ١٩٣٠
صدى الاستقلال	عبدالغفور البدرى	١٥ ايلول ١٩٣٠
صدى العهد	عبدالرزاق الحصان	١٢ ت ١٩٣٠
صدى الوطن (بدل الاستقلال)	عبدالغفور البدرى	٢٥ ت ١٩٣٠
بغداد	عبدالرحمن البناء	٢٠ تموز ١٩٣١
الاخاء الوطنى	على جوده الايوبى، ثم عبدالاله حافظ	٢ آب ١٩٣١
الثبات	محمود رامز	١٩ كانون الاول ١٩٣١
الاهالى	حسين جميل ثم عبدالقادر اسماعيل	٢ كانون الثاني ١٩٣٢
الطريق	توفيق السمعانى	٦ مارت ١٩٣٣
العقاب	يونس بحرى	١٧ ت ١٩٣٣
صوت الاهالى	كامل الجادرجى	شباط ١٩٣٤
الثبات	محمود رامز	٣ آذار ١٩٣٤
الميثاق	يونس بحرى	١٩٣٤
العندليب	عبدالامير الناهض	٦ كانون الثاني ١٩٣٥
الوحدة	حميد فالح	١٢ كانون الثاني ١٩٣٥
المبدأ	جعفر ابو التمن	١٣ كانون الثاني ١٩٣٥

اسم الصحيفة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الاصلاح	مظفر فهمي	١١ آيار ١٩٣٥
الصباح	أ . ي . العزى	٢٠ تموز ١٩٣٥
الغروب	عباس علوان الصالح	٢٤ تموز ١٩٣٥
صوت الشعب	يوسف هرمز	١٩٣٥
الناقد	ميخائيل تيسي	١٩٣٦ آيار
النداء	توفيق السمعاني	١٩٣٦ ٢١ آيار
الانباء	عبدالرزاق الناصري	١٩٣٦ ٢٥ تموز
الحارس	مكي جميل	١٩٣٦ ١٢ تشرين الثاني
الانقلاب	محمد مهدي الجواهري	١٩٣٦ كانون الاول
الزمان	توفيق السمعاني	١٩٣٧ ١ آيار
فتاة العرب	مريم نومه	١٩٣٧ ٦ آيار
الدفاع	سر كيس حوراني، عبدالهادي خليل	١٩٣٧ ٣٠ حزيران
النهار	عبدالله حسن	١٩٣٧ ١٢ ايلول
الرأى العام	محمد مهدي الجواهري	١٩٣٧
الكلام	عبدالوهاب محمود السليم	١٩٣٨ ١٢ شباط
اليوم	جميل روى	١٩٣٨ ٢١ آذار
الاخبار	رفائيل بطي	١٩٣٨ ١٩ حزيران
الاخبار الاسبوعية « ملحق اسبوعي »		١٩٣٨
بالك	عبدالحميد فخرى	١٩٣٨
الاتحاد	ناجي سلمان العبيدي	١٩٣٩

٢ - المجلات

اسم المجلة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
تنوير الافكار	عبدالهادي الاعظمي	١٩١٠ ٢٦ آب
خردلة العلوم	رزوق عيسى	١٩١٠ تشرين الثاني
لغة العرب	انستاس ماري الكرملى	١٩١١ (١) تموز

(١) توقفت هذه المجلة عن الصدور قبيل الحرب الاولى ، ثم عادت وصدرت

عام ١٩٢٦ .

اسم المجلة	اسم منشئها	تاريخ ظهورها
الرياحين	ابراهيم منيب الباجه جي و ابراهيم صالح شكر	١٣٣٢ هـ
اللسان	صادق الوقاد الغزالي	١٩١٩ آب ١
الناشئة	ابراهيم صالح شكر	١٩٢١ كانون الاول
الرقيقة	عبد الاحد حبوش	١٩٢٢ تشرين الاول
ليلي	بولينا حسون	١٩٢٣ تشرين الاول
الحرية	رفائيل بطي ، عبد الجليل رزق الله	١٩٢٤ تموز ١٥
المعرض	احمد الاعظمي ، ونوري الاورفلي	١٩٢٥ تشرين الثاني
النشء الجديد (البصرة)	عبدالرزاق الناصري	١٩٢٧ شباط ١
الثقافة (البصرة)	عبد الجليل برتو	١٩٢٧ كانون الاول
الاقلام	علي ظريف الاعظمي	١٩٢٨ شباط ١
الحاصد	انور شاؤول	١٩٢٩ شباط ١٤
الوميض	لطفي بكر صدقي	١٩٣٠ تشرين الثاني
الاماني	عبدالرزاق شبيب	١٩٣١ حزيران ٣٠
الاماني القومية	عبدالوهاب محمود	١٩٣١ ايلول ٤
المؤرخ	رزوق عيسى	١٩٣٢ كانون الثاني
الاعتدال	محمد علي البلاغي	١٩٣٢ شباط
عطار	محمد محمود القشطيني	١٩٣٤ تموز ٧
الهاتف (النجف)	جعفر الخليلي	١٩٣٥ نيسان ٢٢
المصباح	محمد صالح بحر العلوم	١٩٣٥
المرأة الحديثة	حمدية الاعرجي	١٩٣٦ حزيران ١٧
المثنى	عبدالرحمن خضر	١٩٣٦ آب ٢٧
فتاة العراق (بدل المرأة الحديثة)	حسيبه راجي	١٩٣٦ آب ٢٩
العصر الحديث	عبدالرسول الخالصي	١٩٣٧ آيار ١
الغمد	رؤوف الجبوري	١٩٣٧ حزيران
المجلة (الموصل)	عبدالحق فاضل	١٩٣٨ تشرين الاول
القرى (النجف)	عبدالرضا آل كاشف الغطاء	١٩٣٩

الفهارس

١ - فهرست المجاميع القصصية والروايات^(١)

ابراهيم حقي محمد

مجموعة بين الحقيقة والخيال (اقصيص) • مطبعة النجاح - بغداد
١٩٣٧

ابو انيس زكي حسن

قصة في الحب والحياة (رواية) • مطبعة الجزيرة - بغداد - ١٩٣٨
آكوب كبرائيل

عجائب الزمان في صرح عروس البلدان (رواية) • المطبعة الكاظمية -
بغداد ١٩٢٨

انور شاؤل

الحصاد الاول • المطبعة الخيرية - بغداد ١٩٣٠
في زحام المدينة • شركة التجارة والطباعة المحدودة - بغداد ١٩٥٥

جعفر الخليل

التعساء • المطبعة العلوية - النجف ١٣٤١
يوميات • (جزآن) - ط ٢ مطبعة الراعي - النجف
اعترافات • مطبعة الراعي • النجف - ١٩٣٧
مجمع المتناقضات ط ١ - مطبعة الراعي - النجف
الضايح • ط ١ مطبعة الراعي - النجف - ١٩٣٧
حديث السعلي (الحلقة الاولى) ط ١ - مطبعة الراعي - النجف
خيال الظل (الحلقة الثانية) ط ١ - مطبعة الراعي - النجف
السجين المطلق (الحلقة الثالثة) ط ١ - مطبعة الراعي - النجف

خليل عزمي

دلال (قصة طويلة) • مطبعة الصباح - بغداد ١٩٢٨ (٢)

(١) يتضمن هذا الفهرست اسماء المجاميع القصصية والروايات المطبوعة

في كتب خاصة حتى عام ١٩٣٩ • مرتبة حسب اسماء المؤلفين •

(٢) لم نعثر على هذه القصة ، وانما أشار اليها سعدون الريس في كتابه :

« الادباء العراقيون المعاصرون ونتاجهم » ••

ذو النون أيوب

- رسل الثقافة - المطبعة العربية - بغداد - ١٩٣٧
الضحايا (١) .
صديقي . مطبعة الاهالي - بغداد ١٩٣٨
وحي الفن . مطبعة الاهالي - بغداد ١٩٣٨
برج بابل . مطبعة الاهالي - بغداد ١٩٣٩
الكادحون . مطبعة ام الربيعين - الموصل - ١٩٣٩
الدكتور ابراهيم (رواية) . ط ١ مطبعة أم الربيعين - الموصل ١٩٣٩
ط ٢ شركة التجارة والطباعة - بغداد ١٩٦٠

سعيد عبدالاله الشهابي

- مجموعة اقاويص موضوعة . المطبعة العربية - بغداد - ١٩٣٥

سليمان الصائغ

- يزدانودخت الشريفة الاربيلية (رواية تاريخية) . ط ٢ (جزآن)
مطبعة النجم الموصل - ١٩٥٣

سليمان فيضي

- الرواية الايقاظية . مطبعة الحكومة - البصرة - ١٩١٩

شالوم درويش

- احرار وعبيد . مطبعة الرشيد - بغداد - ١٩٤١ (٢)

صبري عبدالله

- البنادق المسروقة (رواية) . مطبعة الاهالي - ١٩٣٩

ضياء سعيد

- صور الحياة . ج ١ مطبعة الغري - النجف - ١٩٣٨

عبدالله حلمي ابراهيم

- عذراء الفرات (رواية) . مطبعة الراعي - النجف (٣)

عبدالله حسن

- اقباس الغرام . مطبعة الجزيرة - بغداد - ١٩٣٨

-
- (١) لم تشر الطبعة التي لدينا الى اسم المطبعة ولا الى تاريخ الطبع .
(٢) تاريخ طبع هذه المجموعة متأخر ، ولكن جميع قصصها نشرت في
الصحف والمجلات في الثلاثينات .
(٣) لم نعر على هذه الرواية وانما اشارت اليها مجلة الاعتدال النجفية
في غلاف مجلتها الاخير . العدد ٦ - ت ٢ - ١٩٣٤

عبد الحق فاضل

- مجنونان (رواية) ط ١ - مطبعة أم الربيعين - الموصل ١٩٣٩
ط ٢ - مطبعة الرابطة - بغداد - ١٩٥٨
مزاح وما أشبهه . مطبعة أم الربيعين - الموصل - ١٩٤٠
طواغيت . مطبعة الرابطة - بغداد - ١٩٥٨
حائرون . مطبعة الرابطة - بغداد - ١٩٥٨ (١)

عبدالمجيد لطفى

اصدء الزمن . مطبعة الامة - بغداد - ١٩٣٨

عبدالوهاب الامين

مجموعة قصص من الأدب الحديث . مطبعة الثغر - البصرة

عربي عراقي

من بنات الناس (رواية) . المطبعة العصرية - دمشق ١٩٣٩

علي الشبيبي

رنة الكاس (رواية) . مطبعة الغرى - النجف - ١٩٣٦

فؤاد بطي

صبيحات الفؤاد . مطبعة الصباح - بغداد ١٩٣٩

كاظم مكّي

صفوان الاديب « رواية » . مطبعة الفيحاء - البصرة - ١٩٣٩

محمد بسيم النويب

الثمرات (الثمرة الاولى والثانية) . دار الطباعة الحديثة - بغداد
- ١٩٢٨ (٢)

محمد حسن النمري القطيفي

في الفرات الاوسط (رواية) . مطبعة النجاح - بغداد - ١٩٣١

محمود احمد السيد

في سبيل الزواج (رواية) . ط ١ - القاهرة (٣)

-
- (١) قصص مجموعات عبدالحق فاضل كتب معظمها قبل ١٩٣٩ وان طبعتها في تاريخ متأخر .
(٢) ليست هذه المجموعة خالصة للقصة ففيها بعض الخواطر الشعرية ،
والقصائد بالاضافة الى القصص .
(٣) اهداه الرواية موقع في اول مارس ١٩٢١

مصير الضعفاء (رواية) مطبعة الاعتماد - مصر - ١٩٢٢
النكبات . مطبعة المعاهد - مصر ١٩٢٢
جلال خالد (قصة عراقية موجزه) . مطبعة دار السلام - بغداد -
١٩٢٨
الطلائع . مطبعة الآداب - بغداد - ١٩٢٩
في ساع من الزمن . مطبعة العهد - بغداد - ١٩٣٥

ميخائيل الياس غسالي

العدالة (١)

مير بصري

رجال وظلال . بغداد - ١٩٥٥ (٢)

يعقوب بلبول

الجمرة الاولى . ط ١ - مطبعة المعارف - بغداد ١٩٣٨

يوسف حناني اسحق وجوري عيسى قلاب

ضحايا الامال . مطبعة النجاح - بغداد (٣)

يوسف هرمز

الضعفاء . المطبعة الوطنية - البصرة (٤)

-
- (١) لم نعر على نسخة من هذه المجموعة وانما اشارت اليها مجلة الحاصد في العدد ٤٠ السنة ٧ - ك٢ - ١٩٣٨ ص: ١٧ . وذكرت عنها انها «مجموعة بحوث وقصص خيالية تقع في ٥٦ صفحة . وفي التعريف اشارة الى ان للمؤلف مجموعة اخرى تسبق هذه المجموعة لم نعر عليها ايضا .
- (٢) في المجموعة قصص كتبت في الثلاثينات .
- (٣) قصص هذه المجموعة التي كتبها يوسف حناني اسحق نشرت في الصحف عام ١٩٢٨
- (٤) لم نعر على هذه المجموعة وانما اشارت اليها مجلة لغة العرب في الجزء ٩ السنة ٥ - ١٩٢٧ - ص: ٥٦٧ .

٢ - فهرست القصص والروايات المنشورة في الصحف والمجلات العراقية^(١)

أبا سعاد

قلب صديق . بالك - العدد ٧٧/٣٩ - السنة ١ - ٢٦ ت ١٩٣٨

ابراهيم حرج الوائلي

قصة مجنون . الهاتف - العدد ٢٧ - السنة ١ - ١٧ نيسان ١٩٣٦
الحب القاسي . الهاتف - العدد ٤٥ - السنة ٢ - ٤ ايلول ١٩٣٦
صفحة من غرام الريف - الهاتف - العدد ١٣١ - السنة ٤ - ٢٢ تموز
١٩٣٨

من صور الحياة . الهاتف - العدد ١٤٤ - السنة ٤ - ٢٨ ت ١٩٣٩

ابراهيم حقي محمد

سر الورقة . بالك - العدد ٥٠/١١ - السنة ١ - ٣١ ك ١٩٣٨
ضحية الشرائع الملققة . بالك - العدد ٥٢/١٣ - السنة ١ - ١١
شباط ١٩٣٨

ابراهيم السيار

احبولة . صدى العهد - العدد ٣١٤ - السنة ٢ - ٢٧ آب ١٩٣١

ابراهيم على

صديقي العاشق . العراق - الاعداد ٣٩٦٥ ، ٣٩٦٦ ، ٣٩٦٧ ،
٣٩٦٨ ، ٣٩٦٩ السنة ١٤ - آب ١٩٣٥ .
قبل الزواج . العراق - العدد ٤٠٧١ - السنة ١٤ - ٣ ك ١٩٣٦

ابراهيم القس

الروح الشريرة . البلاد - العدد ٩٦ - السنة ١ - ١ مارت ١٩٣٠

ابراهيم محمود الغبان

الموظف السجين . الكلام - العدد ٣ - السنة ١ - ٢٦ شباط ١٩٣٨

(١) يتضمن هذا الفهرست عناوين القصص والروايات التي استطعت
الوقوف عليها في الصحف والمجلات العراقية حتى عام ١٩٣٩ مرتبة
تبعاً لاسماء المؤلفين بالترتيب الهجائي . وكلها قصص قصيرة
عدا ما سنذكر انه رواية بجانبه .

ابراهيم المعروف

رؤيا حالم . الاتحاد - العدد ١٠ - السنة ١ - ٨ شباط ١٩٣٩

ابراهيم وصفى رفيق

الحاضر . الاهالي - العدد ٣٨٥ - السنة ٣ - تموز ١٩٣٤
خيبة . الاهالي - العدد ٤٠٥ - السنة ٣ - ٦ آب ١٩٣٤
بائع الصحف . الاهالي - العدد ٤١٢ - السنة ٣ - ٢٤ آب ١٩٣٤
ليلة مقمرة . الاهالي - العدد ٤١٥ - السنة ٣ - ٢٧ آب ١٩٣٤

ابن الثورة

من ايام الثورة . النهضة العراقية - الاعداد ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ،
٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٦٧ . السنة ٢ تموز وآب ١٩٢٩ .

ابن جلال

واقعية . الاتحاد - العدد ٢ - السنة ١ - ٢٥ ك ١ - ١٩٣٩

ابن زيدون

صديقي الفيلسوف . الطريق - الاعداد ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ - السنة ٣
آب ١٩٣٥ .

ابن الصياد

جناية الوالدين . البلاد - العددان ٩٣ ، ٩٤ - السنة ١ - شباط
١٩٣٠

ابو اسامة

ذكرى اليمية . الاستقلال - العدد ١٦٣٩ - السنة ١٢ - ٢ - ١٩٣١
نهاية . الاستقلال - العدد ١٦٤١ - السنة ١٢ - ٢ - ١٩٣١

ابو فائز

أمها المنحوسة . المصباح (م) (١) - العدد ٤٣ - السنة ١ - ١٨ نيسان
١٩٣٦

في سبيل الزواج . المرأة الحديثة (م) - العدد ٣ - السنة ١ - ٥
تموز ١٩٣٦

ابو الهيثم

الوحد . المثني (م) - العدد ٢٢ - السنة ١ - ٣٠ ك ٢ - ١٩٣٧

(١) (م) تعني مجلة وستاتي عندما نشعر أن ثم التباساً .

١٠ ج

مؤتمر الحيوانات . العراق - العدد ٢٢٨٢ - السنة ٢ - ٢١ شباط
١٩٢٨

١٠ س . شكرجي

على فراش الموت . المصباح - العدد ٨٢ - السنة ٢ - ٣١ ك - ١٩٢٥

أحمد سعيد

فتاة الخيوط الحريرية . الهاتف - العدد ١٤٦ - السنة ٤ - ١١ ت
١٩٣٨

أحمد عبدالرزاق

أبيع شقيقتي فيكم تشتريها . الحاصد (م) - العدد ٩ - السنة ٣ -
أيلول ١٩٣١

أحمد كريم

فاجعة في عيد . العراق - العدد ٣٣٩٨ - السنة ١٢ - ٥ حزيران
١٩٣١

أحمد مهملوح

ابن القرية . الاتحاد - العدد ٦٦ - السنة ١ - ١٧ نيسان ١٩٣٩

الاسرائيلي المتأثر

نزع القناع عن مكر ذوى الخداع . المصباح - العدد ١٠٦ وما بعده
- السنة ٣ - ١٥ تموز ١٩٢٦ .

البرت س . الياس

جريمة غنى . المصباح - الاعداد ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ - السنة ٢ - آب ١٩٢٥

البيير قطان

هو الحب . الحاصد - العدد ١٣ - السنة ٤ - ١ ت - ١٩٣٢

الياس الكاتب

مذكرات مدرس . العراق - العدد ٣٥١٧ - السنة ١٤ - ٢١ ايلول
١٩٣٤

الطالب الفنان . العراق - العدد ٣٥٢٢ - السنة ١٤ - ٢٧ ايلول
١٩٣٤

لولا شكه بها . العراق - العددان ٣٥٨٧ ، ٣٥٨٨ - السنة ١٤ - ك - ١
١٩٣٤

القاتل . المثني - العدد ١٤ - السنة ١ - ٢٨ ت - ١٩٣٦

ذات الشعر الاحمر . المثني - العدد ١٥ - السنة ١ - ٥ ك - ١٩٣٦

غرامه الاول . المثني - العدد ٢٤ - السنة ١ - ١٣ شباط ١٩٣٧

الجحيم . الانقلاب - العدد ٥٧ - السنة ١ - ٢٠ آذار ١٩٣٧

اليهاو كرجى صيون

زواج في بلاد الغرب . الدفاع - العدد ١٧ - السنة ١ - ١٩ تموز
١٩٣٧ (١)

شخصان في واحد لص ورجل أعمال . الدفاع - العدد ٢١ - السنة ١ -
٢٣ تموز ١٩٣٧

المجنون . الدفاع - العددان ٢٨ ، ٢٩ - السنة ١ - آب ١٩٣٧

اليشاع شعشوع

زوج دنىء . العراق - العدد ٣٥٥٧ - السنة ١٤ - ٧ ت ٢ - ١٩٢٤

أنا

ذكريات . الاستقلال - العدد ١٤٢٩ - السنة ٩ - ٢٢ شباط ١٩٢٩

ذكريات . الاستقلال - العدد ١٤٤٨ - السنة ٩ - ٤ مارت ١٩٢٩

ليله . الاستقلال - العدد ٢٢٥٠ - السنة ١٥ - ١٩ آب ١٩٣٤

أنور زلخه

شمس تغييب . البلاد - العدد ٢٠٤ - السنة ١ - ١٤ تموز ١٩٣٠

أنور شاول (٢)

العاشق الغادر . المصباح - العددان ٢٩ ، ٣٠ - السنة ١ - نوفمبر
١٩٢٤

في حصار الكوت . العالم العربي - العدد ١١٣٦ - السنة ٤ - ٢٥ ت ٢ -
١٩٢٧

ذكريات . العالم العربي - العدد ١١٤٢ - السنة ٤ - ٢ ك ١ - ١٩٢٧

صرخة الحب . الحاصد - العدد ٢٦ - السنة ٢ - ٢ ك ٢ - ١٩٣١

أياسى ميهون

الحياة بين حبيبين . الثقافة (م) - العدد ٧ - السنة ١ - حزيران
١٩٢٨

ب . الشيباني

قفس الدجاج . الاحرار - العدد ١٤ - السنة ١ - ٢٨ حزيران ١٩٣٣

ب . ك . ذ

المشقوق . العالم العربي - العدد ١٤٨٢ - السنة ٥ - ١١ ك ٢ -
١٩٢٩

(١) اعاد نشر هذه القصة بعنوان آخر هو « قلب مكتوم » في الهاتف -

العدد ٢٨ - السنة ٤ - آب ١٩٣٧

(٢) قصصه التي لم يضمها الى مجموعتيه .

ب . ي . ي

احلام تحققت . الكلام - العدد ٩ - السنة ١ - نيسان ١٩٣٨

بهاء الدين

الروح الهائمة . الهاتف - العدد ٣١ - السنة ٢ - ١٥ آيار ١٩٣٦
بين القسوة والرحمة . الهاتف - العدد ٣٨ - السنة ٢ - تموز ١٩٣٦
ضحية الوشاية الكاذبة . الهاتف - العدد ٣٩ - السنة ٢ - ١٠ تموز
١٩٣٦

قلب موزع . الهاتف - العدد ٤٦ - السنة ٢ - ١٠ ايلول ١٩٣٦

توفيق السمعاني

الغصنان الذابلان . مرآة العراق (م) - العدد ١٥ - السنة ١ - ٢٤ ك
١٩٢٥

الوفاء والنصيحة . المفيد - العدد ٣١٤ - السنة ٢ - ٢ شباط ١٩٢٥
عمشه المطلقة . الحاصد - العدد ٤ - السنة ١ - آذار ١٩٢٩

الخاتم . الحاصد - العدد ١١ - السنة ١ - نيسان ١٩٢٩
غادة تبكي . البلاد - العدد ١٩٧ - السنة ١ - ٤ تموز ١٩٣٠
منا رقد الحب والوفاء . البلاد - العدد ٢٠٣ - السنة ١ - ١١ تموز
١٩٣٠

يونا البائس . البلاد - العدد ٢٠٨ - السنة ١ - ١٨ تموز ١٩٣٠

توماس حبيب

غرام بالصدفة . الكلام - العدد ٢ - السنة ١ - ١٩ شباط ١٩٣٨

ج

لابد من احدى اثنتين - الهاتف - العدد ٧٣ - السنة ٢ - ١٩٣٧

ج . برنوطي

جناية الاباء . الاتحاد - العددان ٤٩ ، ٥٠ - السنة ١ - آذار ١٩٣٩

ج . ح

اولجا . المجلة (م) - العدد ٩ - السنة ١ - ١ شباط ١٩٣٩

ج . خ

سر الجريمة . الهاتف - العدد ٣٢ - السنة ٢ - ٢٢ آيار ١٩٣٦
الشيخ . الهاتف - العدد ٦٦ - السنة ٢

ج . سلمان

الشبح القاتل . الصباح - العدد ٧١ - السنة ١ - ٢٥ تموز ١٩٣٦

جرجس يوسف

- قصة ليله . الحاصد - العدد ١٦ - السنة ٣ - ت ٢ - ١٩٣١
احدى لياليه . الاخبار (بدل الاخاء الوطنى) - العدد ١٠٠ - السنة ١
٢٩ ت ٢ - ١٩٣١
ثلاث سنين بعد الزواج . الحاصد - العدد ٤٣ - السنة ٣ - آيار
١٩٣٢
أو قبله . الحاصد - العدد ١١ - السنة ٤ - ت ١ - ١٩٣٢

جعفر آل مرزه

- بين الرقدة واليقظة . النجف - الاعداد ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ - السنة ٢
حزيران وتموز ١٩٢٦

جعفر حسين

- الغريقان - الاعتدال (م) - العدد ٣ - السنة ٢ - آب ١٩٣٤

جليل قسطو

- حسنة القرية . الكلام - العدد ١٠ - السنة ١ - ١٦ نيسان ١٩٣٨

جمال

- حنين الفؤاد المعذب . الدفاع - العدد ١٦ - السنة ١ - ١٨ تموز ١٩٣٧

جمال الدين الألوسى

- العباءة . الهاتف - العدد ٦٠ - السنة ٢ - ١٩٣٧

جهاد سعيد

- الحذار من الحب . العراق - العدد ٤٠٠٦ - السنة ١٤ - ١٤ ت ١ -
١٩٣٥

ح . تيمور

- خاتمة الفقراء . الاخبار (بدل الاخاء الوطنى) - العدد ٩٠ - السنة ١
١٧ ت ٢ - ١٩٣١

ح . د

- الفتى المفقود . العالم العربى - الاعداد ٣٨١١ ، ٣٨١٢ ، ٣٨١٣ ،
٣٨١٥ ، ٣٨١٦ - السنة ١٣ - شباط ١٩٣٧
يلازمه سوء الطالع ولا يفارقه . العالم العربى - العددان ٣٨١٨ ،
٣٨٢٠ - السنة ١٣ - شباط ١٩٣٧
من جد وجد . العالم العربى - العدد ٣٨٣٣ - السنة ١٣ - ٥ آذار
١٩٣٧

مثال الشرف ومثال الشمم . العالم العربي - العددان ٣٨٦٩ ، ٣٨٧٠ ،
السنة ١٤ - ١٨ نيسان ١٩٣٧
أبو شامه . العالم العربي - العدد ٣٨٧٢ - السنة ١٤ - ٢٢ نيسان
١٩٣٧
الوسواس . العالم العربي - العدد ٣٨٧٨ - السنة ١٤ - ٢٩ نيسان
١٩٣٧
هاكم صينيتكم فأعيدوا بطاقتنا . العالم العربي - العدد ٣٨٨٤ -
السنة ١٤ - ١٥ ايار ١٩٣٧
غدا تضوع رائحته . العالم العربي - العدد ٣٨٨٧ - السنة ١٤ - ٩
آيار ١٩٣٧
شاهزاده . العالم العربي - العددان ٣٨٩٧ ، ٣٨٩٨ - السنة ١٤ آيار
١٩٣٧
ناكر الجميل . العالم العربي - العدد ٣٩١٤ - السنة ١٤ - ١٠
حزيران ١٩٣٧
الأكول . العالم العربي - العدد ٣٩٢٣ - السنة ١٤ - ٢٠ حزيران
١٩٣٧

ح . س

الزوج المعذب . الحاصد - العدد ٣١ - السنة ٣ - آذار ١٩٣٢
عندما تثور الغيره . الحاصد - العدد ٤٨ - السنة ٣ - حزيران ١٩٣٢

ح . عبد الرزاق

الرسائل . الرأي العام - الاعداد ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ - السنة ٢ - تموز
١٩٣٨

حافظ خالد

ذكرى ميسلون . البلاد - العدد ٥٧ - السنة ١ - ١٥ ك ٢ - ١٩٣٠

حامد توفيق

الناثر . الرأي العام - الاعداد ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ - السنة ٢ - آيار ١٩٣٨

حسان

الزوجة المحبوبة . الهاتف - العدد ٦٥ - السنة ٢

حسن جمعه

يندم على طلاقها . الحاصد - العدد ٤٦ - السنة ٣ - حزيران ١٩٣٢

حسن الجوهري

مباراة قصصية . الهاتف - العدد ١٢٧ - السنة ٤ - ٢٤ حزيران
١٩٣٨

حلمان . الهاتف - العدد ١٤٩ - السنة ٤ - ٦ ك ٢ - ١٩٣٩
على هامش الوصية . الهاتف - العدد ١٥٣ - السنة ٤ - ٣ شباط
١٩٣٩

لا لوم على المرأة . الاتحاد - العدد ٣٧ - السنة ١ - ١٣ آذار ١٩٣٩
بيت الذاكرة . الهاتف - العدد ١٦١ - السنة ٤ - ٤ مارت ١٩٣٩
بقي كما هو . الهاتف - العدد ١٦٢ - السنة ٤ - نيسان ١٩٣٩
يشقيه الحب ويقتله . الهاتف - العدد ١٦٦ - السنة ٤ - ١٩٣٩
المرأة اذا وفّت . الهاتف - العدد ١٨٢ - السنة ٥ - ١٩٣٩
الحياة والحب في القرية العراقية . الهاتف - العدد ١٨٥ - السنة ٥
١٩٣٩

حسن مريود

من ضحايا « العصبية القبلية » . العراق - العدد ٣٤٩٦ - السنة ١٤
٢٥ آب ١٩٣٤

روعة الفوز . العراق - العدد ٣٤٩٧ - السنة ١٤ - ٢٧ آب ١٩٣٤
خيبة الأمل . العراق - العدد ٣٤٩٩ - السنة ١٤ - ٢٩ آب ١٩٣٤
نهاية فاجر . العراق - العدد ٣٥١٢ - السنة ١٤ - ١٤ ايلول ١٩٣٤

حسين مروه

شهيد . الهاتف - (العدد القصصى) - العدد ١٦٤ - السنة ٥ -
١٩٣٩

حسين الحاج وهج

من سجل الريف . الهاتف - العدد ١٧٥ - السنة ٥ - ١٩٣٩

حمدي عبدالقادر

قضية طفل بين ابويه . الاتحاد - العدد ٣٦ - السنة ١ - ١٢ آذار
١٩٣٩

خالد

العزله . السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٩٠ - السنة ٢ - ٢٦
شباط ١٩٣١

من القاتل . السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٩٧ - السنة ٢ - ٦
آذار ١٩٣١

العقل الباطن . السياسة (بدل البلاد) - العدد ٤١١ - السنة ٢ -
٢٣ آذار ١٩٣١

خلف شوقي أمين الداودي

دموع البؤساء . الثقافة (م) - العدد ٩ ، ١٠ - السنة ١ - آب
وأيلول ١٩٢٨

الفلقة . النشر الجديد (م) - العددان ٢ ، ٤ - ٥ - السنة ٢ - ١٩٢٨
عيد الفقراء (١) . الاقلام (م) - العدد ٩ ، ١٠ - السنة ١ - ت ٢ -
١٩٢٨

حسيبه . البلاد - العدد ٦٩ - السنة ١ - ٢٩ ك ٢ - ١٩٣٠
الهاوية . العراق - العدد ٢٩٩٢ - السنة ١٠ - ٧ شباط ١٩٣٠

خ . ع

الآنسة في الارجوحة . الرأي العام - العدد ٢٧٦ - السنة ٤ - ٢٠
ك ١ - ١٩٣٩

د . الوتري

المرأة الشيطان . العراق - الاعداد ٢٣٥٤ - ٢٣٥٥ ، ٢٣٥٦ ، ٢٣٥٧ ،
٢٣٥٩ ، ٢٣٦٠ - السنة ٨ - ك ٢ - ١٩٢٨

ر

تصفية حساب . المناهل (م) - العدد ٥ - السنة ١ - ٢٩ ك ١ -
١٩٣٧

ر . ح

ضحية الجهل . الاخاء (البصرية) - العدد ١٠٨ - السنة ٢ - ٣ ايلول
١٩٢٧

رزوق قرمه

مصرع الحب الطاهر . الحاصد - العدد ٢٨ - السنة ٣ - شباط ١٩٣٢

رزوق نعوم مراد

مأساة صديق . صوت الشعب - العدد ٣٣٤ - السنة ٢ - ٢٣ ت ١ -
١٩٣٥

رفيق ابيض

في انتظار الحبيبة . بغداد - العددان ٤٦ ، ٤٧ - السنة ٢ - ايلول
١٩٣٢

رؤف جواد

جريمة أب . الهاتف - العدد ١٤١ - السنة ٤ - ٧ ت ١ - ١٩٣٨

(١) رمز الكاتب لنفسه عند نشره لهذه القصة بحرفي خ . ش

روز فرسيس

ضحية . الاخاء الوطني - العدد ٢٤ - السنة ١ - ٢٨ آب ١٩٣١
ضحية الغرام . النهضة العراقية - العددان ٥٠٦ ، ٥٠٧ - السنة ٣
ايار ١٩٣٠

زيد

نهاية . الاستقلال - الاعداد ١٨١٦ ، ١٨١٧ ، ١٨١٨ - السنة ١٣
شباط ١٩٣٣
شباب . الاستقلال - العددان ١٨٢٠ ، ١٨٢١ - السنة ١٣ شباط
١٩٣٣

س . . .

هذا مجرمكم . الحارس - العدد ٨٤ - السنة ١ - ١٩ شباط ١٩٣٧

سامي ابراهيم

بعد فقدان امها . الحاصد - العدد ٤٩ - السنة ٣ - تموز ١٩٣٢

سامي خونده

سلمى ونديم (روايه) . الاستقلال - الاعداد ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤١ - السنة ٤ - مايس ١٩٣١

سانين

دفين الكوخ . الغد (م) - العدد ١ - السنة ١ - حزيران ١٩٣٧

ستيرينه ابراهيم

لم يكن متسلحا ليكافح . الحاصد - العدد ٢٧ - السنة ٢ - ك ٢ -
١٩٣١

الحنان القاتل . الحاصد - العدد ٣٨ - السنة ٢ - نيسان ١٩٣١

لماذا هجر زوجته . الحاصد - العدد ١ - السنة ٣ - تموز ١٩٣١

م الحاصد - العدد ٢٠ - السنة ٣ - ك ١ - ١٩٣١

الأرملة التي اختفت . الحاصد - العدد ٤٥ - السنة ٣ - حزيران
١٩٣٢

م الحاصد - العدد ٢٩ - السنة ٤ - شباط ١٩٣٣

فريسة . الحاصد - العدد ٤٣ - السنة ٤ - حزيران ١٩٣٣

س . و

ساعة الاحتضار . البلاد - العدد ٥٥ - السنة ١ - ١٣ ك ٢ - ١٩٣٠

الشقيقان . البلاد - العدد ٧٧ - السنة ١ - ٧ شباط ١٩٣٠

الفرار . البلاد - الاعداد ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ -
السنة ١ - آذار ١٩٣٠

من مهازل الزواج . البلاد - العددان ١٢٦ ، ١٢٧ - السنة ١ - نيسان
١٩٣٠

الزوجية حقوق • الزمان (بدل البلاد) - الاعداد ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
السنة ٢ - شباط ١٩٣١
انتقام موظف • السياسة (بدل البلاد) - العددان ٣٨٥ ، ٣٨٩ -
السنة ٢ - شباط ١٩٣١

سعيدة سعيد يحيى

الدمية • المجلة - العدد ٢٢ - السنة ١ - ١٦ آب ١٩٣٩

••• سعيد

النهر الكريه • الاتحاد - العددان ١٣ ، ١٤ - السنة ١ - شباط ١٩٣٩

سعيد عبدالاله

حديث غرام • الحاصد - العدد ٢٢ - السنة ٢ - ك ١ - ١٩٣٠
الموقف الاخير • الاخبار (بدل الاخاء الوطنى) - العدد ١٠١ - السنة ١
ت ٢ - ١٩٣١

اب • الحاصد - العدد ٣٢ - السنة ٥ - شباط ١٩٣٦
الشفاء • الحاصد - العدد ٤٠ - السنة ٥ - نيسان ١٩٣٦
صيد السمك • الدفاع - العدد ٢٧ - السنة ١ - ٣٠ تموز ١٩٣٧

سلمان درويش

الفقير (صفحة من كتاب الآلام) • الاستقلال - العدد ١٤٥١ - السنة ٩
٨ مارت ١٩٢٩

تجربة • العالم العربى - العدد ١٧١٤ - السنة ٤ - ١٣ ت ١ - ١٩٢٩
الصدافقة فوق الحب • البلاد - العدد ٧ - السنة ١ - ات ٢ - ١٩٢٩
فى باريس • البلاد - العدد ٥٨ - السنة ١ - ١٦ ك ٢ - ١٩٣٠
فى مفترق الطرق • البلاد - العدد ٨٧ - السنة ١ - ١٩ شباط ١٩٣٠

سلمان الصفوانى

فى المحكمة (من أجل الحب) • الوطن - العدد ٤٥ - السنة ١ - ٢٨
حزيران ١٩٢٩
عبدالله شاكى • الحاصد - العدد ١٦ - السنة ٢ - ت ٢ - ١٩٣٠
فتاة بين زوجين • الحاصد - العدد ١٨ - السنة ٣ - ت ٢ - ١٩٣١

سليم بطنى

قلب صخر • الوطن - العدد ٨٦ - السنة ١ - ١٥ أغسطس ١٩٢٩
الزوج السكير • البلاد - العدد ٤ - السنة ١ - ٣١ ت ١ - ١٩٢٩
فى العرس • البلاد - العدد ٣٥ - السنة ١ - ١٩ ك ١ - ١٩٢٩
صحبة رأس السنة • البلاد - العدد ٤٥ - السنة ١ - ١ ك ٢ - ١٩٣٠

الأثر الدامي • البلاد - العدد ١٢٣ - السنة ١ - ٤ نيسان ١٩٣٠
تقريع الضمير • البلاد - العددان ١٣٣ ، ١٣٤ - السنة ١ - نيسان
١٩٣٠

ضحية • البلاد - الأعداد ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ - السنة ١ - تموز ١٩٣٠
المهاجر • التقدم (بدل البلاد) - العددان ٢١٣ ، ٢١٤ - السنة ١ -
تموز ١٩٣٠

في النادي • الزمان (بدل البلاد) - العددان ٢٧٧ ، ٢٧٨ - السنة ١
ت ١ - ١٩٣٠

تحت ستار الغلام • الاخبار (بدل البلاد) - العددان ١٢ / ٤٣٠ ،
١٤ / ٤٣٢ السنة ١ - تموز ١٩٣١

هو الحب • الاخاء الوطني - العدد ١ - السنة ١ - ٢ آب ١٩٣١

اميليا • الاخاء الوطني - العددان ٣ ، ٤ - السنة ١ - آب ١٩٣١

صياد النساء • الحاصد - العدد ٣٢ - السنة ٣ - آذار ١٩٣٢

غرام عنراء • الاخاء الوطني - العدد ٢٩١ - السنة ٢ - ٣ ت ١٩٣٢

الزوجة العنراء • الحاصد - العدد ٣٥ - السنة ٤ - آذار ١٩٣٣

قلب مكلوم • الحاصد - العدد ٣ - السنة ٦ - آيار ١٩٣٦

سليم ربيع

مأساة صديق • الحاصد - العدد ٨ - السنة ٢ - ٢ ك ١٩٣١

الشقيان • الحاصد - العدد ٢٤ - السنة ٣ - ٢ ك ١٩٣٢

سليم يوسف العماري

جناية والدة أو الام الجاهلة - المعارف - العدد ٨ - السنة ١ - ٢٢ ت ١٩٣٦

سليمان الياسين

انفجار الحب • الحاصد - العدد ٢٠ - السنة ٢ - ٢ ك ١٩٣٠

شاكر جرجيس

خاتم وخاتمة • صوت الشعب - العدد ٣٣٥ - السنة ٢ - ٢٤ ت ١٩٣٥

١٩٣٥

مجنون • صوت الشعب - العدد ٣٥٣ - السنة ٢ - ١٣ ت ١٩٣٥

شالوم درويش (١)

في عالم الزواج • الاستقلال - العدد ١٣٠٣ - السنة ٩ - ايلول ١٩٢٨

المثلة • الاستقلال - العدد ١٤٢٧ - السنة ٩ - شباط ١٩٢٩

صديقي العاشق • العراق - العدد ٢٨٧٩ - السنة ١٠ - ٢٧ ايلول ١٩٢٩

١٩٢٩

(١) قصصه التي لم يضمها الى مجموعتيه : «احرار وعبيد» و «بعض الناس»

مارى • البلاد - العدد ١٧ - السنة ١ - ٢٨ ت ٢ - ١٩٢٩
نتيجة الامتحان • البلاد - العدد ٢٢ - السنة ١ - ٤ ك ١ - ١٩٢٩
بعد سقوط البصرة • البلاد - العدد ٢٥ - السنة ١ - ٨ ك ١ - ١٩٢٩
طريقة مبتكرة الى عشاق الحياة الزوجية السعيدة • العراق - العدد
٢٩٦٩ - السنة ١٠ - ٢ ك ٢ - ١٩٣٠
ضرب من المجون • البلاد - العدد ١٢٥ - السنة ١ - ٧ نيسان ١٩٣٠
تحطم قلبي • الحاصد - العدد ٢ - السنة ٢ - تموز ١٩٣٠
وفاء صديق • الحاصد - العدد ٨ - السنة ٢ - ايلول ١٩٣٠
سهام عينيها • الحاصد - العدد ١٧ - السنة ٢ - ت ٢ - ١٩٣٠
التجربة القاسية • الحاصد - العدد ٣١ - السنة ٢ - شباط ١٩٣١
خادم القهواتي • الحاصد - العدد ٣٦ - السنة ٢ - آذار ١٩٣١
مناورات الجيش • الحاصد - العدد ٣ - السنة ٣ - ٢ ب - ١٩٣١
الساقطة • الحاصد - العدد ٤ - السنة ٣ - آب ١٩٣١
عزى بك • الحاصد - العدد ٦ - السنة ٣ - ايلول ١٩٣١
من رسائل راقصة • الحاصد - العدد ١١ - السنة ٣ - ت ١ - ١٩٣١
الهاربان • الحاصد - العدد ١٥ - السنة ٣ - ت ٢ - ١٩٣١
الباحث عن ابيه • الحاصد - العدد ١٨ - السنة ٣ - ت ٢ - ١٩٣١
عاشق الوهم • الحاصد - العدد ٢٣ - السنة ٣ - ك ١ - ١٩٣١
عندما تثور الذكريات • الحاصد - العدد ٢٧ - السنة ٣ - ك ٢ -
١٩٣٢

حمدي • الحاصد - العدد ٣٥ - السنة ٣ - آذار ١٩٣٢
على صخرة الحقيقة • الحاصد - العدد ٥٠ - السنة ٣ - تموز ١٩٣٢
الرسالة الاولى • اننى احبك ٠٠٠ ليتك تعلمين • الحاصد - العدد ٢٠
السنة ٤ - ك ١ - ١٩٣٢

مغامرات • الحاصد - العدد ٢٤ - السنة ٤ - ك ٢ - ١٩٣٣
ليلة سوداء • الحاصد - العدد ٣٠ - السنة ٤ - شباط ١٩٣٣
المصروع • الحاصد - العدد ٤١ - السنة ٤ - آيار ١٩٣٣

الشاعر الصغير

حكاية مجنون • العراق - العدد ٢٣٧٩ - السنة ٨ - شباط ١٩٢٨

شاؤل حداد

الحرب • العراق - العدد ٢٣٩٥ - السنة ٨ - ٧ آذار ١٩٢٨

شكري محمود احمد

اغتيال سنحاريب . الغروب - العدد ١ - السنة ١ - ٢٤ تموز
١٩٣٥

شهاب القيسي

البائسة . الهاتف - العدد ٢٤ - السنة ١ - ٢٧ آذار ١٩٣٦

ص

الكتمان . الاهالي - العدد ٤٠٧ - السنة ٣ - ٩ آب ١٩٣٤

أمل . الاهالي - العدد ٤٢٠ - السنة ٣ - ٢ ايلول ١٩٣٤

صادق محمد الازدي

قلب محطم . الدفاع - الاعداد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ - السنة ١ - تموز
١٩٣٧

الاعمى . الدفاع - العددان ٣٠ ، ٣١ - السنة ١ - آب ١٩٣٧

صادق السيد هادي

النصيحة . الكلام - العدد ٧ - السنة ١ - ٢٦ آذار ١٩٣٨

صالح الكمالي

بين نارين . بالك - العدد ١٢ / ٥٠ - السنة ١ - ٤ شباط ١٩٣٨

صبيح نشأت

السكير . الاتحاد - العدد ٨٣ - السنة ١ - ١٠ ميس ١٩٣٩

صبيح انور الاورفلي

الدعلاج . فتاة العرب (م) - العدد ٢٢ - السنة ١ - ١١ ايلول ١٩٣٧

ضحيتان . فتاة العرب - العدد ٢٣ - السنة ١ - ٣٠ ايلول ١٩٣٧

صدقي احمد مدرس

الشيخ محمد . الاخاء الوطني - العددان ٢٣٣ ، ٢٣٤ - السنة ١ -
١٩٣٢

ناهدة خانم . الاخاء الوطني - العددان ٢٤٧ ، ٢٥٠ - السنة ٢ - آب
١٩٣٢

صفاء مصطفى

ما اجمل العقبي . الاستقلال - العدد ١٦٥٠ - السنة ١٢ - ٢٧ ت ٢
١٩٣١

لونتين . الاخاء الوطني - الاعداد ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ - السنة
١ - حزيران ١٩٣٢

القدر . الاخاء الوطني - العدد ٢١٥ - السنة ١ - ٤ تموز ١٩٣٢

لماذا انتحرت . الاخاء الوطني - العدد ٢٢٠ - السنة ١ - تموز ١٩٣٢

ذكرى • الاخاء الوطنى - الاعداد ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٣٢ - السنة ١ - تموز ١٩٣٢
متعاقل • الاخاء الوطنى - العدد ٤٥١ - السنة ٢ - ٧ ايلول ١٩٣٣

ضياء الدين الدخيلي

ضحايا الاستعمار • الاهالى - العدد ٤٠٩ - السنة ٣ - ١١ آب ١٩٣٤

ط

الجريمة • المجلة - العدد ٣ - السنة ٢ - ١٦ ك ١ - ١٩٣٩

ظافر

الشباب المحطم • فتاة العرب (م) - العدد ٢٦ - السنة ١ - ٣ نيسان
١٩٣٧

ثورة نفس • فتاة العراق - العدد ٣٢ - السنة ١ - ١٥ آيار ١٩٣٧

ظاهر

ذكرى • الاستقلال - العدد ١٦٢٩ - السنة ١٢ - ٥ حزيران ١٩٣١

ظاهر حبيب

الخيانة • الرأى العام - العدد ٦٦ - السنة ٢ - ٩ حزيران ١٩٣٨
سويغات فى خليج البصرة • الرأى العام - العدد ٧٨ - السنة ٢ - ٢٥
تموز ١٩٣٨

ظهيره الدروبي

القرية بعد الحرب • الكلام - العدد ٤ - السنة ١ - ٥ آذار ١٩٣٨

ع

ثانى يوم عيد ••• الاستقلال - العدد ١٨٠٤ - السنة ١٣ - ٢٧ ك
١٩٣٣

شبح الماضى • الصباح - العدد ٤٩ - السنة ١ - ٩ آيار ١٩٣٦
ضحية الجهل • الصباح - العدد ٨١ - السنة ١ - ٢٩ آب ١٩٣٦

ع • س

ليله من العزوبه • الكلام - العدد ١ - السنة ١ - ١٢ شباط ١٩٣٨

ع • طليا

المجنون • فتاة العرب - العدد ٦ - السنة ١ - ٢٣ آيار ١٩٣٧

ع • ع • السعدى

المحسنان الرؤوفان ومساعدة الاقدار لهما • العالم العربى - العدد
٤٤٠٧ - السنة ١٥ - ١١ ك ٢ - ١٩٣٩

ع . ف

تحت ظلال النخيل . نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٦٦ -
السنة ٢ - ٢٦ ك ٢ - ١٩٣١

ع . م . الخزرجي

ضحية الاقدار . فتاة العراق - العدد ٢٨ - السنة ١ - ١٧ نيسان
١٩٣٧

عادل عوني

يحبها . بغداد - العدد ١٣٨ - السنة ٣ - ٣٠ أيار ١٩٣٥
ليلة حالكة . الطريق - العددان ٦٧٩ ، ٦٨٠ - السنة ٣ - حزيران
١٩٣٥

حسناء القطار . الطريق - العددان ٧٠٧ ، ٧٠٨ - السنة ٣ - تموز
١٩٣٥

عاصم فليح

عاشق في المحكمة . العراق - العدد ٢٨١١ - السنة ١٠ - ١٠ تموز
١٩٢٩

لأنها احبت . الوطن - العدد ٧٣ - السنة ١ - ٣١ تموز ١٩٢٩
الرسالة الاولى . البلاد - العدد ٢٦ - السنة ١ - ٩ ك ١ - ١٩٢٩

عباس حلمي

النسوة الخمسة . البلاد - العدد ٧١ - السنة ١ - ٣١ ك ٢ - ١٩٣٠

عبدالله حلمي ابراهيم

فضيله . المرأة الحديثة (م) العدد ٢ - السنة ١ - ٢٨ حزيران ١٩٣٦
هذا ما جنته على أمي . الصباح - العدد ٦٥ - السنة ١ - ٤ تموز ١٩٣٦
في عرض الشارع مآسى وعبر . الصباح - العدد ٨٣ - السنة ١ - ٥
ايلول ١٩٣٦

عبدالاحد افندي حبوش

ضحايا الوالدين والمتزعمين في القرن العشرين . ليلى (م) - العدد ٧ -
السنة ٢ - آيار ١٩٢٥

عبدالأمير أحمد

الثائر . الدفاع - العدد ٣٣ - السنة ١ - ٦ آب ١٩٣٧
الغريب . الهاتف - العدد ٧٤ - السنة ٣ - ١٩٣٧
بين دفع وجذب . الهاتف - العدد ٧٩ - السنة ٣ - ١٩٣٧
المجنون . الهاتف - العدد ٨١ - السنة ٣ - ١٩٣٧

بائعة التوت . الهاتف - العدد ٨٩ - السنة ٣ - ١٩٣٧

عبدالحق صبرى العزاوى

انسلاخ . الاصلاح - العدد ١٧ - السنة ١ - ٧ ايلول ١٩٣٥

عبدالحمزه نصرالله

حقيقة لا خيال . الانقلاب - العددان ١٦ ، ١٨ - السنة ١ - ك ٢ -
١٩٣٧

الخدعة . الهاتف - العدد ١٥٧ - السنة ٤ - ٣ مارت ١٩٣٩

عبدالحميد البرجيلي

ضحية التقاليد . الهاتف - العدد ٣٠ - السنة ٢ - ٨ آيار ١٩٣٦

الدكتور محمد . الهاتف - العدد ١٠٢ - السنة ٢ - ١٩٣٨

عبدالخالق القطب

شهامة فتاة كردية . فتاة العراق - العدد ٢٧ - السنة ١ - ١٠ نيسان
١٩٣٧

عبدالرزاق اسود

آمال وآلام - الدفاع - العدد ٣٤ - السنة ١ - ٨ آب ١٩٣٧

عبدالرسول حسين

فى المزرعة . العراق - العدد - ٢٩٧٥ - السنة ١٠ - ١٧ ك ٢ - ١٩٣٠

عبدالرسول نجم

فى سبيل الشرف . الهاتف (العدد القصصى) - ٢٥ ، ٢٦ - السنة ١
١٠ نيسان ١٩٣٦

عبدالسلام جياووك

الامل المفقود . الصباح - العدد ٨٥ - السنة ١ - ١٢ ايلول ١٩٣٦

فى القصر والكوخ . الصباح - العدد ٩٣ - السنة ١ - ١٠ ت ١ - ١٩٣٦

صفقة مهر . الصباح - العدد ٩٧ - السنة ١ - ٢٤ ت ١ - ١٩٣٦

الغيرة - فتاة العراق - العدد ١٧/٩ - السنة ١ - ٢٨ ت ٢ - ١٩٣٦

مأساة . فتاة العرب - العدد ٨ - السنة ١ - ٣٠ آيار ١٩٣٧

أمل . فتاة العرب - العدد ١٠ - السنة ١ - ١٦ حزيران ١٩٣٧

فى عرض الشارع . فتاة العرب - العدد ١٦ - السنة ١ - ٢٩ تموز
١٩٣٧

« الناسكة » و « الحوذى » ، قصتان . بالك - العدد ٥٦/٧ - السنة

١ - ١٦ آذار ١٩٣٨

عبد السلام حلمي

حنان الام . اليوم - العدد ١٤٣ - السنة ١ - ٤ ايلول ١٩٣٨
افتراق . بالك - العدد ٧٢/٣٣ السنة ١ - ١٩ ايلول ١٩٣٨
ابن الفلاح . الاتحاد - العددان ٧٤ ، ٧٥ - السنة ١ - نيسان
١٩٣٩

عبدالصاحب الملائكة

الموت . صوت العراق (بدل البلاد) - العدد ١٥٢/١ - السنة ١
١٠ ايار ١٩٣٠

عبدالقادر اسماعيل

المنضد . البلاد - العدد ٥ - السنة ١ - ٣٠ ت ١ - ١٩٢٩
الزوجة . المستقبل - العدد ١ - السنة ١ - ٢٩ ك ١ - ١٩٢٩
ضحية السباق . المستقبل - العدد ٢ - السنة ١ - ١٠ ك ٢ - ١٩٣٠
برتكيش . المستقبل - العدد ٤ - السنة ١ - ٩ شباط ١٩٣٠
بؤساء . المستقبل - العدد ٥ - السنة ١ - ٢ آذار ١٩٣٠
الشهيدة . المستقبل - العدد ٩ - السنة ١ - ٢٧ حزيران ١٩٣٠

عبدالقادر البراك

في بوعدك (١) . بغداد - العدد ٢١١ - السنة ٤ - ٥ شباط ١٩٣٨

عبدالقادر مخلص

المجد المندثر . الاخبار (بدل الاخاء الوطني) - العدد ٩٨ - السنة
١ - ٢٦ ت ٢ - ١٩٣١

عبدالكريم مجيد

الغيرة . الزمان (بدل البلاد) العدد ٢٧٦ - السنة ١ - ٨ ت ١ - ١٩٣٠
مأساة حب طائش . الحاصد - العدد ١٩ - السنة ٢ - ٢ ت ٢ - ١٩٣٠

عبداللطيف حبيب

فريدة . البلاد - العدد ٦٣ - السنة ١ - ٢٢ ك ٢ - ١٩٣٠
(وأعاد نشرها في الاستقلال - العدد ١٦٤٣ - السنة ١٢ -
١٩ ت ٢ - ١٩٣٣)
مديحة . الاستقلال - العدد ١٦٣٩ - السنة ١٢ - ١٥ ت ٢ - ١٩٣١
ولبت في السجن بضع سنين . الاستقلال - العدد ١٦٤٥ - السنة
١٢ - ٢٢ ت ٢ - ١٩٣١

(١) كذا في الاصل .

يقول انه « دفن قلبه » . الاستقلال - العدد ١٦٥٦ - السنة ١٢ -
١٠ ك ١ - ١٩٣١

عبد اللطيف العلوي

الخاتمة السوداء . بالك - العدد ٦٠/٢١ - السنة ١ - ١٩٣٨
البائسة . بالك - العدد ٦٣/٢٤ - السنة ١ - ١٩٣٨

عبد المحسن قصاب

ما يقع ويكون قصة حب . الهاتف - العدد ١٩ - السنة ١ - ٢١
شباط ١٩٣٦

بين يوم وليلة . الهاتف - العدد ٢١ - السنة ١ - ٦ آذار ١٩٣٦

حب موفق . الهاتف - العدد ٢٢ - السنة ١ - ١٣ آذار ١٩٣٦

ضحية الاطماع . الهاتف - العدد ٥٨ - السنة ٢ - ١٩٣٧

زهة الابالسة . الهاتف - العدد ٦٣ - السنة ٢ - ١٩٣٧

قاتل نفسه . الهاتف - العدد ٦٤ - السنة ٢ - ١٩٣٧

اليهودى التائه . الهاتف - العدد ٨٠ - السنة ٣ - ١٩٣٧

سقالة وشهامة . الهاتف - العدد ٩٩ - السنة ٣ - ١٩٣٨

غلطتان . الهاتف - العدد ١٠٤ - السنة ٣ - ١٩٣٨

الطريد . الهاتف - العدد ١١٤ - السنة ٣ - ١٩٣٨

انتقام الامومة . الهاتف - العدد ١١٧ - السنة ٣ - ١٩٣٨

وفاء . الهاتف - العدد ١٣٠ - السنة ٤ - ١٥ تموز ١٩٣٨

مذكرات بانس . الهاتف - العدد ١٤٠ - السنة ٤ - ٣٠ ايلول
١٩٣٨

اعترافات صديقى . الهاتف - العدد ١٤٥ - السنة ٤ - ٤ ت ١٩٣٨

مجرم . الهاتف - العدد ١٧٤ - السنة ٥ - ١٩٣٩

المحتضر . الهاتف - العدد ١٨٤ - السنة ٥ - ١٩٣٩

عبد المجيد حسيب القيسى

نهاية عانس . الدفاع - العدد ٢٥ - السنة ١ - ٢٨ تموز ١٩٣٧

عبد المجيد لطفى

ليلة الاعتراف . الطريق - الاعداد ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ - السنة ٣

ايار ١٩٣٥

قلب معذب . الطريق - العددان ٦٤٩ ، ٦٥٠ - السنة ٣ - ايار

١٩٣٥

خاتمة مسرة . الطريق - العدد ٦٦٣ - السنة ٣ - ٦ حزيران ١٩٣٥

وفاء . الطريق - العدد ٦٦٦ - السنة ٣ - ١٠ حزيران ١٩٣٥

- الماضي . الطريق - الاعداد ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ - السنة ٣ - تموز ١٩٣٥
فتاة مسلوقة . الطريق - الاعداد ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ - السنة ٣
تموز ١٩٣٥ .
- الفضيلة . صوت الشعب - العدد ٢٩٣ - السنة ٢ - ٥ ايلول ١٩٣٥
ثمن فتاة . صوت الشعب - العددان ٢٩٦ ، ٢٩٧ - السنة ٢ -
ايلول ١٩٣٥
- شك الزوج . صوت الشعب - العدد ٣٠١ - السنة ٢ - ١٤ ايلول
١٩٣٥
- رجل جائع . صوت الشعب - العدد ٣٠٢ - السنة ٢ - ١٦ ايلول
١٩٣٥
- حب يانس . صوت الشعب - العدد ٣٠٤ - السنة ٢ - ١٨ ايلول
١٩٣٥
- مذكرات زوج . صوت الشعب - العددان ٣٠٥ ، ٣٠٦ - السنة ٢ -
ايلول ١٩٣٥
- صديق التلميذة . صوت الشعب - العدد ٣١١ - السنة ٢ - ٢٦ ايلول
١٩٣٥
- موسيقى مجنون . صوت الشعب - العدد ٣١٢ - السنة ٢ - ٢٧ ايلول
١٩٣٥
- لقبطة . صوت الشعب - العدد ٣١٣ - السنة ٢ - ٢٨ ايلول ١٩٣٥
دفاع امرأة . صوت الشعب - العدد ٣١٤ - السنة ٢ - ٣٠ ايلول
١٩٣٥
- القاتل . صوت الشعب - العدد ٣١٥ - السنة ٢ - ١-١٩٣٥
الندم . العراق - العدد ٣٩٩٦ - السنة ١٤ - ٢٢-١-١٩٣٥
حب في الخاتمة . صوت الشعب - العدد ٣١٦ - السنة ٢ - ٢-١-١٩٣٥
١٩٣٥
- هواية . صوت الشعب - العدد ٣١٧ - السنة ٢ - ٣-١-١٩٣٥
قطار كركوك . صوت الشعب - العدد ٣١٨ - السنة ٢ - ٤-١-١٩٣٥
رسائل مطوية . صوت الشعب - الاعداد ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ -
السنة ٢ - ١-١٩٣٥
- تضحية مرة . صوت الشعب - العدد ٣٣٣ - السنة ٢ - ٢٢-١-١٩٣٥
المرأة والنار . صوت الشعب - العدد ٣٤٠ - السنة ٢ - ٣٠-١-١٩٣٥
١٩٣٥

- راقصة . صوت الشعب - العدد ٣٤١ - السنة ٢ - ٣١ ت ١-١٩٣٥
- الهاوية . صوت الشعب - العدد ٣٤٢ - السنة ٢ - ١ ت ٢-١٩٣٥
- اللس الشريف . صوت الشعب - العدد ٣٤٣ - السنة ٢ - ٢ ت ٢
١٩٣٥
- جهل المدنية . صوت الشعب - العدد ٣٤٤ - السنة ٢ - ٤ ت ٢
١٩٣٥
- آه من الحب . صوت الشعب - العدد ٣٤٥ - السنة ٢ - ٥ ت ٢
١٩٣٥
- انتقام الثروة . صوت الشعب - العدد ٣٤٦ - السنة ٢ - ٦ ت ٢
١٩٣٥
- زوجة خائنة . صوت الشعب - العدد ٣٤٧ - السنة ٢ - ٧ ت ٢-١٩٣٥
- الارملة . صوت الشعب - العدد ٣٤٧ - السنة ٢ - ٨ ت ٢-١٩٣٥
- امرأة فاتنة . صوت الشعب - العدد ٣٥٠ - السنة ٢ - ١١ ت ٢
١٩٣٥
- مأساة امرأة . صوت الشعب - العدد ٣٥١ - السنة ٢ - ١٢ ت ٢
١٩٣٥
- قلب مشفق . صوت الشعب - العدد ٣٥٤ - السنة ٢ - ١٥ ت ٢
١٩٣٥
- اثر المرأة . صوت الشعب - العدد ٣٥٦ - السنة ٢ - ١٨ ت ٢
١٩٣٥
- انتحار . صوت الشعب - العدد ٣٥٧ - السنة ٢ - ١٩ ت ٢-١٩٣٥
- امرأة دنسة . صوت الشعب - العدد ٣٥٨ - السنة ٢ - ٢٠ ت ٢-١٩٣٥
- اخجلتني . صوت الشعب - العدد ٣٥٩ - السنة ٢ - ٢١ ت ٢-١٩٣٥
- لقاء غير منتظر . صوت الشعب - العدد ٣٦٠ - السنة ٢ - ٢٢ ت ٢
١٩٣٥
- الغيرة . صوت الشعب - العدد ٣٦٣ - السنة ٢ - ٢٦ ت ٢-١٩٣٥
- الشبح . صوت الشعب - العدد ٣٦٥ - السنة ٢ - ٢٨ ت ٢-١٩٣٥
- انتقام مجنون . الصباح - العدد ٦٧ - السنة ١ - ١١ تموز ١٩٣٦
- الشبح . الصباح - العدد ٦٩ - السنة ١ - ١٨ تموز ١٩٣٦
- مأساة فتاة . الصباح - العدد ٧٣ - السنة ١ - آب ١٩٣٦
- ليلة كؤوس وذكريات . الحاصد - العدد ٣٨ - السنة ٦ - ٦ آب ١٩٣٧
- ذات القبعة الحمراء . الانقلاب - العدد ٥٥ - السنة ١ - ١٨ آذار
١٩٣٧

رسالة من كوخ . الغد - العدد ١ - السنة ١ - حزيران ١٩٣٧
الضحية . الدفاع - العدد ١٢ - السنة ١ - تموز ١٩٣٧
ليلة شاكية . الدفاع - العددان ١٤ ، ١٥ - السنة ١ - تموز
١٩٣٧

عتاب صديق . الدفاع - العدد ٢٢ - السنة ١ - تموز ١٩٣٧
زوجة الظروف . الدفاع - العدد ٢٣ - السنة ١ - تموز ١٩٣٧
امراة بلا قلب . الدفاع - العدد ٢٦ - السنة ١ - تموز ١٩٣٧
ليلة في العمر . الدفاع - العدد ٣٧ - السنة ١ - ١١ آب ١٩٣٧
انت خائنة . الدفاع - العدد ٤٢ - السنة ١ - ١٦ آب ١٩٣٧
الصديقة . بالك - العدد ٤٤/٥ - السنة ١ - ٢٠ ك ١٩٣٧
انقذ الزوج . بالك - العدد ٥٦/١٧ - السنة ١ - ١٦ آب ١٩٣٨
جريمة حب . بالك - العددان ٧٤/٣٥ ، ٧٥/٣٦ - السنة ١
ايلول ١٩٣٨

انباء الثورة (نبذة من كتاب معد للطبع) . العالم العربي - الاعداد
٤٣٥٨ ، ٤٣٥٩ ، ٤٣٦٠ السنة ١٥ - ت ٢ - ١٩٣٨
الاباش . المجلة - العدد ٩ السنة ١ - ١ شباط ١٩٣٩
صورة قديمة . الراى العام - العدد ١٧٧ - السنة ٣ - ٩ شباط
١٩٣٩

المرضة . الاتحاد - العدد ٣٢ - السنة ١ - ٧ آذار ١٩٣٩
الخطيبة . الهاتف - العدد ١٥٨ - السنة ٤ - ١٠ مارت ١٩٣٩
الطفل المشوه . المجلة - العدد ١٥ - السنة ١ - ١ ايار ١٩٣٩
ستلة . الهاتف - العدد ١٦٨ - السنة ٥ - ١٩٣٩
النديمة . المجلة - العدد ١٨ - السنة ١ - ١٦ حزيران ١٩٣٩
ليلة العيد . المجلة - العدد ٢ - السنة ٢ - ١ ك ١٩٣٩

عبدالمهدى

لماذا لا يتزوج . الهاتف - العدد ١٥٢ - السنة ٤ - ٢٧ ك ١٩٣٩

عبدالمهدى الفائق

قصتي أو قصة الغربان . الهاتف - العدد ١٠٣ - السنة ٣ - ١٩٣٨
شذوذ . الهاتف - العدد ١٠٧ - السنة ٣ - ١٩٣٨
المجنونة . الهاتف - العدد ١٦٢ - السنة ٤ - ٧ نيسان ١٩٣٩

عبدالهادى احمد

نزيلة بيت الدعارة . الكلام العدد ٨ - السنة ١ - ٢ نيسان ١٩٣٨

عبدالوهاب الامين

- صبية المطعم . نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٤٦ - السنة ٢
٢ ك ٢ - ١٩٣١
- فى ليالى النعيم . السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٧٥ - السنة ٢
٨ شباط ١٩٣١
- المخمور . السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٨٧ - السنة ٢ - ٢٣ شباط
١٩٣١
- مذكرات . السياسة (بدل البلاد) - العدد ٤١٣ - السنة ٢ - ٢٧
آذار ١٩٣١
- حب مفاجيء . البلاد - العدد ٤١٤ - السنة ٢ - ٢٩ اذار ١٩٣١
- ميت الاحياء . البلاد - العدد ٤١٥ - السنة ٢ - ٣٠ آذار ١٩٣١
- مذكرات مطوية . الاخاء الوطنى - العدد ٢ - السنة ١ - ٣ آب ١٩٣١
- الحب الخائب . الاخاء الوطنى - العدد ١٧ - السنة ١ - ٢٠ آب ١٩٣١
- مذكرات مطوية . عطارذ (م) - العدد ٤ - السنة ١ - ٢١ آب ١٩٣٤
- الشيخ عبدالحق . الهاتف (العدد القصصى) ١٦٤ - السنة ٥ -
١٩٣٩

عبدالوهاب البدرى

نعيم . الهاتف - العدد ١٥٦ - السنة ٤ - ٢٤ شباط ١٩٣٩

عبدالوهاب محمود

حياة مدرس . العراق - العدد ٢٥٢٢ - السنة ٩ - ٣ آب ١٩٢٨

الفاجعة . الاستقلال - العدد ١٢٨٦ - السنة ٩ - اغستوس ١٩٢٨

عبدالوهاب محمود السليم

التبايع القلوب . حى تيرز (فصل من رواية لم تنشر) . العراق - العدد
٣٥٦٥ - السنة ١٤ - ١٧ ت ٢ - ١٩٣٤

على قبرها . . (الفصل الاخير من رواية لم تنشر) . العراق -
الاعداد ٤٠٨٤ ، ٤٠٨٥ ، ٤٠٨٦ ، السنة ١٤ ك ٢ - ١٩٣٦

المغامران الحديثان . العراق - الاعداد - ٤٢٥٤ ، ٤٢٥٥ ، ٤٢٥٦ ،
٤٢٥٧ - السنة ١٥ - آب ١٩٣٦

هذا آدمى فقير . العراق - العددان ٤٢٨٢ ، ٤٢٨٣ - السنة ١٥ -
ايلول ١٩٣٦

نظرة امرأة . العراق - الاعداد ٥٣٥١ ، ٥٣٥٢ ، ٥٣٥٣ ، السنة ١٥
تشرين الاول ١٩٣٦

عزالدين علم الدين
الثائر العربي . البلاد - الاعداد ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ - السنة ١ - ك - ٢
١٩٣٠

عزت ظاهر
سهام كيوييد . الزمان (بدل البلاد) - الاعداد ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ،
٢٨٤ ، السنة ١ - ت - ١ - ١٩٣٠

عزت يعقوب
اخلاص الفتاة . الدفاع - العددان ٣٥ ، ٣٦ - السنة ١ - آب ١٩٣٧

علي جميل
بين الزمهير والسعير . العراق (العدد الممتاز) العدد ١٢٣٦ - السنة
٥ - ٢ حزيران ١٩٢٤

علي حسن السعدي
تحت المظلة . فتاة العراق - العدد ٢٩ - السنة ١ - ٢٤ نيسان ١٩٣٧

علي حسين الوردى
الدينار يتكلم . الصباح - العدد ٣٣ - السنة ١ - ١٤ آذار ١٩٣٦
المجتمع الظالم . الصباح - العدد ٣٧ - السنة ١ - ٢٨ آذار ١٩٣٦

علي الحسيني
بائعة الشوك . الحاصد - العدد ٢٢ - السنة ٣ - ك - ١ - ١٩٣١

علي حسون الفاضلي
المصباح الاخضر . الهاتف - العدد ٧٧ - السنة ٣ - ١٩٣٧

علي الشيببي
وادي الاحلام والناطقة . الطريق - العددان ١٥ ، ٢٣ - السنة ١
آذار ١٩٣٣

السجينان . فتاة العراق - العدد ١٥/٧ - السنة ١ - ١٤ ت ٢ - ١٩٣٦

علي اللقمانى
ابن الجريمة . بالك - الاعداد ١٤/٥٣ ، ١٥/٥٤ ، ١٦/٥٥ - شباط
١٩٣٨

علي مهدي
نهاية ايامه . الاخاء الوطنى - العدد ١٦ - السنة ١ - ١٩ آب ١٩٣١
العفاف المغصوب . الاخاء الوطنى - العدد ٣٣ - السنة ١ - ٨ ايلول
١٩٣١

الفقيرة . الزمان - العدد ١٣١ - السنة ١ - ١ شباط ١٩٣٨

غالى العبيدى

نغم الصنوبر . العراق - العددان ٥٤٠٣ ، ٥٤٠٤ - السنة ١٩ - آب ١٩٣٨

اليتيم . العراق - العدد ٥٤٠٧ - السنة ١٩ - ١٧ آب ١٩٣٨

غريب

النشوة . الصباح - العدد ٦٣ - السنة ١ - ٢٧ حزيران ١٩٣٦

فاضل الانبارى

العادة المحتضرة . ليلى (م) - العدد ٨ - السنة ١ - ١٥ مايس ١٩٢٤
فى وحدتها . ليلى - العدد ٩ - السنة ١ - ١٥ حزيران ١٩٢٤

فاضل حلمى

أسس عائلة . العراق - العدد ٣٠٩٧ - السنة ١١ - ١٣ حزيران ١٩٣٠

ضحية . البلاد - العدد ١٩٣ - السنة ١ - ٢٩ حزيران ١٩٣٠

فتى اسرائيل

بين انياب البحر . المصباح - العددان ١ ، ٢ - السنة ١ - ابريل ١٩٢٤

فتى الناصرية

الزوج المظلومة . العراق - الاعداد ٣٠٩١ ، ٣٠٩٢ ، ٣٠٩٣ - السنة ١١ حزيران ١٩٣٠

فاجعة اليمة . العراق - الاعداد ٣١٢١ ، ٣١٢٢ ، ٣١٢٥ ، ٣١٢٦ ، ٣١٢٧ ، ٣١٢٨ ، ٣١٢٩ - السنة ١١ - تموز ١٩٣٠

فخرى حسين

ضحايا خطأ مطبعى . المرأة الحديثة - العدد ٧ - السنة ١ - ٢ آب ١٩٣٦

فخرى شهاب

حطام . الحارس - العدد ٢٨ - السنة ١ - ١٤ ك ١ - ١٩٣٦
الاستاذ . الحارس - العدد ٣٧ - السنة ١ - ٢٦ ك ١ - ١٩٣٦

فخرالدين صادق

صور اجتماعية . الهاتف - العدد ١٣٤ - السنة ٤ - ١٩ آب ١٩٣٨

ف . ع

حب . السياسة (بدل البلاد) - الاعداد ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٦ - السنة ٢ - شباط وآذار ١٩٣١

فريد توما

اسرار الكوخ . الحيرة (م) - جزء ٢ مج ١ - شباط ١٩٢٧

فيكتوريا نعمان

احلام اليقظة . المرأة الحديثة - العدد ٦ - السنة ١ - ٢٦ تموز ١٩٣٦

فيليب هرمز

وديعة . فتاة العرب - العدد ٧ - السنة ١ - ٢٧ آيار ١٩٣٧
الفتاة المخدوعة . فتاة العرب - العدد ٢٠ - السنة ١ - ٢٦ آب ١٩٣٧

فؤاد بطي

المادة ٢١٣ . اليوم - العدد ١٢٣ - السنة ١ - ١١ آب ١٩٣٨
ابناء الثورة . اليوم - العدد ١٣٤ - السنة ١ - آب ١٩٣٨
الوعد . الاتحاد - العدد ٥٥ - السنة ١ - ٤ نيسان ١٩٣٩

فؤاد قاسم

مأساة واقعية . الاتحاد - العددان ١٥ ، ١٦ - السنة ١ - شباط ١٩٣٩
ذكرى صديق . الاتحاد - العددان ٢٨ ، ٢٩ - السنة ١ - آذار ١٩٣٩
ضحية العيد . الاتحاد - العددان ٥٢ ، ٥٣ - السنة ١ - نيسان ١٩٣٩
السجان الجاني . الاتحاد - العددان ١٠١ ، ١٠٢ - السنة ١ -
حزيران ١٩٣٩

فؤاد وجيه

بين معلمة وتلميذ . العراق - العدد ٤٠٥١ - السنة ١٤ - ٥ ك ١
١٩٣٥

ق . . .

على ضفاف الباروني . الحاصد - العدد ٢٦ - السنة ٣ - ٢ ك ١٩٣٢

قاسم رشدي

دموع الأسي . الاخاء الوطني - العددان ١٣٠ ، ١٣١ - السنة ١ - ٢ ك ١٩٣٢

قطام

واسطة خير . الدفاع - العدد ٣٢ - السنة ١ - ٥ آب ١٩٣٧

كاظم مجيد

خبيبة غرام . الرأي العام - العدد ٤١ - السنة ٢ - ١٦ آذار ١٩٣٨
من شؤون الحب . الهاتف - العدد ١٨٤ - السنة ٥ - ١٩٣٩

كاظم مكي

المصروع . الهاتف - العدد ١٧٥ - السنة ٥ - ١٩٣٩

كمال . . .

قلوب معذبة . الاتحاد - العددان ٣٤ ، ٣٥ - السنة ١ - ٩ آذار ١٩٣٩

كمال محمود

الذهب فوق الحب . الرأي العام - العدد ٢٧٩ - السنة ٤ - ٢٤ ك ١
١٩٣٩

كوركييس بطرس

سقطعة الاخاء الوطني - العدد ٤١ - السنة ١ - ١٧ ايلول ١٩٣١

لطفى

- حلم • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٤٥ - السنة ٢ - ١ ك ٢
١٩٣١
- ضحية • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٤٧ - السنة ٢ - ٤ ك ٢
١٩٣١
- تبكى • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٥١ - السنة ٢ - ٨ ك ٢
١٩٣١
- صورة • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٥٣ - السنة ٢ - ١١ ك ٢
١٩٣١
- فى الطريق • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٥٧ - السنة ٢ -
١٥ ك ٢ - ١٩٣١
- ذكريات حب • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٥٨ - السنة ٢ -
١٦ ك ٢ - ١٩٣١
- حديث • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٥٩ - السنة ٢ - ١٨ ك ٢
١٩٣١
- فصل من رواية • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٦٠ - السنة ٢
١٩ ك ٢ - ١٩٣١
- زهرة الشباب • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٦١ - السنة ٢
٢٠ ك ٢ - ١٩٣١
- غرام زوجه • السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٧٠ - السنة ٢ -
شباط ١٩٣١
- ضحية الشتاء • السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٧٢ - السنة ٢ -
شباط ١٩٣١
- فى القهوة • السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٧٩ - السنة ٢ -
شباط ١٩٣١

لطفى بكر صدقى

- ليلة • الوميض (م) - العدد ٢ - السنة ١ - ٥ ك ١ - ١٩٣٠
- الفريق • السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٨٦ - السنة ٢ - ٢٢
شباط ١٩٣١
- موت الحب • السياسة - (بدل البلاد) - العدد ٣٨٨ - السنة ٢ - ٢٤
شباط ١٩٣١
- سكران • البلاد - الاعداد ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ • السنة ٢ - ٣١ آذار
١٩٣١
- عودة الحب • الاخاء الوطنى - العدد ١٣ - السنة ١ - ١٧ آب ١٩٣١

جنون الحب . الاخاء الوطنى - العدد ١٨ - السنة ١ - ٢١ آب ١٩٣١
هواجس الارق . الاخاء الوطنى - العدد ٢٢ - السنة ١ - ٢٦ آب
١٩٣١

رسالة . الاخاء الوطنى - الاعداد ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ - السنة ١
ايلول ١٩٣١

يوم وليلة . الاخاء الوطنى - العدد ٣٠ - السنة ١ - ٥ ايلول ١٩٣١
ليلة مطرة . الاخاء الوطنى - العدد ١١٢ - السنة ١ - ١٣ ك ١ - ١٩٣١

نهاية حب . الاخبار (بدل البلاد) - العدد ١٧ / ٤٣٥ - السنة ١
٧ تموز ١٩٣١

الماضى . الاخاء الوطنى - العدد ٢٣٤ - السنة ١ - ٢٦ تموز ١٩٣٢
فزع . الاستقلال - العددان ١٧٣٤ ، ١٧٣٥ - السنة ١٣ - ٢ - ١٩٣٢

الزوجة الآتمة . عطار - العدد ٧ - السنة ١ - ١١ ايلول ١٩٣٤

لطفى حمدى

قصة فى رسالة تعالى نتحدث . فتاة العراق - العدد ٣١ - السنة ١ -
٨ آيار ١٩٣٧

جحيم . الناقد - العدد ٦٦ - السنة ٢ - ٧ آب ١٩٣٧
لقد انتهى الطريق . بالك - العدد ٩ / ٤٨ - السنة ١ - ١٦ ك ٢ -
١٩٣٨

الليل لنا . بالك - العددان ٣٣ / ٧٢ ، ٣٤ / ٧٣ - السنة ١ -
٩ ايلول ١٩٣٨

ل . ع

موسى وداروين . الوطن - العدد ٦٧ - السنة ١ - ٢٤ تموز ١٩٢٩

م

وأخيرا عرفت . البلاد - العدد ٢٠ - السنة ١ - ٢ ك ١ - ١٩٢٩
نكبة عائلة . الجهاد (بدل البلاد) العددان ٢٣٧ ، ٢٣٨ - السنة ١ -
٢١ آب ١٩٣٠

الجنين . الاستقلال - العدد ١٦٣٠ - السنة ١٢ - ٧ حزيران ١٩٣١
صور جميلة . الاستقلال - العدد ١٦٣٧ - السنة ١٢ - ١٥ حزيران
١٩٣١

حديث . الاخاء الوطنى - العدد ٢٤٣ - السنة ٢ - ٧ آب ١٩٣٢
الصديقان . الاصلاح - العدد ١٤ - السنة ١ - ١٧ آب ١٩٣٥

م . ح . الصورى

صدفه لذينه . العراق - العدد ٣٥٦٣ - السنة ١٤ - ١٥ ت ٢ - ١٩٣٤
خطيب ابله . العراق - العدد ٣٨٥٦ - السنة ١٤ - ١٧ نيسان ١٩٣٥

ع ٠ م

الغيره ٠ البلاد - العددان ١٥٠ ، ١٥١ - السنة ١ - آيار ١٩٣٠

ماهر عارف

سكرة الموت ٠ الاتحاد - العدد ٣٨ - السنة ١ - ١٤ آذار ١٩٣٩

محمد جمال الهاشمي

مومس ٠ الهاتف - العدد ١٨٥ - السنة ٥ - ١٩٣٩

محمد حسن سعيد الشهرنبلي

ضحية الحب ٠ المصباح (م) - العدد ٢ - السنة ١ - ١٠ ت ٢ - ١٩٣٤

مصائب الحب ٠ المصباح - العدد ٤ - السنة ١ - ك ٢ - ١٩٣٥

محمد شراره

القلم الوديع ٠ الهاتف (العدد القصصى) - ٢٥ / ٢٦ - السنة ١

١٠ نيسان ١٩٣٦

غريب ٠ الهاتف - العدد ٣٩ - السنة ٢ - ١١ تموز ١٩٣٦

دموع ودموع ٠ الهاتف - العدد ١١٩ - السنة ٤ - ١٩٣٨

ذكاء ٠ الهاتف - العدد ١٣٥ - السنة ٤ - ٢٦ آب ١٩٣٨

قلب وقلب ٠ الهاتف (العدد القصصى) - ١٦٤ - السنة ٥ - ١٩٣٩

محمد رشيد الجنابي

الميت الحي ٠ الهاتف - العدد ٦١ - السنة ٢ - ١٩٣٧

الشرف الثائر ٠ الهاتف - العدد ٦٧ - السنة ٢ - ١٩٣٧

شاعر ٠ الهاتف - العدد ٧١ - السنة ٢ - ١٩٣٧

محمد سعيد قادر اغا

الشيخ فارس ٠ الدفاع - العدد ٤٠ - السنة ١ - ١٩٣٧

محمد طاهر حبيب

اجل تحبه ٠٠ وتحبه كثيرا ٠ الاخبار (بدل البلاد) - العدد ١٦ / ٤٣٤

السنة ١ - ٦ تموز ١٩٣١

ذكريات ٠ الاستقلال - العدد ١٧٥٠ - السنة ١٣ - ٢٥ ت ٢ - ١٩٣٢

محمد ظاهر

واحد من مئات ٠ الاخاء الوطنى - العدد ١٩٧ - السنة ١ - ١٣ حزيران

١٩٣٢

محمد علي كمال الدين

ضحايا الغرام عند القبائل ٠ الهاتف (العدد القصصى) - ٢٥ / ٢٦ -

السنة ١ - ١٠ نيسان ١٩٣٦

محمد علي لقمانى

القصة التى لا تنتهى ٠ الدفاع - العدد ٢٤ - السنة ١ - ١٧ تموز

١٩٣٧

محمد مرهون الصفار

من حب الى حب . الهاتف - العدد ١١٦ - السنة ٣ - ١٩٣٨

محمد الهاشمي

حظي . الحاصد - العدد ٢١ - السنة ٣ - ك ١ - ١٩٣١

محمد يونس السبعواوي

شهيدة الطهر والحب . البلاد - العدد ٤٤ - السنة ١ - ك ١ - ١٩٢٩

محمود أحمد

الشيح . العراق المسائي - العدد ٤١٦ - ملحق السنة الرابعة - ك ٢ - ١٩٢٣

ثورة على ابيه . الحاصد - العدد ١٥ - السنة ١ - ايار ١٩٢٩

شكوى . البلاد - العدد ١ - السنة ١ - ٢٥ ت ١ - ١٩٢٩

عبداللطيف بك . البلاد - العدد ٢ - السنة ١ - ٢٧ ت ١ - ١٩٢٩

شهامة . البلاد - العدد ١٥ - السنة ١ - ٢٦ ت ١ - ١٩٢٩

رسائل . نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٢٩٨ - السنة ٢ - ٧ ت ٢ - ١٩٣٠

محمود ظاهر

مخازي البخل . المصباح - الاعداد ٣ ، ٤ ، ٥ - السنة ١ - ابريل ،

مايو ١٩٢٤

محمود عيسى

ثمن الخطيئة . الاتحاد - العدد ٣٩ - السنة ١ - ١٥ آذار ١٩٣٩

محمود فوزي الغلامي

فوزية أو شهيدة الغرام . صوت الشعب - الاعداد ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ،

٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ - السنة ٢ - ايلول ١٩٣٥

من ضحايا الزواج . المرأة الحديثة - العدد ٥ - السنة ١ - ١٧ تموز

١٩٣٦

محمود النعيمي

القروية الحسناء . البلاد - العددان ١٩٥ ، ١٩٦ - السنة ١ - تموز

١٩٣٠

الشباب المحتضر . البلاد - الاعداد ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ - السنة ١ -

تموز ١٩٣٠

مختار

حيرة نفس . الميثاق - العدد ٢٢ - السنة ١ - ٢٢ حزيران ١٩٣٤

مدحت . .

حديث ذو شجون . السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٧٤ - السنة ٢

٦ شباط ١٩٣١

قلوب الغواني . السياسة (بدل البلاد) - العدد ٣٨٢ - السنة ٢
١٦ شباط ١٩٣١

مرهون الصفار

جريمتان . الهاتف - العدد ١٢٦ - السنة ٤ - ١٧ حزيران ١٩٣٨
لانه صائم . الهاتف - العدد ١٤٥ - السنة ٤ - ٤ ت ٢ - ١٩٣٨
جريمة الاقدار . الهاتف - العدد ١٨٧ - السنة ٥ - ١٩٣٩

مراد ميخائيل

شهيد الوطن وشهيدة الحب . المفيد - الاعداد ١٥ ، ١٦ ، ٢٢ -
السنة ١ - نيسان ومايس ١٩٢٢
الفريسة . الحاصد - العدد ٦ - السنة ١ - آيار ١٩٢٩

مرتضى فرج الله

في مهب الرياح . المرأة الحديثة - العدد ٨ - السنة ١ - ٩ آب ١٩٣٦
على سفح التل . الهاتف - العدد ١٨٤ - السنة ٥ - ١٩٣٩
مصطاف .

عشرة اشتراكات . العراق - العدد ٣٩٤٤ - السنة ١٤ - ١ آب ١٩٣٥

مصطفى جواد

تاريخ ما أهمله التاريخ . النهضة العراقية - العدد ٥٧ - السنة ١
١٦ آذار ١٩٢٨
قاتل أخيه . لغة العرب - جزء ٤ - السنة ٦ - نيسان ١٩٢٨

مظفر الزهاوي

بين العاطفة والدين . الحاصد - العدد ٧ - السنة ٢ - ايلول ١٩٣٠
مسكين صديقي . الحاصد - العدد ٣٥ - السنة ٢ - آذار ١٩٣٠

معمّر خالد الشابندر

شعاع . الاستقلال - العدد ١٧٤٢ - السنة ١٣ - ١٦ ت ٢ - ١٩٣٢
نكران الجميل . الاستقلال - العدد ١٧٦٧ - السنة ١٣ - ١٥ ك ١ -
١٩٣٢

عبيد التقاليد أو محيط يتردى . الطريق - الاعداد ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ،
٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ - السنة ٣ - نيسان ١٩٣٥

مكي الاشتري

ضحايا . الحاصد - العدد ١٣ - السنة ٣ - ت ١ - ١٩٣١

ممتاز أكرم العمري

مزريات غرام . البلاد - العددان ١١٠ ، ١١١ - السنة ١ - آذار ١٩٣٠
العجوز المظلومة . البلاد - الاعداد ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ - السنة ١
نيسان ١٩٣٠

نكبة . الاخاء الوطني - الاعداد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،
١٥ - السنة ١ - آب ١٩٣١

عودة . الاخاء الوطني - العدد ٦١ - السنة ١ - ١١ ت - ١٩٣١

منشى زعرور

ضحية الحب . العراق - العدد ٢٩٥١ - السنة ١٠ - ٣٠ ك - ١٩٢٩

منفرد

الغزاة الفاتحون . النجف - الاعداد ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ - السنة ٢ - ٢ ت -
١٩٢٦ ك - ١

منير

زواج غير منتظر . بغداد - العدد ٥٢ - السنة ٢ - ٢ ت - ١٩٣٢

ميخائيل هرمز اورو

اليأس . الاستقلال - العدد ١٦٤٤ - السنة ١٢ - ٢٠ ت - ١٩٣١

عند الطبيب . الاستقلال - العدد ١٧٩٣ - السنة ١٣ - ١٥ ك - ١٩٣٣

ظلم العدل أو شهود الزور . الاستقلال - العدد ١٨٠٢ - السنة ١٣
٢٥ ك - ٢ - ١٩٣٣

مهدى الصالح

صديقي القديم . الحاصد - العدد ٣٨ - السنة ٣ - نيسان ١٩٣٢

مهدى مصطفى القزاز

الريفية الحسنة . العراق - العدد ٣١٩٩ - السنة ١١ - ١٠ ت - ١٩٣٠

الوطن . . . والحب . نداء الشعب (بدل البلاد) - الاعداد ٣٠٤ ، ٣٠٥ ،
٣٠٦ - السنة ٢ - ٢ ت - ١٩٣٠

مهدى مقلد

قصة حسنة . البلاد - العدد ٢٤٦٣ - السنة ١٠ - ١٤ آب ١٩٣٩

ن

الدرس الاول فى الرقص . الهاتف - العدد ٢٧ - السنة ١ - نيسان
١٩٣٦

جلال بك . الهاتف - العدد ٣٠ - السنة ٢ - آيار ١٩٣٦

ابو محمود . الهاتف - العدد ٣٥ - السنة ٢ - حزيران ١٩٣٦

ناجى جينايات

محنة أم . البلاد - العدد ١٣٧ - السنة ١ - ٢١ نيسان ١٩٣٠

مأساة . البلاد - العدد ٢٠٤ - السنة ١ - ١٣ تموز ١٩٣٠

ناجى الجواهر

مأساة . البلاد - العدد ٣٠ - السنة ١ - ١٣ ك - ١٩٢٩

من هو المسؤول . البلاد - العددان ٩١ ، ٩٢ - السنة ١ - شباط ١٩٣٠

ناجي مجلب

اللص المسكين . الحاصد - العدد ١٥ - السنة ٢ - ت ١ - ١٩٣٠
موقف غرام . الحاصد - العدد ٣٧ - السنة ٢ - نيسان ١٩٣١
بعد المرض . الحاصد - العدد ٨ - السنة ٣ - ايلول ١٩٣١

نايف سكر

المعلول وامه الفقيره . اليوم - العدد ١٠١ - السنة ١ - ١٧ تموز ١٩٣٨

نايف نصر

يوم في الصيد . الهاتف - العدد ٥٠ - السنة ٢ - ٢٣ ت ١ - ١٩٣٦
العم محمود . الهاتف - العدد ٥٢ - السنة ٢ - ٦ ت ٢ - ١٩٣٦
من جوف القبر . الهاتف - العدد ٧٧ - السنة ٣ - ١٩٣٧

ن . د

غرام تلميذ . العراق - الاعداد ٣٥٠٣ ، ٣٥٠٤ ، ٣٥٠٥ ، ٣٥٠٦ ،
٣٥٠٧ ، السنة ١٤ - ايلول ١٩٣٤

ن . ع

اصدقاء السوء . الدفاع - العدد ٣٨ - السنة ١ - ١٢ آب ١٩٣٧

ن . عبد الله

ليله من ليالى الصيف . العراق - العدد ٥٣٧٨ - السنة ١٨ - ١٤
تموز ١٩٣٨

ن . عبد الكريم

فقير ينتحر . البلاد - العدد ٥٤ - السنة ١ - ١٢ ك ٢ - ١٩٣٠

ن . محمود

اشباح الظلام . البلاد - العدد ٥٢ - السنة ١ - ٩ ك ٢ - ١٩٣٠

ن . و

واقعة ذى قار . العراق - العددان ٣٥٧٢ ، ٣٥٧٣ - السنة ١٤ - ت ٢
١٩٣٤

نجيب فاضل

العاشق المسحور . المجلة - العدد ٩ - السنة ١ - ١ شباط ١٩٣٩
انتقام . المجلة - العدد ١٣ - السنة ١ - ١ نيسان ١٩٣٩
نسيم . المجلة - العدد ١٤ - السنة ١ - ١٦ نيسان ١٩٣٩
ليلة أرق . المجلة - العدد ١٧ - السنة ١ - حزيران ١٩٣٩
تاكل . الهاتف - العدد ١٧٠ - السنة ٥ - ١٩٣٩

نديم الاطرقجي

انعتاق . الحاصد - العدد ٣٧ - السنة ٥ - آذار ١٩٣٦
والحب كان احلاما . الصباح - العدد ٦١ - السنة ١ - ٢٠ حزيران ١٩٣٦

العناق الاخير . الحاصد - العدد ١٢ - السنة ٦ - تموز ١٩٣٦
(واعاد نشرها في الهاتف العدد ١٣٣ - السنة ٤ - ١٢ آب ١٩٣٨)
عشيق الجنيه . الحاصد - العدد ٢٠ - السنة ٦ - ايلول ١٩٣٦
اللقاء بعد الموت . الحاصد - العدد ٢٢ - السنة ٦ - ايلول ١٩٣٦
وكر الرذيلة . الصباح - العدد ٩١ - السنة ١ - ٣ ت ١ - ١٩٣٦
اخوان السوء . الهاتف - العدد ١٣٥ - السنة ٤ - ٢٦ آب ١٩٣٨
احلام الطفولة . الهاتف - العددان ١٣٩ ، ١٤١ - السنة ٤ - ايلول ،
١ - ١٩٣٨
الامل الضائع . الهاتف - العدد ١٤٦ - السنة ٤ - ١١ ت ٢ - ١٩٣٨

نسيم عزرا

المغامرة الاولى . الحاصد - العدد ١٦ - السنة ٦ - آب - ١٩٣٦
يوم افلست . الحاصد - العدد ١٩ - السنة ٦ - ايلول ١٩٣٦
صيد الليل . الحاصد - العدد ٢٤ - السنة ٦ - ت ١ - ١٩٣٦

نشأة . . .

الحق المغتصب . . . المجلة - العدد ١٥ - السنة ١ - آيار ١٩٣٩

نصرت عبدالكريم

في ضريح الجماجم . صوت العراق (بدل النهضة العراقية) - العددان
٥٦ ، ٥٧ السنة ١ - ت ٢ - ١٩٢٩

نعيم رزوق بشو

جنون القابلة . صوت العراق (بدل النهضة العراقية) - الاعداد ٩/
١٦٠ ، ١٦١/١٠ ، ١٦٣/١١ - السنة ١ - آيار ١٩٣٠
شهيد العفاف . البلاد - العدد ١٩١ - السنة ١ - ٢٦ حزيران ١٩٣٠
لايزال يقامر . البلاد - العددان ١٩٣ ، ١٩٤ - السنة ٢ - حزيران
وتموز ١٩٣٠
تربية الدلال . نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٣٠ - السنة ٢
١٥ ك ١ - ١٩٣٠

نعيم طويق

البائسة . الاخاء الوطني - العدد ٢٠٩ - السنة ١ - ٢٧ حزيران ١٩٣٢
تاوهات . الاخاء الوطني - العدد ٢١٠ - السنة ١ - ٢٨ حزيران ١٩٣٢
انين وبكاء . الاخاء الوطني - العدد ٢١٢ - السنة ١ - ٣٠ حزيران
١٩٣٢

ثورة نفس . الحاصد - العدد ٢٧ - السنة ٤ - ك ٢ - ١٩٣٣
حرمان . الاهالي - الاعداد ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ - السنة
٣ - تموز ١٩٣٤

في طي الخفاء . الاهالي - الاعداد - ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ - السنة ٣ تموز ،
آب ١٩٣٤ (١)

ياس . الاهالي - العددان ٤١٨ ، ٤١٩ - السنة ٣ - آب ، ايلول ١٩٣٤
بين الحقيقة والخيال . العراق - العدد ٣٥١٣ - السنة ١٤ - ١٥
ايلول ١٩٣٤

الندم . العراق - العدد ٣٥٨١ - السنة ١٤ - ٦ ك ١ - ١٩٣٤
المرأة . المبدأ - العدد ٨ - السنة ١ - ٣ شباط ١٩٣٥
حياته الجديدة . الحاصد - العدد ٧ - السنة ٥ - آب ١٩٣٥
سر الرسالة الصفراء . الحاصد - العدد ١١ - السنة ٦ - تموز ١٩٣٦

نوئيل ..

اليتيم . الزمان (بدل البلاد) - العدد ٢٧٥ - السنة ١ - ٧ ت ١ -
١٩٣١

نوئيل رسام

الاخوان او شهيد الواجب . البلاد - العدد ١٧٤ - السنة ١ - ٦
حزيران ١٩٣٠
موت الفقير . البلاد - العدد ١٨٢ - السنة ١ - ١٦ حزيران ١٩٣٠

نورالدين داود

جيره الراعية . الفضيلة - الاعداد ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ - السنة ٢
ت ٢ - ١٩٢٦

نورى برنوطى

ضحايا الطمع . الصباح - العدد ٣٥ - السنة ١ - ٢١ آذار ١٩٣٦

نورى الراوى

القبلة . بالك - العدد ٣ / ٥٢ - السنة ١ - شباط ١٩٣٨
سجين الجسد . بالك - العدد ١٩ / ٥٨ - السنة ١ - ١٩٣٨

نهاد عبدالمجيد

المهنة الحرة . العراق - العددان ٣٤٩٤ ، ٣٤٩٥ - السنة ١٤ - آب
١٩٣٤

نهاد فهمى

وديع وماجده . نداء الشعب (بدل البلاد) - العددان ٢٩٩ ، ٣٠٠ -
السنة ٢ - ت ٢ - ١٩٣٠

(١) أخطأ صاحب الاهالي في نشر هذه القصة اذ نشر القسم الخامس منها
على أنه القسم الاول في العدد (٣٩١) ، ثم أعاد نشره في العدد ٣٩٦ .

الزوجه المتجددة • الاخاء الوطنى - العددان ٣٤ ، ٣٥ - السنة ١ -
ايلول ١٩٣١
اب ظالم • الحاصد - العدد ٧ - السنة ٣ - ايلول ١٩٣١

نهد ••

حب مخفق • نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٣٥٢ - السنة ٢ - ٩
ك٢ - ١٩٣١

هارون يهودا

رياء الانسان • البلاد - العدد ٢٠٩ - السنة ١ - ٢٠ تموز ١٩٣٠

هاشم البناء

تذكرة الماضى • بغداد - العدد ١٩٠ - السنة ٤ - ٢٥ آيار ١٩٣٧
شهيد الحب والواجب (سليم وسليمه) • بغداد - العددان ١٩٦ ، ١٩٧
السنة ٤ - تموز ١٩٣٧

هداوى

غرامى الفتى • الهاتف - العدد ١١٢ - السنة ٣ - ١٩٣٨

ه ••

خائنة • الجهاد (بدل البلاد) - العدد ٢٣٩ - السنة ١ - ٢٤ آب ١٩٣٠

و

بين اليأس والرجاء • الناشئة الجديدة - العدد ٤ - السنة ١ - ٢٢ ك٢
١٩٣٣

زواج بالبيع • الهاتف - العدد ١٥٥ - السنة ٤ - ١٧ شباط ١٩٣٩
بين يوم وليلة • الهاتف - العدد ١٥٩ - السنة ٤ - ١٧ مارت ١٩٣٩
حذار يا ذوى القوارير • الهاتف - العدد ١٦٢ - السنة ٤ - ٧ نيسان
١٩٣٩

ذكرى • الهاتف - العدد ١٨٣ - السنة ٤ - ١٩٣٩

وديع جويده

قاتل يتالم - الحاصد - العدد ٢٩ - السنة ٣ - شباط ١٩٣٢

يوسف الحاج الياس

جاسم الراعى • المجلة - العدد ١٠ - السنة ١ - ١٦ شباط ١٩٣٩

ي • ب • يوسف

بين جذب ودفع • الهاتف - العدد ٨٥ - السنة ٣ - ١٩٣٧

ي • توفيق

ذكريات متقطعة • الحاصد - العدد ٣٤ السنة ٣ - آذار ١٩٣٢
من مذكرات سلمى • الحاصد - العدد ٣٧ - السنة ٣ - نيسان ١٩٣٢

كل هذا من ورائك يا جبران . الحاصد - العدد ٣٩ - السنة ٣ -
نيسان ١٩٣٢

الحائر . الحاصد - العدد ٤٧ - السنة ٣ - حزيران ١٩٣٢
حب . الحاصد - العدد ٧ - السنة ٤ - ايلول ١٩٣٢

ي . ث

الشقاء يلتمس السعادة . فتاة العرب - العدد ١٦ - السنة ١ - ٢٩
تموز ١٩٣٧

ي . م

ثورة نفس . المبدأ - العدد ٢٤ - السنة ١ - ٢٨ شباط ١٩٣٥

يوسف حداد

زوجان . الاستقلال - العدد ١٨١١ - السنة ١٣ - ٨ شباط ١٩٣٣
ليلة زفاف أخيه . الاستقلال - العدد ١٨٤١ - السنة ١٣ - ١٥ آذار
١٩٣٣

حلم فنان . الاصلاح - العدد ٨ - السنة ١ - ٢٩ حزيران ١٩٣٥

يوسف حناني اسحق

منيتان . العراق - العدد ٢٣٨٩ - السنة ٨ - ٢٩ شباط ١٩٢٨
محاورة جبار . العراق - العدد ٢٣٩٦ - السنة ٨ - ٨ آذار ١٩٢٨

يوسف رزق الله غنيمية

غادة بابل (رواية) نشرت مسلسلته في لغة العرب ابتداءً من العدد
(٥) السنة (٥) ١٩٢٧ (في ثمان أقسام)

يوسف متي

قاتل أخيه . السياسة (بدل البلاد) - العددان ٣٧٧ ، ٣٧٨ - السنة ٢
شباط ١٩٣١

ضحية العهد . الحاصد - العدد ١٩ - السنة ٣ - ك ١ - ١٩٣١

احلام الشعراء . الحاصد - العدد ٢٥ - السنة ٣ - ك ٢ - ١٩٣١

المنتحر . الحاصد - العدد ٣٠ - السنة ٣ - شباط ١٩٣٢

في القرية . الحاصد - العدد ٣٣ - السنة ٣ - آذار ١٩٣٢

زكيه . الحاصد - العدد ٣٦ - السنة ٣ - نيسان ١٩٣٢

سخرية الموت . الحاصد - العدد ٤٢ - السنة ٣ - آيار ١٩٣٢

عاطفة جامحه . الحاصد - العدد ٢ - السنة ٤ - آب ١٩٣٢

شخصية قوية . الحاصد - العدد ١٦ - السنة ٤ - ت ٢ - ١٩٣٢

الرسالة . الحاصد - العدد ٢١ - السنة ٤ - ك ١ - ١٩٣٢

حطام . عطارد - العدد ١ - السنة ١ - ١ آب ١٩٣٤

يوسف مرقس

- الامل الضائع . الحاصد - العدد ١٠ - السنة ٣ - ت ١ - ١٩٣١
جميل التائه . الحاصد - العدد ١٢ - السنة ٣ - ت ١ - ١٩٣١
حب مطعون . الحاصد - العدد ١٤ - السنة ٣ - ت ١ - ١٩٣١
من اعترافات زوج طائش . الحاصد - العدد ٤٠ - السنة ٣ - آيار
١٩٣٢

يوسف مسكوني

- ضحايا الجوع . نداء الشعب (بدل البلاد) - العدد ٢٩٧ - السنة ٢
٦ ت ٢ - ١٩٣٠

يوسف مكمل

- لحن متقطع . الحاصد - العدد ١٧ - السنة ٥ - ت ٢ - ١٩٣٥
القطرات الاولى . الحاصد - العدد ٢٢ - السنة ٥ - ك ١ - ١٩٣٥
ندم . الحاصد - العدد ٢٥ - السنة ٥ - ك ٥ - ١٩٣٦
قلب تائه . الحاصد - العدد ٢٧ - السنة ٥ - ك ٢ - ١٩٣٦
مجازفه بقلب . الحاصد - العدد ٢٩ - السنة ٥ - ك ٢ - ١٩٣٦
استعراض . الحاصد - العدد ٣١ - السنة ٥ - شباط ١٩٣٦
انتظار . الحاصد - العدد ١ - السنة ٦ - نيسان ١٩٣٦

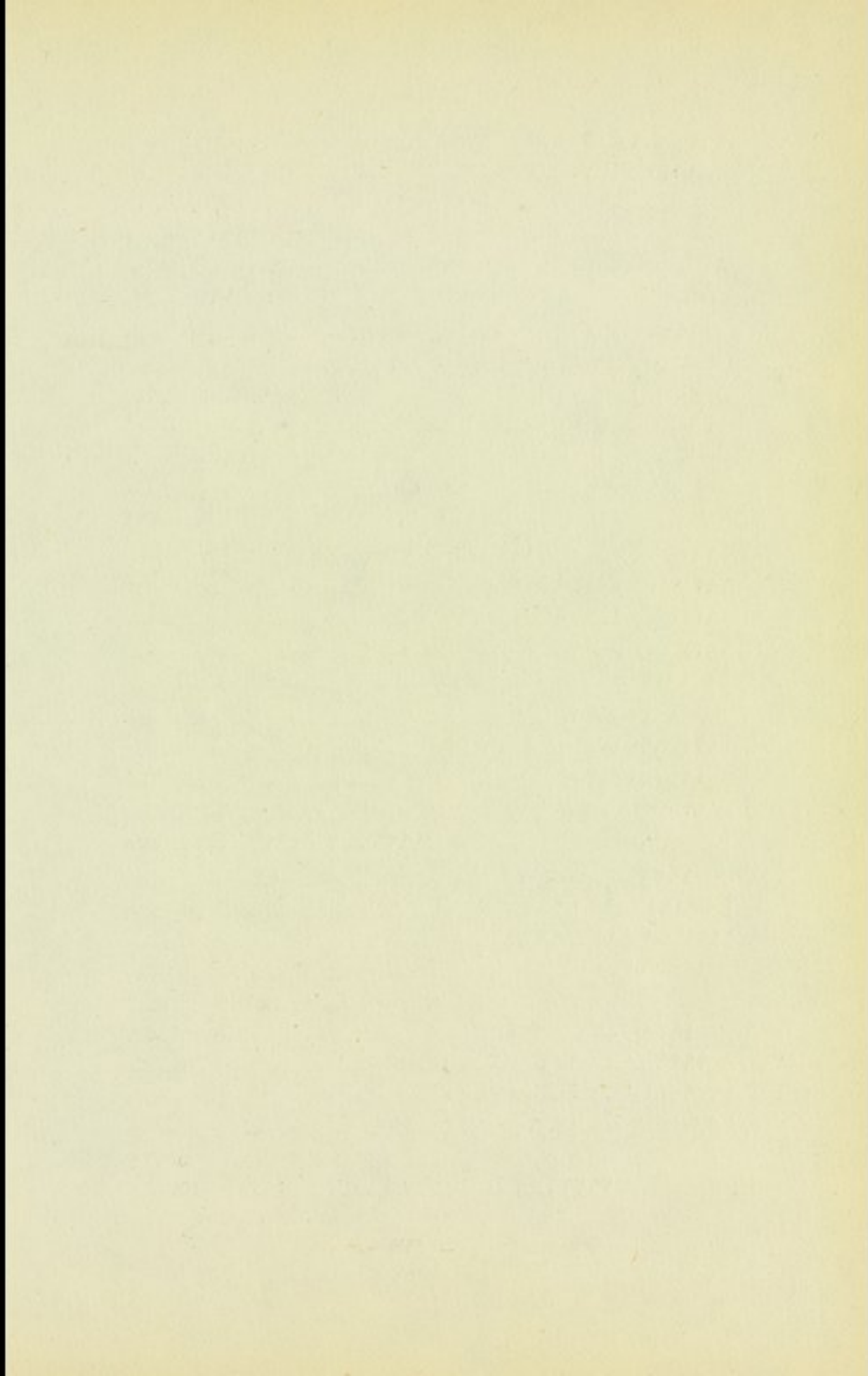
اليهودي التائه

- رمزي . الهاتف - العدد ١٥٣ - السنة ٤ - ٣ شباط ١٩٣٩

قصص اخرى نشرت غفلا من اسماء مؤلفيها :

- فتاة بغداد (رواية) نشرت مسلسلته في الزنيقة ابتداء من العدد ١
السنة ١ - ت ١ - ١٩٢٢
الشباب المخدوع . الناشئة الجديدة - العدد ١ - السنة ١ - ك ٢٧ - ١
١٩٢٢
الزوج المخدوع . مرآة العراق - العدد ١٣ - السنة ١ - ك ٧ - ١٩٢٥
الحب الاول . الاخاء (البصرية) العدد ١٠٩ - السنة ٢ - ١٧ ايلول ١٩٢٧
شجرة اللقاء . الاخاء (البصرية) - الاعداد ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ - السنة ٢
ت ١ - ١٩٢٧
آفة اجتماعية (بين هند وسلمي) . الاستقلال - العدد ١٢٤٤ - السنة ٨
ك ١ - ١٩٢٧
الشباب المحطم . العراق - العدد ٢٤٢٨ - السنة ٨ - ١٤ نيسان ١٩٢٨
في منعطف الزقاق . الحاصد - العدد ٣ - السنة ١ - شباط ١٩٢٩

- المذنبه البريئة . البلاد - العددان ٦١ ، ٦٢ - السنة ١ ك - ٢ - ١٩٣٠
الفتى المتظاهر . البلاد - العدد ١١٤ - السنة ١ - ٢٥ آذار ١٩٣٠
خبز البلوط . البلاد - الاعداد ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، السنة ١ -
حزيران ١٩٣٠
الموت في سبيل الاموات . صدى العهد - العدد ٦٩ - السنة ١ - ٢٧
١ - ١٩٣٠
- حقوق . الاستقلال - العدد ١٥٦٧ - السنة ١١ - ٢٠ آذار ١٩٣١
الحب الثاني . الاستقلال - العدد ١٥٧٧ - السنة ١١ - ١ نيسان
١٩٣١
- من رسائل الحب . الاستقلال - العددان ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ - السنة ١٢
حزيران ١٩٣١
حديث في حانة . الاستقلال - العدد ١٦٢٧ - السنة ١٢ - ٣ حزيران
١٩٣١
- مزاح . الاستقلال - العدد ١٦٣٢ - السنة ١٢ - ٩ حزيران ١٩٣١
لقاء . الاستقلال - العدد ١٦٣٦ - السنة ١٢ - ١٤ حزيران ١٩٣١
عابر سبيل . الاخاء الوطني - العدد ٢٦٦ - السنة ٢ - ٢ ايلول ١٩٣٢
ضحية الوضع . الاحرار - العدد ٤ - السنة ١ - ١٣ حزيران ١٩٣٣
ينتقم لشرفه . الاعتدال (م) - العدد ٧ - السنة ٤ - آب ١٩٣٣
اعترافات . عطار (م) - العدد ٣ - السنة ١ - ١٤ آب ١٩٣٤
انموذج الخط . العراق - العدد ٣٥١٤ - السنة ١٤ - ١٧ ايلول ١٩٣٤
اللقاء المحرم . بغداد - العدد ١٣١ - السنة ٣ - ٢٦ ك - ١٩٣٥
المجنون الحكيم . البلاد - الاعداد ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦١ ، ٧٦٨ ،
٧٧٥ - السنة ٧ - ك - ٢ - ١٩٣٦
- الاخلاص . الصباح - العدد ٥٧ - السنة ١ - ٦ حزيران ١٩٣٦
الاعتراف . الهاتف - العدد ٤٨ - السنة ٢ - ٢٥ ايلول ١٩٣٦
الحائط الفاصل . الانقلاب - العدد ١٨ - السنة ١ - ١٢ ك - ١٩٣٧
وفاء زوجة . فتاة العرب - العدد ٥ - السنة ١ - ٢٠ آيار ١٩٣٧
السجين . الهاتف - العدد ١٠٩ - السنة ٣ - ١٩٣٨
ضحية الاقطاع . اليوم - العدد ٩٠ - السنة ١ - ٤ تموز ١٩٣٨
ابن الفاقه . الاتحاد - العدد ٦٠ - السنة ١ - ١٠ نيسان ١٩٣٩
الشيخ عمر . الانباء - الاعداد ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ - السنة ٣ - ك - ١٩٣٩
في مضارب البدو . الانباء - العددان ٨٩ ، ٩٠ - السنة ٣ - ٢٧ ك - ١٩٣٩
- بناء افكار . الهاتف - العدد ١٨٧ - السنة ٥ - ١٩٣٩



فهرست الموضوعات

صفحة	المقدمة
ز - ن	
١	الباب الاول
	المحاولات البدائية
٣	ممهّدات النهضة في القرن التاسع عشر
٤	التيارات الثقافية في القرن التاسع عشر
٥	مقامات ابي الثناء الالوسي
	نشاط البعثات التبشيرية ، واثره في الادب ، ومحاولات نعوم
١٢	فتح الله سحرار في المسرح
	اعلان الدستور العثماني واثره في الفكر العراقي الحديث وفي
١٧	اتجاه القصة العراقية البدائية نحو الاجتماعية .
	بوادر الاهتمام بالقصة الذي عكسته الصحف والمجلات العراقية
٢١	بعد الدستور .
	تأثير انتشار الروايات العربية والمترجمة في العراق في
٢٩	اساليب كتابة المقالات .
٣٣	اتجاه القصة العراقية البدائية
٣٥	اسباب اتجاه القصة العراقية البدائية نحو الرؤيا
٤٢	الرؤيا الاولى التي كتبت في العراق .
٤٤	رؤى أخرى
٤٧	قصص الرؤيا التي كتبت بعد الحرب الاولى .
٥٦	الرواية الايقاظية .
	خروج المحاولات البدائية عن اطار قصص الرؤيا ومحاولات
٦٦	عطاء أمين الرائدة في القصة .

الباب الثاني

القصة بين الحربين

٧٧ الفصل الأول : تطور القصة بين الحربين

٧٨ أثر الاحتلال البريطاني في اتجاه الفكر والأدب العراقي الحديث .

٧٩ النهضة الادبية أوائل القرن العشرين ، أسبابها ، عوامل فشلها .

٨١ مفهوم الأدباء عن الرواية في الفترة الأولى من العشرينات . تأثير انتشار روايات المغامرات والغرام ، وأدب جبران

٨٢ والمنفلوطي في القصة العراقية .

٨٤ المحاولات الأولى في القصة بين الحربين .

عوامل ضعف وتأخر ظهور القصة الفنية في الفترة الأولى من العشرينات .

٨٧ نهضة القصة في الثلاثينات ، وبزوغ فجرها . أسبابها وعواملها .

٩٢ عوامل بقاء القصة العراقية في الثلاثينات في نطاق المحاولات

١٠٥ أسباب ضعف الرواية في الأدب العراقي الحديث .

١٠٧

١٠٩ الفصل الثاني : المضمون العاطفي

أهمية القصص التي كتبت في المضمون العاطفي ، وأسباب اندفاع الكتاب الى الكتابة فيه .

١٠٩ المجموعة الأولى من قصص هذا المضمون (خصائصها وصفاتها)

١١٥ رواية «رنة الكأس» لعلي الشبيبي

١٢٢ المجموعة الثانية من قصص هذا المضمون (خصائصها وصفاتها)

١٢٣ مجموعة «اصداء الزمن» لعبدالمجيد لطفى

١٢٥ المجموعة الثالثة من قصص هذا المضمون (خصائصها وصفاتها)

١٢٦ رواية « من بنات الناس » لعربي عراقي

١٢٧ محاولات يوسف متي في القصة ، وأهمية نتاجه فيها .

١٢٨ أثر اتجاه القصة العراقية أواخر الثلاثينات نحو الواقعية في

١٣٣ قصص هذا المضمون (قصص شالوم درويش العاطفية) .

١٣٦	الفصل الثالث : المضمون الاجتماعي
	شحوب المضمون الاجتماعي في قصص الفترة الأولى من
١٣٧	العشرينات .
١٣٨	المجموعة الأولى من قصص هذا المضمون (خصائصها وصفاتها)
١٤٨	المجموعة الثانية من قصص هذا المضمون (خصائصها وصفاتها واتجاهاتها) .
١٥٣	مشكلة اللغة في حوار القصص العراقي بين الحربين .
	اتجاه القصة العراقية الاجتماعية نحو الواقعية . (قصص
١٥٧	شالوم درويش) .
١٦١	أثر القصة الروسية في اتجاه الكتاب نحو الواقعية
١٦٢	بعض مظاهر تأثير القصص الروسية في القصة العراقية
١٦٤	الفصل الرابع : مضامين واتجاهات أخرى
١٦٥	الاتجاه الفردي الذاتي . ابرز كتابه ، عبدالوهاب الامين
	الاتجاه الانساني . نماذج من قصصه « سخرية الموت »
١٦٧	ليوسف متي .
١٦٩	الاتجاه نحو عرض الآراء الفلسفية والعلمية .
١٧٠	الاتجاه الرمزي .
١٧٢	نماذج من قصصه « أحلام الطفولة » لنديم الاطرقجي
١٧٢	الاتجاه الفكاهي الساخر
١٧٣	نماذج من قصصه . قصة « الفلقة » لخلف شوقي الداودي
١٧٦	الاتجاه التاريخي . نماذج من قصصه .
	رواية « غادة بابل » ليوسف رزق الله غنيمية ، ورواية
١٧٧	« يزداندوخت الشريفة الاربيلية » للقاس سليمان الصائغ
١٧٩	رواية « في الفرات الاوسط » لمحمد حسن النمري القطيفي
١٧٩	اتجاه التحليلي الخاص في القصة .
١٨٦	مجموعة « صور الحياة » لضياء سعيد
١٨٧	رواية « البنادق المسروقة » لصبري عبدالله

الباب الثالث

قصاصون

تمهيد

الفصل الأول : محمود أحمد السيد

أهمية السيد في تاريخ القصة العراقية

• أسباب اتجاه السيد نحو القصة ، في شبابه الباكر

انصراف السيد عن الكتابة في القصة .

تطور السيد الفكري وعودته للقصة (أسباب ذلك)

• خصائص وصفات قصص السيد في مرحلته الأولى

اهتمام السيد بتجويد قصصه في مرحلته الثانية .

المؤثرات الاجنبية في قصص السيد

• قصص السيد في مرحلته الثانية • « جلال خالد »

قصصه التي نشرها في « الطلائع » و « في ساع من الزمن »

• قصص أخرى لم ينشرها ضمن مجاميعه القصصية

الفصل الثاني : انور شاؤل

• أهمية أنور شاؤل في تاريخ القصة العراقية

• محاولاته المبكرة في القصة

• خصائص وصفات (الحصاد الأول)

اتجاهاته القصصية في (الحصاد الأول)

• قصصه الاخرى

الفصل الثالث : ذو النون أيوب

• أهمية (ذو النون أيوب) في تاريخ القصة العراقية

• الحوافز التي دفعته الى كتابة القصة ، وتطوره الفكري

• صفات قصصه العامة

• مضامين قصصه

• خصائص وصفات قصصه الفنية

مجموعاته القصصية التي نشرها بعد عام ١٩٣٩

• رواية « الدكتور ابراهيم »

٢٩٠	الفصل الرابع : عبدالحق فاضل .
٢٩٠	أهمية عبدالحق فاضل في تاريخ القصة العراقية .
٢٩٣	خصائص وصفات قصصه الفنية .
٢٩٧	قصص عبدالحق فاضل . مجموعة «مزاح وما اشبهه»
٣٠٥	قصص «طواغيت» ، «حائرون» التي كتبها قبل عام ١٩٣٩
٣١٠	رواية «مجنونان» .
٣١٧	الخاتمة
٣٢٣	ملحق «نصوص قصصية»
٣٢٥	توطئة
٣٢٧	أ : قصص الرؤيا
٣٢٧	١ - رؤيا العربية ؟
٣٣٤	٢ - رؤية أدبية محمد فائق الكيلاني
٣٣٦	٣ - سياحة في النوم ؟
٣٣٨	٤ - المال حاكم ؟
٣٤١	٥ - كيف يرتقى العراق (رؤيا صاقة) . عطاء أمين
٣٤٦	٦ - سياحة الفكر م . ش
٣٥١	٧ - وقفة على ديالى (وحديث مع فنوس) عراقى أمين
	ب : القصص البدائية :
	١ - لوحة من ألواح الدهر أو فصل من رواية الحياة . عطاء أمين .
٣٦٠	٢ - عاقبة الحياة . عطاء أمين
٣٦٥	ج - قصص محمود أحمد السيد
٣٧٣	١ - الشبيح .
٣٧٥	٢ - ثورة على ابيه .
٣٧٩	٣ - شكوى .
٣٨١	٤ - عبداللطيف بك
٣٨٣	٥ - شهامة .
٣٨٨	٦ - رسائل .

٣٩٠	د - قصص أخرى :
٣٩٠	١ - الفلقة • خلف شوقي أمين الداودي •
٣٩٩	٢ - قاتل يتالم • وديع جويده
٤٠٢	٣ - سخرية الموت • يوسف متي
٤٠٥	٤ - حطام • يوسف متي
٤١١	٥ - ليلة كؤوس وذكريات • عبدالمجيد لطفى
٤١٣	٦ - الأوباش • عبدالمجيد لطفى
٤١٦	٧ - أولجا • ج • ح
٤١٩	المراجع والفهارس
٤٢١	المراجع
٤٢١	أ - الكتب
٤٢٥	ب - المقالات
٤٢٩	ج - الحكايات المترجمة
٤٢٩	د - قصص الرؤيا
٤٣١	هـ - القصص البدائية
	و - دوريات الصحف والمجلات العراقية التى كانت تنشر قصصا وغيرها من المقالات التى تتصل ببحثنا •
٤٣٢	١ - الصحف
٤٣٥	٢ - المجلات
٤٣٧	الفهارس
٤٣٧	١ - فهرست المجاميع القصصية والروايات
	٢ - فهرست القصص والروايات المنشورة فى الصحف والمجلات العراقية •
٤٤١	

يشكر المؤلف الاستاذ هاشم الطعان الذي وقف الى جانبه في مهمة
مراجعة ملازم الطبع الشاقة ، بنكران ذات وتجرد ، والفنان ضياء العزاوي
على تصميمه الغلاف ، والاستاذ حكمت توماشي امين القسم العربي والصحف
في مكتبة المتحف العراقي ، على كل ما قدمه للمؤلف من تسهيلات ، يسرت
له البحث .

*The Rise and Development
of Fiction in Iraq*

1908 - 1939

By

Abdul-Ilah Ahmed

College of Languages
University of Baghdad

Published with the Assistance of the
University of Baghdad

Shafeek Press — Baghdad

1969

